أبو العلاء وما إليه

وهو كتاب حافل بتاريخه وأخباره، جامع للمباحث الدقيقة في حياته وآثاره، منبه على أوهام الشرق والغرب في فهم رموزه وأسراره

عُني بوضعه ووصفه، وقام بجمعه ورصفه
عبد العزيز الميمني الراجكوتي الأثري الهندي
الأستاذ بجامعة علي كره الإسلامية في الهند

ويليه

رسالة الملائكة

تأليف

أبي العلاء المعرّي

أبرزها وصححها وشرحها
عبد العزيز الميمني الراجكوتي الأثري الهندي
الأستاذ بجامعة علي كره الإسلامية في الهند

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

أبو العلاء وما إليه

وهو كتاب حافل بتاريخه وأخباره، جامع للمباحث الدقيقة في حياته وآثاره، محنبة على أوهام الشرق والغرب في فهم رموزه وأسراره

عُني بوضعه ووصفه، وقام بجمعه ورصفه
عبد العزيز الميمني الراجكوتي الأثري الهندي
الأستاذ بجامعة عليكره الإسلامية في الهند

وبليه

رسالة الملائكة

تأليف

أبي العلاء المعري

أبرزها وصححها وشرحها
عبد العزيز الميمني الراجكوتي الأثري الهندي
الأستاذ بجامعة عليكره الإسلامية في الهند

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

منشورات محمد علي بيضون



دار الكتب العلمية

الطبعة الأولى
٢٠٠٣ م ـ ١٤٢٤ هـ

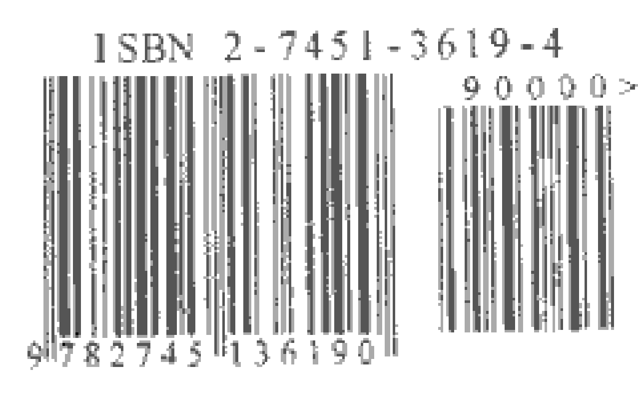
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ١٣/١٢/١١/٨٠٤٨١٠ (٥ ٩٦١)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kutub Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-3619-4



http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمداً لك اللّهم! على ما يسّرت وأسديت. وصلاةً وسلاماً على رسولك الذي ابتعثته واخترتَ واصطفيت. وعلى الذين وازروه وآووه وآثرتهم على الأمم لصحابته وانتقيت. حتى أعليت كلمتك التي كنت أسنيت، وصيّرتَهم أُسوةً لنا حسنةً كما قد أبديت.

وبعدُ فهذا كُتَيِّبٌ لي وضعته وسِفر صنعته في أخبار شيخ المعرّة أبي العلاء - ربّ القريض والإنشاء - وكأني بمن يستنكر حاجة الناس إليه ويحقّق غناهم عنه بعدما قد أكثر الأمم من التأليف فيه ولجّوا به وبآثاره فاستنبطوا منها كل عين وأثاروا عن كل دفينة. ولم يتركوا لقائل مقالاً، ولا لفارس مجالاً. فأجالوا فيها القِداح، وشَمّروا مُجدّين للكفاح.

بيد أني كنت أرى ولا أقول صواباً أن الحاجة كانت ماسّةً بعدُ إلى من يرمي عن كَثَب، ويتعرّف بأبي العلاء تعرّف الإنسان بصاحب له ذي أرب. حتى يقضي عن نفسه بعض ما وجب، ويستقيد من شُذّاذ أطراف المباحث ما كان شرد وذهب، ويميز القشر عن اللّبّ، والجريالَ من الرُبّ.

فالمقصد إذاً كان خطيراً، يقتضي من الوقت فراغاً ومن دواوين الأدب نصيراً وظهيراً. وكنت مشغول البال والضمير، ولم يكن بيدي منها نقير أو قطمير. فكيف الحُداء إذاً بغير بعير، أو جوب الفلوات الفِيْح ونضْوي كسير حسير. فكنتُ أتلكأُ نظراً إلى صعوبة العمل، وطول الأمد والأمل. وأتجانف بنفسي من الوقوع في مَدْحضة مَزِلّة، ليس ما هِيْضها جَبْر ولا بَلّة.

ولكن لما رأيت هجنة المستعربين ولُثغة المتأدّبين، كلا قد نكّبتهم عن الوصول إلى غاية المأمول فوقعوا في سَلا جَمَل، وارتبكت مراكبهم في الوَحَل. اغتنمت الفُرَص وانتهزت من الآناء الخُلَس، واستنطقت الحُبَس. فإني رأيت خفض الصوت وقصر النفس، أحسن بالفتى من العيّ والخَرَس.

وكان القول طال وتجاذب الناس فيه أطراف مطارف المباحث، من بين مجدّ وعابث. إلا أني وجدتُ رجلين[1] هما معوَّل الآخرين ومَفْزَع الناقلين. فتوخّيت

(١) د. س. مرجليوت في مقدمة ترجمة الرسائل - والدكتور طه حسين في ذكرى أبي العلاء.

تصحيح كتابيهما عما أتياه من قلّة التأمل والتفكير، والارتباك بشتات الأقوال بحيث يشغل الضمير. حتى تتجلّى الحقائق في بردها القشيب، وتستعيض الشبابَ عن المشيب.

ولست أبخسهما حظّهما من الإصابة، ولا أغمطهما نِعْمَتهما في الإثابة. فإني صادع بأنهما أحرزا قصبات الفضل، وفازا من بين الأقران بالخَصْل. وأجادا وأفادا، وأحسنا وزادا. إلاّ أنهما مع ما عانيا لم يسلما من وَهْن البيان، شأنَ الإنسان الضعيف البنيان. ولستُ إلاّ كطليحٍ أو كبازٍ قصيص، لا أقدر على النصيص أو القنيص. فلستُ أُقدّم كتابي هذا إلى الخُطّاب والطلاّب، مدّعياً له البراءة من كل سوء وعاب. أو السلامة من الخطإ والخطل، والزلل والخلل. فحسبي أنّ فيه بُلغة للمستميح، على زمن شحيح. ونَقعةً لِكَبِدٍ حَرّان، ورَشْفة لغليل الظمآن. والله المستعان، وإليه المَفْزَع وعليه التُّكلان.

لاهور: منتصف شعبان سنة ١٣٤٣هـ.

عبد العزيز الميمني الراجكوتي

التعريف

بجمعية «دار المصنفين» في أعظم كرة ـ الهند

هذه جمعيَّة علمية إسلامية خدمت العلوم الإسلاميَّة منذ تأسيسها إلى اليوم خدمة لا ينساها كلّ من في قلبه حبّة من خردل من الإيمان. ألّفت عَشرات من الكتب النافعة الإصلاحيَّة والدينية بالأوردية لسان مسلمي الهند. أسَّسها المصلح الشهير الشيخ شِبْلي النعمانيّ المرحوم واستدرَّ لها الأرزاق والمؤونات من أقْيال الهند المسلمين فدرَّت بما قد كفى وأوفى، وخلّف المرحوم ثُلّة من تلامذته الأنجاب يحتذون حَذْوَه، ويقتفون قفوه. يتولّى رئاسَتهم والقيامَ بأمورهم محرّر **المعارف** أشهرِ مجلات مسلمي الهند صاحبُنا الصديق الحفي الشيخ **السيد سليمان الندوي** أنسأ الله في عمره، الذي تَعَرَّفَ به أبناء البلاد العربيَّةِ لزيارته لها رئيساً لوفد جمعيّة الخلافة الهنديّة المبعوث سنة ١٣٤٣هـ. على أن لصديقي من الآثار الجميلة كتاب «أرض القرآن» وأربع مجلدات من «سيرة النبيّ ﷺ» التي بدأ بها أستاذه المرحوم ولكن اخترمه ريب المنون قبل أن يُنْجِزَ عمله. ونيّة صديقنا أن يعرّب هذا الكتاب ويقيم بمصر مشرفاً على طبعه ونشره.

ومن مطبوعات الجمعية العربية «نقد تاريخ التمدن الإسلاميّ» الذي قام بتلفيقه جورجي زيدان وقد طبع بمصر والهند مراراً ـ للشيخ شبلي المرحوم.

و«ملاحظات» على محاضرات جويدي الإيطالي وبسط على أرض الإسلام وجغرافيّتها لصديقنا ستطبع.

و«تفسير أبي مسلم الأصفهانيّ» نتفه من تفسير الفخر ابنِ خطيب الري الشيخُ سعيدُ الأنصاري.

وأجزاء من «جمهرة التفاسير» لعبد الحميد الفراهي طُبعت مُفْرَزَةً.

إلى غيرها من الأعمال المبرورة والمساعي المشكورة.

ذكر الفتى عمره الثاني، وحاجته ما قَاتَه، وفضول العيش أشغال

وإني أُهَنّىء الجمعيّة وأشكرها ورئيسَها على نشر مثل هذا الكتاب مما كسد سوقه في هذه الديار.

لا زال شكري لهما مُواصلاً لفظيَ أو يعتاقَني صَرْفُ المنَا

غرة شعبان سنة ١٣٤٤هـ.

مؤلّف هذا الكتاب

عبد العزيز الميمني الراجكوتي

فهرس

الاختصارات والطبعات المخصوصة
وأما المآخذ والموادُّ فهي أضعاف أضعافها

أبو الفداء ـ المختصر طبعة الحُسينية، مصر.

ابن الوردي ـ تاريخه المطبوع بمصر سنة ١٢٨٥هـ.

ألف ـ باء ـ لأبي الحجاج البلوي المعروف بابن الشيخ طبعة مصر

ابن الشيخ ـ

ابن عساكر ـ مختصر تاريخه مطبوع بدمشق سنة ١٣٣٢هـ.

الأنساب ـ للسمعاني طبعة حبيب.

ابن القلانسي ـ ذيل تاريخ دمشق له، بيروت ١٩٠٨م.

ابن القارح ـ رسالته من مجموعة رسائل البلغاء. مصر سنة ١٣٣١هـ.

ابن خلكان ـ انظر الوفيات.

أدبا ـ معجم الأدباء وهو إرشاد الأريب لياقوت.

ابن رشيق ـ اسم مقدمتنا على كتابنا النتف.

ابن أبي الحديد ـ شرحه على نهج البلاغة، مصر سنة ١٣٢٩هـ.

ابن الأثير ـ كاملهُ، مصر سنة ١٣٠١هـ.

البدائع ـ بدائع البدائه للأزدي بهامش المعاهد مصر.

البلدان ـ معجم البلدان لياقوت.

البديعي ـ الصبح المنبي له بهامش شرح العكبري على ديوان المتنبي، مصر سنة ١٣٠٨هـ.

البغية ـ بغية الوعاة للسيوطي.

البكري ـ معجم ما استعجم له كوتنكن سنة ١٨٧٧م.

التنوير ـ شرح السقط، مصر ١٣٠٣هـ.

التبريزي ـ شرح الحماسة له، مصر ١٢٩٦هـ.

التتمة ـ تتمة اليتيمة نسخة باريس الخطّيّة.

التكملة ـ لابن الأبار طبعتا إسبانيا والجزائر.

الجواهر ـ المضيئة في طبقات الحنفية حيدر آباد.

خزانة الأدب ـ لابن حجة مصر.

حياة الحيوان ـ للدميري مصر سنة ١٣١٩هـ.

خر ـ خريدة القصر للعماد نسخة ليدن الخطّية.

الدمية ـ دمية القصر للباخرزي نسخة كلكتة الخطّيّة.

ذهبي ـ تاريخ الإسلام، وانظر «هـ».

ذ ـ ذكرى أبي العلاء مصر سنة ١٩١٤م.

ر ـ رسالة، الرسالةُ، رسائلُ، الرسائلُ. أي رسائل المعرى اكسفرد ١٨٩٨م.

رسالة ابن القارح ـ مجموعة رسائل البلغاء مصر سنة ١٣٣١هـ.

الرحالة الفارسي ـ سفرنامه له برلين سنة ١٣٤١هـ.

س ـ سقط الزند مع التنوير مصر سنة ١٣٠٤هـ.

السهيلي ـ الروض الأُنُف مصر.

السمعاني ـ انظر الأنساب.

الشافعية ـ طبقاتهم لابن السبكي مصر ١٣٠٤هـ.

الشريشي ـ شرح مقامات الحريري له مصر ١٣١٤هـ.

شفاء العليل ـ مصر سنة ١٣٢٥هـ.

الصبح المنبي ـ انظر البديعي.

ص ـ الصفحة.

الضرام ـ ضرام السقط لصدر الأفاضل الخوارزميّ.

العدل ـ العدل والتحري لابن العديم.

الغيث ـ المسجّم للصفدي مصر ١٣٠٥هـ.

الغفران ـ طبعة أمين هندية.

الفوات - فوات الوفيات للكتبي بولاق ١٢٩٩هـ.

فهرست - أبو بكر الإشبيلي طبعة إسبانيا.

الكمال ابن الأنباري - انظر النزهة.

ك - كشف الظنون.

الكامل - انظر ابن الأثير.

ل - لزوم ما لا يلزم للمعري مصر ١٣٣٣هـ.

اللسان - لسان الميزان لابن حجر حيدر آباد.

معا. المعاهد - معاهد التنصيص مصر ١٣١٦هـ وترجمته مختلسة من الوافي للصفدي، ثم إني رأيت من الوافي نسخة ونقلت منه بعض أبيات.

مل - الملائكة رسالتهم للمعري.

مرجليوث - مقدمة ترجمة رسائل المعري، اكسفرد ١٨٩٨م.

النسب - هو الأنساب للسمعاني/«النظرة» - نظرة في النجوم من اللزوم كتاب يبقى بعدُ في المسودة جمعنا فيه أكثر أفكار المعرّيّ تحت عناوين المضامين بحيث يمكن الإنسان أن يرى جُلَّ شعره في معنى من المعاني في موضع واحد.

نهاية الأرب من أنساب العرب للقلقشندي بغداد ١٣٣٢هـ.

النويري - نهاية الأرب له.

النزهة - نزهة الألباء للكمال ابن الأنباري مصر سنة ١٢٩٨هـ.

النفح - نفح الطيب للمقّرّيّ مصر وليدن.

النكت - نكت الهميان للصفدي مصر ١٣٢٩هـ.

الوفيات - وفيات الأعيان لابن خلّكان مصر ١٣١٠هـ.

هـ. وذهبي - تاريخ الإسلام له - والمراد ترجمة المعري منه المطبوعة مع الرسائل بأكسفرد ١٨٩٨م.

ي - ياقوت والمراد على العموم معجم الأدباء له.

اليافعي - مرآة الجنان له حيدر آباد.

إلى غيرها من كثير من الخطّيّات والمطبوعات وصفتها في مظانّها.

أبو العلاء وما إليه

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وبه الحول والقُوّة

مَعرَّة النعمان

لفظها وموقعها ووصفها

فيا برق[1] ليس الكرخ داري وإنما ... رماني إليها الدهر منذ ليالِ
فهل فيكَ من ماء المعرّة قطرةٌ؟ ... تُغيث بها ظمآنَ ليس بسالِ

أشهر الأقوال التي ذكرها ياقوت أن المعَرّة الشدة والجناية كجناية العَرّ وهو الجَرَب وكل عَيْب، وإلى هذا المعنى نظر صاحبنا في قوله ـ ل:

يعيّرنا لفظَ المعرّة أنها ... من العَرّ قومٌ في العُلى غُرَباءُ

هذا هو المعروف في القوم إذ جهلوا أصلها ـ ووَلِعَ أبناء العصر في إرجاعها إلى أصول اختلقوها وحَدَسات لَفّقوها مما لا برهان لهم عليه[2] ـ

قالوا: والنعمان هو ابن بَشير الأنصاري اجتاز بها والياً على حِمْصَ من قِبَل مروان فمات له بها ولد فسُميت به وكانت قبلُ تدعى معرّة حمص كما قال البلاذري[3] ـ واستضعف ياقوت هذا السبب وظن أن النعمان هو الساطع الجمال وانظره في عَمود النسب. وقال ابن بطوطة[4]: إن النعمان اسم جبل مُطلّ على المعرة وقال ـ كابن العديم

(١) س ٢: ٤٣.

(٢) فزعم مرجليوث أنه في السريانية معرتا ويشابهها من العربية لفظاً ومعنى المغارة. وقال صاحب (ذ) إن هذه القرية قد عرفت عند الآراميين أيضاً بهذا الاسم ثم استبعد وجود التشديد فأبدع من قبله رأياً آخر وهو أن الأصل معرس النعمان من التعريس، ونقل عن نوادر أبي زيد إبدال التاء من السين في الرجز المعروف ـ وذهب عليه أنه ابتلي ببليتين إذ بلي مرجليوث بواحدة ـ وهما إبدال الضمة بالفتحة والسين بالتاء ـ ولسنا نجزم بشيء ولا نحدس به رجماً بالغيب كما أنهما أيضاً لم يجزما.

(٣) فتوحه، مصر: ١٣٨ ونقل سلمون هذا القول ولم يعزه إلى مأخذ فنعى عليه صاحب (ذ) أنه لفق هذا القول أي أن معرة النعمان كانت تدعى قبل الفتح معرة حمص فيستنتج منه أنها كانت تابعة لها ـ من عند نفسه بلا دليل ـ أقول: وقد عرفت أنه كان مصيباً وأن الخطأ من صاحب (ذ) نفسه.

(٤) المشرق ٨: ٩٢٠.

في العَدْل والتحرّي - إنها كانت تدعى في القديم ذات القصور. وقال غيره[١] عُرفت في زمن الرومان باسم خاليس.

والمعروف في النسبة إليها معري. ونقل السمعاني[٢] عن أبي النصر الرامُشي من تلامذة المعري. انظر ترجمته في ص ٢٣١. أن النسبة الصحيحة إليها معرّنميّ والى معرّة مَشْرين مَعَرّمسيّ. قال أبو سعد: غير أن أكثر أهل العلم لا يعرف ذلك. والمعري مطلقاً يراد به المنسوب إلى معرة النعمان. ومعرة مصرين بليدة من أعمال حلب بينهما نحو من خمسة فراسخ.

ومعرة النعمان كما قال ياقوت وغيره مدينة كبيرة قديمة مشهورة من أعمال حمص بين حلب وحماة. أقول وكانت من ثغور الشام التي تسمى العواصم سمّاها بها هارون الرشيد لعصمتها ما دونها من بلاد الإسلام من العدوّ. وقصبتها أنطاكيةُ كما قال ابن حوقل قال: وعدّ ابن خُرداذبة[٣] العواصم فكثّرها وجعل منها كورة مَنبِجَ وشَيْزَرَ وأفامِيَةَ وإقليمَ معرّة النعمان كَفْر وطاب وسَلَمْيَةَ ولُبنانَ إلى غيرها - وكانت المعرة تُعَدّ منها قبل عهد صاحبنا وفيه وبعده بكثير إلى زمن أبي الفداء صاحب حماة. وكانت العواصم ممالك سيف الدولة كما قال المتنبي:

وتفتخر الدنيا به لا العواصمُ

وورثها أبناؤه. وقال صاحبنا في حفيده سعيد الدولة[٤] سنة ٣٩٠هـ:

ولكن بالعواصم من عَديّ ... أمير لا يكلّفنا السؤالا

وقد أكثر من الحنين إليها في شعره فمنه ثم من س:

هذي العواصم فاسألينا ما بها ... وذري مآربَ من زَرودَ وراكس

تذكّرنَ من ماء العواصم شَربةً ... وزُرق العوالي دون زُرق جِمامه

متى سألتْ بغدادُ عني وأهلُها ... فإنيَ عن أرض العواصم سآلُ

ندِمتُ على أرض العواصم بعدما ... غَدوتُ بها في السوْم غيرَ مُغالِ

وورد ذكرها في اللزوم[٥] أيضاً:

(١) هو إسماعيل بك رأفت (ذ) ١٢٤.

(٢) أنسابه، ورقة: ٥٣٦ وفي تقويم أبي الفداء، باريس ص: ٢٦٥ عنه، نسرين ومعرنمي، والمعروف: مصرين.

(٣) أقول: وكذا ابن الفقيه في بلدانه ص: ١١١ غير أنه أغفل ذكر المعرة في عدادها.

(٤) كما جاء في عنوان نسخة السقط لهذه القصيدة بدار الكتب الأهلية في باريس، وكذا في نسخة «سقط الزند» ببانكي پور عن نسخة دون ذكر السنة.

(٥) ٢: ١٧٦.

وكانت مخيَّمَ الفتنة فيما بين الحروب والهُدنة تارةً بأيدي عُلوج الروم وأخرى للمسلمين بها دولة وجَولة، وسَورة وصولة. كما وصفها في غير ما موضع من نثيره ونظامه. فهاك جملة من كلامه:

كتب[١] إلى عبد السلام البصري: «ومستقرّي معرَّة النعمان ـ والفتنة عندنا صَمّاءُ، طِعان بالمُرّان ورِماء. إنما يجيء الصيف، وقد سُلَّ السيف. ولو قَدَرْتُ لم أقدحْ إلا بمَرْخ[٢]، ولا سكنتُ بلداً غير الكرخ». ومن ل:

والشأم فيه وقودُ الحرب مشتعِل يشبّهُ القومُ شُدَّت منهم الحُجَزُ

لا شأمَ للسلطان إلاّ أن يُرَى نَعَمُ البداوة كالنعام الطارد

إلى آخر الثمانية الأبيات.

أَلِفنا بلادَ الشام إلفَ ولادة نُلاقي بها سُودَ الخطوب وحُمْرَها

وجميع قُطّانها على ـ ما سيأتي ـ من تنوخ.

والمعرّة كما قال ابن حوقل[٣] مدينة كثيرة الخير والسعة والتين والفُسْتُق وما شاكل ذلك من الكروم. وقال ناصِرِ خُسْرُوْ العَلَوي وكان زارها في حياة أبي العلاء سنة ٤٣٨هـ[٤] في رِحلته ما ترجمته: ثم وصلنا إلى معرة النعمان وكان بها حِصن من الحجارة وكانت البلدة عامرة، ورأيت على بابها أُسطُوانة من الحجر كُتب عليها شيء بخطّ غير العربية فسألت عنه بعضهم فقال: إنه طلسم[٥] للعقرب فإنها لا تدخل فيها

---

(١) ر ص: ٤٦.

(٢) والمرخ: يكثر بنجد وما والاها ولعله كان يجلب منها إلى الكرخ أو ينبت فيها أيضاً. قال عاصم الأندلسي أستاذ ابن السيد في شرح شعر امرىء القيس تحت قوله:

أمرخ خيامهم أم عشر أم القلب في إثرهم منحدر

المرخ نبات بنجد والعشر بالغور ـ والأعراب يعملون بيوتهم من نبات الأرض التي ينزلونها فأراد أأنجدوا أم غاروا أم لم ينزلوهما.

(٣) س: ١١٨.

(٤) لا سنة ثمان وعشرين وأربعمائة كما كررها صاحب (ذ) في ص: ١٢٣ فهذا الوهم إما أن يكون منه أو من مترجم الرحلة بالإفرنسية فإن صاحب (ذ) يرجع إلى الترجمة كما قال. ونحن ترجمنا الفصل من أصل سفرنامه «الرحلة» المطبوعة ببرلين سنة ١٣٤١ هـ ص: ١٥.

(٥) قال ابن فضل الله في المسالك: إنَّ بمدينة حمص قبة يزعم أهل المدينة أنها تذود عنهم العقارب وإنك لو وضعت عليها قطعة من الطين حتى تجف ثم تنقلها إلى بيت في غير حمص لما دخلته العقارب وعندي أن مصدر هذه طبيعة الأرض ـ (ذ) ١٢٤ ويصدّق الرحالة في أمر الأسطوانة ما رواه ابن الشحنة في «تاريخه» ص: ١٣٠ عن ابن العديم ولفظه أن العمود القائم بالمعرة هو طلسم للحيات.

وإن أتوا بها إليها من الخارج فلا تقربها بل تفرّ. ويكون ارتفاع الاسطوانة نحو عشر أذرع. ورأيت أسواقها غاصّة. وجامعها على نَشز من الأرض في وسط البلدة حتى يأتيه الرجال ويدخلوا من أيّ جهة شاؤوا. وله ثلاث عشرة درجة يُرْتقى منها. وزراعة أهلها الحنطةُ وتكثر بها وشجر التين والزيتون والفستق واللوز والعنب كثيرة بها. وماؤها من الآبار والأمطار ا هـ. وفي رحلة ابن جُبير[1] «هي سواد كلّها بشجر الزيتون والتين والفُستق وأنواع الفواكه. ويتّصل التفافُ بساتينها وانتظامُ قُراها مسيرةَ يومين وهي من أخصب بلاد الله وأكثرها أرزاقاً». ولابن الوردي المعرّيّ في وصف أعمالها وذكر منتزَهاتها كلّ شعر مرقّص مُطْرِب[2] في ديوانه وذَكَرَ من متفرَّجاتها عين زُريق ووادي فضالة وعين معراثا والبيدرين وجريا ومشهد يوشع عليه السلام ودير سمعان الذي به قبر عمر بن عبد العزيز (رحمه الله) وماء الهرماس[3] ووادي المعرة ودير بيرة دادخين وغيرها ومن شعره فيها:

كم راغب في الراهبات لأنها ... بِيْضٌ مزنَّرة الخُصور بُكور
المائلات كأنهن ذوابل ... المُشْرِقاتِ كأنهنّ بُدور
حُور يصرن إلى جهنّم في غد ... عجبي لهن أفي جهنَّم حُور
أرجاؤه محبوبة، وسُفوحه ... مطلوبة، وبهاؤه موتور
لله كم مَرَّتْ لساكنه به ... من ليلة ما شابَها تكدير
أيامَ أغصانُ الزمان وريقةٌ ... والعيش غضّ والشباب غَريرُ
والحادثات غوافلٌ عن أهله ... والجفن مما لا يُحَبُّ قريرُ

إلى آخره وهو طويل. ومن شعره أيضاً:

رعى الله عيشاً بالمعرة لي مضى ... حكاه ابتسام البرق إذ هو أومضا
فما المنحَنى ما البان ما السفح ما النقا ... وما رامة عند المعرّة ما الغَضا
فوالله لا فضّلتُ في الأرض بُقعة ... عليها سوى ما فضّل اللّهُ وارتضى

(١) ٢٥٤ ليدن.
(٢) انظر ديوانه ص: ٢٤٧ و٢٦٢ و٣٢١.
(٣) قال ابن أبي حصينة:

يا صاحبي سقى منازل جلق ... غيث يروى ممحلات طساسها
من لي ببرد شبيبة قضيتها ... فيها وفي حمص وفي عرناسها
وزمان لهو بالمعرة مونق ... بسيابها وبجانبي هرماسها

وفي ديوان ابن الوردي سباب بالموحدة ـ والقصيدة يوجد جلها في «تاريخه» ٢: ٢٠٨.

منازلُ كانت مرتعي زمن الصِّبا فأبعدني المقدور عنها وأنهضا
مراتعُ آرام مرابعُ جيرة مراتع غزلان معاهد تُرتضى
فلله هاتيك الرُّبَى وسُفوحها ولله عُمر في سواها ليَ انقضى
وما عن رضى كانت سواها بديلةً لها غير أن الدهر ما زال مُدْحِضا

وفُستقها مما أهداه صاحبنا إلى بعض الإخوان وسماه غيظَ الجيران ووصفه بالهضم والغضّ على جاري عادته في كل ما يعزى إليه ولفظه[١]. «وفي هذا البلد فستق رديء يسمَّى غيظ الجيران. ومعنى هذا الكلام أنه إذا كُسر ظنّ جيران السّوء أنه ملآن فحسدوا عليه وهم لا يعلمون أنه فارغ. وقد وجهتُ شيئاً منه ليعبَثَ به أتباعه» ا هـ. وفي فستقها يقول ابن الورديّ:

ففستقها عندي ابتسام ثغوره يضاحك برقاً قد أضاء بذي الأَضا

وقال الإصطخري[٢]: هي وما حواليها من القرى أعذاء[٣] ليس بجميع نواحيها ماء جارٍ ولا عين ا هـ. وهذاالقول يضادّ بعضه ما مرَّ من سرد أسماء المنازه غير أن المؤرخين مجمعون على أن ليس بالمعرة نهر جارٍ ولا عين وأما نواحيها ففيها عدة من العيون، وهذه صفتها لصاحبنا[٤] وليكن منك على ذُكر[٥] أن الكتاب إلى أمير فالمقام مقام التنقيص لا التنويه على ما مضى من عادته في هضم النفس وكل شيء له به علاقة ما «وهذه جُمَل من صفة المعرّة هي ضدّ ما قال الله عز وجل: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ الآية. اسمها طِيَرَة، وعند الله ترجَى الخِيَرَة. المَوْرِد بها محتبَس، وظاهر ترابها في الصيف يَبَس. ليس لها ماء جارٍ. ولا تُغْرَس بها غرائبُ الأشجار. وإذا أبرز لأهلها ذِبْح، يؤمل به لديهم الرِّبح. تحسبه صُبغ بخِطر. فكأنما يرمق به هلال الفِطر. وقد يجيئها وقت يكون فيها جَدْي المَعْز في العِزة كجدي الفرقد، ومثلَ حمَل الكواكب حَمَلُ النَّقَد. ويبكر فقيرها على الهداية، قبل أبي الفرخين ابن دايَةَ. حتى يقف ببائع الرِّسْل فكأنما وقف برِضوان، يستوهبه ماءَ الحيوان. فإن سبقه ضياء الفجر فإنه يرجع خائبًا» إلى آخر الرُّقعة. قوله إذا أبرز لأهلها الذِّبح: يَعْضُده

(١) ر ص: ٩١.
(٢) ٦١.
(٣) جمع عذي: كل زرع لا يسقيه إلا المطر.
(٤) ر ص: ٥٥.
(٥) إذ اغتر بوصفه هذا مرجليوث فزعم أنه يضاد ما وصفه الرحالون جهلاً منه بعادة المشارقة في الغض والهضم من شأن كل ما يتعلق بهم.

ما نقله القِفطي[١] من أن أهل المعرة كانوا يوصفون بالبُخل أيام أبي العلاء، وأنه كان يضيق بذلك لكثرة الوافدين عليه من الطُّلاب وقلّة ما كان يملك من النفقة عليهم. وفي «الأغاني»[٢] أن البحتري لما عرض على أبي تمام شعره بحِمص، وشكا إليه خَلّته كتب له إلى أهل معرة النعمان وشهد له بالحِذق فمدحهم فأكرموه ووظّفوا له أربعة آلاف درهم. وهذا[٣] لا يُنافي ما مرّ لتبايُن العصرين وقد عانت المعرّة[٤] في عصر صاحبنا من النكبات المُجْحِفة ما لا خَفاء به.

ولم تزل بأيدي المسلمين[٥] حتى أخذها منهم الفرنج سنة ٤٩٢هـ، وقتلوا نحو مائة ألف إنسان وسَبَوْا كما قال ابن الوردي[٦] وبقيت بأيديهم إلى أن فتحها عماد الدين زنكي سنة ٥٢٩هـ.

وأما وصفها الآن[٧] فهي مدينة من أعمال ولاية حلب وأهلها نحو ستة آلاف نفس ومن مبانيها خان جميل شَيّده مراد المعروف بالچلبي منذ نيف وثلثمائة سنة وبإزائه خان آخر بناه سنان باشا وقلعة[٨] متخربة من عهد الصليبيين تعرف بقلعة النعمان. والبساتين المكتنفة لا تزال باقية وإن قل التفافها وسعتها مما كانت عليه في عهد ابن جبير. وهي قديمة سبقت عهد الإسلام كما يدلّ عليه قبور عاديّة وجدت حديثاً في رَبَضها وآثار طامسة تُرى في جهاتها ونقود رومانيّة! اكتشفت في رَدْمها، ومنها ما يرتقي إلى القرن الثالث للمسيح. وأما جامعها الذي تُظلّله قُبّة ضخمة قائمة على ثماني أساطين؛ ففيه قسم قديم صبر على كرّ الحدثين من ذلك منارته البديعة الهندسة[٩]،

(١) (ذ): ١٢٢ ونقله الذهبي أيضاً: ١٣٠.

(٢) ١٨: ١٦٩، الطبعة الثانية، والوفيات ٢: ١٧٥، لا ألف درهم كما قال مرجليوث.

(٣) كما نقل صاحب (ذ) عن مرجليوث ١٢٣، وأظنه أخطأ في فهم كلام مرجليوث من عدم معرفته بالإنكليزية.

(٤) وفي غصب قاضي المعرة رديعة لتاجر خبر طريف وشعر ظريف أورده صاحب غور الخصائص: ٥٨.

(٥) الوفيات، ١: ٣٥.

(٦) «تاريخه»، ٢: ١٠.

(٧) جمعنا بين رواية الأستاذ رأفت بك على ما في (ذ): ١٢٤ ووصف لويس شيخو في المشرق ٨: ٩٢٠ و٩٢١ ـ وكان زارها بنفسه.

(٨) وفيها يقول ابن الوردي:

وقلعتها عندي وإن بان أهلها ... كأطول من سهدي عليها وأعرضا

(٩) قال شيخو: إنها من بناء عمر بن الخطاب ولعل القائل: أراد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه. وذكر شيخو ممن لقيهم بها مفتيها سعدي أفندي ـ والشيخ محمد رمضان الذي خلف أباه في التدريس لم يلقه ولكن وصف له.

وقسم آخر كانت الزلازل أسقطته فجدّد بناءه أبو الفداء. وقد وضع بعض أهل العصر[(١)] تاريخاً للمعرّة لم يُطْبَع.

نبهاء أهلها

كانت على صغرها تضاهي أعظم المُدُن، وكان صيتها في كل صقْع يخترق الأُذُن. وتَدَيَّرها كثير من العائلات النبيهة والرجالات الوجيهة. وكان فضلاؤها ينتجعون ريف مصر وسواد العراق، فيفوزون بأفضل الوظائف وأسنى الأعلاق. فمنهم أبو القاسم علي بن الحسن بن علي بن جَلَبَاتَ كان عضد الدولة استعمله على بغداد في أيامه. وقال صاحبنا[(٢)] يجيبه:

بنو الجلبات الباعثون من الندى ... سراياه والغازون وَسْطَ لُهامه
ولولا سعيدٌ بات ندمان كوكب ... يُريق له في الأرض شَطْرَ مُدامه
وكانت بقايا نعمة عَضُديّة ... تَرُدّ إلى الزوراء بعضَ اهتمامه
وذامته أفناءُ العراق وإنّما ... ترحُّله عنهنّ أكبر ذامه

ووصفه الثعالبي[(٣)] بقوله: «أحد أفراد الدهر في الشعر وكنتُ أنشدتُ له لُمَعاً أوردتها في النسخة الأولى. ثم وقع إليّ من شعره الصحيح قصائد في الخليفة القادر بالله والوزير أبي نصر سابور بن أردشير فأخرجتُ غُرَرَها وهي سوى ما يقع من شعره في مجموع أشعار أهل العراق في الوزير سابور، وإذا سُقتُ ذلك أكرر ذكر ابن جلبات[(٤)] في جملتهم. ومن أهل العواصم صدقة بن يوسف الفلاحي الذي أُرسل من مصر صُحبةَ والي الشام[(٥)] منتجب الدولة أنوشتكين ناظراً في الأموال ونفقة الرجال بعد أن كان قبلُ خِصّيصاً بعزيز الدولة الروميّ وكان صدقة طلب أبا العلاء إلى حضرة عزيز الدولة على ما يأتي كله في محلّه. ثم إنه ارتفعت به الحال إلى أن صار بعد وفاة الجَرْجرائي وزيراً للمستنصر الفاطمي سنة ٤٤٠هـ وفيها قُتل.

وأما بنو سليمان فإن جُلهم تولّى قضاء المعرّة كما سيأتي. وقال ابن القلانسي: «في سنة ٤٨٩هـ توفي أبو مسلم وادع بن سليمان قاضي معرة النعمان والمستولي

(١) وهو الأستاذ السيد سليم الجندي. مجلة المجمع الدمشقي سنة ١٣٣٩هـ ص: ٣٥٩.
(٢) س ١: ١٠٢ وعده الباخرزي في المعريين فيما أذكر.
(٣) اليتيمة ٢: ٢٧٠.
(٤) لم يكرره في هذه النسخة المطبوعة بدمشق. وورد كثير من شعره في سابور في التحفة الناصرية المطبوع بإيران. وتصحف فيه بابن جلباب.
(٥) تاريخ ابن القلانسي: ٧٣. لا منتخب الدولة كما قد تصحف على مرجليوث ٣١ و٤٤.

عليها. وكان له همة مشهورة وطريقة في اليقظة مشكورة» هـ. وهذا صريح في أنه تغلّب عليها بعد وفاة صاحبنا. وانظر وادعاً في الشجرة وكان القاضي أبو اليَسَر[١] شاكر كاتب الإنشاء لنور الدين محمود بن زنكي ثم استعفى فخلفه العماد الأصفهانيّ.

وفي غير بني سليمان ـ ممّن كان قبل أبي العلاء أو في عصره أو بعده ـ كثرة. وقد أتى على جُلهم العماد في الخريدة[٢].

فمنهم بنو أبي حُصين ويجتمعون مع بني سليمان في داود بن المطهر وعدّد منهم العماد عشرة. وذكرهم السمعاني في الأنساب[٣] أيضاً. ومنهم أبو الرضى عبد الواحد، ورثى صاحبنا على ما يأتي.

وبنو المُهَنّا وهم نيف وعشرون عند العماد. ومنهم القاضي عبد القاهر بن المهنّا أبو محمد كمال الدين التنوخي المعري المعروف بخصَى البغل ذكر الأزدي[٤] خبراً في ارتجاله شعراً.

وبنو الدُوَيْدة وفيهم كثرة. ومنهم أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن الدويدة ذكره العماد وياقوت[٥].

وبنو عبد اللطيف. ذكر منهم العماد ستة وأغفل أبا المجد[٦] مرشد بن علي بن عبد اللطيف المعري المتوفى سنة ٥٥٣هـ.

وذكر الثعالبي في بدء تتمة اليتيمة[٧] من شعرائها المُعاصريه ـ ولا بد أن يكونوا عاصروا صاحبنا أيضاً ـ أبا الحسين أحمد بن محمد المعرّي، وأبا الخير المفضل بن سعيد بن عمرو المعري. وقيل[٨] إن جعفر بن علي بن المهذّب ـ الذي رثاه أبو العلاء بدالية من س ـ من أهلها.

---

(١) هو صاحب الحكايات الآتية ذكره العماد وياقوت ١: ١٦٦ لا أبو النصر كما تصحف على مرجليوث.

(٢) انظره في فهرست خزانة ليدن ٢: ٢٦٦.

(٣) ورق: ٥٣٦ اليسرى ـ ومنهم أبو غانم له في المرقصات ص: ٥٠ أبيات ثلاثة.

(٤) بدائع البدائه، ٢: ٤٧.

(٥) ٢: ١٩٥ وورد اسمه مصحفاً وكذا في المرقصات: ٤٦.

(٦) وذكره ابن القلانسي ٣٥٤ قال: وكان من الرجال الأشداء الكفاة فيما كان يستنهض به في الأيام الأتابكية وكذلك في الأيام النورية وكان مع ذلك موصوفاً بالخيرية وسلامة الطبع مستمراً في ذلك على منهاج أسرته.

(٧) نسخة باريس الخطية ورأينا صورتها.

(٨) صاحب شرح المجاني: ١٢٤٩.

وشاعر المعرّة على الإطلاق بعد صاحبنا الأميرُ أبو الفتح بن أبي حصينة شاعر أسد الدولة عطية بن صالح بن مرداس ونصر بن صالح، وولاّه ممدوحه المعرّة، ورآه ابن بطلان[١] المتطبّب لمّا ورد حلب نحو سنة ٤٤٠هـ بها. وهذا يدل على نبوغه في عصر صاحبنا. وله تأبينةٌ في صاحبنا جيّدة تأتي. وتوفي في حدود سنة ٥٠٠هـ - ترجم له ابن عساكر[٢] والكتبي[٣].

ومن أهلها ممن كان يُكنى أبا العلاء - على ما ذكر العماد - أبو العلاء بن عبد الله بن المحسن المعري، وأبو العلاء بن أبي الندَى المعري وذكره أيضاً الصلاح في الغيث[٤] وصاحب المُغْرِبْ في «المرقّصات».

وترجم ابن عساكر[٥] للقاضي الحسن بن إسحاق بن بلبل المعري المحدّث الرحلة، ورشأ[٦] بن نظيف بن ما شاء الله أبي الحسن القارىء سكن دمشق وهو معاصر لصاحبنا.

ومن أهلها المعروفين في الأقاصي بله الأداني أبو حفص عمر بن مظفّر زين الدين ابن الوردي الشاعر الدّين الفقيه صاحب المقامات والديوان والتاريخ وغيرها.

وإنما أسهبنا[٧] لئلا يسبق إلى وهم واهم[٨] أن المعرة بُليدة أو قرية خاملة، ليس لها من صيت في مجالس العلم الحافلة.

وأما وصفه لها فإنه على عادته كما مرّ وهاكه من الإغريضيّة[٩] يخاطب الوزير أبا القاسم المَغْربيّ «وقد كنت عرّفتُ سيّدنا فيما سلف أن الأدب كعهود في غبّ عهود، أروتِ النجادَ فما ظَنُّك بالوُهود. وأني نزلتُ من ذلك الغيث ببلد طَسْمٍ، كأثر الوشم.

---

(١) انظر البلدان رسم حلب.

(٢) مختصر «تاريخه» المطبوع ٤: ٣٠٥.

(٣) بولاق ١: ١٢٢ ومن ديوانه: نسخة باسكوريال، وأورد ابن الوردي في «تاريخه» كثيراً من شعره.

(٤) ٢: ١٦٨ ص: ٥٠.

(٥) ٤: ١٥٤ قال ورحل في طلب الحديث إلى دمشق والمقدس والكوفة.

(٦) ٥: ٣٢١ وتبيين كذب المفتري ١٤٤.

(٧) وشعيب بن محمد المعري ترجم له في الفوات ١: ١٨٧ والسابق المعري المتوفى بعد ٥٠٠هـ تلميذ التبريزي الفوات ٢: ١٩٩ والمرقصات ص: ٤٦. وابن شقير الأديب الشاعر وأخوه المحدث نصر الله الفوات ٢: ٢٢٩ وابن عوض المعري، المرقصات: ٥٥.

(٨) كما ذهب على مرجليوث حيث زعم أن ما يوجد من أخبار شعرائها في كتب التراجم أقل قليل نظراً إلى أهميتها من جهة السياسة.

(٩) ر ١٩، وصبح الأعشى ١٤: ١٩٠ وساق الإغريضية بتمامها ونسخته مما في الرسائل - واللبيد:العدل، والهبيد:الحنظل،والحربث:نبت طيب الرائحة.

منعه القِراع، من الإمراع. يا بؤسَ بني سدوسَ العدوّ حازب، والكلأ عازب. يا خِصْبَ بني عبد المدان، ضأن في الحُرُبُث وإبل في السَّعدان. فلما رأيتُ ذلك أتعبتُ الأظلّ، فلم أجد إلا الحنظل. فليس في اللبيد إلا الهبيد، جنيتُه من شجرة اجْتُثَّت من فوق الأرض ما لها من قرار. لبنُ الإبِل عن المرار مُرّ، وعن الأراك طيّب حُرّ. هذا مَثَلي في الأدب» ا هـ. وقال ابن القارح[1] فيها وأنشد أربعة أبيات للبحتري وهي:

إن أيامه من البيض بيض ... ما رأين المفارق السُّود سُودا
وإذا المَحْل ثار ثاروا غيوثاً ... وإذا النقع ثار ثاروا أُسودا
يحْسُن الذكر عندهم والأحاديـ ... ـث إذا حدث الحديد الحديدا
بلدة تُنبِتُ المعالي فما يَثْـ ... ـغِرُ الطفل فيهم أن يسودا

وهذه صفة المعرّة به أدام الله تأييده لا خلت منه ومن النعمة عليه وعنده فقد وجدت أهلها معترفين بعوارفه. ا هـ.

أبو العلاء المعري

اسمه، وكُنيته، وسياق نسبه

ل:

دُعيتَ أبا العلاء وذاكَ مَين ... ولكنّ الصحيح أبو النزول
سألتُكم لا تكنُوني لتكرمة ... وصغّروني تصغيراً بترخيم
وما ألومكَ في خفضي ومنقَصتي ... لكن ألومك في رفعي وتفخيمي
وأحمد سمّاني كبيري وقلّما ... فعلتُ سوى ما أستحقّ به الذمّا

هو أبو العلاء أحمدُ بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان (وسليمان ثلاث مرات[2] على ما في الخريدة) بن داود بن المطهّر بن زياد بن ربيعة بن الحرث بن ربيعة بن أنور[3] بن أسحم بن أرقم بن النعمان الساطِع الجَمال

(١) رسالته: ٢٠٤.
(٢) انظر عمود بني سليمان.
(٣) كذا في الوفيات والسمعاني والعيني ١: ٥٤٠ وفي البلدان والجواهر ١: ١٩٦، والخريدة أنور بن أرقم بن أسحم، وفي النكت والأدباء، والنسخة الخطيّة ببانكي پور: أرقم بن أنور بن أسحم - وهذا عجب من اختلاف الأقوال - وقد تعدد قول ياقوت في كتابيه وهو أعجب، ولم أتمكن من رد السياق إلى أصله وكم في الأنساب من مثله.

ابن عدي بن عبد غَطَفان بن عمرو بن بَريح (بالموحدة المفتوحة كأمير) بن خُزَيمة بن تَيْم اللات (هو تيم الله وهو تَنُوخُ أيضاً) ابن أسد بن وَبَرَةَ بن تغلب بن حُلوان بن عمران بن إلحاف بن قُضاعةَ التنوخيُّ المعريُّ.

وكنيته أبو العلاء بالفتح والمدّ إلا أن الناس كانوا ينطقون بها مقصورة في عصره كما قال. ل:

والإلْفُ هان له أمري فقصّرني كما تهون على ذي المنطق الألفُ

وقد شنَّع على أبي الحسين النُكتيّ البصْري وهو من أصدقاء شيوخه في تسميتِهِ إياه محمداً بدل أحمد وأبا العُلَى موضع أبي العلاء تشنيعاً يَشوبه هُزءٌ وأطال، وشَمّرَ أردانه للجدال والنضال. مع أن الرجل كان يستحقُّ العُذْرَ من جهة أن صنيعه هذا كان في الشعر ولم يكن لقيه في الدهر إلاّ مرّةً أو مرتين فقال ووصف شعره بالخُلُوّ عن الزحافات والعِلل وضرورات الشّعر والقافية بأسرها في عدّة صفحات:

فكيف استجاز أن يَقْصُرَ كُنية صديقه: أما السمة فغيَّرها، وأما الكُنية فقَصّرها، فإنا لله وإنا إليه راجعون. هذا أمر من أمر الله ليس هو من ضَعف الشاعر ولا وَهْن القائل ولكنه من سوء الحظّ لمن خوطب والاتفاق الرديءِ لمن سُمي وذكر. ولا يَقُلْ سيدي الشيخ ـ أدام الله عزّه ـ قد قصرت الشعراء قديمها ومولَّدُها وأوّلها السالف وآخرها وفصيحها الطَبَعيُّ ومتكلّفُها ـ فإنه لو كان استعمل ضرورةً غير تلك لقُبِلَتْ حُجّتهُ، ولكنه ألغى الضرورات بأسرها ورفض العيوب فلم يستعملها. وإنما تغوَّثتُ من ذلك لأني قصير الهمة قصير اليد مقصور النظر أي مكفوف مقصور في البيت أي لازم له، فما كفاني ذلك مع قِصَرِ الجسم حتى يضاف إليه قصر الاسم اهـ.

قُضاعة

أمن عدنان هي؟، أمْ من قحطان؟

قال ابن إسحاق[1] كان قُضاعة بِكْرَ معدّ الذي به يُكنى فيما يَزعمون، قال ابن هشام فقالت اليمن وقُضاعةُ ابن مالك بنِ حِمْيَر، وقال السهيلي[2]: أكثر النسّابين يذهبون إلى أن قضاعة هو ابنُ معدّ وهو مذهب الزُّبيريّين وابن هشام ثم روى فيه حديثاً مرفوعاً معارضاً له بآخر مرفوع مثله وأنشد رجز عمرو بن مرة الصحابي الآتي [قال ذو

(١) السيرة مع الروض ١: ١٧.

(٢) الروض ١: ١٥ ـ ومنهم ابن عبد البر، النهاية للقلقشندي: ٣٤ والبكري معجمه ص: ١٣.

الحَسَبَيْنِ[١] قال الزبير: الشعر لأفلح بن اليعبوب] وأنشد ابن قتيبة في الميْسِر له[٢] للكميت في قضاعة وتحوّلها إلى اليمن على ما سيأتي وادّعائها إليها وهي من نزار[٣] في قول بعضهم:

فَمَهْلاً يا قُضاعَ فلا تكوني مَنيحاً في قداح يَدَيْ مُجيل

قال: يريد لا تكوني هناك غريبة كهذا المنيح في هذه القداح ولكن ارجعي إلى نسبك في نزار[٤] ا هـ. ومثله قول جَميل:

أنا جميل في السنام من مَعَدّ في الذُّروة الحصداءِ والركن الأشدّ

وذكر ابن عساكر[٥] ونشوان الحمْيَري[٦] أنها نسبت أيام معاوية وابنه يزيد إلى معدّ فإنهما بذلا لرؤسائهم أموالاً جسيمة على التمعدد والانتفاء من التيمّن فساعدهما إلى ذلك بعض رؤسائهم فلما بلغ ذلك قضاعة غضبوا وأنكروا فحشدوا واجتمعوا في مسجد دمشق يوم الجمعة على يزيد وهم يرتجزون ويقولون:

يا أيها الداعي أدْعُنا وأبْشِرْ نحن بنو الشيخ الهِجان الأزهَرْ

قضاعةَ بن مالك بن حِمْيَرْ النسبِ المعروف غيرِ المُنْكَرْ

مَنْ قال قولاً غير ذا تَنَصَّرْ

أي دخل في النصارى، فألحقهم يزيد باليمن. وكان معاوية أطعم عمرو بن مرة خَرَاج العراقين في ذلك فأنكر وأنشد شعراً منه:

قحطان والدنا الذي نُدْعى له وأبو خُزيمة خِنْدِفُ بن نِزار

أنبيع والدنا الذي نُدْعى له بأبي معاشرَ غائبٍ مِبْوار

قال نشوان[٧]: هو قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير. قال السهيليّ: ولما تعارض القولان في قضاعة وتكافأت الحِجاج نظرنا فإذا الزبير النسابةُ ذكر ما يدل على صدق الفريقين وذكر عن ابن الكلبي أو غيره أن امرأة

(١) وذو النسبين أيضاً وهو الحافظ أبو الخطاب بن دحية الأندلسي.

(٢) ص: ٧٢.

(٣) (٤) كذا في الموضعين. والظاهر أنه ليس من تصحيف الناسخ فلعله كقول صاحبنا التمضر كما سيأتي. لأن قبائل معد إنما تشعبت من نزار ثم من مضر ـ فيريدون بمضر ونزار معداً وإلا فظاهر أن قضاعة على هذا يكون ابن معد،أخا نزار،وعم مضر.

(٥) ٥: ٣٩٢.

(٦) مختصر شمس العلوم ص: ٨٦.

(٧) ومثله عند القلقشندي في نهاية الأرب من أنساب العرب، طبع بغداد ص: ٣٢٤.

مالك بن حمير[١] واسمها عكبرة آمت منه وهي ترضع قضاعة فتزوّجها معدّ وتبنّاه وتكنّى به ويقال: بل ولدته على فِراشه فنسب إليه وهو قول الزبير. وقضاعةُ كما في العين كلب الماء [واسمه عمرو[٢]]. ا هـ. قال المبرد في الكتاب «الكامل»[٣]: ومن زعم أن قضاعة من بني مالك بن حمير ـ وهو الحقّ ـ قال: فالنسب الصحيح في قحطان الرجوع إلى إسماعيل وهو الحق وقول المبرّزين من العلماء إنما العرب المتقدّمة من أولاد عابرَ ورهطُه عادُ وطَسْمٌ وجَديس وجُرْهمٌ والعماليق. فأما قحطان عند أهل العلم فهو ابن الهَمَيْسَع بن تَيْمَنَ بن نَبْت بن قَيْذَارَ بن إسماعيل. أقول: ومهما كان فإن قضاعة لا تعترف لهم بهذا ولا ذاك وتُندّد بالإنكار، والقولُ في ذلك قولهم فهم أعرف بأبيهم. وأما صاحبنا فإنه على قوله بالاختلاط في الأنساب[٤] كما نبحث عنه فيما بعدُ يشير إلى أن المدّعين منهم إلى معدّ راغبون ليس إلاّ حيث يقول، ل:

ولقد علمتُ فما التمَضُّرُ نافعي أني سأتبع نَيْسباً لا بَنيْ سَبَا

وهما حمير وكهلان والنَيْسَب: الطريق الواضح. وليُعْلَمْ أن المراد بالتمضّر هنا التمعْدُد.

تَنوخُ وجلاؤها إلى العواصم

قال السمعاني[٥] هو اسم لعدّة قبائل اجتمعوا قديماً بالبحرين وتحالفوا على التوازر والتناصر وأقاموا هناك فسُمُّوا تَنوخاً والتُّنوخ الإقامة، وجماعة منهم نزلت معرة النعمان (وكذا قال اليعقوبيّ في بلدانه[٦]). وذكر البكري[٧]: أن قضاعة بن معد ورث من أبيه جدَّة وسكن بها أولاده إلى أن قال خُزَاعيٌ في امرأة من ربيعة بن نِزار شعراً وكان يتعشّقها فتفاقم الأمر ونما الشرّ فاجتمعت نزار على قضاعة وقهروهم فظعنوا مُنْجدين فسارت تيم اللات بن أسد من قضاعة مع قبائل نحو البحرين حتى وردوا هَجَرَ ولكن أُجلُوا منها أيضاً. ولما نزلوها قالوا للزرقاء بنت زهير الكاهنة: ما تقولين؟

(١) هذا لا يتأتى على صحة قول نشوان والقلقشندي في سياق نسب قضاعة.
(٢) وكذا عند البكري: ١٣.
(٣) مصر ١: ٢٢٣ ولبسيك: ٢٦٥.
(٤) ومن قوله في ذلك ـ ل:

وأفسد جوهر الأحساب أشب كما اختلطت من الخيل العراب

(٥) ١١٠.
(٦) ٣٢٤.
(٧) معجمه ١٣ ـ ١٩.

قالت: سَعَف وأمان، وتمر وألبان، خير من الهوان. ثم أنشأت تقول:

وَدِّعْ تِهامة لا وداعَ مُخالق ... بذمامه لكن قِلًى وملام

لا تتركن هجراً مقامَ غريبة ... أن تعدمي من ظاعنينَ تَهام

قالوا: فما ترين يا زرقاء؟ قالت: مُقامٌ وتُنوخٌ. إلى آخر سجعها. فسميت تلك القبائل تَنوْخَ لقول الزرقاءِ. ونزلت تنُوخ بالبحرين ثم ارتحلوا واختطّوا الحيرة ثم أغار عليهم سابور ذو الأكتاف فساروا إلى الحضْر من الجزيرة يقودهم الضَّيْزَن بن معاوية التنوخيّ. وقال ابن شَبَّةَ ثم ظعنت قضاعة كلهم من غور تهامة مُنْجدِين غير بعضهم ممن تنخ بالبحرين وانتشر سائرهم في البلاد فوجدوا بلاداً خالية في أطراف الشام وغيرها. انتهت الأُسطورة بغاية الاختصار.

وقد أبدع صاحبنا في قوله[1] في الثلج:

أتانا في الولادة وهو شيخ ... فأزرَى بالشباب وبالشيوخ

فقال أريد عندكم تنوخاً ... فقلتُ أصبتَ إنا من تَنوخ

وقال البلاذري[2]: قالوا: سار أبو عبيدة.... ثم أتى قِنَّسرين وعلى مقدّمته خالد بن الوليد فقاتله أهلها.... فصالحهم أبو عبيدة على مثل صلح حِمْصَ وغلب المسلمون على أرضها وقُراها وكان حاضر قنّسرين لتنوخ مذ أول ما تنخوا بالشام نزلوه وهم في خِيَم الشعرِ ثم ابتَنَوا به المنازل فدعاهم أبو عبيدة إلى الإسلام الخ. ثم قال بعده بأسطر[3] وكان بقرب مدينة حَلَب حاضر ـ تدعَى حاضر حلب ـ تجمع أصنافاً من العرب من تنوخ وغيرهم. ونقل القلقشندي[4] عن الحَمْداني أن المعرة من بلاد الشام هي صليبة تنوخ، بمعنى أن بها جمعهم المستكثر.

وكان عند القاضي التنوخي الصغير جزء من أشعار تنوخ في الجاهلية جمعه والده المحسِّن[5] استعاره أبو العلاء ونذكر أمره فيما بعد ـ وكان صاحبنا يَمُتُّ إليه بنسبه في تنوخ قال يهنئه بمولود[6]:

كَنَّى محمد! نسبي مفيدي ... ووِدادَكَ والهوى أمرٌ بَدِيُّ

(١) انظره في الفائت.
(٢) فتوحه، مصر: ١٥١.
(٣) ص: ١٥٢.
(٤) النهاية: ١٦١.
(٥) بكسر السين المشددة ويأتي.
(٦) ص ٢: ٦٧.

ومن شعره ما قال في صباه ـ س[1]:

لِتَذْكُرْ قضاعةُ أيّامَها وتُزْهَ! بأملاكها حِمْيَرُ

ومن ل ـ:

فشِعاري قاطِعٌ وكان شعاراً لتنوخٍ في سالف الدهر واصِلْ

عمود بني سليمان

ليعلم أن سياق النسب من الخريدة والنكت والوفيات. ولم نعوّل على تصحيفات المؤلّفين. وتبعنا العماد في أن سليمان وهو أول من تولى القضاء منهم هو جدّ جدّ (مكرراً) أبي العلاء. ولم نتبع ياقوت والصفدي في جعله جدّ أبي العلاء. ثم نقل القضاء منه إلى محمد عم أبي العلاء، ثم إلى عبد الله والد أبي العلاء. لأن العماد هو عماد كلّهم وممكن أن يكون نُسّاخ نُسَخهم من الخريدة حذفوا من جدّ المكرَّر واحداً. وليس بممكن زيادته من الناسخ في نسخة ليدن لأن كلام العماد يختلّ من ترك التكرير والله أعلم. ولفظ ياقوت: وكان سليمان جَدُّ أبي العلاء قاضي المعرّة ولي القضاء بحمص وبها مات في سنة ٢٩٠هـ. ثم أنشد الصنوبريّ في مدحه. وهذا بعينه لفظ الخريدة في جدِّ الجد. قال ياقوت بعد سرد أكثر هؤلاء: «وغيرُ هؤلاء حذفت أسماءهم اختصاراً وإنما قصدت الإخبار عن إعراقه في بيت العلم». وقد سردهم الصاحب كمال الدين ابن العديم في الباب الثاني من العدل والتحري حتى وصل بهم إلى زمنه وهو منتصف القرن السابع كما سردناهم من غير أن نقف على كتابه ولله الحمد.

---

(١) ٢: ٢٤.

داود
بن
سليمان
بن
أحمد
بن
(٩) سليمان
بن في خر والنكت والوفيات دون غيرها
(٨) محمد
بن
(٧) أبي الحسن سليمان
أبو بكر محمد (١٠) إن صح قول ياقوت مسلم عم أبي العلاء (١٢)
بن عبد الله (١٣)
(٦) عبد الله وادع القاضي (١٤)
أبو الهيثم عبد الواحد (١١) أبو العلاء. صاحبنا
بن
(٥) أبي المجد محمد أخي أبي العلاء
أبو الحسن علي تولى قضاء المعرة. خر والعدل
أبو مرشد سليمان (١٦) ومدرك
بن أبو سهل عبد الرحمٰن (١٧)
(٤) القاضي عبد الله أبي محمد وأخوه أبو المعالي صاعد (١٨)
وادع على ما في خر وأدباء وأظنه غلطا وانظر (١٢)
بن
(٣) القاضي أبي المجد محمد
بن
(٢) أبي محمد عبد الله
بن
(١) القاضي تقيّ الدين أبي اليسر شاكر
أبو المجد سليمان ولد بحلب سنة ٥٤٥هـ خر بن أبو البركات محمد ـ خر
(ج) أبي إسحاق إبراهيم
بن
(ب) أبي اليسر إسماعيل
بن
(أ) تقي الدين

(أ) مسند الشام كتب للناصر داود وروى عنه ابن تيمية وأخواه. ترجم له صاحب الفوات: ١: ١٢.

(ب) عرفناه من الفوات فقط.

(ج) عرفناه من الفوات ومن التكملة لابن الأبار عدد ١٤٥٨ ويأتي في باب «هو والأندلس».

(١) لا أبو نصر كما قد تصحّف على مرجليوث ص ٣٣ قال العماد: ذكر لي أن مولده بشيزَرَ في جمادى الآخرَة سنة ٤٧٦هـ وفي أدباء عنه قال: وكان كاتب الإنشاء لنور الدين محمود بن زنكي قبلي فلما استعفى وقعد في بيته توُلّيت الإنشاء بعده. ونقل عنه في الولادة سنة ٤٩٦ وهذا من اختلاف نسخ الخريدة ثم أورد من شعره جملة.

(٢) وتوفي سنة ٥١٦هـ. خر.

(٣) ولي قضاء المعرة إلى أن دخلها الفرنج سنة ٤٩٢هـ ومات بحماة سنة ٥٢٣ ومولده سنة ٤٤٠هـ وله ديوان ورسائل. ياقوت وخر.

(٤) زعم خر وتبعه أدباء أنه أبو القاضي وادع وأراه غلطا منهما[1] وحُجّتي خط يد النعمان بن وادع على ختام نسخة نقائض جرير والأخطل لأبي تمام وهذا نصّه ورق ١٤٤ نسخة الآستانة «قرأته جميعه في المحرَّم من سنة خمس وعشرين وخمسمائة»وكتب النعمان بن وادع على قولهما في آبائه: أدرك أبا العلاء. مع أنه أدركه حقّاً إذ مولده كما قالا ٤٣١هـ. وهذا سهل إن جعلنا مسلماً عم أبي العلاء جدّاً له.

وفي إنباه الرُّواة للقِفْطيّ بخطّه في ترجمة محمد بن حمزة أن له قصيدة مدح بها القاضي أبا محمد عبد الله بن محمد بن سليمان المعري ثم أورد منها ١٣ بيتاً على الراء وأظنه أبا عبد الله هذا والله أعلم.

(٥) كان أسنّ من أبي العلاء.

وأورد ياقوت شعراً له. خر وأدباء. وذكره أبو العلاء بلفظ سيدي في ر إلى خاله أبي القاسم ص ١١٢ والعجب من مرجليوث ص ٤٣ حيث زعم أن الرسائل لا تشير إليه إشارة ما وهو شارحها وترجمانها وأغرب منه زعمه أبا المجد مستملياً له وكلّه غلط لا دليل له. وتوفي سنة ٤٣٠هـ. وقدّم أبو العلاء الشيخ أبا صالح

(١) وشاهد وهو أن كنية وادع «أبو مسلم» ومعروف في الكنى تسمية الأبناء باسم الأجداد.

محمد بن المهذّب للصلاة عليه ـ ابن الوردي ١: ٣٤٥.

ورد في «مصارع العشاق»، قسطنطينية ص ٢٣٤ (قال ابن السرّاج): لي من جملة قصيدة كتبت بها إلى القاضي أبي مسلم ابن أخي أبي العلاء المعري:

إن غـــرامـــي يـــا أبـــا مـــســـلـــم إلـى غـريـمـي فـي الـهـوى مُسْلِمـي

القصيدة.قلت: ولا أدري هل هو أبو مسلم هذا هو ابن أبي المجد هذا أو غيره.

(٦) له شعر في مرثية والده، أورده ياقوت وتوفي بحمص سنة ٣٧٧هـ. خر وأدباء ويأتي ذكره فيما بعدُ. ويوهم كلام ياقوت وخر أنه تولى قضاء المعرّة أيضاً.

(٧) هو الذي تولى قضاء المعرّة وحمص. وبها مات سنة ٢٩٠هـ على قول ياقوت إن صح. وقد غلط صاحب ذ ص ١٣٠ حيث زعم أن جده سليمان بن داود تولى قضاءها ثم سرد النسب ص ١٣٥ كما نقلناه من الخريدة. إذ كيف يمكنه أن يجعل سليمان بن داود جده وهو على سياق النسب عنده بنفسه جد جد جد (ثلاثاً) أبي العلاء فقد خبط خبط عشواء ولم يتبع هذا ولا ذاك.

(٨) هو قاضي المعَرَّة أبو بكر الذي جعل ياقوت أخا أبي صاحبنا.

(٩) جد جد (مرتين) أبي العلاء وأول من ولي قضاءها سنة ٢٩٠هـ كذا في خر وهو الذي وهِم في أمره ياقوت فجعله جد أبي العلاء.

(١٠) على قول ياقوت عم أبي العلاء ولي قضاءها بعد سليمان بن أحمد جده على قوله ثم نقل قول الصنوبري الشاعر في مدحه.

(١١) نقل بعضهم عن الوافي أنه كان حياً أيام حصار صالح سنة ٤١٧هـ أو بعده بقليل.

(١٢) ورد ذكره في حكاية وزير محمود وترد. وأغفله خر وأدباء. وقد ذكرنا حجتنا في جعله جد القاضي وادع ولكن ليس في الخط ما يدل على كونه عم أبي العلاء، وإنما علمناه من الحكاية.

(١٣) لم نعلمه إلا من خط النعمان.

(١٤) أبو مسلم تولى قضاء المعرّة وكفر طاب وحماه وكان مشهوراً بالكرم، ولد سنة ٤٣١هـ وله رسائل حسنة وشعر بديع ثم أنشد منه شيئاً ـ أدباء ١: ١٦٧ و٢: ١٩٥ وخر. وفي تاريخ ابن القلانسي ص ١٣٢ أنه توفي سنة ٤٨٩هـ وكان استولى على المعرَّة. قال: وكان له همة مشهورة وطريقة في اليقظة مشكورة ا هـ وفي نسخة من إنباه الرواة للقفطي بخطه الحظ ـ أن أبا سعد محمد بن أحمد الشاعر المعري رثاه بقصيدة رائية طويلة أوردها القفطي.

(١٥) أبو عدي من أهل العلم والفضل صاحب الخط على النقائض لأبي تمام أنشد له ياقوت بيتين ـ أدباء وخر. قالا: ومات سنة ٥٥٠هـ ونيف.

(١٦) ذكره ياقوت والعماد قال: انتقل إلى شيزر بعد أخذ الفرنج المعرة وكوني بها. قال ياقوت: ولي قضاء المعرة وله رسائل وشعر (ثم أنشد له).

(١٧) ذكره ياقوت قال: ومولده ومنشؤه بشيزر وحماة وتوفي في الزلزلة كانت بحماة سنة ٥٥٠هـ وكان شاعراً مطبوعاً (ثم أنشد له).

(١٨) ذكره ياقوت قال: مولده ومنشؤه شيزر وحماة ومات بالمعرّة (ثم أنشد له).

أخواله آل سبيكة

من مرثية والدته يخاطبها ـ س[١]:

وكم لكِ من أب وَسَمَ الليالي ... على جَبَهَاتِها سِمَةَ اللئام

مضى وتَعرُفُ الأعلام فيه ... غنيُّ الوَسْمِ عن ألف ولام

هم كما يظهر من كتبه إليهم ومن شعره فيهم في س كانوا غرّة في جبهة الأيام، ودائرة سمامة في وجوه الغطارفة الكرام. مُعْرقين في أصالة الشرف، وناشئهم المقتبَلُ لا يقلّ في السماحة عن أبي دُلَف، ولا يَنُوْن يبتغون من فضل الله في كل ناحية وطرف، حرصاً أن يحوزوا كنز النُّطَف. ولكن لا للشرَه والبطَر، أو التكاثر أو الأَشَر. بل لكسب المعدوم، وفك العاني المظلوم. وصلة الأقارب، والإعانة على النوائب. كما قال في ر[٢] إلى أبي طاهر: «وإن مروءته تغلب حاله، وتُجشّمه السفر وارتحاله».

وجدّه لأمه محمَّدٌ كان حيًّا قبل رحلته إلى بغداد فيما يظهر[٣]، وأقرأه السلامَ في رقعتين له إلى أبي طاهر وهما ١٢ و١٤، وكان له ثلاثة من الأولاد الذكور، وهم على ترتيب الأسنان فيما يظهر من فحوى الرسالة الثلثين وغيرها[٤]: أبو القاسم علي[٥] بن محمد بن سَبيكة، أبو بكر، أبو طاهر المشرّف. فأما أبو القاسم فكتب إليه داليّة[٦] من س وكان سافر إلى المغرب ذكر فيها أن بني سبيكة لهم وُلوع بالأسفار، وركوب

(١) ٢ : ٩٧.
(٢) ص: ٤٣.
(٣) وقال مرجليوث في ترجمة ر إلى أبي طاهر وهي الـ ١٤ أنها كتبت بعد سنة ٤٠٠هـ ولم أعثر له على شاهد يعضده وأظنه رجماً منه بالغيب. وعلى كل فإنه قرأ فيها السلام على جده لأمه.
(٤) أعني جميع الرسائل إلى أبي القاسم التي أهدى فيها السلام إلى أبي طاهر.
(٥) التنوير ١ : ١٦٥، وعنوان ر الـ ١٧ إليه.
(٦) ١ : ١٦٥. والذي أظن أن جملة رسائله إلى خاليه في زمن شبابه.

الأخطار، في البراري والبحار. وكانوا يركبون تارة بحر الروم إلى مصر والمغرب، وأخرى في بلاد الجزيرة والعراق لهم مستراد ومذهب - س:

كأن بني سبيكة فوق طير يجوبون الغوائر والنجادا
أبا الإسكندر الملك اقتديتم فما تضعون في بلد وسادا

وله إليه من الرسائل الـ ٧ عند طلوعه من العراق وهي مصدر كثير من الفوائد التاريخية والـ ١٧ والـ ١٨ والـ ٣٠.

وأما أبو بكر فإنا لم نعرفه إلا عن ر إلى أبي القاسم في التعزية بوفاته وكان توفي بدمشق وخلّف ولداً كَهْلاً وأبناءً لهذا الولد فتياناً[١].

وأما أبو طاهر المشرّف فهو المخاطب بالرّسالة الـ ١٠ وكان صاحبنا جَشّمه أن يستنسخ له شرح الكتاب - كتاب سيبويه - ببغداد لا عكسه[٢] كما ذهب على كثير من أبناء العصر وبالـ ١٣، وكان له غلام (عبد) لا يزال أبو العلاءِ يهدي إليه السلام ويظهر تحفيه به وانظر الـ ١٢ والـ ١٣ وكان لأبي طاهر ولد أو أولاد ورد ذكرهم في ر الـ ٣٠.

وأما مولدهم فإنه حلب الشهباء على ما هو الظاهر وهي مُقامهم أيضاً غير أن أبا بكر كان توفي بدمشق كما مرَّ وهذا مما لا يشكّ فيه اثنان[٣] طالعا الرسائل بإمعان.

(١) ر ص: ١١١.

(٢) أي أن يكون أبو طاهر كتب إليه من حلب إلى بغداد أن يستكتب له الشرح كما زعم مرجليوث وتبعه صاحب (ذ): ١٣٢ ولعله بنى زعمه على علمه برحلة صاحبنا إليها. وغريب أن يكون نسي أن أبا طاهر كان سافر إليها أيضاً كما هو في عنوان ر: ١٢ ولفظه: وكتب إلى أبي طاهر ابن سبيكة وكان قدم من العراق الخ، وعنوان ر: ١٣ ولفظه: وكتب إلى... في بعض أوباته من العراق - وكان لأبي طاهر ببغداد أصدقاء كما في ص: ٣١ من ر - وأنني لا أقضي العجب من مرجليوث وهو ترجمان ر: كيف تمكن من فهم جمل في الرسالتين على مزعمه وهي من الـ ١٠: «وفهمت ما ذكره من أمر النسخة المحصلة وهو.... الكريم المتكرم وأنا المثقل المبرم - جرى في التفضل على الرسم، وألححت إلحاح الوسم». وذكر أبا عمرو الإستراباذي في هذه الرسالة. وكان كلفه للغرض عينه كما يظهر من ر إليه وهي الـ ١١ - ثم ختمها بقوله: وأنا أهدي إلى... سلاماً تأرج الكتب بحمله، وتروض المجدبة من سبله، فهل تصلح كلمة المجدبة من السبل بالمسافر أم بالمقيم. وطالعهما. ثم إنه اقترح عليه في ر الـ ١٢ أن يعرفه بالثمن المصروف (في الاستنساخ) حتى يؤديه إليه - على أن أبا طاهر وهو تاجر لم يكن الشرح مما يهمه.

(٣) وانظر الرسائل - وأما مرجليوث فإن كلامه ص: ١٤ يوهم خلاف ذلك وإن كانت حوالات الحاشية صحيحة إلا أن كلام المتن موهم ولا شك. وصاحبنا يقرىء في جل رقاعه إلى أبي القاسم السلام على أبي طاهر وهذا لا يمكن إلا على أن يكونا بموضع.

وكان صاحبنا يحبهم من صميم قلبه، ويبذل لهم نخيلة صدره، ويتحنّن لهم تحنّن النكداء إلى بِكره، والطائر إلى وكره. ولم تزل المهاداة الدالّة على الوئام والوفاق، قائمة بينه وبينهم على ساق. على رغم آرائه في الأنساب، وإلحاق الجناية بالآباء الأنجاب. قال في ر[١]: «وكيف لا يضطرم شوق ولدته القرابة وأرضعته بلبانها المَوَدّة وربّته الأيدي المتتابعة». وكانوا يبذلون على ابن أختهم هَنيّ المطالب وسَنيَّ الرغائب، بل لو قلنا: إنهم هم الذين كفلوه من رَيْعانه إلى محتوم إبّانه لم نُبْعد، وهم الذين أعانوه بالمرافق واللوازم في رحلته إلى بغداد كما يأتي وأما أمه فإنها ترد في محلّ وفاتها.

ولادته

وُلد بالمعرّة يوم الجمعة عند مغيب الشمس لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة ٣٦٣هـ[٢] كما قال الكمال ابن الأنباريّ[٣] روايةً عن التبريزي وابن خلكان والصَفَديّ وغيرهم.

عماه وبعض خصائصه

قال صاحب النزهة والوفيات: وعَمِي من الجُدَريّ أول سنة سبع وستين غشي يمنى عينيه بياض وذهبت اليسرى جملةً. قال الحافظ السِّلَفيّ: أخبرني أبو محمد عبد الله بن الوليد بن عُزَيْب[٤] (أو غَريب[٥]) الإياديّ أنه دخل مع عمّه على أبي العلاء يزوره فرآه قاعداً على سَجادة لبد وهو شيخ [فانٍ] قال: فدعا لي ومسح على رأسي وكنت صبياً قال: وكأني أنظر إليه الساعة وإلى عينيه إحداهما نادرة والأخرى غائرة جداً، وهو مجدّر الوجه نحيف الجسم ا هـ. وروى ابن العديم في العَدْل عن ابن مُنْقِذ أنه رأى أبا العلاء وهو صبيٌّ دونَ البلوغ، ووصفه بقوله: «هو دميم الخلقة مجدور الوجه على عينيه بياض من أثر الجُدَريّ كأنه ينظر بإحدى عينيه قليلاً».

قال الذهبي[٦] والصفدي وأبو الفداء والسيوطي: إنه جُدّر في السنة الثالثة من عمره. أقول وهذا وهم من هؤلاء إذ لم يَحْسبُوا سنة الولادة وكان وُلد في شهرها

---

(١) ر ص: ٤٢.

(٢) وقال أبو الفداء، وقيل: سنة ٣٦٦هـ ٢: ١٧٦.

(٣) النزهة: ٤٢٦ والوفيات ١: ٣٤، والنكت: ١٠٩، والمعاهد ١: ٤٩.

(٤) كما في الوفيات ١: ٣٤.

(٥) كما في النكت والمعاهد وفي العدل عريب. ولعله تصحيف.

(٦) ١٢٩، النكت: ١٠٩، ٢: ١٧٦، والبغية: ١٣٦ ولاء.

الثالث على ما مرَّ. فالصواب إذاً في الرابعة من عمره كما قال صاحبنا نفسه في رسالته[١] إلى داعي الدُّعاة: «وقد علم الله أن سمعي ثقيل، وبصري عن الإبصار كليل، قُضي عليَّ وأنا ابن أربع، لا أفرِّق بين البازل والرُّبَع» ـ قال ابن الأنباري: كان ضريراً أعمى ولم يكن أكمه كما توهمه[٢] من لا علم له. وورد ذكر الجُدريّ في اللزوم:

أضرُّ من جَدَريٌّ شان حاملَه ... بحمله جَدَريٌّ جاء من جَدَر[٣]

وأنه أورثه دَمامة قال. ل:

الحظّ لي ولأهل الأرض كلهم ... أن لا يرانيَ أُخرى الدهر أصحابي

وشِقوة غَشيت وجهي بنضرته ... أبرُّ من نعيم جرَّ أشجابي

وكان يقول[٤]: لا أعرف من الألوان إلاّ الأحمر فإني أُلبستُ في الجُدَري ثوباً مصبوغاً بالعُصْفُر لا أعقل غير ذلك. وكان يحمد الله على عماه كما يحمده غيره على البصر، فقد صنع له وأحسن به إذ كفاه رؤية الثقلاء البغضاء على ما نقل الثعالبي من قوله ـ وكان قصيراً كما اعترف به في رسالة له[٥] وكما اعترف به في رسالة له[٦] وكما قال. ل:

فلا أجدك رديئاً في ذوي أَمَم ... وكن نبيلاً مع القوم التنابيل

ونحيلاً كما قال. ل:

تخفَّوْا بالكلام وأكرموني ... على ما كان من جسد نحيل

وذكيّاً حكى الذهبي[٧]: أنه أكل في مغارته دِبْساً فنقط على صدره منه ولم يشعرْ فلما جلس للإقراءِ قال له بعض الطلبة: يا سيدي أكلت دبساً فأسرع بيده إلى صدره يمسه فقال: نعم، لعن الله النَهَم. فاستحسنوا سرعة فهمه ا هـ. وروى السيد

---

(١) أدباء ١: ١٩٨ فيه النازل وهو تصحيف لم يتنبه له مرجليوث ـ هذا وقال صاحب آثار العجم بالفارسية ما تعريبه ص: ٤٨ إنه عمي حين بلغ سبعين عاماً وقيل: إنه عمي في صباه ونرجح صحة القول الأول لما رأينا له من عدة تآليف ا هـ. أقول هذا مبلغه من العلم وما كان أغناني عن نقل قول أمثاله من علماء الفرس الذين ليس عندهم خبرة ولا خبر ولا رواية ولا أثر.

(٢) وهذا القول الغريب نقله أبو الفداء أيضاً ٢: ١٧٦.

(٣) قرية تجلب منها الخمر بين حمص وسلمية قال فيها صاحبنا:

لا تقربن جدرياً ما أردت به ... داء يسرى بل شراباً مودعاً جدرا

(٤) وفي ل أشجاني وهو تصحيف.

(٥) نكت: ١٠٩ معاً ١: ٤٩، بغية: ١٣٦، والذهبي: ١٢٩.

(٦) ر ص: ٧٩ ـ وكذا في حكاية نقلها القفطي أدباء ١: ٢١٥.

(٧) ص: ١٣٠.

العيدروس في النور[١] السافر عن «آثار البلاد» له ص ١٨١ وفيه: «قوائمه» وهو الصواب و«درهماً». للقزويني أنه كان لأبي العلاء سرير يجلس عليه فجعلوا في غيبته تحت قوائمها أربعة دراهم تحت كل قائمة درهم فقال: إن الأرض قد ارتفعت عن مكانها شيئاً يسيراً أو السماء نزلت ا هـ وفي روضات الجنات[٢] عن تلخيص الآثار - أي آثارِ البلاد المذكور والخبر في أصل الكتاب ص ١٨١. وفيه «أولي الأبصار» بدل البصائر. قيل: إنه أخذ حمّصه وقال: هذا يشبه رأس البازي، وهذا تشبيه عجيب من أولي البصائر فضلاً عن الأكمه (كذا) ا هـ. وقال ابن العديم في «العدل»: إنه كان متوقد الخاطر على غاية من الذكاء من صغره وتحدث الناس بذلك وهو إذ ذاك صبيّ يلعب مع الصبيان. فكان الناس يأتون إليه ليشاهدوا منه ذلك فخرج جماعة من أهل حلب إلى ناحية معرّة النعمان وقصدوا أن يشاهدوا أبا العلاءِ وينظروا ما يحكى عنه من الفطنة والذكاء. فوصلوا إلى معرّة النعمان وسألوا عنه، فقيل لهم: هو يلعب مع الصبيان، فجاؤوا إليه وسلموا عليه، فردَّ عليهم السلام. فقيل له: إن هؤلاء جماعة من أكابر حلب جاؤوا لينظروك ويمتحنوك فقال لهم: هل لكم في المقاناة[٣] بالشعر، فقالوا: نعم. فجعل كل واحد منهم ينشد بيتاً وهو ينشده على قافيته حتى فرّغ محفوظهم بأجمعهم وقهرهم فقال لهم: أعجزتم أن يعمل كل واحد منكم بيتاً عند الحاجة إليه على القافية التي يريد؟ فقالوا له: فافعل أنت ذلك. قال: فجعل كلما أنشده واحد منهم بيتاً أجابه من نظمه على قافيته حتى قطعهم كلهم - فعجبوا منه وانصرفوا. ا هـ.

وفي «آثار البلاد» ص ١٨١ ذكر البعير عنده أنه حيوان يحمل حملاً ثقيلاً فينهض به فقال: ينبغي أن تكون رقبته طويلة ليمتدّ نَفَسه فتقدر على النهوض به.

وله شعر كثير في عماه. ل:

ذهاب عينيَّ صان الجسم آونةً ... عن التطوح[٤] في البِيْد الإماليس
وما بيَ طِرْق[٥] للمسير ولا السُرَى ... لأني ضرير لا تضيء ليَ الطُرْق
عمى العين يتلوه عمى الدين والهدى ... فليلتي القُصوى ثلاثُ ليال

---

(١) ورق: ٣٦٥ نسخة لكنؤ - ومثله في نامه دار نشوران ١: ٣٦٧ طبعة إيران.

(٢) ص: ٧٣ طبعة إيران.

(٣) فن يسمى اليوم مذاكرة الأنفاس وهو أن ينشد كل واحد على روي بيت الآخر وهذا على روي ذلك إلى أن يعيا أحدهما.

(٤) وفي الأصل التطرح مصحفاً.

(٥) بالكسر قوة.

أعمى البصيرة لا يهديه ناظرُه   إذ كلّ أعمى لديه من عصاً هادِ
إذا مرَّ أعمى فارحموه وأيقِنوا   وإن لم تكُفّوا أن كلكم أعمى
تصدَّقْ على الأعمى بأخذ يمينه   لتهديَه وامنُنْ بإفهامك الصُما
أنا أعمى فكيف أهدي إلى المنهـ   ـج والناس كلّهم عُميان
والعصا للضرير خير من القا   ئد فيه الفجور والعصيان
وبصير الأقوام مثليَ أعمى   فهلمّوا في حِندس نتصادَمْ

وانظر في المعنى بيتاً له (الأمورِ) وقطعتين نونيّتين في الفائت.

حفظه وواعيته

العُميان أصحُّ الناس حفظاً وأوعاهم وأذكاهم وأرعاهم. والسبب في ذلك عدم تشتّت الباصرة في المغازي والمسالك وأن كل قوة طَبَعيّة يزيد فيها الإعمال وينقص منها الإهمال. والعميان أحوجُ من البَصَراء. إلى حفظ الأشياء. وقد رُوي في حفظهم أخبار ونوادر، شوارد سوائر. وناهيك بما ألمّ به الصَّفَديّ منها في النكْت[١] والغيث. والمعروفون بقوة الواعية منهم لا يبلغهم إحصاء، ولا يأتي عليهم أو يعترف بالعجز دون بلوغ الغاية والإعياء. والعَلم الفَرْد في ذلك حَبْر الأمة وتُرْجُمان القرآن عبد الله بن عباس رضي اللهعنه وذلك معروف في خبر نافع بن الأزرق[٢] وعمر بن أبي ربيعة معه

(١) النكت: ٨٤ بعد أن نقل بيتاً للأعشى وآخر لبشار ثم روى عن الجاحظ قوله: «وهذان أعميان قد اهتديا من حقائق الأمور إلى ما لا يبلغه تمييز البصراء. ولبشار خاصة في هذا الباب ما ليس لأحد»، ثم زاد عليه: «قلت: تعجب الجاحظ من قولهما وكيف به لو سمع قول أبي العلاء:

رب ليل كأنه الصبح في الحسـ   ـن وإن كان أسود الطيلسان

إلى قوله: ثم شاب الدجى س ١: ٩١ و٩٢ ـ وقوله:

ولاح هلال مثل نون أجادها   بجاري النضار الكاتب ابن هلال

وقال في ص: ٨٣: قل إن وجد أعمى بليداً ولا يرأى أعمى إلا وهو ذكي منهم... وأبو العلاء المعري... والسبب الذي أراه في ذلك أن ذهن الأعمى وفكره يجتمع عليه ولا يعود متشعباً بما يراه. ونحن نرى الإنسان إذا أراد أن يتذكر شيئاً نسيه أغمض عينيه وفكر فيقع على ما شرد من حافظته وفي المثل أحفظ من العميان أورده الميداني في أمثاله ا هـ أقول ومثل قوله المار في الوصف ما قال يصف الحمائم من قصيدته:

نبي من الغربان ليس على شرع

س ٢: ٧١.

وورد ذكر العميان في الغيث ٢: ١٨٨ ـ ١٩٣.

(٢) الكامل للمبرد ٢: ١٥١.

ـ وحكى ابن حجر[١] وغيره عن المتنبي أنه تلقّى من رجل كتاباً للأصمعي نحو ثلاثين ورقة وأخذ ينظر فيه فقال الرجل يا هذا أريد بيعَه فإنْ كنت تريد حفظه فهذا إن شاء الله يكون بعد شهر. فقال: فإن كنت حفظته في هذه المدّة فما لي عليك؟ قال: أهب لك الكتاب فأخذ يتلوه حتى أتى عليه.

ومثله ما يُحكى عن أبي تمام[٢] أن البحتري لما أنشد أبا سعيد محمد بن يوسف قصيدته التي أولها:

أأفاق صبّ من هوًى فأُفيقا أم خان عهداً أم أطاع شفيقا

وهي طويلة وسُرَّ بها أبو سعيد قال أبو تمام ولم يكن بينهما معرفة أما تستحي هذا شعري تنتحله. ثم أنشدها لم يخرم منها حرفاً فلام أبو سعيد البحتريَّ فوجم نادماً وخرج إلى باب الدار حتى رده الغلمان على أبي تمام فقال: الشعر لك ولكن ظننت أنك تهاونتَ بموضعي وأقدمت على الإنشاد بحضرتي من غير معرفة بيننا ثم عانقه وأخذ يُثني عليه. ونادرة الزمان، في قوة الحفظ وشذوذ النسيان، هو رَبّ القريض والبيان، علاّمةُ همَذان، بديعُ الزمان.

ونأتي هنا على أخبار رواها الثقات عن الثقات والأصاغر عن الأكابر سوى بعضها مما وقع فيه خلل في النقل. وما أكثر من يستنكرها من أبناء العصر، إذ حُرموا هذه الفضيلة اللهم إلاّ شِرذمة منهم نَزْر. والعرب أحفظ الأمم: «ومَنْ يُشابِهْ أَبَهُ فما ظَلَمْ». والباعث على ذلك ليس إلا عِرْقهم في البداوة وسُكنى الوَبَر والمَدَر. وبُعدهم عن الوسائل المغنية عنها في الحَضَر.

(١) روى السمعاني في الأنساب[٣] عن التبريزي: أنه كان قاعداً في مسجده بمعرة النعمان بين يدي أبي العلاء يقرأ عليه شيئاً من تصانيفه قال: وكنت قد أتممت عنده سنتين[٤] ولم أر أحداً من أهل بلدي. فدخل مُغافصة المسجد بعضُ جيراننا للصلاة فرأيته وعرفته وتغيّرت من الفرح. فقال أبو العلاء: ما أصابك. فحكيت له أنّي رأيتُ جاراً لي بعد أن لم ألق أحداً من أهل بلدي سنين[٥] فقال لي: قم وكلّمه. فقلت

(١) لسان الميزان ١: ١٦ والبديعي ١: ٧.

(٢) البديعي ١: ٢٤ وغيره.

(٣) ورق: ١١٠، وياقوت عنه ١: ١٧٣، والنكت: ١٠٢، والبديعي ١: ١٠، والبغية: ١٣٦، والمعاهد ١: ٤٩.

(٤) وفي غير نسخة الأنساب أقمت عنده سنين.

(٥) كذا هنا في الكتب بأسرها إلا أدباء فإنه روى سنتين.

له: حتى أتمّم السبق[١]. فقال: قم أنا أنتظرك. فقمت وكلّمته بالأذَرَبيّة شيئاً كثيراً إلى أن سألت عن كل ما أردت. فلما عُدتُ وقعدت بين يديه قال لي: أيّ لسان هذا؟ قلت: هذا لسان أهل أذْرَبيجانَ. فقال لي: ما عرفت اللسان ولا فهمته غير أني حفظت ما قلتما، ثم أعاد لفظاً بلفظ ما قلنا (من غير أن ينقص منه أو يزيد عليه) فجعل جاري يتعجب غاية العجب ويقول: كيف حفظ شيئاً لم يفهمه ا هـ. قال ياقوت: وهذا غاية ليس بعدها شيء في حسن الحفظ. وقال الصفدي: هذا أمرٌ مُعجز فإنه بلغنا عن جماعة من الحُفاظ. وما يحكى عن البديع الهَمَذَاني وابن الأنباري (لعله أبو بكر محمد) وغيرهما ما هو قريب من الإمكان وأما حفظ ما لم يسمعه (؟ يفهمه) الإنسان ولا يعلم مفرداته ولا مركّباته وهو أقلّ ما يكون أربع مائة سطر (؟ بدون الجواب).

(٢) قال ابن العديم في «العدل» قيل: إنه أملى من ديوانه لزوم ما لا يلزم في ليلة واحدة نحو ألفيْ بيت كان يسكت زماناً ثم يُملي نحو خمسمائة بيت ثم يعود إلى الفكرة والعمل إلى أن كملت العدّة المذكورة.

(٣) وروى ابن العديم أيضاً: أن بعض أمراء حلب قيل له: إن اللغة التي ينقلها أبو العلاء إنما هي من «الجمهرة». وعنده من «الجمهرة» نسخة ليس في الدنيا مثلها وأشاروا عليه بطلبها منه قصداً لأذاه. فسيّر أميرُ حلب رسولاً إلى أبي العلاء يطلبها منه. فأجابه بالسمع والطاعة وقال: تقيم عندنا أياماً حتى تقضي شغلك. ثم أمر من يقرأ عليه كتاب «الجمهرة» فقرئت عليه حتى فرغوا من قراءتها ثم دفعها إلى الرسول وقال له: ما قصدتُ بتعويقك إلاّ أن أعيدها على خاطري خوفاً من أن يكون قد شذَّ منها شيء عن خاطري. فعاد الرسول وأخبر أمير حلب بذلك فقال: من يكون هذا حاله لا يجوز أن يؤخذ منه هذاالكتاب وأمر بردّه إليه.

(٤) وروي أيضاً أن البغداديين أرادوا امتحان حافظته فأحضروا دُستور الخراج الذي في الديوان وجعلوا يوردون ذلك عليه مُياومةً وهو يسمع إلى أن فرغوا من ذلك فابتدأ أبو العلاء، وسَرد عليهم كلَّ ما أَوردوا عليه.

(٥) روى البديعيّ[٢] عن الأمير أسامة (؟) بن منقذ عن أبي العلاء المعرّي قال: كان بأنطاكية خزانة كتب وكان الخازن بها رجلاً علويّاً فجلست يوماً عنده فقال قد خبأتُ لك خبيئة غريبة ظريفة لم تسمع بمثلها في تاريخ ولا في كتاب منسوخ. قلت: وما هي؟

(١) بمعنى الدرس كما هو مستعمل إلى الآن بإيران والهند.

(٢) الصبح المنبي ١ : ٧. وهذه الحكاية توجد باختلاف يسير منسوبة إلى التبريزي في غرر الخصائص: ١٨٧.

قال: صبيّ دون البلوغ ضرير يتردّد إليّ وقد حفّظتُه في أيام قلائل عدّة كتب وذلك أني أقرأ عليه الكُرّاسةَ والكُرّاستين مرّة واحدة فلا يستعيد إلا ما شكّ فيه. ثم يتلو عليّ ما قد سمعه كأنه كان محفوظاً له. قلت: فلعله قد يكون محفوظاً له، قال: سبحان الله كل كتاب في الدنيا يكون محفوظاً له ولئن كان ذلك كذلك فهو أعظم. ثم حضر المشار إليه وهو صبيّ دميم الخِلْقة مجدَّر الوجه على عينيه قليلاً وهو يتوقّد ذكاء يقوده رجل طويل من الرجال أحسبه يقرب من نسبه، فقال له الخازن: يا ولدي هذا السيّد رجل كبير القدر وقد وصفتك عنده وهو يحب أن تحفظ اليوم ما يختاره لك فقال: سمعاً وطاعة! فيختار (؟ فليختر) ما يريد. قال ابن منقذ: فاخترت شيئاً وقرأته على الصبيّ وهو يموج ويستزيد. فإذا مرَّ بشيء يحتاج إلى تقريره في خاطره يقول: أعِدْ هذا. فأردّده عليه مرة أخرى. حتى انتهيتُ على ما يزيد على كرّاسة ثم قلت له يُقنع هذا من قِبَل نفسي. قال: أجلْ حرسك الله قلتَ كذا وتلا عليَّ ما أمليتهُ عليه وأنا أعارضه بالكتاب حرفاً حرفاً حتى انتهيت إلى حيث وقفتُ عليه؛ فكاد عقلي يذهب لما رأيتُ منه، وعلمت أن ليس في العالم من يقدر على ذلك إلاّ أن شاء الله. وسألت عنه فقيل لي: هذا أبو العلاء المعرّي من بيت العلم والقضاء والثروة والغنى ا هـ. أقول: جمع البديعيّ بين الضبّ والنون وحاول أن يُجري في البراريّ الفُلْك المشحون فإن صاحبنا توفي سنة ٤٤٩هـ. وأسامة وُلد سنة ٤٨٨هـ فلعل الحكاية عن بعض متقدمي بني منقِذ قبل أن يملكوا شيزَرَ بنحو نصف قرن أو أكثر أو الأصل: «عمّن حدثه عن أبي العلاء» فيوجد ثَمّ واسطة بينهما. والراجح هو الأول ففي مساق هذه الحكاية في العدل والتحري ما يدلّ على أن صاحب أبي العلاء هو أبو المتوَّج مقلّد بن نصر بن منقذ وكان يسكن حلب وهو الذي ترجم له ابن خلكان وياقوت والعماد. ولكن هذه الخزانة على ما قال ابن العديم: كانت في كَفر طاب أو في حلب. وذكر خبراً طريفاً عن خزانة حَلَب.

(٦) وروى[١] أيضاً قال: وأعجب من هذه ما حكى بعض طلبته عنه قال: كان لأبي العلاء جار أعجميّ فاتّفق أنه غاب عن المعرّة فحضر رجل يطلبه قد قدم من بلده فوجده غائباً فلم يمكنه المُقام. فأشار إليه أبو العلاء أن يذكر حاجته إليه فجعل ذلك الرجل يتكلّم بالفارسية وأبو العلاء يُصغي إليه إلى أن فرغ من كلامه. ولم يكن أبو العلاء يعرف بالفارسية ومضى الرجل. وقدم جاره الغائب وحضر عند أبي العلاء فذكر له حال الرجل وجعل يذكر له بالفارسية ما قال. والرجل يبكي ويستغيث ويلطم إلى أن فرغ من حديثه وسئل عن حالهُ فأخبر أنه أُخبر بموت أبيه وإخوته وجماعة من أهله.

(١) ١ : ٩ ولعله عن العدل لابن العديم.

(٧) وحكى[١] أيضاً عن بعض أصحابه أن جاراً له سَمَّاناً كان بينه وبين رجل من أهل المعرة معاملة فجاء ذلك الرجل وحاسبه برقاع يستدعي فيها ما يأخذه منها عند حاجته إليه. وكان أبو العلاء في غرفة يسمع محاسبتهما. قال: فسمع أبو العلاء السَّمَّانَ المذكور بعد مُدَّة يتأوَّه ويتململ، فسأل عن حاله فقال: كنت حاسبت فلاناً برقاع كانت له عندي وقد عدمتها ولا يحضرني حسابه فقال: ما عليك من بأس أنا أملي عليك حِسابه وجعل يملي معاملته رقعة برقعة والسمان يكتبها إلى أن فرغ وقام. فما مضت إلا أيام يسيرة ووجد السمان الرقاع فقابلَ بها ما أملاه عليه أبو العلاء فطابق إملاؤه الرقاع ا هـ ومثله ما في الوفيات[٢] عن أبي بكر النحويّ. قال: لما قدِم الحسن بن سهل العراقَ قال: أحبّ أن أجمع قوماً من أهل الأدب، فأحضر أبا عبيدة الأصمعيَّ ونصر بن عليّ الجهْضَميَّ وحضرتُ معهم، فابتدأ الحسن فنظر في رِقاع بين يديه للناس في حاجاتهم فوقَّع عليها فكانت خمسين رقعة ثم أمر فدُفعت إلى الخازن. ثم أقبل علينا فقال: قد فعلنا وخيراً نظرنا في بعض ما نرجو نفعه من أمور الناس والرعية فنأخذ الآن فيما نحتاج إليه. فأَفَضْنا في ذكر الحُفّاظ فذكرنا الزهريّ وقَتادة ومررنا فالتفت أبو عبيدة فقال: ما الغرض أيها الأمير في ذكر من مضى وبالحضرة ها هنا من يقول ما قرأ كتاباً قطّ فاحتاج إلى أن يعود فيه ولا دخل قلبه شيء فخرج عنه، فالتفت الأصمعيّ وقال: إنما يريدني بهذا القول أيها الأمير والأمر في ذلك على ما حكى وأنا أقرّب إليك قد نظر الأمير فيما نظر فيه من الرقاع وأنا أعيد ما فيها وما وقّع به الأمير على رقعة رقعة قال: فأمر وأُحضرت الرقاع. فقال الأصمعي: سأل صاحب الرقعة الأولى كذا واسمه كذا فوقّع له بكذا والرقعة الثانية والثالثة حتى مرّ في نَيّف وأربعين رقعة. فالتفت إليه نصر بن عليّ فقال: أيها الرجل أبْقِ على نفسك من العين. فكفَّ الأصمعي ا هـ. وأغرب منه وأعجب ما روى الحميديّ في الجذوة والخطيب في «تاريخ بغداد» عن البخاري ومحْنته هناك في مائة حديث مقلوبة الأسانيد والمتون وراجع الوفيات[٣].

(٨) زعموا[٤] أن رجلاً من أهل اليمن وقع له كتاب في اللغة قد ضاع أوله فعرضه على طائفة من أهل العلم فكلهم لم ينفعه (؟ يعرفْه) ولم يدله على اسم الكتاب فلما عرضه على أبي العلاء أنبأه باسمه واسم صاحبه وأملى عليه ما ضاع منه. قال ابن

(١) الصبح المنبي ١ : ١١.
(٢) ١ : ٢٨٩.
(٣) ١ : ٤٥٥.
(٤) ابن العديم في العدل وصاحب (ذ): ٢٢٢ ولعله عن القفطي.

العديم: قيل إن الكتاب هو ديوان الأدب للفارابيّ. وفي النور السافر للسيد العيدروس: «وذُكر عنه أنه أملى المحكم والمخصص من صدره» أقول: لعل الراوي اشتبه عليه تهذيب الأزهري بالكتابين وإلا فإنهما لم يكونا صُنّفا بعدُ.

(٩) حكى بعض العصريين[١] والعُهدة عليه إذ لم يحل على مأخذ أنه سمع محاورة إسرائيليين بالعِبْريّة وهو في شأن غير شأنهما ثم طلب بعد مُدة مديدة للشهادة فأعاد تلك المحاورة وهو لا يفقه من العِبْرية حرفاً ا هـ ولم أعثر على الخبر فيما بيدي من دواوين الأخبار. وليس ببِدْع من صاحبنا إلا أنني رأيت المتأخرين يتكلمون على حفظ ليس حفظَ أبي العلاء ولا يرجعون إلى الأصول فيخطِبون ويُخَلّطون والعِصمةُ لله وحده[٢].

هذا وغَرَّ أكثر الغربيّين قولُ الصَّفَديّ[٣] أَظُنُّهُ: «وللناس حكايات يَضَعُونها في عجائب ذكائه وهي مشهورة وغالبها مستحيل» وإني لأعجب كيف ذهب عليهم أو خفي عنهم مثل هذا مع أنه ترك شغل السماع والمطالعة حين بلغ من العمر أَشُدَّهُ وهذه جُمَل من نثره[٤].

قال في مقدمة س[٥]: وقد كنتُ في رَبّان الحداثة وجِنّ النشاط مائلاً في صَغْو القريض.... ثم رفضته رفض السَّقْب غَرْسَهُ والرَّأْل تريكته ا هـ. وفي الملائكة لو أعرضت الأغربة عن النعيب، إعراضي عن الأدب والأديب، لأصبحت لا تُحِسّ نعيباً ا هـ. وفيه وقد حُرّم عليّ الكلام في هذه الأشياء لأني طلّقتها طلاقاً بائناً لا أملك فيه الرجعة ا هـ. وفيه ولو كنت في عمر الحِسْل لكنت قد أُنسيت أو نسيت لأني حديثي لا يُجْهَل في لزوم عَطَني الضيّق... وإنما ينال الرُّتَب من الآداب من يباشرها بنفسه ويُفني الزمن بدرسه ا هـ. ومرّ لنا نقل قوله من الإغريضيّة. وفي ر[٦]: إلى الفلاّحي، وإن العامة عَهدتني في صدر العمر أستصحب شيئاً من أساطير الأولين فقالت عالم، والناطق بذلك هو الظالم». ومن ر[٧] إلى أبي المعلَّى: «من غدا بفرع ضأل، فقد بَعُد عهدي

---

(١) وهو صاحب الإلياذة العربية في مقدمتها: ٣٨، فإن صح اتكاله على الحفظ فهو الخبر الأول هنا.

(٢) ويجيء في أبواب بغداد حكاية عرض المنازي عليه شعره أولاً بالمعرة وثانياً بها وهي الآية المثلى في الدلالة على الحفظ والذكاء.

(٣) معاهد ١: ٤٩ وليعلم أن ترجمته له صدى لصوت الصفدي في الوافي.

(٤) ومن نظمه في المعنى قوله ـ ل:

وكيف أروم في أدب وفهم ... دراسا والمآل هو اندراسي

وانظر آخر باب فذلكة الآراء.

(٥) ١: ٦. (٦) ص: ٦٠.

(٧) ص: ٦٤.

بالنّضال. ألم يبلغك... أني دفعت الأدب إلى جانب كليب، وعقدته بأذن الضُّبَيب». ا هـ. وفي رسالته[1] إلى النَّكتيّ وكان دعاه أبا العُلَى (مقصوراً) ومحمداً بدل أحمد فنعى عليه سوء حفظه ثم قال: «فأما أنا فحفظت اسمه وكنيته ونسبه ولم أنس أيامه ولا مذكراته... فعهدي به تعجبه هذه الأرجوزة» ا هـ. وهذا كله دليل على أن هذه المعارف اللغوية والنحويّة والتاريخية والدينية وغيرها مما نجده مبعثراً في كتبه ورقاعه، ومما يُدْهِش اللبيب ويُكِلُّ من حدّ بنانه ويراعه. ومن فنون يضيق عنها نِطاقُ الدهر، وغايةٍ يحصُر دونها نجائب العمر. وغرائبِ الأخبار، وطرائفِ الآثار. كلُّها من مكاسب صِباه وشَرْخه، وثمرٌ غَضٌّ لريعان عمره قبل حُنكته ورَسْخِهِ. وظاهرٌ أن عقد الثلاثين لا يفي بجمع مثل هذا العلم الجمّ. ما لم يكن ثَمَّ واعيةٌ لا يشِذ عنها شيء حلَّ بها أو أَمّ، وبحرُ حفظٍ لعُبابه زَخْرٌ وطَمّ. وكيف لنا بالتكذيب والتبريزي أحد الثقات الأثبات فيما ينقله. وهذا ابن القارح يشهد له بذلك ويفضّله فيه على أعيان أشياخه قال[2]: «والعجب العجيب والنادر الغريب حفظه... لأسماء الرجال والمنثور كحفظ غيره من الأذكياء المبرّزين المنظوم. وهذا سهل بالقول صعب بالفعل» (ثم رجحه فيه على ابن خالويه وأبي الطيّب اللغوي وأبي عمر الزاهد الأُسوةِ في الحفظ).

لولا بدائع صنع الله ما نبتت تلك الفضائل في لحم ولا عَصَب

وقال الذهبيّ مع عداوته له: «ويقال عنه: إنه كان يحفظ ما يمرّ بسمعه. وكان عجباً من الذكاء المفرط والاطّلاع الباهر على اللغة وشواهدها»[3] ـ وأوثق من كل ما مر ما رواه ابن العديم في «العدل»: أن بعضهم سأل أبا العلاء عن حفظه فأجابه بقوله: «ما سمعتُ شيئاً إلاّ وحفظته وما حفظت شيئاً فنسيتُه».

ولكن هذا الحفظ الباهر بطلعته اختلّ في كُهولته على ما يقول. ل:

رَضيتُ مُلاوةً فوعيتُ علماً وأحفظني الزمان فقلّ حفظي

طلبه للعلم

لم يكن بيته من العلم مجدباً، بل كان جنابه بالأدب مُخْصِباً. فقرأ أوّلاً النحو

(١) ٧٧.

(٢) رسالته: ٢١٠.

(٣) ونجد في الأمة الأمية كثيراً من مفلقي الحفظ فإن حرارة البلاد ترقق المزاج وتلطف الأخلاط والأمشاج. والبلاد قد أنجبت وأعرقت. وكنت قد قرأت في بعض الجرائد أن بمدراس صبية من مشركة الهند حَفَظت عدة كتب سنسكريتية وهي لم تعد الثامنة من العمر بعد فأشار الأطباء على أهلها أن يخلوها وشأنها في حجرة فارغة من الشواغل إبقاء على دماغها ورفقاً بواعيتها.

واللغة على أبيه بالمعرّة وعلى محمد بن عبد الله بن سعد النحويّ بحلب وغيرهما من بني كوثر وأصحاب ابن خالويه، ومنهم: أبو القاسم المبارك بن عبد العزيز صديق النُكَتيّ الذي بعث إليه أبو العلاء ر الـ ٢٧. وسرد ابن العديم في الباب الرابع من العَدْل أسماء شيوخه بالمعرّة وحَلَبَ وبغداد ولعل هذا وهم منه فإنه لم يتلمذ ببغداد لأحد كما سنبحث عنه.

وأما علمه بالحديث فإنه يحدث عن أبيه وجدّه[١]. وسمع بالمعرة عالياً من يحيى ابن مِسْعَر[٢] التنوخيّ صاحب أبي عَروبة الحَرّانيّ وجزءاً من أبي الفتح[٣] محمد بن الحسين صاحب خَيْثمة في صِباه[٤]. قال السِلَفيّ[٥] حدثنا الخليل بن عبد الجبار بقزوين وكان ثقة حدثنا أبو العلاء التنوخي بالمعرّة حدثنا أبو الفتح محمد بن الحسين حدثنا خيثمة فذكر حديثاً. وروى السيوطي في ختام بُغيته[٦] بطريقه حديثاً مسنداً يتعلق بغرض لصاحبنا ونُلمُّ بذكره في محلّه فأحببنا إيراده هنا. قال: «شافهني أبو الفرج محمد بن أبي بكر بن الحسين المرَاغيّ بالمدينة الشريفة عن والده عن الشرف البارزيّ أخبرنا الكمال ابن العديم حدثنا أبو عبد الله محمد بن أبي المعالي ابن البنَّاء البغداديّ بدمشق أنبأنا أبو بكر محمد بن عبيد الله بن نصر الزاغونيّ حدثنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن أبي الصقْر الخطيب الأنباريّ من لفظه أنبأنا أبو العلاء المعرّيّ قراءةً عليه بالمعرة حدثنا أبو زكريا يحيى بن مِسْعَر التنوخيّ المعري حدثنا أبو عَروبة بن أبي معشر الحَرّاني أنبأنا هَوْبَر حدثنا محمد بن عيسى الخياط عن أبي الزِّناد عن أنس بن مالك (رض) عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «إن الحسد ليأكل الحسنات كما تأكل النارُ الحطب وإن الصدقة تطفىء الخطيئة كما يُطفىء الماءُ النارَ، والصلاة نور المؤمن، والصيام جُنَّة من النار». وقال في الغفران[٧] بعد أن نقل عن أبي معشر المدنيّ في كتاب المبعث حديثاً في ذبحه عليه السلام ذبيحة للأصنام ثم إنه ألقاه بمنع زيد بن عمرو «وفي حديث آخر وقد سمعته بإسناد أن تميم بن أوس الداريّ كان يُهْدِي إلى النبي ﷺ في كل سنة راويةً من خمر فجاء بها في بعض السنين وقد حُرِّمت[٨] الخمر فأراقها. قال السِّلَفيّ[٩]: قرأ القراءات بروايات وسمع الحديث بالشام على ثقات. وقال السمعاني:

(١) بغية: ١٣٦.
(٢) لا مصير كما هو عند (ذ): ١٤٤ ولعل هذا التصحيف من اتكاله على المآخذ الإفرنجية.
(٣) الأزدي الموصلي الحافظ ألف في علوم الحديث. ترجم له ابن حجر في اللسان ٥: ١٣٩ ومات سنة ٣٧٤هـ.
(٤) ذهبي: ١٣٠، واللسان ١: ٢٠٤.
(٥) ذهبي: ١٣٢.
(٦) ص: ٤٥١.
(٧) ١٧٦.
(٨) في الأصل حرحت؟
(٩) ذهبي: ١٣٥ واللسان عدد: ٦٤٢.

سمع الحديث اليسير وحدث به. وقد عقد الصاحب ابن العديم باباً وهو السادس من العدل ما وقع إليه من حديث أبي العلاء مسنداً وروى منه شيئاً غير يسير.

وأما علمه باللغة والنحو والأدب فهو الغاية القصوى. قال الصفدي[١] وعدّد من رزقوا السعادة في أشياء لم يأت بعدهم من نالها «وأبو العلاء المعرّيّ في الاطلاع على اللغة». ولا يكاد يقضي العجب من تبحّره من طالع الغفران لا سيما[٢] تفننه في قوافي بيتين للنمر بن تَوْلَب العُكْليّ حتى أتى على جُل حروف المعجم. ونقل المجد في البُلغة[٣] عن محمد بن رادة اللغوي قال: كان بالمشرق لغويّ وبالمغرب لغويّ في عصر واحد لم يكن لهما ثالث وهما: أبو العلاء وابن سِيْده ا هـ. وروى ابن العديم عن تلميذه التبريزي أنه قال: «ما أعرف أن العرب نطقت بكلمة ولم يعرفها المعرّيّ».

وأما تبحره في علمي العروض والقوافي فبحسبك فيه مقدّمة اللزوم ورسالة له إلى النُّكتيّ وهي الـ ٢٧، وله تآليف فيهما.

وله إلمام بالفقه والفروع والمذاهب. قال صدر الأفاضل في شرح قوله س:

في معشر كجِمار الرمي أجمعها ليلاً وفي الصبح أُلقيها إلى القاع

«في هذا البيت ما ينبّهك على أن أبا العلاء كان قد ضرب في الفقه بنصيب ـ وذلك أن كثيراً من الفقهاء يتوهمون أن الإفاضة من المزدلفة إلى مِنًى ورَمْيَ جَمْرَة العقبة بعد طلوع الشمس من يوم النحر والصواب أنهما بعد إسفار الفجر من ذلك اليوم ـ فلذلك جعل أبو العلاء رمي الجمار في الصبح فللّهِ دَرّه من نحرير لا يغيض بحره» ا هـ. ومما يدلّ له من اللزوم:

زكّوا على مذهب الكوفي[٤] أرضكم وجانبوا رأيه في مسكر طُبخا

وانظر جميع شعره في المذاهب في النظرة.

وأما علمه بالملل والأديان وفِرَق المسلمين فإن صفحات الغفران مُتْرَعَة به ويأتي الإلمام ببعضه آنفاً وفي النظرة. وكذلك الفرائض قال. ل:

هي الدنيا إذا طلبت أهانت وعالت والفريضة ذات عَوْل

وكان يعرف شيئاً من الحساب أيضاً على عماه قال. ل:

وتداني الأيام يحدث نقصا وازدياداً، والجسم للنفس تِبْعُ

(١) غيث ١ : ١١٨.
(٢) ص : ١٤.
(٣) في أئمة اللغة (خط).
(٤) أبي حنيفة رح.

خمسة في نظيرها خمس خمسا ت تنمّتْ والنصف في النصف رُبْعُ[(١)]

سما نفر ضربَ المئين ولم أزل بحمدك مثل الكسر يضرَب في الكسر[(٢)]

وأما النجوم، فإنه مع عدم إيمانه بأحكامها يعرف ما لا بد للأديب منها قال. ل:

والمال خِدْن النفس غير مُدَافَع والفقر موت جاء بالإهمال

أو ما ترىٰ حكم النجوم مصوَّراً بيت الحياة يليه بيت المال

وكان آية في معرفة الأخبار والتاريخ الماضي والحاضر، وهذا غفرانه ذكر فيه جميع الزنادقة والملاحدة ومستظرفات أخبارهم ومستطرفات آثارهم حتى إنه نقل في خبر فتح محمود الغزنوي للهند ما هو معلوم من إحراق المرأة نفسها على زوجها الميت ويسمّى بلسانهم سَتِيْ إلى غيره من أخبارهم وآرائهم، وانظر النظرة. وهذه رسالته في وفاة أبي بكر إلى خاله أبي القاسم تطرّف فيها بذكر أكثر ملوك الأمم، ومصيرهم للبِلى والرِّمَم. وصيَّرها مُثلةً وأُسوة، ولمن أتى بعده من نحو ابن عَبْدون قُدوة. ومن شعره في المعنى. ل:

ما كان في هذه الدنيا بنو زمن إلا وعنديَ من أخبارهم طَرَفُ

وهذا كله على أنه كان في صِباه ظريفاً يدخل في كل فنّ من الجِدّ والهَزْل. وكان يلعب بالشِّطْرَنج والنرد على ما حكاه أبو الحسن الدُّلَفيُّ وكان رآه في عنفوان شبابه بالمعرة على ما حكاه الثعالبي عنه في تتمّة اليتيمية[(٣)]. ومن شعره إلى لاعب. س[(٤)]:

أيها اللاعب الذي فرس الشطْرَنْـ ـجْ همّت في كفّه بالصَّهيل

(١) أي يحصل ٢٥ بضرب ٥ في ٥ في الزيادة ١/٤ من ضرب ١/٢ في ١/٢ ولم يفهم المعنى، محشي اللزوم.

(٢) معناه كالسابق.

(٣) نسخة باريس الخطية. وزعم مرجليوث: ٣٠ أن هذا في زمن عزلته وهذا غلط منه ولعله لم يتأمل عبارة التتمة على أنا نربأ بصاحبنا أن يذهب عمره أدراج الرياح، وهو يقول س ٢: ١٤١.

جنيت ذنباً وألهى خاطري وسن عشرين حولاً فلما نبه اعتذرا

وأما أبو الحسن فقد أفرغت مجهودي في التطلب عنه فوجدته والحمد لله على ذلك في الصبح المنبيء: ٤٢٤ وهو أبو الحسن محمد بن بركة بن عبد الله بن حمدان الدُّلَفيّ ترجم له في الأدباء ٧: ١٥. الدلفي العجلي النحوي شرح ديوان المتنبي في عشر مجلدات، قال صاحب البغية: ٥٢ نقلاً عن ياقوت: «إنه كان من أصحاب الرماني وكان فاضلاً بارعاً ومات بمصر سنة ستين وأربعمائة» أقول: كذا فيها هو يورث الاختلاج مع قول الثعالبي أنه لقيه قديماً وحديثاً في مدة ثلاثين سنة إلا أن يكون بلغ من العمر ٩٠ سنة.

(٤) ٢: ٢٢٣، هذا الذي نقله صاحب البغية عن الأدباء، يوجد في الجزء السابع منه المطبوع آنفاً.

مـن يُـبـاريـك والـبـيـاذق فـي كـفّـ ـك يَـغْـلِـبْـن كـلّ رُخّ وفـيـل
تـصرع الـشاةَ[١] فـي الـمَجال ولوجا ء مـرذّى بـالـتـاج والإكـلـيـل
أنت فوق الصُّوليّ[٢] وفي هذه الخَلْـ ـة مُـزْرٍ فـي غـيـرهـا بـالـخـلـيـل

ومن ل في الدنيا:

فـي بُـقـعـة مـن رُقـعَـة يَـسَّـرت لـلـبـيـذق الـفـتـكَ بـفـرزانـهـا
إن لـم تُـحَـوَّل فـرازيـنـا بـيـاذقُـهـم فـالـشـاة فـيـل وذاك الـفـيـل فـرزان

قال الصفدي[٣]: وقد رأيت أنا غير مرة بالديار المصرية شخصاً متجنداً يعرف بعلاء الدين بن قيران وهو أعمى يلعب بالشُّطْرَنْج مع العوالي ويحطُّهم ويغلبهم وما راعني فيه إلا أنه يقعد ويتحدّث وينشد لنا الأشعار إلى آخر ما حكى من أمره ثم قال: «وهذا غريب وهو مشهور بالقاهرة لا يكاد يجهله من يلعب بالشطرنج» ثم ذكر رجالاً يلعبون وهم غُيَّبٌ أو على عِدَّة رِقاع في وقت. وظني أن صاحبنا أضرب عنه فيما زهد فيه من زهرات هذه الحياة على أنه يشدّد الإنكار على من يضيع ساعة من عمره فيما لا يعنيه.

والظاهر أنه لم يكن يعرفُ غير العربية من اللغات إلا أن واعيته البديعة حفظت له كل ما مرّ بسمعه من كلمات غير العربية فنراه يَنْفُثُ بها نفثاً قال:

لا يُبْصِر القومُ في مَغْناك غِسْل يد على الطعام إلى أن يُرفع السُّوْرُ
إذا قـيـل لـك اخـش الله مـولاك فـقـل آرا!

والسور دعوة الوليمة وكل سُرور. وآرا نعم. وكلاهما من الفارسية[٤]:

فـيـا قَسّ وقُـعْ بـرزق الـخـطـيـ ـب وانـظـر بـمـسـجـدنـا يـا مُـنَـشْ

قالوا هو الناظر بالعبرية:

وقـفـتَ عـلـى كـل بـاب رأيـت حـتـى نـهـاك أبـو ضـابـط

قالوا: هو كنية الموت بالحَبَشِيَّة.

وأما طلبه فقد انقضى قبل بلوغه عشرين سنة كما صرّح بنفسه وصدع به في[٥] ر

(١) بالهاء بدون النقطتين.
(٢) في التنوير هو أبو إسحاق ولعل هذا وهم فالمعروف به في الناس أبو بكر الصولي الشطرنجي صاحب أدب الكاتب.
(٣) الغيث ٢: ٥١.
(٤) وذكر في الغفران لفظ الباسنة والجمع بواسن بمعنى الإناء ١٦٩ وهي هندية فيما أحسب.
(٥) ص: ٣٢.

له إلى خاله أبي القاسم: «وانصرفت (عن بغداد) وماء وجهي في سقاء غير سَرِبٍ ـ ما أرقت منه قطرة في طلب أدب ولا مال. ومنذ[1] فارقت العشرين من العمر ما حَدَّثتْ نفسي باجتداء علم من عراقيّ ولا شآم». ولم يتكثر بالشيوخ والانتساب إليهم قبل العشرين أيضاً. ونقل القفطي[2] عن التبريزي أنه لما قرأ عليه إصلاح المنطق طالَبه بالسند فقال له: إن كنت تريد العلم فخذه عني ولا تَعْذُني وإن كنت تريد الرواية فاطلبها عند غيري. قال القفطي: فهذا يدلّ على أن أبا العلاء كان يثق بنفسه ويعتقد أنه أدرك اللغة وإنها في عصره لأنضج منها في عصر ابن السكّيت. أقول: وكأن أبا الفداء لاحظ هذا المعنى حيث قال: لم يتلمّذ أبو العلاء لأحد أصلاً. على أن الملك المؤيّد رحمه الله وهو بَلَدِيُّه لم يمنحه استياءً بإلحاده كبيرَ جانبٍ من الالتفات. فتراه يأتي[3] في ذكره وهو نحو تسعة أسطر بالأقوال المرغوب عنها.

هذا وفي الضرام أنه تلمّذ على عبد الوهاب بن نصر المالكي [والظاهر ببغداد أو بعد الرجوع] الذي أرسل إليه أبو العلاء ثلاثين درهماً مع قطعة[4] في الاعتذار وذكرِه في أخرى[5] إلى التنوخي الصغير أيضاً ـ ولعلّه اغترّ بقوله في الأولى:

وما أنا إلا قطرة من سحابة ... ولو أنني صنّفتُ ألف كتاب

وفي «الإسعاف»[6] «كالبُغية»[7]: أنه سمع من عبد السلام بن الحسين البصري [ببغداد] ولعله اغترّ برواية المعري عنه بلفظ «حدَّثني» حكايةً[8] جرت في مجلس السيرافي وكانت سبباً لتجرُّد ابن السيرافي يوسفَ في طلب العلم. ولكن فيها «وكان لي صديقاً صدوقاً» ولا يقال مثل هذا في الشيوخ، فكلا الرجلين إمّا غالط أو مغالَطٌ. وكان الرجل أعمى لا يستطيع أن يقرأ بنفسه شيئاً. فإن قرأ له أحد أو ذاكره بشيء لا يتدرج إلى استاذيته وإلا فجُملة تلامذته أساتذة له. نعم إن عبد السلام كان أسنَّ منه ونذكره في رحلة بغداد.

---

(١) وأما مرجليوث وكل من قلده من أبناء جلدته ففهم أنه لم يطلب العلم ولا المال بعد العشرين وهذا لا يصح فإنه لم يطلب المال قبل العشرين أيضاً كما هو ظاهر من العبارة.

(٢) (ذ): ٣٠٤.

(٣) ٢: ١٧٦. وقال ابن الوردي في مختصر أبي الفداء وقد طالت هذه الترجمة فإني رأيت المؤلف (أبا الفداء) سامحه الله غض من الشيخ فأحببت أن أنبه على ذلك ا هـ.

(٤) س ٢: ١٣٨ و١٣٩. (٥) س ٢: ١٤٠.

(٦) في شرح أبيات الكشاف للخضر الموصلي ١٦٣ من نسخة حيدر آباد. وقد زاد ضغثا على إبالة حتى سماه عبد الله ا هـ.

(٧) ١٣٦.

(٨) الوفيات ٢: ٣٥٠.

بمهْ ذكر هاتيك العلوم، في اللزوم
النحو واللغة والعروض

تولّى سيبويهِ وجاش سِيْبٌ[١] ... من الأيام فاختلّ الخليلُ
ويونس أوحشت منه المغاني ... وغيرُ مُصابه النبأُ الجليل
أتت عِلَلُ المنون فما بَكاهم ... من اللفظ الصحيحُ أو العليلُ
ولو أن الكلام يُحِسُّ شيئاً ... لكان له وراءهم أليل
ودَلّتهم[٢] إلى حُفَر إيادٍ ... لنا بورودها وضح الدليل
أصاب الأخفشين[٣] بصيرُ خَطْب ... أعاد الأعشَيَينِ[٤] بلا جِوار
وغِيْلَ المازنيُّ من الليالي ... بزَنْد من خطوب الدهر وار
وللجرْميِّ[٥] ما اجترمتْ يداه ... وحَسْبُك من فلاح أو بَوار
فأما فَرْخُه[٦] فبلا جَناح ... يطير بحمل أثقال جوار

ثم بعد وصف الفرخ في ٧ أبيات:

وما نقع[٧] المبرَّدَ من حميم ... وصادت ثعلباً نُوَبٌ ضوارِ
أرى ابن[٨] أبي إسحاق أسحقه الردى ... وأدرك عُمْرُ الدهر نفسَ أبي عمرو[٩]
تَباهَوا بأمر صَيَّرُوه مكاسبا ... فعاد عليهم بالخسيس من الأمر[١٠]

---

(١) مجرى الماء والنهر.

(٢) من التدلية.

(٣) الأكبر والأوسط أي أبو الخطاب أستاذ سيبويه وتلميذه أبو الحسن سعيد بن مسعدة.

(٤) أعشى قيس الأكبر ميمون بن قيس وأعشى باهلة عامر بن الحرث.

(٥) صالح بن إسحاق مولى جرم بن زبان المتوفى سنة ٢٢٥هـ بغية: ٢٦٨.

(٦) كتاب للجرمي في النحو - ابن النديم ص: ٥٧.

(٧) في الأصل: نفع بالفاء مصحفاً.

(٨) أبو بحر عبد الله من متقدمي النحاة توفي سنة ١١٧هـ.

(٩) ابن العلاء معاصر ابن أبي إسحاق توفي سنة ١٥٤هـ.

(١٠) وبعده:

بكسوة برد أو بإعطاء بلغة ... من العيش لاجم العطاء ولا غمر
ولم يصنعوا شيئاً ولكن تنازعوا ... أباطيل تضحى مثل هامدة الجمر

تخيّلٌ من بني الدنيا غداً عجباً للمفكرين وكل الناس محسور
كأن إعراب أعراب ثووْا زمناً بالدَّوّ فينا بحكم النحو مأسور
فناطقٌ يسكنُ الأمصار من عجم نطْقَ ابن بيداء لمَّا يحْوِهِ سُورُ
وناظم لعروض الشعر عن عُرُض وما يُحسُّ بأن البيت مكسور
ومغتدٍ بحبال الصيد يَنْصِبُها كيما يَفيءَ له من ذاك ميسور
لا تقطع الحين مغتاباً لغافلة من النفوس ولا تجلس إلى السَّمَر
تَوَخّ نقل أبي زيد وكُتْبَ أبي[1] عمرو وخَلّ كلاماً في أبي عُمَر[2]

التجويد

صار الكتاب أغانيَّ الغواة لهم به أغانيُّ في حم والزُّمَرِ
صلُّوا به، ثم ضَلُّوا في مظالمهم مثل السيوف على المستأنِس القمرِ
تلا كتاب الله من حفظه من هو بالكأس مليءٌ حِفيْ
كأنه من سوء أفعاله يبذّ الخمر على المصحف
خُمساً وعُشراً أجادوا في قراءتهم ووَفّروا المال من خُمس ومن عُشُر

وانظر كلامه في النظرة في باقي العلوم.

ابن خالويه وأصحابه وآل حمدان

ملوك آل حمدان كانوا في جَلْب العلماء؛ والرغبة في الأدب والأدباء، بحيث سار بأخبارهم الركبان، وطار طائر صيتهم في أقاصي البُلدان. كانوا يرتاحون للندى، ويُزيلون من محروفي العلم الصَّدَى. فاجتمع ببابهم، وانضوى بجنابهم، ومال إلى حضرتهم، ورغب في كنَفهم وناحيتهم، من جِلّة الشعراء وجهابذة الفضلاء، ما صاروا محسودين به بين ملوك الأطراف وأُحدوثةً في السامر والألآف. وهذا كبش ملوك الطوائف وفحلهم فَنّا خُسرو جلب من حلب أبا علي الفَسَوي، حتى مال إلى حضرته وضَوي. وهذا أبو الطيب لم ير لمدحه محلاً صالحاً بعد سيف الدولة إلا عضد الدولة. ولم ينتثر نظامِ وُفوده، ولا سِلْك عقوده، إلا بعد نكبات الروميين بالشام، ومُصابهم ببلاد الإسلام بمِحَن وآلام. ولا نجد في تاريخ المسلمين على سعته في الصَّقَب والبَعَد، ولا في جرائد أخبارهم على طول الأمد، ممدَّحاً شَرْواه، وممَلَّكاً يجري

(١) ابن العلاء أو إسحاق بن مرار الشيباني.
(٢) الزاهد غلام ثعلب اتهم بوضع اللغة من جهة سوء حفظه والمحدثون يوثقونه ـ انظر النزهة وأدباء.

مجراه. في إسناء الجوائز والصِّلات، وإعطاء اللُّهَى بعد اللهى على عَوادٍ من الدهر الخؤون وهَناتٍ. وكان[١] المتنبي لمّا عوتب في آخر أيامه على تراجع شعره قال: قد تجوّزت في قولي واغتنمتُ الراحة منذ فارقت آل حَمْدان. وهذا شاعر أفخم ملوك الطوائف بالأَنْدَلُس لمّا رأى صاحبه يتمثل ببيت من شعر شاعر سيف الدولة قال:

لئن جاد شعرُ ابن الحسين فإنّما ... بجود العطايا واللُّها تفتح اللُّها

تَنَبَّأ عُجْباً بالقريض ولو درى ... بأنك تروي شعره لتَأَلَّها

على أن كلهم أو جلهم شعراء وصيارفة الشعر وجهابذته. فسيف الدولة شاعرٌ أيّ شاعر وكذلك أبو فراس[٢] الذي قيل فيه على قولٍ: «بُدىء الشعر بملك وخُتم بملك» يعنون آمرأ القيس وإياه. وقد أطنب الثعالبي في ترجمته وإيرادِ غُرَر شعره وأسهب. والحق أنه أرقصُ وأطرب. ومنهم ثم من مُعاصري صاحبنا أبو المطاع ذو القرنين بن ناصر الدولة ترجم له الثعالبي في اليتيمة وتتمتها. وأورد أكثر شعراء حضرة سيف الدولة وناهيك به وببيانه، فقد تسلسل دُرّ بنانه، وعِقدُ جُمانه، فراجع كتابَيْه، وإنما نتطرّف ببعض ما وجدناه عند غيره.

وهذا لفظ[٣] محمد بن حسن الحاتمي في كتاب الهِلْباجة: «وقد خدمتُ سيف الدولة ـ وأنا ابن ١٩ سنة تميل بي سِنة الصبا وتنقاد بي أريحية الشباب ـ بهذا العلم، وكان كَلِفاً به عَلِقاً عَلاقةَ المُغْرَم بأهله منقّباً عن أسراره. ووَزَنْتُ في مجلسه ـ تكرمةً وإدناءً وتسويةً في الرتبة ولم تُسْفر خَدّاي[٤] عن عِذاريهما ـ بأبي عليّ الفارسيّ وهو فارس العربية وحائز قَصَب السبق فيها منذ أربعين سنة، وبأبي عبد الله بن خالويه وكان له السهم الفائز في علوم العربية تصرّفاً في أنواعه، وتوسعاً في معرفة قواعده وأوضاعه، وبأبي الطيّب اللغويّ وكان كما قيل: حتفَ الكلمة الشَّرود حفظاً وتيقّظاً (ثم أورد أبياتاً له في مدح سيف الدولة ثم رسالة مخاطبة جرت بينه وبين المتنبي).

وعمدة الباب العلاّمة اللغويّ ابن خالويه أبو عبد الله الحسين بن أحمد رُحْلة الشام فقد أقام بحلب إقامةَ لا ظاعنٍ في بَعَدٍ أو كَثَبٍ. ودَّع بلده هَمَذانَ، وفارق الأوطان، وخيم بحلب إذ وجد الجنابَ مُخْضَلاً، فأهلاً به وسهلاً لا مجتوياً ولا مجفوّاً

(١) البديعي ١: ٨٧.

(٢) وبحسبك في فضله وإحراز خصله حكاية ادعائه السرقة في بيت من ميمية المتنبيء في عتاب سيف الدولة انظرها عند البديعي ١: ٦٧.

(٣) أدباء ٦: ٥٠٣.

(٤) في الأصل حذاي مصحفاً.

مُهْمَلاً. قال الثعالبي[١] وابن خلكان: وصار بها أحد أفراد الدهر في كل قسم من أقسام الأدب. وكانت إليه الرحلة من الآفاق. وآل حمدان يكرمونه ويدرسون عليه ويقتبسون منه. وهو القائل دخلت يوماً على سيف الدولة فلما مثلت بين يديه قال لي: اقعدْ ولم يقل اجلِس. فتبينتُ بذلك اعتلاقه بأهداب الأدب. يعني لأن المختار أن يقال للقائم: اقعد، وللنائم والساجد: اجلس ذهاباً إلى أصلهما من الاشتقاق. وكان درس على أبي عُمَرَ الزاهد وأبي بكر ابن الأنباري وابن دُريد ونِفْطُوَيْهْ. وروى مثله ياقوت في الأدباء ٤: ٥ عن أمالي ابن خالويه قال سأل الخ. وفي البغية[٢]: رأيت في تاريخ حلب لابن العديم بخطّه قال: رأيت في جزء من أماليّ ابن خالويه سأل سيف الدولة جماعة من العلماء بحضرته ذات ليلة هل تعرفون اسماً ممدوداً وجمعه مقصور؟ فقالوا: لا. فقال لابن خالويه: ما تقول أنت؟ قلتُ: أنا أعرف اسمين. قال: ما هما؟ قلت: لا أقول لك إلا بألف درهم لئلا تؤخَذَ بلا شكر وهما صحراء وصحارى وعذراء وعذارى. فلما كان بعد شهر أصبت حرفين آخرين ذكرهما الجَرْميّ في كتاب التنبيه وهما صَلفاء وصَلافى وهي الأرض الغليظة وخَبراء وخَبارَى وهي أرض فيها نُدوّة ثم بعد عشرين سنة وجدت حرفاً خامساً ذكره ابن دريد في «الجمهرة» وهي سَبْتاء وَسباتَى وهي الأرض الخشنة ا هـ. أقول: ولكنه زاد في (كتاب[٣] ليس) له: ثلاثة أحرف أخرى وهي وحُفاء ووحافى أرض فيها حجارة ونَبْخاء ونباخى ونَفْخاء ونفاخى ا هـ. ومات سيف الدولة سنة ٣٥٦هـ. ولم يَرِم ابن خالويه من حلب حتى لقي قضاءه المحتوم، وأجله المرقوم، سنة ٣٧٠هـ أي حين بلغ صاحبنا ثمانية أعوام غير أشهر فلم يتمكّن من الاقتباس من شموسه، أو الاستفادة من دروسه. ولكنه خَلَّفَ أصحاباً وتلامذةً أنجاباً. أخذ عنهم صاحبنا في حلب وغيرها من أمّهات بلاد الشام. وذكر منهم أبا القاسم المبارك بن عبد العزيز في ر له إلى النُّكتيّ: والأسف أن الرجلين لم يتعرّفا لي بعدُ مع طول التنقيب. وكان بين أبي العلاء وبين ولد ابن خالويه صداقة ومهاداة فأرسل إليه كتاباً ثبت عليه خط سماعه فأجابه أبو العلاء بقطعة لامية وانظر الملحوظة على ص ٢٨١. وصاحبنا يذكر ابن خالويه بكلّ أدب، ويصف بحر علمه الزاخر ذا التيّار والعَبَب، ويصبو إليه وإلى ذكره، صَبْوَة الواله إلى بكره. جرى ذكره في الغفران[٤] بما نصُّه (قال في ابن القارح): «وجلس لهم في بعض المساجد بحلب حرسها الله فإنها من بعد أبي عبد الله بن خالويه عَطلت من خلخال وسِوار، ونارت من الأدب أشدّ النّوار». وكان ابن القارح[٥] كتب إليه في شأن حفظه ما نصّه بعدما مرّ ذكره في فصل الحفظ. «حدثني أبو عليّ الصِّقِلّيُّ بدمشق قال: كنتُ في مجلس ابن خالويه إذ وردت عليه من سيف الدولة مسائل تتعلق باللغة فاضطرب لها ودخل خِزانته وأخرج

(١) اليتيمة ١: ٧٦ وقوله ينتهي على: «يقتبسون منه» والباقي من الوفيات ١: ١٥٧.
(٢) ٢٣٢. (٣) مصر: ٢٠.
(٤) ١٧٨. (٥) رسالته: ٢١١.

كتب اللغة وفرّقها على أصحابه يفتّشونها ليجيب عنها وتركته، وذهبت إلى أبي الطيب اللغويّ وهو جالس، وقد وردت عليه تلك المسائل بعينها وبيده قلم الحُمرة فأجاب به ولم يغيره قدرةً على الجواب. وقال أبو الطيب قرأت على أبي عمر [الزاهد غلام ثعلب] الفصيحَ وإصلاح المنطق حفظاً ا هـ فأجاب عنه في الغفران[١]: «وأما أبو عبد الله بن خَالويه وإحضاره للبحث النُسخ. فإنه ما عجز ولا أنسخ (أي نَسِيَ) ولكن الحازم يريد استظهاراً، ويزيد على الشهادة الثانية ظِهاراً.

أرى الحاجات عند أبي خُبيب نَكِدن ولا أُمَيَّةُ بالبلاد

أين كأبي عبد الله؟ لقد عَدِمه الشام، فكان كمكّة إذ فُقد هشام[٢] لأن الشاعر رثاه فقال:

أصبح بطنُ مكّة مقشعِرّا كأن الأرض ليس بها هشام

(مع بيتين يتلوانه) وأبو الطيب اللغوي اسمه عبد الواحد بن عليّ، له كتاب في الإتْباع صغير على حروف المعجم في أيدي البغداديين. وله كتاب يعرف بكتاب الإبدال قد نحا فيه نحو كتاب يعقوب في القلب. وكتاب يعرف بشجر الدُّرّ سلك به مسلك أبي عمرو[٣] (؟) في المداخل. وكتاب في الفَرْق قد أكثر فيه وأسهب ولا شكَّ أنه ضاع كثير من كتبه وتصنيفاته لأن الروم قتلوه وأباه في فتح حلب وكان ابن خالويه يلقبهُ قُرموطة الكَبَرْتَل يريد دحروجة الجبل لأنه كان قصيراً» إلى آخر ما ترجمه به وإنما طوَّلتُ لأنّي لم أر لأبي الطيب صاحب مراتب النحويين[٤] ترجمة أوفى من ترجمة صاحبنا. وهذا كله يدل على أن الذين فاقوه في لقاء متقدمي الشيوخ كانوا يعدّونه من بينهم أو أفضل، وأعلى منهم كعباً وأمثل. وكان ابن القارح تلميذ ابن خالويه وأبي علي وأبي سعيد والرُّماني والمرزباني وغيرهم كما صرّح بنفسه في رسالته[٥]. وهذا النُكَتي يكاتبه صاحبنا مكاتبة الأقران للأقران، ويجري معه في الرّهان، طَلْقَ الجموح ومطلَقَ العنان. بل يأخذ عليه بعض ما سبق به قلمه أودعته إليه الضرورة الشعرية ولا يتحاشى من ذلك ولا يتحرَّج، وهو ممن على أقران ابن خالويه تَخَرَّجَ.

(١) ١٩١.

(٢) ابن المغيرة سيد مخزوم ريحانة قريش. وعزا ابن أبي الحديد هذا البيت في ٤: ٢٩٣ إلى عبد الله بن ثور الخفاجي وفي ٢٩٧ إلى الحرث بن أمية الصعري (؟ الضمري).

(٣) كذا غلطا والصواب: حذف الواو وهو الزاهد المطرز غلام ثعلب، له كتاب بهذا الاسم. بغية: ٧٠.

(٤) بقي منه نسخة بخزانة العلامة الجليل أحمد تيمور باشا حفظه الله تعالى.

(٥) ٢٠٨.

ومن أصحاب ابن خالويه غير من مرّ أبو علي الحسن[١] بن علي الشيزري وأبو بكر الخوارزميّ[٢] وعبد المنعم بن غليون[٣] والحسن بن سليمان[٤] إلى غيرهم.

وفاة والده

وبينما كان يشتغل بالتعلم إذا فَجِئَه وفاة والده الحدِب عبد الله. وكان مات بحِمْصَ سنة ٣٧٧هـ ليلاً[٥]. أي حين ناهز صاحبنا ١٥ عاماً من عمره[٦]. فرثاه وذكر أنه كان شاعراً كإخوانه وأبنائه وأسلافه، كما في الضرام ومعجم الأدباء ـ قال. س:

أمولى القوافي كم أراك انقيادُها ... لكَ الفصحاءَ العُربَ كالعَجَم اللُّكْن

ويدلّ شعره هذا على أنه كان يحنو عليه، وكان طاهر الذيل ديِّناً وَقوراً لبيباً صَموتاً حسن السَّمْت مرضيّ الطريقة. ولسنا نتعرض لتهجين[٧] هذا الشعر لأنه شعر الصبا. والقصيدة جيدة تُنبىءُ عن بنات الصدر، وتنُمّ بما سيكون له من الخَطَر والقَدْر، في قَرْض الشعر. وإني لأعجب ممن يضعّف كل بيت منه من جهة الصنعة من اعترافه بأنه شعر رجل أوتي الحُكْم صبياً، وخُلق ألمعيّاً ذكيّاً. وهذه التأبينة تدل على أنه زهد في الدنيا ورغب عنها ورأى كل حلوها مُرّاً مَقِراً، وكان صفوها كَدِراً. وفيه تقوية لقول القفطي والذهبيّ[٨] أن شعره في الصِّبا يَنُمُّ عن بعض ما تعلمه بأنطاكية واللاذقيّة على ما سيأتي فمن ذلك قوله. س[٩]:

جهلنا فلم نعلم على الحرص ما الذي ... يراد بنا، والعلم لله ذي المنّ

إذا غُيِّب المرء استسَرَّ حديثه ... ولم يُخْبر الأفكار عنه بما يُغْني

---

(١) ترجم له ابن عساكر ٤: ٣٣٦.

(٢) نزهة: ٣٨٤.

(٣) الشافعية ٢: ٢١٢. وفي البغية ٢٣٢ عبد المنعم بن عبيد الله وانظر.

(٤) بغية: ٢٣٢.

(٥) كما في مرثيته وفي الضرام.

(٦) لا ١٤ كما زعم غير واحد منهم صاحب (ذ): ١٤٨.

(٧) كما فعله صاحب ذ ١٤٥ ـ وفي س كثير من قصائد صباه وبعضها أقدم من هذه القصيدة. ولعله يصعب عليه أن يهجنها مع أنه ليس ثمة دليل على أن هذه قيلت بعد الوفاة متصلاً على أن الوجوه التي أبانها مستبشعة ليس وراءها ما يهم. وعلى أن له من الشعر قبل ١٥ عاماً من عمره ما لا يمكنه أن يستخرج فيه ما يغض به منه إذ ذاك. وانظر: «شعر صباه».

(٨) (ذ): ١٤٥ والعجب من صاحبها حيث يقول بعد نقل قولهما: «ولكنهما لم يرويا شيئاً من هذا الشعر» هذا وقد أتينا بشعره في المعنى.

(٩) ١: ١٩٥.

وانظر في النظرة: «أتى الدنيا كَرْهاً وفارقها كذلك» وما يجاوره. ثم يقول في أصحاب القبور المجاورة لأبيه:

طلبتُ يقيناً يا جُهينة عنهم ولم تخبريني يا جُهَيْنَ سوى الظنّ

وذكره ببغداد متناسياً[١] س:

نسيتُ أبي كما نَسيت ركابي وتلك الخيلُ أعوجَ والجَديلا

رحلته إلى بلاد الشام
وتشتت آرائه وزهده في ملاذ الحياة

ليس بأيدينا ما يدل على تعيين سَنَتها إلاّ أنّا رأينا أن الرجل لم يكن يحتاج إليها ووالده حيّ وعمره قصيرٌ - أما رحْلته إلى حلب فقد ذكرها في قصيدة له[٢] إلى أبي إبراهيم محمد بن إسحاق العلويّ الحلبي. س:

ليت التحمّل عن ذَراك حُلول والسيرَ عن حلب إليك رحيل

وهو الذي[٣] رثاه وقد مات بحلب بقصيدة آخرها:

لعلك في يوم القيامة ذاكري فتسأل ربّي أن يخفّف من إثمي

ولعله كان يتردد إليه بحلب إذ أقام بها عند أخواله. وكان أبو إبراهيم ضرب من قرض الشعر بنصيب. فأنفذ إليه نونية أجاب عنها صاحبنا بمثلها[٤]. وله أخ شاعر يدعى أبا إبراهيم[٥] موسى بن إسحاق أجاب صاحبنا[٦] عن حائية له. هكذا علمنا إذ ذاك من نسخ السقط الحاضرة ثم وذكر في الغفران عدة من أمرائها وحوادثها ورجالها[٧].

(١) ٢ : ٢.

(٢) ١ : ١٨٣ وفي العنوان اسمه: إبراهيم وهو مصحف عن أبي إبراهيم. وانظر في المتن: ١٨٤ حيث ورد اسمه محمد.

(٣) س ١ : ٢٠١. قال صدر الأفاضل هذا البيت يشهد لقائله بصفاء الاعتقاد وحسن الإيمان وفي (ذ): ٢٦ أن أبا العلاء لم يسم المرثي في الديوان ولم يدلنا عليه التاريخ وهذا لا يصح فإن اسم المرثي ورد في العنوان وفي القصيدة نفسها مرتين؟

(٤) ١ : ٩٠ ورد هنا في اسمه في العنوان أبو إبراهيم بن إسحاق وفي نسخة أبو إبراهيم فقط والصواب محمد. انظر بيتاً له ص: ٩٥.

(٥) وكذا وردت هذه الكنية للأخوين وورد اسمه موسى في متن س ١ : ٦٤.

(٦) س ١ : ٥٦.

(٧) عبد المنعم قاضيها أيام شبل الدولة ٥٨ الأمير أبو المرجى: ٦١ طهاتها: ٦٥ الزاهدة حمدونة الحلبية: ٧٣. قتل والي حلب أبا جوف: ١٦٩ وابن عساكر ٣: ٤١٨ ابن القارح بحلب: ١٧١.

قال القفطيّ[١] والذهبي: إنه بعد أخذه عن علماء بلاده رحل إلى طرابُلس وكانت بها خزائن كتب موقوفة فاجتاز باللاذقيّة ونزل ديراً كان به راهب له علم بأقاويل الفلاسفة فسمع أبو العلاء كلامه فحصل له به شكوك ولم يكن عنده ما يرفع به ذلك فحصل له بعض الخِلال[٢] وأودع من ذلك بعض شعره فمنهم من يقول: ارعوى وتاب واستغفر اهـ، ومثله عند الصفديّ[٣] والسيوطيّ والعبّاسيّ. ولا نستبعد[٤] أصلاً أن يستغوي راهب ـ قد أكل الدهرُ عليه وشَرِب ـ ناشئاً غرّاً هَمُّ أترابه في اللهو واللّعِب. وكانت اللاذقية إذ ذاك بيد الروم بها قاض وخطيب وجامع لعُبَّاد المسلمين إذا أذّنوا ضرب الروم النواقيس[٥] كياداً لهم ويُنْحَلُ له شعر في المعنى انظره في الحاء من الفائت. وحَدَّث في الغفران[٦] حكايتين في أبي الطيّب وبدء أمره لما كان بديوانها، إحداهما عن رجل منها كان أبو الطيب استخفى عنده. وأما خزانة طرابلس فقد قال ابن العديم: «قد ذكر بعض المصنّفين أن أبا العلاء رحل إلى دار العلم بطرابلس للنظر في كتبها واشتبه عليه ذلك بدار العلم ببغداد ولم يكن بطرابلس دار علم في أيام أبي العلاء، وإنما جدد دار العلم بها القاضي جلال الملك أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن عمَّار سنة ٤٧٣هـ وكان أبو العلاء مات سنة ٤٤٩هـ ووقف ابن عمار بها من تصانيف أبي العلاء الصاهل والسجع السلطاني والفصول والسادن وإقليد الغايات الإغريض» اهـ أقول: وكانت الخزانة[٧] إحدى عجائب الدنيا ولكن أحرقها الفرنج سنة ٥٠٣هـ.

---

(١) (ذ): ١٦٥، وذهبي: ١٢٩.

(٢) ومر لنا ذكر شعره في الباب من س.

(٣) نكت: ١٠٣، بغية: ١٣٦ ومعاً ١: ٤٩.

(٤) كمرجليوث، فإنه ارتاب من وقوعه زعماً منه أن الأعراب ينسبون إلى الرهبان كل سوأة سوآء واخترع لدخول الشكوك في عقيدة أبي العلاء وجهاً لا يرتضيه كل من له أدنى مسكة وهو أن الذي حذا صاحبنا حذوه من الشعراء هو المتنبيء وكان لا يذكر الأنبياء بالتبجيل اهـ. وظلم منه أن يقيسه بالمتنبي وهو لم يقتد به في التملق للمُمَدَّحين ولا في غيره من الأمور. وبينهما في الآراء والأفكار بون ليس بهين فكيف القياس مع الفارق. وحبه للمتنبي ليس إلا من جهة إقامته بوطن أبي العلاء كما كان يحب ابن خالويه وأبا الطيب اللغوي وغيرهما من علماء حلب دون الفارسي مع أن منزلته مما لا يجهله اثنان.

(٥) انظر رسالة ابن بطلان في الحكماء للقفطي مصر: ١٩٥.

(٦) ١٣٦، وشعره في اللاذقية الذي ألمعنا إليه بما يقوي المعنى، على أن القفطي:

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام

(٧) وكانت تسمى دار العلم وكان بها ثلاثة آلاف ألف ألف (؟) كتاب وخمسون ألف مصحف وعشرون ألف تفسير وقال الشيخ يحيى بن أبي علي حميد النجار الحلبي لم يكن في جميع البلاد مثلها كثرة وحسناً وجودة. وانظر ما نشر من تاريخ ابن الفرات في الزهراء ص: ١١٠ سنة ١٣٤٤هـ.

وأما رحلته إلى أَنطاكِيَةَ (وتملكها الروم[١] ٣٥٣ ـ ٤٧٧ أي مدة حياة أبي العلاء وقُبيلها وبُعيدها ثم استردّها منهم السلاجقة) فقد مرّ ذكرها في حكاية أسامة في فصل الحفظ ـ ولم أر أحداً من أصحاب التراجم ذكرها ـ ولكن شعر ل يشهد لها قال:

لا ينزلن بأَنْطاكِيَةٍ[٢] ورَعٌ   كم حَلَّل الدين عَقْدٌ للزنانير
بها مُدام كذَوْب التِّبر تَمْزُجُه   للشاربين وجوه كالدنانير
بيض لوابس ديباج حمدتُ لها   سُودَ الإماء وشعري الصنابير

وعندنا ما يَعْضُد قول القفطي والذهبي وهو أنه نقل عن كتاب بدء الخلق من كتب التوراة في الغفران[٣]. قال وذكر من نظر في كتاب المبتدأ حديث طالوت لما أمر ابنته ـ وهي امرأة داود عليه السلام ـ أن تُدخله عليه وهو نائم، فجعلت له في فراش داود زِقَّ خمر ودسّته عليه وضربه بالسيف وسالت الخمر فظنّ أنها الدم ـ فأدركه الأسف والندَم، فأومأ بالسيف ليقتل نفسه ومعه ابنته فأمسكت يده وحدثته ما فعلته فشكرها على ذلك ا هـ. ولا يُستغرب إن قلنا: إنه أحال على غيره من ناظري الكتاب، تنصّلاً من القذف بالإلحاد أو الارتياب. على أن الرجل أعمى لا ينظر. أي إنَّ صنيعه هذا أحد الملاحن والمعاذير وهي في الناس تكثر. واستعماله كلمة عبريّة وأخرى حبشية على ما مر يشهد لمخالطته بالقوم بالبلدتين النصرانيّتين وهذا على كثير من عاداتهم وأخلاقهم التي ألمّ بها في ل وراجع النظرة.

وقال الحافظ ابن حجر[٤]: إنه مكث بصنعاء سنة لا يأكل اللحم ا هـ، أقول: ولعله يريد قبل رحلته إلى بغداد فإنه بعد الرحلة لم يختص بتركه في موطن دون آخر على أن أحداً من مترجميه لم ينقل عنه رحلة بعد الرجوع منها ـ والصواب أن بدء زهده في ملاذّ هذه الحياة: من ترك اللحم والاقتناع بالنبات، وصوم الدهر ـ غير إفطار العيدين ـ بعد هذه الرحلة بأعوام. وكذا معرفته بالفلسفة وعلوم الأوائل واختلاف أرباب الديانات والمِلل فكلّه في هذه المدّة. وأما المقالات الإسلامية والنِّحل، وعلوم أصول الدين والجَدَل، فإنه تعرّف بها على ما هو الظاهر ببغداد، إذ كانت مخيَّم المعتزلة والمتكلمين والمَراد. وهذه لُمَعٌ من كلامه تشير إلى مرامه. قال في ر[٥] إلى داعي الدعاة: «وقد سمع العبد الضعيف من اختلاف القدماء ثم أطالَ في ترتيب قضيته

(١) بلدان رسم أنطاكية.
(٢) وانظر لتحقيق لفظها، الغفران: ١٩٠ واللفظة مخففة الياء وشددها كامرىء القيس وزهير.
(٣) ١٨٠.
(٤) اللسان ١: ٢٠٤.
(٥) أدباء ١: ١٩٩ و٢٠٠.

واستنتاجها في أن الله (والعياذ به) لا يريد الخير ـ ثم قال: فلما بلغ العبدَ الضعيفَ العاجز اختلافُ الأقوال وبلغ ثلاثين عاماً (أي بدء سنة ٣٩٣هـ) سأل ربه إنعاماً ورزقه صوم الدهر. فلم يُفْطر في السنة ولا الشهر، إلاّ في العيدين، وصبر على توالي الجديدَيْن وظَنَّ اقتناعَه بالنبات، يُثبت له جميلَ العافية» ثم أتى بما يُستَبشَع ذكره ويستشبع نشره مما يَرْمي إلى المُروق. وأنّ فُتوقَ دينه كما قالوا: ليس لها من رتُوق. وقال في أخرى[(١)] إليه: «إنه اجتنب عن اللحم ٤٥سنة» ولا نسلّم قول[(٢)] ابن الهَبّارية إنه توفّي بعد إرسال آخر إلى الداعي متّصلاً فإن كلام أبي العلاء يكذّبه، والمرء يصدَّق فيما يروي عن نفسه. ومما يشهد له قوله. س[(٣)]:

جَنَيْتُ ذنباً وألـهَى خاطِري وَسَنٌ　　عشرين حولاً فلما نَبّه اعتذرا

إلا أن رأيه هذا كان فجّاً بعدُ لم ينضج إلاّ ببغداد. فإنه تم له بعد الرجوع منها ما أراد كما قال في. ل:

تنسّكتَ بعد الأربعين ضرورة　　ولم يبق إلاّ أن تقوم الصوارخ

أني رقدت فعُمْتُ في لُجَجِ المُنَى　　ثم انتبهتُ فعادني أقصارُ

ولم ينقل أحد عنه أنه رَدّ شيئاً من لذائذ الدنيا مباحاً، ومن رغائبها طِلْقاً حَلالاً أيّام إقامته بها. فأَحْرِبنا أن نَعِدَ القرّاء بفُرصة أخرى، وزَوْرَة تُثَنّى.

بضاعته
وعسره أو يسره

وحصلتُ من وِرقٍ على وَرَق　　بيض يَشُقّ متونها الحبرُ

الذي يجزَمُ به في الباب، ويُعتقَدُ حقّاً لا مرية تتطرّق إليه ولا ارتياب، أنه لم يرث من أبيه كبير طائل، أو خطير نائل. وصدع الرجل في ر[(٤)] إلى الداعي أن الذي له في السنة نَيّف وعشرون ديناراً يشرك فيها خادمه (قَنْبَر أو غيره) ولفظه: «فإذا أخذ خادمي بعض ما يجب، بقي لي ما لا يُعْجب. فاقتصرت على فَول وبُلسُن، وما لا يعذُب على الألسُنِ. فأما الآن فإذا صار إلى من يخدمُني كبير [ما] عندي. وعِنده

(١) ص: ٢٠٧.
(٢) أدباء ١: ١٩٤.
(٣) ٢: ١٤١.
(٤) أدباء: ١: ٢٠١.

هيّنٌ. فما حظّي إلا اليسير المتعيّن. ولست أريد في رزقي زيادة، ولا أُوْثر لسُقمي عيادة» ا هـ. ثم إن الداعي كتب إلى تاج[1] الأمراء أن يتقدم إليه بما هو بُلغة مثله من ألذّ الطعام، فأجابه بعد الدعاء للتاج أن يجعل الله له جميع جبال الشام ذهباً. إنه يستحي من حضرة التاج أن ينظر إليه بعين من يرغب إليه في العاجلة. وقال الذهبي وابن حجر ومن تبعه: إنها ثلاثون ديناراً. ولكن القول في هذا قوله. فنُقدّرها بخمسة وعشرين تقريباً والذي كان يَصل إليه منها زُهاءُ اثني عشر ديناراً أي نحو خمس جنيهات إنكليزيّة.

ويدلّنا غفرانه أن الذي كان خلّفه أبوه عَقار كان يُكْريه ولفظه[2]: «وكان لي كَرِيٌّ من أهل البادية يعرف بعلوان وله امرأة تزعم أنها من طيّيء الخ». ولعله كان له بعض أراضٍ تُغلّ له الثمار وغيرها كما يدل عليه ر[3] إلى خاله أبي القاسم في شأن عجوز كانت تخدمه وكان أهدى إلى رجل لم يسمّه شيئاً من الفستق فهل كان من غراسه كما في ر ١٩.

ويظهر من شعره من أنه كان له بعض ثراء عَبِثتْ به أيدي الضياع فصار حليفَ إدقاع. وهو[4]:

أثارني عنكم أمران: والدةٌ لم ألقها، وثراءٌ عاد مسفوتا
أحياهما الله عصرَ البين ثم قضَى قبل الإياب إلى الذخرين أنْ مُوْتا

ويشهد له من حكاية حفظه بأنطاكية قول الخازن إنه من بيت الثروة والغنى.

وأما هداياه إلى إخوانه وإعانته لأصدقائه ونجاح بعض حاجاته التي لها خَطَر فالظاهر أنها من صِلات أخواله وكانت لهم ثروة طائلة كبيرة، ونعمة ظاهرة أثيرة، كما مرّ ولكن لم يكن عليهم كلاً وَكلاً يضيقون به محتملاً. كما كتب إلى خاله[5] أبي طاهر وكان استنسخ له من بغداد نسخة شرح السيرافيّ أن يعرّفه ما وزن في القيمة ليبادر

(١) أدباء ١: ٢٠٤. وهو أبو الدوام ثابت بن ثمال بن صالح بن مرداس الذي عمل صاحبنا لابنه عزيز الدولة اللامع العزيزي ويأتي راجع أدباء ١: ١٨٨، وليس صدقة بن يوسف الفلاحي كما زعم مرجليوث ولا سماه أحد تاج الأمراء. وكان أمراء آل مرداس يخضعون لدعوة العبيديين وكان الإفتاء بحلب سنة ٤٤٠هـ وهي سنة هذه المراسلات على مذهبهم كما نقل ابن بطلان وانظر في البلدان، رسم حلب.

(٢) ٢٠٥.

(٣) ص: ٥٠.

(٤) س ٢: ١١٩.

(٥) لا أن يكون كتب خاله إليه من حلب إلى بغداد كما قد أصلحنا هذا الغلط من قبل في ذكر أخواله.

بإنفاذه. وهذا يدلّ على أنه لم يكن يقبل من أخواله أيضاً غير ما يتبرّعون به من تحف الأسفار. وكان قبولها أيضاً على جهة التنصّل والإنكار. نعم إن هداياهم ربما جاوزت الحاجة إلى الإسراف والتبذير فيشدّد إذاً البراءة والنكير[١].

وكان قانعاً باليسير، لم يكن يحرص على التوفير من المال والتكثير. كما قال في مقدمة س[٢]: «ولم أطْرُق مسامع الرؤساء بالنشيد، ولا مدحت طالباً للثواب، وإنما كان ذلك على معنى الرياضة وامتحان السوس. فالحمد لله الذي سَتَر بغُفّة من قوام العيش، ورَزَق شُعْبَةً من القناعة أوفتْ على جزيل الوفر» في نسخة بانكي پور «ولم يكن من طُلاّب الرِفد فالله سبحانه وتعالى يحمد على ذلك» وفي الإغريضية[٣] «فأما في النشب فلم تزل لي بحمد الله تعالى وبقاء سيّدنا بُلْغتان بُلغة صبر وبُلغة وَفْر» ومرّ من ر إلى الداعي أنه لا يحبّ الاستزادة من المال. ولا يؤثر الإثراء على الإقلال. وكان الوزير أبو القاسم المغربي أيضاً طلبه بمصر فكتب إليه مثل ما كتب إلى الداعي[٤]. ولا كان يحب السفر ليتموّل قال. ل:

إلزم ذَراك وإن لقيتَ خَصاصةً ... فالليث يستر حالَه الإخدارُ
لم تدر ناقة صالح لما غدت ... أن الرواح يُحَمُّ فيه قُدار
وكون الفتى في رهطه نيل عزّة ... على أن داء الدهر ليس له حَسْمُ

ولم يكن[٥] تعليمه وتأديبه ترشيحاً له على أن يحذو حذو المتنبي في الحصول على جوائز الملوك والأمراء. وإنا لنربأ بصاحبنا أن يخْلدَ إلى زهرة الحياة وقد أتينا على شهادة الرجل في نفسه من مقدمة س، على أنه لا يرى مكاسب الشعراء من الحلال المُباح فيما يَدين الله به كائناً ما كان، مع تنفير الرجل عن أكل مال الحرام والترغيب في الحلال. وله في المعنى شعر كثير. ل:

وما شعراؤكم الأذئاب ... تَلَصَّصُ في المدائح والسباب
سيّان عندي مادح متخرّص ... في قوله وأخو الهجاء إذا ثَلَبْ

(١) قال في ر: له إلى أبي طاهر ص: ٤٢: «قد كان يجب... أن يقتصر من بر الجماعة على ما سألته من الحاجة المؤونية... فالآن جاءت الحاجة ميسرة والهدية مضاعفة موفرة... فالحمد لله، ولولا التمسك بطاعته والخشية من إلمام سخطه... أن ما فعل سرف ولو أنه من بحر يغترف. لو كان قليلاً أو وسطاً لكان العذر منبسطاً، فأما هذه القيمة التي هي بغية للمهاجر وبضاعة للتاجر الخ.

(٢) ص: ٦.

(٣) ر: ٢٠ وفيها النسب وبلغة وفر بالفاء وصحح من صبح الأعشى ١٤: ١٩٠ وقد سرد الإغريضية بتمامها ونسخته أصح من نسخة الرسائل. وما للوفر والبلغة؟ والوقر يريد من الوقار والله أعلم.

(٤) ر ص: ٥٦ ولفظه: ولو كنت عن نفسي راضياً لشرفتها بزيارة حضرته ولكنني عنها غير راضٍ ا هـ.

(٥) كما زعم مرجليوث: ١٧.

فِرَقاً شعرتُ بأنها لا تقتني خيراً وأنّ شرارها شعراؤها
تكسّب الناس بالأجسام فامتهنوا أرواحهم بالزرايا في الصناعات
وحاولوا الرزق بالأفواه فاجتهدوا في جذب نفع بنظم أو سِجاعات
كلوا طيّباً فالطيْب فيما طعِمتم يُبين على أفواهكم خالص الشكر
لا تأنَفَنَّ من احترافك طالباً حِلاًّ وعَدْ مكاسب الفُجّار
فالمجد أدركه على عِلاّته قومٌ بيثرِبَ من بني النجّار
ومُغْرَمٌ بالمخازي طالبٌ صلةً مُغْرًى بتنفيق أشعار له كُسُد
متى ما تُصِبْ يوماً طعاماً لظالم فقم عنه وافغَرْ بعده فَم قالس
خذي من رزق ربكِ غير بسل كما أخذتْ من المرعى الوُحوشُ
ويُعْجبني دأبُ الذين ترهبوا سوى أكلهم كدَّ النفوس الشحائح

الأبيات الثلاثة:

وأرْوَحُ الرزق ما وافاك في دَعَة حِلاًّ وقُسّم في أيّامه بُلَغا
جَهِلتُ، أقاضي الريّ أكثر مأثماً بما نَضَّه أم شاعر يتغزّلُ
لا خير في جزل العطاء أتى رجلاً بأن كلامه جَزْلُ
يرجو فيمدح غيرَ مرتقب رَبّا وكلُّ كلامه إزل[1]
خير لعمري من جمائله[2] الكوْ م الجِلاد جمائل جُزْلُ
شَهَرَت سيوفَ الهند طائفةٌ كذْبٌ وأفضلُ منهم العُزل
والبَرّ يلتمسُ الحلال ولم أجد هذا الورى إلاّ فقيداً جِلُّهُ
إذا فاتَكَ الإثراءُ من غير[3] وجهه فإن قليل الخَلّ أولى وأبْرَكُ

وكذلك لم يكن يستبيح لأحد من الممدَّحين أن يجلسوا لسماع المدائح ويبطروا. ل:

وأقلُّ عِبْءٍ من جلوس ممدَّح للوفد يَقصِد أن يروح مؤبّنا

---

(١) كذب.
(٢) يشير إلى خبر النابغة مع النعمان وقوله:
الواهب المائة المعكاء زينها سعدان توضح في أوبارها اللبد
والجزل بالضم من الجزل محركاً وهو الدبر.
(٣) كذا؟ ولعل لفظة غير مصحفة.

وتحبّ أن يُثني عليك بأنك البـ ـر التقيّ وأنت صِلّ أرقم

لا يقال: إنه كذا كان في عُزلته ولكنْ مَدَح في دَوْر حياته الأول سنة[١] ٣٩٠هـ سعيد الدولة حفيد سيف الدولة ولا يخلو مثل هذا عن غرض. فإن ما تقدم عن مقدمة س ليس إلاّ لدفع مثل هذا الوهم. على أنه لم ينقل لنا التاريخ أنه دخل حلب حضرة السعيد بعد سنة ٣٨٣هـ عام خَتْمه طلَبه كما مرّ، فأين أنشده شعره على أنه كان ثَمّة كثيرٌ من جِلّة الشعراء يفضلُ عليه أشعارهم وهو ابن ٢٠ سنة. فلم يكن هذا المديح وأمثاله إلا على معنى الرياضة وتمرين الخاطر كما مرّ من قوله: ليس إلاّ على أن الرجل كان أحيى[٢] من العذراء في خِدرها فكيف يسمح له حَياؤه أن يقوم مقام مجْتدٍ متملّق، من أميرٍ متمدّح متفيهق. وقد عقد ابن العديم باباً برأسه وهو الـ ١٣ من العدل في قناعة نفسه وشرفها وعفتها عن أخذ صلات الناس وظلَفها.

ولم يكن[٣] يصل إليه من تلامذته شيء بل كان بضدّه يَصِلهم كما سيأتي في حكاية البطيخ في ذكر بضاعته. قال الذهبي[٤] وكان يعتذر إلى من يرحل إليه من الطلبة فإنه كان ليس له سعة، وأهل اليسار بالمعرّة يعرفون بالبُخْل وكان يتأوّه عن ذلك ونذكر كثيراً من شعره في المعنى ومنه نَقْداً. ل:

ماذا تريدون ولا مالٌ تَيَسَّرَ لي فيستماحُ ولا علم فيقتَبَسُ

وأما حاله في ذلك ببغداد فهذه أبيات من قصيدة كتب بها إلى أبي حامد الإسفرائني عند دخوله بها:

ولا أُثَقِّل في جاه ولا نَشَب ولو غدوتُ أخا عُدم وإدقاع
إن الهدايا كرامات لآخذها إنْ كُنَّ لسن لإسراف وإطماع
ولا هدية عندي غيرُ ما حَملت[٥] عن المسيَّب أرواحٌ لقعقاع
مُقِلٌّ من الأهلَيْنِ يُسْرٍ وأُسْرةٍ كفى حَزَناً بَيْنٌ مُشتّ وإقلالُ

وكان أبو طاهر وَصَّى أصدقاءه من أهلها به فكلما[٦] سألوه إنجاحَ حاجة أو قضاء

---

(١) كما جاء في عنوان أول قصيدة في س في نسخة الخزانة الأهلية بباريس.
(٢) قال س ٢: ٣٧:
لك الخير قد أنفذت ما هو ملبسي حياء وعند الله من قائل علم
(٣) كما زعم مرجليوث: ٣٤ من عدم معرفته بعادة أهل المشرق في ذلك.
(٤) ١٣٠. وهذا التبريزي تلميذه وصله الخطيب أبو بكر إذ كان التبريزي يشتغل عليه بقراءة كتب الأدب بجامع دمشق بخمسة دنانير ثم بأخرى مثلها. وانظر تذكرة الحفاظ ٣: ٣١٥.
(٥) أي القصيدة.
(٦) ر: ٣١. وذكر أن أهلها عرضوا عليه لما عزم على الرجوع عنها أموالهم عرض الجسد، فصادفوه من =

طلبة يُعرض وينشد (لزهير):

ومن لا يزلْ يستحمل الناسَ نفسَه ولا يُعْفِها يوماً عن الذلّ يُسْأَم

وكانت المُهاداة كما مرَّ جاريّة بينه وبين أصدقائه. وكان صريع الدلاء ذو الخلاعتين البصري المتوفّى سنة ٤١٢هـ استهداه قُبيل وفاته خمراً فأرسل إليه قليل نفقة واعتذر بقطعة منها[١]:

فإنْ يكُ ما بعثت به قليلا فلي حال أقلّ من القليل

ثم إن القاضي عبد الوهاب المالكي نبا به المقام ببغداد فرحل ولقيه بالمعرَّة فقَراه أبو العلاء، ولما أراد النُّقلة منها إلى مصر حيث تُوفي بُعيد الوصول على ما يأتي أهداه ثلاثين درهماً واعتذر بقطعة وهي في س[٢]. وذكر ابن العديم في العدل في الباب الثاني كثيراً من أمثلة كرمه على قلة ماله، وجوده على نزارة موجوده.

ولعل الأمراء أيضاً كانوا يهادونه وفي س[٣] قطعة إلى رجل أهداه شيئاً وأخرى[٤] إلى من أهداه كتاباً ثبت عليه سماعه ـ وكان أيضاً يُهْدِي[٥] إلى الناس.

وقال الرّحالة الفارسي[٦] وكان زار المعرة سنة ٤٣٨هـ ما تعريبه: «وكان بها رجل ضرير يدعى أبا العلاء وكان أمير البلدة، وله من النعمة والعبيد والخَدَم ما يُسْتكثَر، وكان جُلّ أهلها كالعبيد له إلا أنه سلك طريق النسك وتردَّى ببُرْجُدٍ في بيته، وكان يأكل كلّ يوم نصفَ مَنّ من خبز الشعير لا غير[٧]. وبلغني أنه فتح بابه ويتولّى عنه نوّابُه وعمّالُه أمور البلدة إلا فيما يَهُمّ فيرجعون إليه. وهو لا يمنع أحداً مما آتاه الله ويصوم الدهر ويقوم الليل ولا يشغل نفسه بشيء من أمور الدنيا.... وقيل له[٨]: إن الله خَوَّلَكَ ما نرى من المال والنعمة لماذا تعطي الناس وتبذل لهم ولا تتمتّع أنت بنفسك. فقال: ليس لي منه إلاّ ما أتبلغ به من القوت فحسبُ. ولمّا

= غير هش إلى معروف الأقوام ر ص: ٣٥.

(١) س ٢: ٣٤.
(٢) ٢: ١٣٨.
(٣) ٢: ٣٧.
(٤) ٢: ٢٢٤.
(٥) أهدى إلى بعض العلوية قليل نفقة واعتذر مع ر الـ ٢٩. وإلى مجهول فستقاً مع ر ص الـ ٢٩.
(٦) سفرنامه ناصر خسرو، طبعة برلين ص: ١٥.
(٧) من نحو الإدام فإنه ربما تركه ليلاً كما قال:

أقفرت من جهتين قفر مفازة وطعام ليل جاء وهو قفار

أي: بلا إدام.

(٨) وقال:

ويقول الغواة خولك الله كذبتم لغيري التخويل

وصلتُها كان حَيّاً يُرْزَق ا هـ واغتر بنقله هذا بعض أهل العصر[١] فزعم أنه تولاها من قِبَل صالح حين قال له: قد وهبتها[٢] لك على ما يأتي في خبر صالح وهذا باطل نفصّله. ويستدلّ لثرائه غير ما مَرّ بحكاية أسامة المارة في حفظه ـ إلاّ أنّا لم نر للرجل بيتاً فَذّاً في المعنى ولا أثبته أحد من مترجميه فلا بدّ أن نُأَوّل كل ما جاء من هذا القبيل بأنّ الرّحالة استنتج هذا لما سمع باحترام الناس له، فلا غرو أن أهلها زادوا في تكريمه مذ أنقذهم من أيدي صالح، والرّحالة لم يكن لقيه وإنما روى ما بلغه[٣] في الخان الذي نزله وبأن بيته لا ريب بيتُ قُضاةٍ مثْرين إلاّ أنه لم يصله من ثَرائهم ما يؤثّرُ ولعل سببه الفِتن المتوالية التي كانت تُهدّد الشام من هجوم الأعراب وشَنهم الغارات، وطمع العُبَيديين في تملّك الشامات. وهذا كلّه من جهة أنا نرى التاريخ[٤] حفظ لنا تغلّبَ القاضي وادع عليها. ومرَّ في بني سليمان فلِمَ أغفل عنه مع اعتناء الناس بشؤونه وأخباره أكثر بكثير من عنايتهم بوادع. ولا نُقِل عن أبي اليسر في المعنى شيءُ. نعم روى ياقوت[٥] عن الكمال ابن العديم قال: قرأت بخط أبي اليسر شاكر المعرّيّ أن المستنصر صاحب مصر بذل لأبي العلاء ما ببيت المال بالمعرّة من الحلال فلم يقبل منه شيئاً وقال: قِطْعتين (وانظرهما في الفائت أسْوانِ. رزقي) ومثله في النكت[٦] وغيره. وروى[٧] القفطيّ أن طُلابه ذكروا بحضرته يوماً بطيخ حلب قال: فتكلف أبو العلاء وبعث من جاءه منه بحمل فأكلتِ الجماعةُ وأفردوا له منه شيئاً لم يذقه ولم يَعْرض له حتى فسد. والرواية ليست تدلّ[٨] على أنه كان يملك من المال وَفْراً. وانظر فيها لفظة «فتكلّف» على أنه كان من السهل عليه أن يكتب فيه إلى أخواله وزد عليه أنّ البطّيخ مما لا يُعْوِز على المُقِلّين. وله كثير من الشعر في معنى القناعة والتبلّغ بالكَفاف في أدوار حياته الثلاثة. س[٩]:

قَنِعْتُ فخلت أن النجم دوني ... وسِيّان التقنُّعُ والجهاد

فما ينفكّ ذا مال عتيد ... فتًى جعل القُنوعَ له عَتادا[١٠]

ومن المقول ببغداد:

(١) صاحب (ذ): ٢١٥.

(٢) معناه صفحت عن زلة أهل المعرة من أجلك لا ما زعم صاحب (ذ): ٢١٥ ولفظ أبي غالب المعري وهو العمدة أدبا ١: ٢١٦ قد وهبتهم لك. وأما رواية: قد وهبت لك المعرة وأهلها فليس إلا عن مجهول كما يأتي.

(٣) سفر نامه: ١٥.

(٤) تاريخ ابن الفلانسي ص: ١٣٢.

(٥) أدباء ١: ١٧٨.

(٦) ص: ١٠٥.

(٧) (ذ): ٢١٦.

(٨) كما اغتر صاحب (ذ): ٢١٦.

(٩) س ١: ٦٥.

(١٠) س ١: ١٧١.

سيطلبني رزقي الذي لو طلبته   لما زاد والدنيا حظوظ وإقبالُ[(١)]
رحلتُ لم آتِ قِرواشاً أزواله   ولا المهذَّب أبغي النيل تقويتا[(٢)]
والموت أحسن بالنفس التي ألفت   عزّ القَناعة من أن تسأل القوتا

ومن ل وهو كثير جدّاً:

وهي النفوس إذا تميز بينها   فأعزّها في العيش مقتنِعاتها
الحمد لله قد أصبحت في دَعَةٍ   أرضى القليل ولا أهتمّ بالقوت
لكن أقضّي مدّتي بتقنُّع   يُغني وأفرح باليسير الأروَج
كشفيَ رأسي وافتقاري بها   خيرٌ من التمليك والتاج
أرضى الأنام تقيٌّ في ذُرَى جبل   يرضى القليل ويأبى الوَشْيَ والتاجا
آليت ما مُثْري الزمان وإن طغا   مُثْرٍ ولا مسعوده مسعود
ما سَرّني أني إمامُ زمانه   تُلْقى إليّ من الأمور مَقالدُ
فزَجّ دنياك فما يخلُدُ الـ   ـناقص في العيش ولا الزائد
قوتي غِنايَ وطِمري ساتري وتُقى   مولاي كنزي ووِرْد الموت موعودي
محمودنا الله والمسعود خائفه   فَعَدِّ عن ذكر محمود ومسعود
وإذا غلا البُرُّ النقيُّ فشارك الـ   ـفرسَ الكريم وساوِ طِرْفَك تمْجُدِ
واجعل لنفسك من سليط ضيائها   أُدُماً ونَزْرَ حلاوة من عنجُدِ
يكفيك صيفَك من ثيابك ساترٌ   وإذا شتوت فقطعة من بُرْجُد
أنهاك أن تلي الحكومة أو ترَى   حِلْفَ الخَطابة أو إمامَ المسجد
تلك الأمور كرهتُها لأقاربٍ   وأصادق فابخلْ بنفسك أو جُدِ
مَن ليَ أن لا أقيم في بلد   أُذكَر فيه بغير ما يَجبُ
يُظَنّ بي اليُسْرُ والديانة والـ   ـعلم وبيني وبينها حُجُبُ
أضحت تُظنّ بكَ الديانة والغِنى   والعلم فاهتاجت لك الحُسّاد
هذا وربّ صديق لي أفاد غِنًى   زهدتُ فيه على عُدْمي وإزهادي
ليَ القوتُ فليعمُرْ سَرَنْدِيبَ حَظُّها   من الدرّ أو يكثر بغاته تِبْرُها

(١) س ٢: ٥٥.
(٢) س ٢: ١١٩، ١٢٠.

ومن يذخَرْ لطول العيش مالاً فإن تُقايَ عند الله ذُخري
ما سَرَّني بقناعة أُوتيتُها في العيش مُلكاً غالبٍ وذَمار
والمُدُّ يكفيك ولكنَّ في طبعك أن يُدَّخرَ الكُرُّ
دنياكم لكمو دوني حكمت بها حُكم ابن عَجلانَ[1] يجنيها الذي أبَرَا
ماذا تريدون لا مال تيسَّرَ لي فيستماحُ ولا علم فيقتَبَسُ
ما كنتُ ذا يُسر فأجمعه ولا ذا صِحة فأُخالفَ التغليسا
واتهامي بالمال كلّف أن يُطلبَ مني[2] ما يقتضي التمويل
ويقول الغُواة خوَّلك اللـه كذبتم لغيري التخويلُ
قطعنا إلى السهل الحُزُونة نبتغي يساراً فلم نُلْفِ اليسير ولا السهلا
ألم ترني حميتُ بناتِ صدري فما زوّجتهن وقد عَنِسْنَه
ولا أبرزتُهن إلى أنيس إذا نُورُ[3] الوحوش به أنِسْنَه
ورُضتُ صعابَ آمالي فكانت خيولاً من مراتعها شَمِسنه
ولم أُعرض عن اللّذات إلاّ لأن خيارها عني خَنِسنه
ولي أمل كأتمّ القنا وحال كأقصر سهم يكون
فيا ألف اللفظ لا تأمُلي حَراكاً فمالكِ إلاّ السُكونُ
إني أُواري خَلّتي فأُريهم رِيّاً وفي سرّ الفؤاد أُوار[4]
وما سَرَّني أني ابن ساسان أغتدي على الملك في الألوان أُصبح أو أُمسي
فلُسّ ما اخترت أنّ أرْوحَ من يَسار قارون عِفّة وفَلْسُ
يُغني الفتى مَلبَس يُستِّره وقوته في دُجى الظلام فقط
صَدَقْتُكَ صاحبي لا مال عندي وقد كثر الضيافنُ والضيوف
ووجدتُ نفس الحُرّ تجعل كفَّه صِفراً وتُلزمه بما لم يَلْزَم

(١) هو مالك. وراجع الخبر في الكامل، لبسيك ص: ١٣٧.
(٢) من الزكاة.
(٣) نوافرها.
(٤) من قوله: «قطعنا» إلى هذا البيت: يرمي إلى غرض غير القناعة، ولعلنا نلم به في أبواب بغداد.

شعر صباه

قالوا: إنه قال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة أو اثنتي عشرة سنة[١]. إلا أننا أخّرنا هذا الباب ظنّاً منّا أنه لم يدرج في س مما قاله بادىء بدء من عمره شيئاً وجُلّ شعر صِباه في س مما قيل بين ١٣ ـ ٢٠ من عمره ـ وأظن أن قصيدتيه اللتين أولهما:

ألـيـس[٢] الـذي قـاد الـجـيـاد مُـغِـذّة   روافـلَ فـي ثـوب مـن الـنـقـع ذائـل

لـتـذكُـرْ[٣] قـضـاعـة أيّـامَـهـا   وتُـزْهَ بـأمـلاكـهـا حِـمْـيَـرُ

واللتين في عنوانهما «قالها في الصبى» أنشأهما في هذا العمر فإن لم يُخْلِف ظني فقد أتى بفِلْقة من الفِلَق ـ ودهاناً ببنت طَبَق. حيث قال في الأولى:

إذا الناس حَلّوْا شعرهـم بنشيدهـم   فـدونـك مِـنّـي كـلُّ حـسـنـاء عـاطـل

ومن كـان يستدعي الجمال بحِلْـية   أضَـرَّ بـه فَـقْـدُ الـبُـرَى والـمـراسـل

وهذا المعنى مما لا يستطيعه القُرَّح والنُيّب، فأنّى يكون لقريع منه نصيب.

غير أنه كما قال:

وإنـي وإن كـنـت الأخـيـرَ زمـانُـه   لآتٍ بـمـا لـم تـسـتـطـعـه الأوائـلُ

وممّا يقوّي ما ذهبنا إليه ما قاله التبريزي في شرح السّقْط أنه كان يغيّر شعر صباه. ويشهد له ما يوجد في عناوين بعض القصائد من لفظة[٤] «من قصيدة» وأرى أن ما خلا منها من المطالع المصرّعة أيضاً من هذا القبيل. ولم يأتِ في عنوان رثائه لأبيه إذ تُوفي وعمره ١٥ عاماً شيء من ذكر الصِّبا فلعلّه قيل بعد وفاته بمدة غير طويلة. ولم يرد ذكر الصِّبا في أول قصيدة من س وكان قالها سنة ٣٩٠هـ إذا كان ابن ٢٧ عاماً إلا أشهراً.

فترة الشباب
أو خمسة عشر عاماً وأشهر

لعل رحلاته التي رحلها إلى أمّهات بلاد الشام اختارها بعد وفاة والده لأنه صرَّح بنفسه أنه لم يتعلّم بعد العشرين من مُعْرِق ولا شام. وكان الرأي له بعد مفارقته والدَه

(١) نكت: ١٠٣ ومعا ١: ٤٩.
(٢) س ٢: ٢٠: في عنوانها: «قالها في الصبى».
(٣) س ٢: ٢٤ وفي العنوان كالسابق.
(٤) س ١: ١٦٣ و٢: ٢٤ و١٥.

الرحيم وأَدَبَه العميمَ أن يتعلَّلَ بلقاء الرجال، ويتسلى بشد الرحال. فقضى أربه منها قبل سنة ٣٨٣هـ. ثم أقام بالمعرَّة في بيته يشتغل بالتعليم لبعض أبناء وطنه وسماع كتب النحو والعروض والأدب واللغة والأخبار من أصحابه ليستكثر حظَّه من العلوم، ويُتْقِنَ معرفته بهاتيك الفنون. وفي خِلال ذلك كان يمرّن خاطره وَيُروضه على قَرْض الشعر وإنشاء الأسجاع والترسّل إلى علماء الأدب وأمراء بلاده ووزرائها[١]. وقد حفظ لنا التاريخ أنه كان مدة هذه الفَتْرة كَلِفاً بالعلم مُغْرًى به غرام المشوق بالشائق. كأنهما العَذْراء ووامق.

رضيعَيْ لِبان ثَدْيَ أمٌ تقاسَما بأسحمَ داجٍ عَوْضُ لا نتفرَّقُ

يحبّ منه الاستكثارَ والاستئثارَ. وربما ضاق ذرعاً إذ لم يجد في أنحاء بلاده والأقطار، ما يُروى غُلَّة حَرَّانَ، ويَنْقَعُ غليلَ القلب بالرَّشَفَانِ. فيُحدِّث نفسه بمفارقة البلاد، والمجال في الأرض والمستراد، وربما تسامَى به قَرونه المتشوّفة إلى رحلة بغداد. كما قال. س[٢]:

كَلِفْنا بالعراق ونحن شَرْخ فلم نُلْمِمْ بها إلا كُهولا
إن فسدت من زمتي نيَّةٌ أو ظهرت منه خَبيّاتُ
فالأعوجيّات لنا عُدَّة تَقْدُمهنَّ الأَرحبيّاتُ[٣]

إلا أنه كان ينْكصُ على عقبيه يتفكر في مشاق الشّقة ومتاعب الرحلة وضيق ذات اليد. وهُجوم العلماء بها ما تَغَصُّ بهم ويختنق منها المقلَّد إلا أنه يُقنع نفسه ويخفِّض جأشه على رأي يرتئيه وفكر ينتحيه وهو أن الرحلة إليها تجلب له من الإكرام واحتفال الكرام حينما يَسْبقه صيته إليها وسُمعته الطائرة تتغلغل قبله بمِسْمَعَيْها.

وفي هذه[٤] المدّة زاره أبو الحسن الدُّلَفِيُّ المَصّيصيّ الكاتب الذي نقل عنه الثعالبي في تتمّة اليتيمة أخباره. فإنه صرّح أنه لقي الدُّلَفيّ في مدة ثلاثين سنة، وتوفّي الثعالبي سنة ٤٢٩هـ.

ونرى أن جُلَّ شعر السَقْط غير ما قيل في الصبا أو في أمر بغداد والدرعيّات وغير قليل من المقاطيع أُنشىء في خِلالها. كقطعة له إلى شِطْرَنجيّ[٥] ولا ميْته على لسان

(١) قال الدلفى على ما في التتمّة وحضرته يوماً وهو يملي في جواب كتاب ورد عليه من بعض الرؤساء: وافي الكتاب وأوجب الشكرا. . . الأبيات. وهي في الفائت.
(٢) ٢: ٨٣.
(٣) ١: ١٧٨.
(٤) بدء التتمة، نسخة باريس الخطية وانظر ترجمته في حاشيتنا في باب طلبه للعلم.
(٥) س ٢: ٢٢٣.

سائق الحاج[١] ورثاء أبي حمزة وكان مات قبل الأربعمائة كما في الجواهر المُضيئة[٢] ورثاء أبي إبراهيم العَلَويّ[٣] وقصيدته[٤] إلى ابن جَلَبات الميمية وما مدح به الأمراء كسعيد الدولة[٥] وأبي الرضى الفُصَيْصيّ[٦] أو أنشأه[٧] بطلب منهم (وجاء في نسخة بانكي پور أن الأبيات التي أولها «أيدفع[٨] معجزات... اعتبارُ» هي في جواب ابن جلبات أيضاً) وفيها أجاب شاعراً يسمَّى المفضَّل[٩] عن قصيدة قافية مدحه بها بأخرى على رويّها وفيها خاطب أبا الخطّاب الجبّليّ القصير وكان فارق وطنه بالعراق وزاره ببائية[١٠] وكان مدح صاحبَنا بقصيدة وأعطاه نُسختَها. وفيها صنع لابن السَّقَّا دالية[١١] وكان سأله أن يعمل له قصيدة إلى صاحبه يصف فيها ما شاهد منه من الوفاء والإخلاص.

وأرى أنه كتب من المعرة في خِلالها إلى خاله أبي طاهر ـ وكان ببغداد ـ أن يستنسخ له شرح الكتاب لأبي سعيد السِّيرافيّ كما مرّ مع إيضاح مَدْحَضَة مَزَلّةٍ هوى فيها كثيرون.

وإن صحَّ خبر عرض أبي نصر المنازيّ الوزير شعره عليه بالمعرّة ثم ببغداد كما يأتي بيانه فإنه أيضاً في خلالها.

---

(١) ٢: ٢١٩.

(٢) حيدر آباد ١: ١٩٦، والرثاء في ﷺ ١: ٢٠٨ وليس المرثيّ به أبا الخطاب الجبلي كما قاله السمعاني وتبعه ياقوت على ما نفصله فيما بعد.

(٣) ١: ٢٠١. وله غير الرثاء إليه وإلى أخيه قصائد ١: ٥٦، ٩٠، ١٨٣. وفي نسخة بانكي پور أن مطلع القصيدة المفضل:

«الطرف منذ زُزوح العيس في البرق»

ونقل مطلع نسخ السقط المطبوعة أيضاً عن نسخة. ثم زاد على حاشية قوله: «إنا بعثناك تبغي القول عن كثب» أن المفضل كان تلميذاً له ومثله في التنوير ١: ١٤٣.

(٤) ١: ٩١.

(٥) ١: ١٤، ٤١، ٥٣، ولم يذكر اسمه في الآخرتين.

(٦) س ١: ٣٠ والمعاهد ٢: ٩٨. وقد عثرت بعدما طال الفحص في إنباء الرواة للقفطي بخطه في ترجمة محمد بن جحدر أن له شعر في مدح أبي الرضى الفصيصي. قال: والفصيصيون مقامهم بحلب وقد كان منهم من يتجند في أيام آل حمدان ـ ويعلم من رائية المعري أنه من قحطان من تنوخ كما في التنوير.

(٧) ١: ١٤٧.

(٨) س١: ١٧٢.

(٩) ١: ١٤٧. ولعله المفضل بن محمد أبو المحاسن المعري وكان معاصراً لأبي العلاء وترجم له في البغية: ٣٩٦. أو هو المفضل بن سعد الذي خلف صاحبنا بحضرة عزيز الدولة لما اعتذر بكبره على ما نقله مرجليوث عن الكمال ابن العديم ص: ٣١ ولكن الصواب المفضل بن سعيد بن عمرو المعري. قال الثعالبي في التتمة: ويلقب بالعزيزي ا هـ. ويأتي في الحكام.

(١٠) ١: ١٥٣.

(١١) ١: ١٧٤.

أبو القاسم الوزير المغربي
وأبوه أبو الحسن[(١)]

أبو القاسم الحسين بن عليّ بن الحسين بن الحافظ بن عساكر، وابن خلكان نسبه إلى ساسان ثم منه إلى بهْرام جُوْرَ وأسند هذا الأخيرُ سياقة النسب إلى ابن الصَّيرفيّ، وذكر أنه منقول من خط الوزير المذكور، ونقل عن أدب الخواصّ للمغربي أنه مغربيّ حقيقة.

ونقل ابن أبي الحديد العلاّمة المعتزليّ عن أبي جعفر العلوي النقيب أنه كان يُنْسَب في الأزد ويتعصب لقحطان عن عدنان وللأنصار على قريش وكان غالياً في ذلك مع تشيّعه. ثم نقل أن القادر وجد في مجموعة بخطّه قصيدة طويلة غضّ فيها من عدنان إلى غيرها من الهنات، ومنها في النبيّ ﷺ:

نحن الذين بنا استجار فلم يُضَع … فينا وأصبح في أعزّ جِوار
بسيوفنا أمست سَخينةُ[(٢)] بُرَّكا … في بدرها كنحائر الجَزّار

إلى آخرها وهي طويلة. ومن أخرى وُجدت بخطّه:

إن الذي أرسى دعائمَ أحمدٍ … وعلا بدعوته على كيوان
أبناءُ قيلة[(٣)] وارثو شرف العُلى … وعَرَاعِرُ الأقيال من قحطان

فغَضَّ القادر بذلك من دينه. وكان أبو القاسم يتبرأ منهما ويجحدهما. ولسنا نجزم بما أتى به النقيبُ ولا نظنّ، فإن النقيب ليس بمأمون عندنا فيما له علاقة بالمذهب الذي ينتحله. على أنّ التّاريخ يسمّي لنا كثيراً من رجال عصره نُسب إليهم ببغداد وأُمهات البلاد ما هم منه بَراءٌ براءة الذئب من دم ابن يعقوب. فإن صَحَّ وقيل

(١) هو الأكثر وأبو الحسين في بعض المواطن. أظنه تصحيفاً. وأخذنا هذا الفصل عن الوفيات ١: ١٥٥، ور ابن القارح: ٢٠٨، والغفران: ١٨٥ ـ ١٩١، وابن عساكر ٤: ٣٠٩ (وياقوت في الأدباء ٤: ٦٠) وتاريخ ابن القلانسي: ٦٣ وغيرها. والكامل ٩: ٣٦، ٣٧، ١٣٣، ١٣٧، ١٥٠، وابن أبي الحديد ٢: ٢٦٦ و٤: ٥٠٧، واللزوم ٢: ٣٦٦ وجرزة الحاطب والشريشي وغيرها. قال الباخرزي في الدمية: قرأت في رسائل أبي العلاء المعري ما نبهني عليه وعرفني درجته في البلاغة واختصاصه من صناعتي النظم والنثر بحسن الصياغة. وكان يلقب بالكامل ذي الجلالتين ا هـ. وهذا يكفي في إثبات فضله.

(٢) نبز لقريش.

(٣) أم الأوس والخزرج.

فيه: «أأزديّاً مرة وقيسياً أخرى» أنشدنا فيه قول[1] عِمْران بن حِطّانَ ـ عاذرين إياه والحقّ أنه يَبْسُط له العُذْرَ ما عاناه من صروف الحدثين:

يا رَوْح كم من أخي مثوًى نزلتُ به قد ظنَّ ظَنَّك من لَخْم وغسّان
حتى إذا خِفتُه فارقتُ منزلَه من بعد ما قيل «عمران بن حِطان»
فاعذِر أخاك ابن زِنباع فإن له في النائبات خطوباً ذات ألوان
يوماً يمانٍ إذا لاقيتُ ذا يمن وإن لقيتُ معدّياً فعدناني

كان[2] أبو الحسن والده من أصحاب سيف الدولة. قال ابن القارح: «كنت أدرس على أبي عبد الله بن خالويه واختلف إلى دار أبي الحسين[3] (كذا) المغربي [بحلب] ثم إنه انتقلت به الأحوال حتى صار كاتب بكجور[4] ووزيره. وكان بكجور غلاماً لفرغويه[5] أحد غلمان سيف الدولة. وكان فرغويه قد استناب بكجور في حلب فلما قوي أمره قبض على مولاه وحبسه في قلعتها. وأقام نحو ستّ سنين ـ ثم إن سعد الدولة أبا المعالي بن سيف الدولة تغلّب عليها وأخرجه منها وولاه حمْصَ فكتب إلى العزيز صاحب مصر أن يولّيه دمشق فولاّه إيّاها. ثم كاتبه يُطمعه في أخذ حلب بإشارة من وزيره أبي الحسن فوعده بالإنجاد إلاّ أن أسباباً عرضت دون مُناه فأخذه سعد الدولة وقتله. وكان أبو الحسن انتقل إلى الرّقّة لمّا أحسّ بسوءِ العاقبة. ولكن لما سار سعد الدولة إليها أيضاً فرّ منها إلى مشهد عليّ. ثم أن أبا الحسن انتقل منها إلى مصر عند العزيز [وتوفّي هنا سعد الدولة وخلفه ولده أبو الفضائل سعيد الدولة] فعظّم له أمر حلب وهوّن أمر تملكه عليها له. فسيَّر إليها منجوتكين صُحْبَة أبي الحسن ليقوم بالأمر والتدبير. وتحصَّن أبو الفضائل، وكان خادمه لؤلؤ الموكَّل به من قِبَل أبيه كاتَبَ مَلكَ الروم بسيل في الاستنجاد فأنجده بخمسين ألفاً[6]. فجنح منجوتكين إليهم وقتل منهم ونهب وسَبَى ما شاء. ثم رجع إلى حلب. فلما يئس لؤلؤ من الروم كاتَبَ المغربيَّ وبذل له المالَ على أن يشير على منجوتكين بالانصراف، فانصرف إلى دمشق، ولكن العزيز لم يُعجبه صنيعه هذا، ووجد أعداءُ المغربي طريقاً إلى الطعن عليه والوقيعة فيه، فصرفه. ثم أرسل منجوتكينَ في العام القابل إليها وجَهّزه بالعُدَّة والعديد، فاستغاث

(١) رأس القعد من الصفرية. وانظر الكتاب الكامل للمبرد مصر سنة ١٣٢٢هـ. ٢: ١٢٣.
(٢) كامل ٩: ١٣٧ وقارح: ٢٠٨.
(٣) (٤) كامل ٩: ٣٦.
(٥) وفي بعض الكتب فرعويه وفي بعضها قرعويه.
(٦) كامل ٩: ٣٧، وعند ابن القلانسي ٤١ بخمسة آلاف، ولكنه غلط يدل عليه ما عند نفسه في ص: ٤٢.

لؤلؤ إلى ملك الروم، فسار بنفسه وهزم المصريين أقبحَ هزيمة فعظم على العزيز ذلك؛ فخرج بنفسه في عساكر كثيفة ولكنه توفي في طريقه. وخلفه الحاكم ذلك الفاتك القاسي القلب الجسور، وكان من تقلّب الوزارة في عهده ما كان. إلى أن تولاها منصور بن عبدون. قال ابن القلانسي وكان نصرانياً خبيثاً وبينه وبين أبي القاسم ووالده عداوة قديمة لأن أبا القاسم صُرف به عن ديوان السواد، فواصلَ أبو القاسم الوقيعة فيه، وكان النصراني المذكور يعتمد فيهم مثل ذلك؛ إذ كان الناظرَ في الدواوين بمصر. حتى تقدّم الحاكم إلى السيّاف أن يقتل أبا الحسن ومحمداً ابْنَي المغربيّ، ففعل. ثم أمره أن يحضر أبا القاسم وأخويه ويقتلهم قال ابن[1] القارح: «وعُدْتُ من الحجّ إلى مصر وقد قتل الحاكم أبا الحسن، فجاءني أولاده سِرّاً يرومون الرجوع إليهم[2]. فقلت لهم: خيرُ مالي ولكم الهرَبُ ولأبيكم ببغداد ودائع خمسمائة ألف دينار فاهربوا وأهرُبُ، ففعلوا وفعلت. وبلغني قتلهم بدمشق وأنا بطرابلُس» اهـ. وهذا كله سنة ٤٠٠هـ. ونجا أبو القاسم بحيلته وحصل بحِلَّة[3] حسان بن المفرِّج الطائي صاحب الرملة ـ ويجيء في ذكر ولاة عهده ـ فاستجاره ومدحه بقصيدة بائية جيّدة أوردها ابن القلانسي[4] فسكّن حسّان جأشه، وبذل له من الوعود ما أزال به استيحاشه. ثم إن أبا القاسم أفسد نيّة حسان على الحاكم وتوجّه إلى الحجاز وأطمع صاحبه أبا الفتوح العلويّ في الحاكم ومصر واستقدمه إلى الرملة. فأنفذ الحاكم إلى حسان مالاً جزيلاً وأفسد معه حالَ أبي الفتوح، فسار أبو الفتوح إلى مكة، وقصد أبو القاسم العراق واتصل بفخر الملك الوزير، إلا أن القادر اتهمه بتشيّعه وراسلَ فخرَ الملك في إبعاده، فاعتذر هذا وأصحبه إلى واسط فبقي معه إلى أن قتل فخر الملك. ثم أنه أخذ في استعطاف القادر إلى أن صلح له بعض الصلاح، فعاد إلى بغداد وأقام قليلاً إلى أن فارقها إلى الموصل واستكتب لصاحبها قِرواش. ولكن لما خافه من جهة مكاتبة الخليفة به في أمره سار عنه إلى أبي نصر بن مروان بميّافارقين ـ إلى أن توفي عنده وقيل: عند أحمد بن مروان صاحب ديار بكر وكان[5] صار وزيراً له. فحُمل تابوته بتوصيته من ميّافارقين إلى مشهد عليّ ودُفن في قربه سنة ٤١٨هـ وكان وُلد سنة

---

(١) ر: ٢٠٩.

(٢) كذا، ويعني المصريين.

(٣) وهذا هو الصواب لا بجلة بالجيم كما هو عند ابن القلانسي: ٦٢.

(٤) ٦٢.

(٥) وفي ديوان مهيارا: ٥٨، ٢٠٦، قصيدتان طنانتان في مدحه. إحداهما عند تقلده الوزارة سنة ٤١٤هـ وأنشدها إياه في داره بباب الشعير والأخرى في استعادته إلى بغداد سنة ٤١٥هـ.

٣٧٠هـ على ما نُقل عن خطّ والده[١].

ولا شك أنه كان حُوّلاً قُلّباً مِخْلَطاً مِزْيلاً أديباً مِصْعقاً شاعراً مُفْلِقاً داهية. وأكثر الناس يرمونه بأدواء، ويصفونه بكل سَوْأة سوآء. فمنهم من يطعَن في دينه كما مرّ عن النقيب، وآخر يصفه بخُبث النية وسوء الطوية كابن الأثير[٢] وكصاحبه ابن القارح فإنه بلغ في هجوه الغاية كما في الأدباء[٣] ورسالته[٤] المكتوبة إلى صاحبنا بعد وفاته ووصفه فيها بالجنون والسآمة والحقد وذكر من سوء صنيعه إذ كان يسعى لنَصْب أبي الفتوح وترشيحه للخلافة ما أضربنا عنه.

أقول وكتاب مقطّعات مَراثٍ المطبوع بلَيْدِنَ في مجموعة جُرزة الحاطب هو روايته عن ثعلب (بالوِجادة) وفي طُرّته «نقلتُ من خط.... عليّ بن ثِروان بن الحسن الكِندي النحوي ما صورته - كان بخط الوزير أبي القاسم المغربي على وجه الجزء ما هذا حكايته - جزءٌ جميعه منسوخ من خط أبي العباس الخ». وله كثير من الحواشي والشروح عليه الدالّة على تضلّعه من علوم الأدب، ومثله من خط ابن ثِروان على ديوان امرىء القيس[٥] صنع السكّري أنه نقله من خط أبي القاسم المذكور.

عماد المعرّي

وأما المعرّيّ فإنه على رغم ابن القارح كان يحْسِن فيه وفي أبيه الظنَّ، ولم يكن عنده لهما قَرْف أو زَنّ، بل عفو وصَفْح وغضّ وسمَح. كما قيل:

إذا ما أتت من صاحب لك زَلّة   فكن أنت محتالاً لزَلّته عذرا

قال في الغفران[٦]: «وأما انحيازه إلى أبي الحسن رحمه الله فقد كان ذلك الرجل سيّداً، ولمن ضعف من أهل الأدب مؤيّداً، ولمن قوي منهم وادّاً، ودونه للنُّوَب مُحادّاً كما قال القائل[٧]:

وإذا رأيتَ صديقه وشقيقه   لم تدرِ أيهما ذوو الأرحام

وكما قال الطائي:

كل شِعْب كنتم به آلَ وهبٍ   فهو شعبي وشعب كل أديب

(١) الوفيات ١: ١٥٦.
(٢) ٩: ١٣٨.
(٣) ٥: ٤٢٥.
(٤) ٢٠٨ - ٢١٠.
(٥) راجع فهرس ليدن ٣٤٧، وابن ثروان هذا ابن عم أبي اليمن الكندي، قرأ على الجواليقي وتوفي نحو سنة ٥٦٥.
(٦) ١٨٥.
(٧) الحماسي.

والمثل السائر[١] على أهلها تجْنِيْ بَراقِشُ. . . . وما زال الشبّان المحِسّون من أنفسهم بالنهضة يبغون ما شَرَف من المرَاهص[٢]، وكيف بالسلامة من الواهص[٣]. ورأي[٤] الشيخ خير من مشهد الغلام. وقال بعده[٥] بصفحات: وأما صديقه الذي جُدب عند السبْر، فهو يعرف المثل: «أعرِضْ عن ذي قبْر». إذا حجز دون الشخص تراب، فقد نقضت الآراب. مَن لِيم في حال حياته، استحق المعذرة في مماته. ولعله نطق بما نطق في معنى انبساط، ولا هو بالكلم ساطٍ. ومَن غَفَر ذنبَ حيّ وهو يُلحق به الأذاة، فكيف لا يغفر له بعد الميتة وقد عَدِمَ منه الشذاةَ. وسلامٌ على رسم من مخالس، يعدل بألف تسليمة في المجَالس وهو يعرف ما قالوه في معنى البيت «وآتي صاحبي حيث وَدّعا» أي أزور قبره ا هـ. وهذه نفثات أنطقه بها إخلاص المودّة، والمروّة والفتوّة، والوفاء بالإخوان، والنُّصح للأصدقاء والخُلاّن. وتدلُ على ما جُبل عليه الرجل من كرم الشيَم، عن خال وعن عمّ، «ومن يْشابه أبَهُ فما ظَلم». ورثى أبا القاسم في ل رِثاء ينبيء عن بنات الشوق والإخاء، والصدق والصفاء. وهاكه[٦]:

ليس يبقى الضرّبُ الطويل على الدهـ ـر ولا ذو الـعَـبـالـة والـدِّرْحـايَـهْ
يـا أبـا الـقـاسـم الـوزيـرَ تـرحّـلـ ـتَ وخَـلّـفـتَـنـي ثـفـالَ رَحـايَـهْ
وتـركـتَ الـكُـتْـبَ الـثـمـيـنـة لـلـنـا س ومـا رُحـتَ عـنـهـم بِـسـحـايَـهْ
لـيـتـني كـنـتُ قـبـلَ أن تـشـرب الـمو ت أصـيـلاً ـ شُـرَبـتُـه بـضُـحـايَـهْ
إن نـحـتـك الـمـنـونُ قـبـلـي فـإنـي مُـنـتـحـاهـا وإنـهـا مُـنـتَـحـايَـهْ
أُمّ دَفْـر تـقـول بـعـدك لـلـذا ئـق لا طَـعْـمَ لـي فـأيـن فَـحـايَـهْ
إن يـخُـطَّ الـذنـبَ الـيـسـير حـفـيـظا كَ فـكـمْ مـن فـضـيـلـة مـحّـايَـهْ

والبيت الثالث ظاهر في أنه كان جماعةً للكتب[٧]، وأنه كان له ولَعٌ بها وحُبّ. والآخرُ في أنه ليس من المكابرين يدّعي عِصْمته، إلا أنه يرجو من فضل الله عفوه ورحمته.

(١) انظر النويري ٣: ٤٠، والميداني في الطبعات الثلاث ١: ٤٠٢، ٣١٠، ٤٢٢ ولاء.
(٢) المراتب.
(٣) الرأي العنيف والكاسر والشادخ.
(٤) الميداني، الطبعات الثلاث ١: ٢٥٧، ١٩٧، ٢٦٧ ولاء.
(٥) ١٩٠.
(٦) الضرب الخفيف من الرجال. والعبالة: الغلظة. والدرحاية: القصير. وسحاية القرطاس: ما سحى منه أي أخذ. والفحا بالفتح مقصوراً توابل القدر وأبازيرها. ومحاية مبالغة في المحو.
(٧) نقل مرجليوث أن أبا القاسم وقف كتبه على أهل ميافارقين م ر: ١٦.

ويوجد له من ر إليه ثلاث وهي على الترتيب الذي وُضعت عليه رسالة[١] المَنيح والإغريضية[٢] وبطاقة[٣] له في الاعتذار إذ طلبه إلى حضرته بمصر.

فأما الأولى فالذي انتقيناه منها بعد طول البحث وإعمال الرويّة أنها رسالة أدبيّة فحسبُ وصف فيها بلاغة أبي القاسم وأثنى على فضله وأدبه الغزير وأبدى شوقه إليه. ويظهر أن المغربي كان أقام بالمعرّة وخالط رجالها في صباه واصطفى صاحبنا صديقاً لنفسه، فلما بلغ مع أبيه مصر كاتب أهل المعرة عموماً وصاحبنا خصوصاً وأرسل جملة من شعره للعَرْض عليه عادة الشعراء، به ووعد بإرسال شعره ونثره في الآتي أيضاً. فأجابه صاحبنا أن أهلها دَهِشوا لما رأوه من معجزات بلاغته، وعجزوا عن الجواب فلم يَنْبِسوا فيه ببنتِ شَفَة، وأن عبده موسى وافاهم بقصيدتين له ميمية وواوية ثم أطنب في وصفهما بالفصاحة وأن أهلها أرادوا أن يجعلوهما إماماً لهم في الآتي في كل ما يقرضونه من الشعر. ثم ذكر غبطة المعرّة بإقامته فيها في بعض الأيام الماضية وجَرَّها على غيرها من البلاد ذَيل الفخار فبقيت بعد رحيله منها كجسم فارق رُوحاً. ثم ذكر عزمه على أن يتخذ آثاره مشاهد للأدب محضورة، كما يتقيّل الخلف الصالح آثار السلف الفاضل. ثم عذر المعرّة في الافتراق بأنها لم تكن تصلح لمثله من النبهَاء. ثم قال: وقد أفادت هذه البقعة الصيت البعيد وانقادت لها أزمّة الجَدّ السعيد، لياليَ آمنتها المكارم عليه، واستودعتها البراعة حدّة أصغريه، فظعن وأرجه مقيم، وارتحل وللثناء تخييم. ثم التمس منه على بعد المزار وتنائي الديار، أن لا يحرم أهل المعرّة إرشاده وحكمته وإبصاره. فإنه وإن ألقى عصا التسيار بمصر فلا يزال أهل المعرّة يَمُنُّون إليه بالحُرَم والمزالف، ويترقبون كلاءته ترقّب الصّيب الواكف. ثم ذكر أنهم أضاعوا الفُرْصَة ولم ينتهزوها بالاقتباس منه أيام كونه بها. ثم قال إنهم وإن فقدوا شيئاً لا خطر له إلا أنه خطير لمثلهم ذوي البضاعة المُزجَاة (وهذه الجملة هي التي أوهمت بعض المستعربة) ثم قال: إن الأَوْلى بحالهم أن لا يضاهوه في الكتابة والشعر إجلالاً له وتكرمة، إلاّ أن قليل العلم منهم وهم بدار المخَافة مرتقبين كل آفة لعله يُستطرف منهم خاصّة، وإن زَهي أحد منهم على فضله فإنما زهْوه على أمثاله من مُقلّي البضاعة. ثم وصفه بكل فضل وأبدى شكر مِننِه وأن أدبه في أدبه كالقطرة من الغدير. وذكر أفضال والده عليه. ثم فضله على الأدباء قاطبة وختمها بقوله: «إن إقْدامه على حضرته بالمكاتبة لعرض الحال، لا لإبداء الفصاحة في المقال. فإنه ليس عنده منها إلاّ ذَرّة»

(١) ص: ٣.
(٢) ١٤، وصبح الأعشى ١٤: ١٩٠.
(٣) ٥٦.

ا هـ. وسردتُ معنى لا لأني رأيت بعض المستعربة وقع في وادي تُضُلّل وسَلا جمل، فخلط بين الأب والابن[١] ولم يعرف الهرّ من البرّ. وزعم أن المغربي (؟) أرسل إلى أهل المعرّة عامة كتابه لما كانت العساكر المصرية[٢] في حصار حلب فانضمت إلى المصريين فحمل عليها الحلبيّون إلا أن المصريين أنقذوها من أيديهم. وكل هذه مزاعم أو دعاوٍ زائفة لم يُقم على شيء منها دليلاً. وما أجدرها بالردّ إلا أننا نُزيفها لئلا يقع في مَهْواتها أحد من الأغرار وكثيرٌ ماهم. (١) الكاتب إلى أهلها وليس إلا أبا القاسم وكان وُلد[٣] سنة ٣٧٠هـ وما له[٤] وللسياسة في هذا العمر القصير (٢) لم يُنْفَذْ كتاب المغربي (؟) من حلب بل من مصر كما في ر[٥] المنيح تصريحاً (٣) وجنوح المعرّة وأهلها إلى المصريين باطل. فإن صاحبنا لم يكن يميل إليهم أو إلى مذهبهم بل لا يزال يشنّع على نِحْلَتهم ويَنْعيّ على حُكامهم سُوْء أعمالهم وانظر النظرة. وإني لأستغرب من هذه الدعوى وهل صاحب حلب في هذه الأيام إلا أبو الفضائل سعيد الدولة وكان من ممدوحي صاحبنا. وأول قصيدة من س مدحه بها[٦] سنة ٣٩٠هـ. على أن ابن القلانسي[٧] ذكر أن أبا المعالي سعد الدولة لما كاتبه رجال فرغويه من حلب ليتملكها سار إلى المعرّة فملكها أولاً وأخذ منها غلاماً كان غلب عليها يقال له زهير. وكان ذلك سنة ٣٦٦هـ. فهذا يدلّ على صِلَة المعرّة بِسعد وسعيد قبل سنة ٣٨٦هـ التي سماها ذلك المستعرب وبعدها. على أنا نراه يفضّل أمراء آل حمدان على غيرهم قال. س[٨]:

لا تـأمَـنَـنَّ فـوارسـاً مـن عـامـر إلاَّ بـذمـة فـارس مـن وائـل

نقل الخوارزمي عن التبريزي ما خلاصته أن عامر بن صعصعة هم المستولون على العراق والجزيرة والشام. وآل حمدان ملوك حلب من وائل فكأنّه يشكو في هذا البيت عامراً ويشكر وائلاً وفيه إِيماء إلى أن فارساً من وائل يعدل بفوارس من

(١) أو نقل عمن خلط بينهما وهو مرجليوث في ترجمة الرسائل ص: ٢.
(٢) وقعت هذه الفتن ما بين سنتي ٣٨٢ ـ ٣٨٦.
(٣) على ما نقل في الوفيات عما وجد بخط والده أبي الحسن.
(٤) على أنه ألف مختصر الإصلاح الذي قرظه المعري في الإغريضيّة سنة ٣٨٧ وهو ابن ١٧ عاماً، فظاهر أنه أرسل إلى صاحبنا رسالته وهو ابن نحو ١٥ عاماً. لا يقال: إنه وقع ثمة فترة بين الرسالتين فإن فيهما ما ينفيه على أنه وعد في الإغريضية أن ينفذ إليه في كل أسبوع كتاباً. ص: ١٥.
(٥) ص: ٩ ولفظه وإن ضرب أرواق البَثْيَّةِ بمصر.
(٦) كما جاء في عنوان نسخة باريس الخطية من س.
(٧) ص: ٢٨.
(٨) ١: ١٥٧.

عامر ا هـ. ومن ل:

يا والي المصر والإقليم قد حُفظت صنائعٌ لك أم كلّ أمرىء ناسِ
أُوْدِعْتَ ضغناً فلا تَجْحَدْهُ مُوْدِعَه إن الأمانة لم تُرفع من الناس
وكل من فوق الثرى خائن حتى عُدول المصر مثل اللصوصْ
أيا والي المصر لا تظلمن فكم جاء مثلك ثم انصرف
يقولون في المصر العُدُول وإنما حقيقة ما قالوا العدول عن الحق
ولستُ بمختار لقوميَ كونهم قضاةً ولا وضعَ الشهادة في رَق
مضى قَيْلُ[1] مصر إلى ربه وخلّى السياسة للخائل
أما عرف المقيم بأرض مصر وميض بوارق وَدَويَّ رَعْد
إن نال من مصر قضاء نازل فمصير هذا الخلق شرّ مصير

والمصر المحلى بأل هو مصر لا غير كما نرجّح. وهذا للتنصّل وقت الحاجة.

وأما بعض جُمَل من ر لها علاقة جزئية بالسياسة فإنّها كما يكاتب به الإخوان ليس غيرُ. فقد كتب[2] إلى أبي أحمد عبد السلام بعد الرجوع من بغداد والفتنة عند صَمّاء. طِعان بالمُرّان ورِماء. إنما يجيء الصيف وقد سُلَّ السيف الخ. فهل يقول فيها أيضاً أنها سياسيّة. وكل هذا نتيجة وَلَع أبناء المغرب بالسياسة لا علاقة صاحبنا بها.

وتصدّى للرد عليه وشَمّر بعض شُبان العصر[3] إلاّ أنه وقع في مَهْواة أخرى فظنَّ أن كاتب بكجور هو أبو الحسن الحسين بن علي المغربيّ فجعل الوالد مجموعة الأب والابن حيث كناه بكُنية الأب وسمّاه باسم الابن. ثم قال إنا لا نشك في أن الوزير المغربي إنما يطلق على أبي القاسم وحده. أقول ولكن ابن الأثير[4] وابن خلدون دعوا الأب أيضاً وزيراً. والأعمال التي دبّرها مع بكجور تدلّ على وِزارته لا كتابته فحسبُ. وأما اختلاف المؤرخين في إطلاق لفظتي المغربي[5] وابن المغربي على الوالد والولد وعلى عكسه فهذا سائغ فإن كلاًّ منهما مغربي وابن مغربي أيضاً، كما أن الجمهور يطلقون على التبريزي لفظ الخطيب ولكن ياقوت[6] يصحّح ابن الخطيب فإنه لم يكن

(١) ليلة يريد العزيز والحاكم.
(٢) ر، ص: ٤٧.
(٣) صاحب (ذ): ١٥٩.
(٤) الكامل ٩: ٣٦، والعبر ٤: ٢٥١.
(٥) انظر ابن القلانسي: ٣٥، ٣٨، ٣٩، ٤١، ٦١، ٦٢، وغيره.
(٦) البغية: ٤١٣.

بنفسه خطيباً بل أحد أسلافه ولكنا نرى كِلَيِ الإطلاقين سائغاً جارياً. وزعم أن صاحبنا لقّب أبا القاسم الوزيرَ في رسائله ثم استشكل ذاك إذ لم يكن ولي الوزارة بعدُ. وهذا كله دعاوٍ فارغة فإنّي نقبتُ عن الرسائل الثلاث فلم أجده يخاطبه بالوزير أصلاً[١] بل خاطبه بالسيّد الجليل وخاطب والدَه بالسيّد الأجل والأكبر.

وأما الإغريضية فإنها في تقريض مختصر إصلاح المنطق الذي وضعه أبو القاسم، وذكر فيها كالأولى أن لوالده عليه أياديَ، ووصف شعراً له أرسله، وذكر أن عبديه موسى والزهيريّ ورداه وطلب منه موسى جواب كتاب صاحبه وذكر أن له بُلغة يتبرّض بها وأنه في المراسلة به دون والده كمن سجد للشمس زاعماً إياها الإلٰهَ، وأن الرسالة الأولى عرضت منه موضع الإكرام فبعث أختها راجياً لها بختها. والذي يَهُمُّ أنه أظهر فيها وجده إلى زيارةِ فِنائه. والظاهر أن أبا القاسم طلبه إلى حضرته إلاّ أنه اعتذر عنه برسالته الـ ٢١.

القاضي أبو حمزة التنوخيُّ[٢]
وأبو الحسين النكتيُّ وأبو الخطاب الجَبُّليُّ

فأمّا الأول فهو الحسن بن عبد الله بن محمد بن عمرو بن سعيد بن محمد بن داود بن المطهَّر، ويجتَمع مع صاحبنا في داود على ما نماه صاحب «الجواهر المضيئة»[٣] قال: ومات قبل الأربعمائة ا هـ فرثاه أبو العلاء بداليّته[٤] التي أوّلها:

غيرُ مجْدٍ في مِلّتي واعتقادي نَوْحُ باكٍ ولا ترنُّم شادِ

وهي[٥] من غُرر المراثي وحسَنَاتها، ودُرَر التأبين لا خَرَزَاتها. أبان فيها عن صدق الإخاء، والوفاء للأصدقاء، وكان من أُسرة الدين والتقوى والإنابة والرَّعْوى وكان خِدْنَ صِباه لم يَحُلّ لجهل حُباه. قال س[٦]:

كنتَ خلَّ الصبىَ فلما أراد البَيْـ ـنَ وافقتَ رأيه في المُراد

(١) بلى خاطبه بالوزارة بعد وفاته في رثائه المار، وكان ولي الوزارة قبل موته مراراً.
(٢) قاضي منبج كان، الوفيات ٢: ٤١٧.
(٣) حيدر آباد ١: ١٩٦.
(٤) س ١: ٢٠٨، وزعم صاحب (ذ): ٢٣٩ أن القصيدة من شعره في دور حياته الثالث بعد الرجوع من بغداد وهذا غلط منه كما ترى.
(٥) قال الصفدي: الغيث ٢: ٢٤٤ وما أكثر حكمة المعري من هذه القصيدة ا هـ.
(٦) س ١: ٢١٥.

ومنه يظهر أنه مات في غضارة شبابه وخلّف أخاً يدعَى محسّناً[١]-ذكره صاحبنا في القصيدة وترجم له صاحب الجواهر[٢] أيضاً ـ وأبناءً[٣] ووصفه فيها بالخَطَابة والفقه ورواية الحديث × والقصيدة تنمُّ بالخُطَّة الّتي توخّاها في عُزلته من إعراضه عن الدهر ولذّته فلا بأس أن نلمع ببعضها، فمنها بعد البيت الأوّل:

وشبيهٌ صوت النَعيِّ إذا قيـ ـسَ بصوت البشير في كل ناد
أَبكَتْ تلكم الحمامةُ أم غَنـ ـتْ على فرع غُصنها المَيّاد
صاحِ! هذي قبورُنا تملأ الرُحْـ ـبَ فأين القبور من عهد عاد
خَفِّفِ الوطءَ ما أظنّ أديمَ الـ ـأرض إلاّ من هذه الأجساد
وقبيحٌ بنا وإن قَدُم العهـ ـدُ هوانُ الآباء والأجداد
سِر إن اسطعتَ في الهواء رُويداً لا اختيالاً على رُفات العِباد
رُبَّ لحدٍ قد صار لحداً مراراً ضاحكٍ من تزاحُم الأضداد
ودفين على بقايا دفين في طويل الأزمان والآباد
تعبٌ كلُّها الحياةُ فما أعـ ـجَبُ إلاّ من راغب في ازدياد
إنّ حُزْناً في ساعة الموت أضعا فُ سرور في ساعة الميلاد
خُلق الناسُ للبقاء فضلّت أمة يحسبونهم للنفَاد
إنما يُنْقَلون من دار أعما ل إلى دار شِقوة أو رشاد
ضَجعة الموت رقدةٌ يستريح الـ ـجسمُ فيها والعيش مثل السُّهاد
كل بيت للهَدْم، ما تبتنى الور قاءُ والسيّدُ الرفيعُ العِماد
والفتى ظاعن ويكفيه ظل السّـ ـدْر ضَرْبَ الأَطناب والأوتاد
بانَ أمرُ الإِلٰه واختلف النا س فداعٍ إلى ضلال وهاد
والذي حارت البريّة فيه حَيَوانٌ مستحدَث من جَماد
واللبيب اللبيب من ليس يغترّ بكَونٍ مَصيرُه للفَساد

قال السمعانيّ في النَسَب[٤] «أبو الخطّاب الشاعر الجَبليُّ.. وكان من المُجيدين

(١) س ١ : ٢١٦.
(٢) ٢ : ١٥١.
(٣) س ١ : ٢١٧.
(٤) ورق: ١٢٢. وصحح كلامه من البلدان رسم جبل وفيه اسمه محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم كما في التتمة أيضاً.

قال ابن ماكولا: له معرفة باللغة والنحو ومدح أبي وعمّي قاضي القضاة أبا عبد الله. قلت: وكان بينه وبين أبي العلاء المعرّيّ مشاعرة، ومدحه أبو العلاء بقصيدته التي أنشدناها الأديب أبو عبد الله الحسين بن عبد الملك الخلاّل بأصبهان [قال: أنشدنا] أبو المكارم عبد الوارث بن عبد المنعم الأبهري [قال] أنشدنا أبو العلاء... لنفسه غير مُجد البيت. ومات أبو الخطاب في ذي القعدة سنة ٤٣٩» ا هـ قال ابن خلكان[١]: وهذا غلط منه بل كتبها أبو العلاء المعرّيّ إلى أبي حمزة الحسن بن عبد الله الفقيه الحنفي قاضي مَنْبج كان، وقد ذكر ذلك القاضي كمال الدين عُرفَ بابن العديم الحلبيّ ا هـ. قال العاجز: أما القصيدة فإنها في أبي حمزة حقّاً وفي عنوانها يرثي «فقيهاً حنفياً» وسَمّى فيها أبا حمزة وأخاه محسّناً وأبناءَه كما مرَّ. وقد علمت أن محسّناً أخو أبي حمزة من الجواهر أيضاً. على أن القصيدة ليست من المشاعرة في شيء. ويلزم على هذا أن يكون في س من الشعر ما قيل بعد سنة ٤٣٩[٢] وهو باطل؛ وقد نُصَّ على ذلك في نسخة بانكي پور ولفظها وقال يرثي الفقيه أبا الحسن بن عبدالله بن عمرو الحنفيّ. إلا أن ابن خلكان سبق قلمه فتابَعَ السمعانيّ في قوله: «بل كتبها إلى» الخ، فإن القصائد ليست مما يكتب إلى الأموات. فوجه العبارة: «بل كتبها في»الخ أبو الخطاب يأتي في الزوّار أيضاً. وأما قصيدة أبي العلاء إليه فإنها بائية[٣] من س أجاب بها عن قصيدة مدح بها أبا العلاء ودفع نسختها إليه وجاء في عنوان البائية أنه كان مفرط القصر.

وورد ذكر أبي حمزة في ر[٤] له إلى النُّكَتيّ بما نصّه «وأما صديقنا أبو حمزة رحمه الله فقد نقله الله جلَّ اسمه من دار الشقاء إلى دار النعيم والبقاء» ا هـ.

هذا يدلّ على أن هذه الدرر الثلاث من عقد قد انفصم، فاستأثر بأبي حمزة الأوَّاب الجذَع الأزلم. وأما النكّتيّ فإنه أبو الحسين أحمد بن عثمان البصريّ. ولم أعثر من أخباره غير ر[٥] وتدل على أن الرجل شاعر أديب راوية وله كتاب في تفسير سورة الإخلاص ذكر أن نسخته كانت عند أبي بكر المؤدّب وذكر صديقاً للنكتي يدعى أبا القاسم المبارك بن عبد العزيز من تلامذة ابن خالويه. وروى عنه أبو العلاء خبراً فلعل النكتي أيضاً من أصحاب ابن خالويه أو من أصحاب أقرانه. ومر أمر قَصْره كنيةَ صاحبنا وغيرُه. وقد أطال صاحبنا في سَرْد الضرورات الشعرية بما خلا عنه أكثر كتب العروض، وهذا يدل على اضطلاع الرجل من العروض اضطلاعاً لا مزيد عليه. وذكر

(١) ٢: ٤١٧.

(٢) ويأتي في ذكر س: أن آخر قصيدة فيه ما رثى به ابن المهذب نحو سنة ٤٣٥هـ إن صح قول شارح المجاني ص: ١٢٤٩.

(٣) ١: ١٥٣.

(٤) ٨٧.

(٥) وهي الـ ٢٧ ص: ٦٥.

أن صاحبَه قبل هذا وأن الرجل رَحّالة. وأما تاريخ هذا الكتاب فهو نحو ٤٠٠هـ أو بعده. والله أعلم.

أسباب رحلته إلى بغداد

قد نقلنا فيما سبق بيتاً له في أنه كان يُحدِّث نفسه بالرحلة إليها من شَرْخ شبابه إلاّ أنها لم تَتِحْ له إلا بعد الكهولة. فأما جواب مُسائلي لِمَه؟ فإني أسأله لماذا كان رحل إلى حلب وغيرها من بلاد الشام؟ فما أجابني فهو جوابي له حُلْكُ «غير التعلُّم». والذي يَخْلَصُ إلينا من كلامه نثيره ونظامه أنه زارها لدار الكتب، ولقاء فحول العلم والأدب، والاستمتاع بحضور محافلهم وحلقاتهم، والإفادة والاستفادة من محاضرته ومحاضراتهم. لأن عام بغداد في هذا الغرض كان يَفْضُلُ على قَرْن المعرّة. على أنه كان أسْأمه بأوطانه الضرير والمَضرَّة. فإذاً السبب الثاني تبرُّمه من الفِتن الهائلة، والدول الدائلة. وتَوثُّبُ أجلاف البَدْو، وحَمْلة المصريين والغَزْو. على ما كان الروميون المُجاورون يسومونهم من أنواع الخَسْف، ويكيدونهم به من الحيف والعَسْف، فكأن هاتيك الفتن المتوالية رنّقت سائغ منهله فعزم على الرحلة والنُقلة بعد أن كان يجمجم بها في العُزْلة. وهذه شواهد لسانه ومرقوم بنانه: كتب إلى ابن سختكين[1]: «وكنت عرَّفته أن من رحل عن بغداد لم يجد منها عِوضاً، وإن وجد مَحَلاً مروَّضاً، لأن غابر العلم بها غريض، وصحيح الأدب في سواها مريض» ـ وكتب إلى خاله أبي القاسم[2]: «والذي أقدمني تلك البلاد مكان دار الكتب بها [الحماسيّ]:

ولستُ وإن أحببتُ من يسكن الغضا بأول راجٍ حاجة لا ينالها

شرفاً لذلك المنزل منزلاً وللساكنين به نفراً ولماء دجلة وادياً ومشرباً. ومما كتب إلى أهل المعرّة[3] وقد عزم على الرجوع «وأحلف ما سافرت أستكثر من النشب ولا أتكثّر بلقاء الرجال. ولكن آثرتُ الإقامة بدار العلم فشاهدت أنفس مكان لم يُسْعِفْ الزمن بإقامتي فيه». ومما كتب إلى الواجكا[4] بعد الرجوع: «ولو قدرت لم أقدح إلا بمَرْخ[5] ولا سكنتُ بلداً غير الكرخ». وفي س[6]:

وما أرَبي إلا مُعرِّس معشر هم الناس لا سوق العَروس ولا الشّطُّ

قال صاحبا التنوير والضرام يعني دار الكتب ببغداد لأنها مجمع العقلاء والعلماء

(١) ر، ص: ٥٧.
(٢) ر: ٣٢.
(٣) ر: ٣٤.
(٤) ر: ٤٧.
(٥) مر شرحه فيما قبل، والمرخ يكثر بنجد وما جاورها.
(٦) ٢: ١٢٥.

الذين هم الناس. وسوق العروس مجمع الطرائف بها. ومن ل:

إذا دنوتِ لشام أو مررتِ به   فنكّبيه وراء الظهر أو حيدي
قد غيّر الدهر منه بعد مبتهج   وألحد السيف فيه بعد توحيد
ألِفنا بلادَ الشأم إلْف ولادة   نُلاقي بها سُوْدَ الخطوب وحُمْرها
والشأم فيه وقود الحرب مشتعِل   يُشبهُ القومُ شُدَّت منهم الحُجزُ
وبالعراق وميض يَسْتهلُّ دماً   وراعد بلقاء الشرّ يرتجز

ونراه يكرّر أنه لم ينوها للإثراء، ولا قام من أحد مقام المستميح بالمدح والإطراء. كأنه كان يعلم بما به يُظنّ، ويُقْرَفُ ويُزَنُّ. س:

وأني تيممتُ العراق لغير ما   تيَمَّمَه غيلانُ عند بلال[١]
وكم ماجد في سِيف دِجلة لم أشِمْ   له بارقاً والمرء كالمُزن هَطّال[٢]

وكتب إلى ابن فورجّة وهما ببغداد:

ولو لم ألق غيرك في اغترابي   لكان لقاؤك الحظّ الجزيلا[٣]

وكتب إلى التنوخي الصغير بعد الرجوع:

رحلتُ لم آتِ قِرواشاً أزاوله   ولا المهذّبَ يوماً أبتغي القوتا[٤]
والموت أحسن بالنفس التي أَلِفت   عِزّ القناعة من أن تسأل القوتا

وقال في مرثية أبي أحمد الموسوي يخاطب وَلَدَيه:

أوضعتُ في طُرْق التشرّف سامياً   بكما ولم أسْلُك طريق العافي[٥]

ومما كتب إلى أبي حامد:

وبالعراق رجال قربهم شرف   هاجرتُ في حُبّهم رهطي وأشياعي[٦]
على سنين تقضّت عند غيرهم   أسِفتُ لا بل على الأيّام والساع
ولا أثقّل في جاه ولا نشب   ولو غدوتُ أخا عُدم وإدقاع

وهذا وقال القِفطي[٧] في إنباء الرواة بأنباء النحاة والذهبي[٨] في تاريخه الكبير: «إن عامل حلب قد كان عارض أبا العلاء في وقف كان له فسافر إلى بغداد متظلماً منه»

---

(١) ٢: ٤٥.
(٢) ٢: ٥٤.
(٣) ٢: ٨٧.
(٤) ٢: ١١٩.
(٥) ٢: ٦٦.
(٦) ١: ١٦١، ١٦٢.
(٧) (ذ): ٥٥.
(٨) ذهبي: ١٢٩.

ا هـ. ولعل العامل هو أبو نصر بن لؤلؤ[١] المستولي على أبي الفضائل سعيد الدولة، وكان أبوه لؤلؤ من موالي أبي المعالي سعد الدولة بن سيف الدولة، ويُستشكل على هذا أن أبا نصر كان خطب للحاكم العلوي لا للخليفة العباسي حتى يكون مسيره إليه للتظلم والاستصراخ، ولكني أرى أن أبا نصر لم يكن ليبذل للفاطميّ نخيلة صدره ونصيحةَ ضميره. ولم تكن الخطبة باسمه إلا استظهاراً على أبي الفضائل واستكفاءً لشرّ العُبيديّين، ويعجبني قول[٢] من قال على أنه من الممكن أن نسلّم أن مسيره إلى بغداد كان تبرّماً من أمر اختلال معيشته لا تظلماً إلى الخليفة في استرداد وقفه وضيْعته. فإنا لم نجد ذكراً للوقف المذكور مدّة إقامته بها. على أن بيتين له من س يكذّبان ما روياه ـ قال بعد الرجوع يخاطب أهل بغداد:

أثارني عنكم أمران: والدةٌ لم ألقها، وثَراء عادَ مسفوتا

أحياهما الله عصرَ البين ثم قضى قبل الإياب إلى الذُّخْرَين أنْ موتا

فقوله أحياهما إلخ صريح في أن ثراءه عاد مسفوتاً بعد مفارقته المعرّة وقبل رجوعه إليها ـ لا قبل مفارقته المعرة ـ ولم أر أحداً من مترجميه أثبت صلة له بالخليفة إلا دَولت شاهٌ الفارسي وقوله مردود عليه كما يأتي. ولا نظن[٣] أن العامل هو سعيد الدولة، فإنا نرى شيئاً إذاً وأمراً بدعاً أن ينتزع من صاحبنا وقْفه مع أنه لم يكن مضى على مدحه إيّاه بعدّة قصائد كما مرّ إلا بضعةُ أعوام.

وروى ابن الوردي[٤] عن الشيخ أبي غالب فيما حدثه أبو العلاء من لفظة أنه نزل بغداد ليقرأ بها العلم فلم يصادف بها مثله. وقال ابن العديم في العدل إنه أقام ببغداد بتفقّد خزائن الكتب بها. والقولان يؤيدان ما أسلفناه.

بغداد

فيم كانت إذ ذاك؟

كانت بغداد في هذا العصر وقبله وبعده محفوفةً إلى غيرها من حواضر الإسلام بمنافسات السياسة. فعادت مجال فرسان ملوك الأطراف ومطمح أنظارهم المتعارضة

(١) كما يفهم من سوق ابن الأثير ٩: ٩٤، وأبي الفداء ٢: ١٤٠. لا لؤلؤ كما في (ذ): ٥٥. وانظره في الحكام.

(٢) هو المستعرب د، س. مرجليوث.

(٣) كما ذهب على صاحب (ذ): ٥٥.

(٤) ١: ٣٢١.

التي جعلت الخليفة تحت الحراسة. فكان كلُعبة يرقُصُ على أغراضهم. يُقبل بإقبالهم ويُدْبر بإعراضهم، ولا كان لأوامره نجاز، أو إكرام أو إعزاز كما قيل فيما كان قبله من الجيل:

خليفة في قفص بين وصيف وبُغا
يقول ما قالا له كما تقول الببغا

وكان المستولى عليه ـ من ملوك آل بُوَيْه ـ بهاء الدولة بن عضد الدولة ولم يكن قويّاً أيّداً، ولا كريماً سيّداً، كان يعيش من خُلوّ الجوّ خُلوَّ البرّ، وإقفار الدوّ كَجُبّاءِ تَوّ.

إلاّ أنها مع ضعفها من جهة السياسة كانت مُخَيَّمَ علماء الإسلام، وآحاد الأنام، ونخبة الأيام، من كل محصّل همام. رَقيت في العلم رُقِيّاً لم يقدَّر لها فيما مضى عليها من القرون، على هنات وشجون، وتشتّت الشؤون. والسبب فيما أعلم أن كل الملوك كانوا ارتضعوا أفاريق الحضارة الإسلامية ومعاشرتها وتبرَّضوا أوشالها وغَمْرَتها وتربّوا في ظلّها السابغ، على كل نبيه نابغ. فخرج كلّهم ابن بَجْدَته، ونسيجَ وجده. فكان فحل آل بويه عضد الدولة نحويّاً أديباً شاعراً. وسيفُ الدولة لغوياً شاعراً أيّ شاعر. والصاحب والأستاذ ابن العميد لم يُخْلِفا بعدهما من يجاريهما في الرهان، فكيف بإحراز الخَصْل عَليهما عند الأقران.

وكانت بغداد مدينة السلام وبيضة الإسلام، فاجتمع بها من أرباب المقالات والملل، والآراء والنحل، والفقه والأصليْن والجَدَل، والأخبار والآثار، وعلماء الحديث والنحو والأدب واللغة الأخيار، ما يجاوز ألوفاً، ويَعقد على آذان الدهر شنوفاً. ولم يكن مضى بعدُ على وفاة أبي علي وأبي سعيد والصاحب وابن العميد، والبديع وابن فارس وابن جنّي-وهو فارس مضمار العربية أيّ فارس-كبيرُ مُدة، وطويلُ بُرْهة فالعلم بها غَضّ غريض، ولم يكن الجريضُ، حالَ بعدُ دون القريض. فهي غاصة بعلمائها وفقهائها، شاقة بأعيانها ووُجهائها. وكان بها من أماثلها ممن لم نعثر له على صلة بصاحبنا أبو بكر البرْقاني وابن المحامليّ من أصحاب أبي حامد والقاضي عبد الجبار المعتزلي والأستاذ أبو منصور البغدادي ومن أعيان العصر القادر بالله الخليفة وبهاء الدولة البُويهيّ، والوزير أبو نصر وقِرْواش صاحب الموصل والمهذَّب صاحب البطيحة والسلطان محمود الغزنويّ وهو متغلغل في مجاهل الهند. وممن عثرنا له على صلة به شيخ الإسلام أبو عثمان الصابونيّ والإمام الرئيس أبو حامد الإسفرائني وكان ذا كلمة نافذة يحضر حلقته ٧٠٠ مُتفقه كما قال الخطيب[١] ورُجح[٢] أنه مجدد المائة

(١) الشافعية ٣: ٢٥، والوفيات ١: ٢٠.

(٢) الشافعية ١: ١٠٥ و٣: ٢٦، وكان يدرس بقطيعة الفقهاء كما سيأتي.

الرابعة وأبو[١] سعيد الخوارزميّ من تلامذته وكان زار صاحبنا بالمعرة سنة ٣٩٨هـ وهو بنيَّة الحج، وقالوا ولم يكن في عصره بعد أبي الطيب أفقهُ منه، والإمام أبو الطيب الطبري الفقيه النّظار شيخ الخطيب أبي بكر والإمام أبي إسحاق الشيرازي، والقاضي عبد الوهاب أكبر علماء المالكية، وعليّ بن عيسى الرّبعي صاحب أبي علي الخِصّيص وصاحب أبي سعيد، والأديب الراوية الجِهْبذ الواجكا وسيرِدُ والشريفان المرتضى عَلم الهدى والرضِيُّ الشاعر، وهما إذ ذاك مأثَرَتا بغداد وَعَلماها ، ورَأْساها السُّرْسوران لا قَدَمَاها، وأبواهما الشريف النقيب أبو أحمد الموسوي، وأبو القاسم علي بن المحسِّن[٢] وهو القاضي التنوخيّ الصغير، إلى غيرهم، وهم كثيرون يُوْرِث سَرْدُهم السأم والملل «وعن البحر اجتزاء بالوشَل».

تجهزه للسفر

ووصف طريقه إليها

بينما كان يُعدّ المعِدّات لسفره إذ ورده بالمعرّة الشيخ أبو سعيد الخوارزمي الضرير من بغداد في رمضان سنة ٣٩٨هـ، وهو من أكابر أصحاب أبي حامد ويقال إنه لم يكن في عصره من الشيوخ بعد أبي الطيّب الطبري أفقهُ منه، ومات سنة ٤٤٨هـ. ترجم له صاحب طبقات الشافعيّة[٣]. وكان صحبته كتاب من أبي الطيّب الطبري إلى أبي العلاء إلا أن البادية اختطفته في جُملة كتبه ونهبته. وقد أخذ صاحبنا في جواب هذا الكتاب المفقود إلاّ أنه لم يكمل فيُوْصلَ إليه كما في عنوان ر[٤] إلا أني أرى الأصلح أن يصير بنفسه جوابه المُعَدَّ فإن رحلته كانت أزِفت وكأنْ قدْ ويظهر منه أنه كان متردّداً[٥] بعدُ في السفر على السُّفُن الدُّهْم، أو النُّوْق الجلاد الأُدْم.

وذكر في رسالته إلى أبي القاسم أن جملة مُعِدَّات السفر من السفينة والمطيّة كانت منه وكان أخوه أبو طاهر قد تقدَّم إلى معَارفه ببغداد في التوصية بصاحبنا وهذا لفظه[٦]: «وما هبطتُ في طريقي وادياً ولا فرعتُ جَملاً، ولا حملتْني سفينة ولا ذلّت

(١) أحمد بن محمد الضرير ترجم له في الشافعية ٣: ٣٣.

(٢) بتشديد السين المكسورة قال في س ٢: ١١٨.

يـا ابـن الـمـحـسـن مـا أنـسـيـت مـكـرمـة

الخ.

(٣) ٣: ٣٣.

(٤) وهي الـ ٢٥ ص: ٦٢.

(٥) ر، ص: ٦٣.

(٦) ص: ٣٠.

لي مطيّة، إلاّ بمَنّ الله سبحانه ومِنةِ سيّدي وعنايته . . . وقد علمتُ أنه يعمل ذلك معي لا يريد جزاء ولا شكوراً. وأما سيّدي أبو طاهر . . . ما زالت كتُبُه تَطْرقُ أصدقاءه محافظةً على المكارم، ومراعاةً لأمر غير لازم حتى جعلهم إليَّ كعُرْف الفرس أو قُوى المَرَس وكلّما عرضوا قضاء حاجة أعرضتُ عن تكليف المشقّة لأني أعتقد حكمةَ زهير في قوله:

ومَــنْ لا يــزلْ . . . الــبــيــتَ ومــرَّ

ولمّا دَخلها كتب إلى أبي حامد عينية من س[1] وصف فيها طريقه المخوف وسفينته وبذل له فيها ودّه قال:

إسمع أبا حامد فُتياً قُصدتَ بها — من زائر لجميل الوُدّ مبتاع
مؤدّبِ النفس أكّالٍ على سَغَب — لَحمَ النوائب شَرَّابٍ بأنقاع
أرضى وأُنصفُ إلا أنني رُبما — أربيتُ غيرَ مُجيز خُرْقَ إجماع
وذاك أني أُعطي الوَسْقَ منتحياً — من المودّة مُعْطي الودّ بالصاع
ولا أثقّلُ في جاه ولا نَشَب — ولو غدوتُ أخا عُدم وإدقاع
مَن قال صادقٌ لِئام الناس قلت له — قولَ ابن أسلتَ «قد أبلغت أسماعي»

وحضّه عَلى استخلاص سفينته ولكنه لم يوفَّق إلى ذلك وخَلصها آل حكَّار فشكر لهم صنيعَهم ونذكره فيما بعدُ:

مطيّتي في مكان لستُ آمَنُه — على المطايا وسِرْحانٌ له راع
فارفع بكفّي فإني طائش قدمي — وامْدُد بضَبْعي فإني ضيّق باعي
وما يكنْ فَلَكَ الحمدُ الجميلُ به — وإن أُضيعتْ فإني شاكر داع

فالظاهر إذاً أن يسير من المعرّة[2] إلى وادي الفرات على النُّوْق حيث كانت سفينته مُعَدَّةً فيركب فيها إلى الفارسية بالفاء والراء وهي قرية على ضفّة نهر عيسى بعد المحوَّل من قرى بغداد بينهما فرسخان وذكرها ياقوت. وفيها أخذها العَشَّارون وكانت من عود الفِرْصاد وأظنها هي التي كان يركبها أخواله في رِحلاتهم إلى بغداد للتجارة. وفي طبعات السقط:

(١) ١ : ١٥٨.

(٢) وذهب على مرجليوث ومن تبعه أنه رحل من حلب وهذا غلط فإنه صرح في رسالته ص: ٢٩ إلى أبي القاسم أنه نكب حلب في الإبداء والانكفاء أي الذهاب والإياب. ومثل هذا الخطأ غريب من ترجمان الرسائل، وكم له من مثله.

سارت فزارت بنا الأنبار سالمة ... تُزْجَى وتَدفع في موج ودُفّاع

والقادسيةَ أدّتها إلى نفر ... طافوا بها فأناخوها بجَعْجاع

القادسية بالقاف والدال وكذا في طبعات التنوير أيضاً، وهو تصحيف شنيع أوقع كلَّ من كتب عن أبي العلاء شيئاً[١] في غلط قبيح. قال الخوارزميّ في شرحه هي بالفاء والراء عن الإمامين صاحب الإيضاح[٢] وصاحب التنوير وكان الأستاذ البارع (يريد شيخه[٣] برهان الدين أبا المظفّر ناصرَ الدين بن أبي المكارم عبد السيد المطرّزي صاحبَ شرح المقامات والمصباح والمُغْرَب المتوفى سنة ٥٩٦هـ). قد أسمعنيه (؟) بالقاف والدال وهو سهو لأن القادسية أوّل منزل في البادية بينها وبين الكوفة مرحلة. وما للسفينة والبادية؟ وحكى لي بعض إخواني من الأفاضل أنه[٤] قد وقع فيه بيني وبين الأستاذ البارع منازعة فتحاكمنا إلى بعض العلماء من مستعربة تلك البلاد فحكم لي ا هـ. مختصراً قال بعض مستعربة العصر[٥]: إن سفينته لما وصلت الأنبار سالمةً وكان هناك نهر يمكنه المسير فيه إلى بغداد إلا أنه أعرض عنه لعارضة الفصل فمال بسفينته إلى القادسية من طريق أخرى (؟؟؟) فحبسها أصحاب السلطان[٦] هناك ا هـ. وهذا الرجل سار بها في البرّ فيا للعَجَب وقد استغنينا عن ردّ قوله بما مضى.

ولا شكّ أن رحلته هذه واحدة. وذهب على ابن خلكان[٧] ومنزلته من التحقيق معلومة أنهما رحلتان له إليها وهو وهم منه لا مَحالة. وقلده بعض أهل العصر[٨] فوقع فيما وقع فيه، ولم أقف على مصدره بعدُ. وأمّا انفصاله من المعرّة فالذي نستنتجه أنه وقع في آخر شوّال بل أوّل ذي القعدة سنة ٣٩٨هـ، وذلك أنه كان في رمضان بالمعرّة كما مرَّ حيث زاره أبو سعيد الفقيه الضرير فلم يكن يمكنه إلاّ أن يسير في شوّال لدُنوّ العيد. وإن مدّة إقامته بها سنة وتسعة أشهر كما في النزهة[٩] لابن الأنباري روايةً عن

---

(١) كمرجليوث وكل من قلده من أبناء جلدته وغير جلدته كصاحب (ذ): ١٧٠ وعجب منه أن يقول: «إنه يصف في العينية طريقه البرية» بذكر الناقة في أولها فهل غفل نظره عن قوله على نجاة من الفرصاد البيت فإنه كنى بالناقة عن السفينة.

(٢) هو التبريزي.

(٣) فإنه روى عنه السقط قراءة. وانظر مقدمة الضرام.

(٤) لعل الأصل قال: إنه الخ.

(٥) هو مرجليوث في م ر، ص: ٢١ وسلخ كلامه صاحب (ذ): ١٣٠ وغيرهما.

(٦) ولو أنه نظر عنوان الطائية ٢: ١٢١ س لكفاه وفيه: «وأمر الزورق الذي كان نزل معه إلى بغداد» وهذا الرجل حبسه في البر على القادسية.

(٧) ١: ٣٤، وتبعه اليافعي ٣: ٦٨.

(٨) كجورجي زيدان وفان كريمر الألماني وغيرهما.

(٩) ٤٢٧.

التبريزيّ تنتهي على رمضان سنة ٤٠٠هـ وكان ودّعها لستٍ بقين منها كما هو في ر[١] إلى خاله أبي القاسم. وقال ياقوت وتبعه ابن خلكان والصفدي إنها سنة وسبعة أشهر[٢]، ولا أرى ما ذهبوا إليه صواباً. وذلك أنه لم يدخلها إلا أول سنة ٣٩٩هـ كما في النسب للسمعاني والنزهة. ولعل هذه المزلّة هي التي ثنّى من جهتها ابن خلكان رحلته الفَذَّةَ حيث زعم أنه دخلها أولاً سنة ٣٩٨هـ ثم سنة ٣٩٩هـ.

ويظهر من ر له[٣] أنه استأذن أُمّه البرّة في أمر هذه الرحلة فأذِنت فيها وكانت تحسبها هُنيهةً، ومُدَيْدَة وبُريهة. إلا أنها طالت، إلى أن وافاها الحِمام ففادت. ولم يكن صاحبنا انتحاها للفراق، بل ليقيم ببغداد إلى أن يخترمه خَلاق على ما قال. ل:

إذا غدوتَ عن الأوطان مرتحلاً ... فضاهِ في البين حذف الواو من يَعِد

كانت فبانت وما حنّت إلى وطن ... وعاد غادٍ إلى وَكْرٍ ولم تعُدِ

ومن شعره في المعنى. س[٤]:

فيا وطني إن فاتني بك سابق ... من الدهر فلينعم لساكنك البالُ

فإن أستطع في الحشر آتِك زائراً ... وهيهات! لي يوم القيامة أشغالُ

ومن ر[٥]: «فشاهدتُ أنفس مكان لم يُسعِف الزمن بإقامتي فيه» ـ ومما كتبه[٦] إلى خاله أبي القاسم ولما فاتني المقام بحيث اخترت الخ ويأتي للبحث تتمة في وداعه لها.

وفي العدل لابن العديم إشارة إلى أن أبا العلاء وصل بغداد يوم موت أبي أحمد الموسويّ مع قوله بأنه وصلها سنة ٣٩٩هـ وهذا تناقضٌ ولعله ممن[٧] روى عنه فلا ريب ثَمّ أصلاً في أن موت الشريف وقع في جمادى الأولى سنة ٤٠٠هـ، وكان دخول أبي العلاء بغداد سنة ٣٩٩هـ كما مرّ.

مقامه بها ومنزله

الذي يُرْشِدنا إليه بيت من س[٨] مما كتبه إلى التنوخي الصغير وهو:

---

(١) ص: ٣٢.
(٢) وكذا في حاشية من شرح التبريزي على السقط. وليس معلقها التبريزي نفسه كما زعم مرجليوث ص: ٢٠ وكيف يقول هذا القول مع صحة الرواية عنه بسنة وتسعة أشهر.
(٣) ٢٩.
(٤) ٢: ٥٤.
(٥) ص: ٣٤.
(٦) ص: ٣٣.
(٧) وهو عيسى اسكندر المعلوف الذي وصف نسخة العدل المخرومة في مجلة المجمع العلمي بدمشق سنة ١٣٣٩هـ ص: ٢٣٦ ـ ٢٤٤.
(٨) ٢: ١٤٠.

أيـام واصـلتـنـي وُدّاً وتـكـرمـةً وبـالـقـطـيـعـة داري تـخـضـرُ الـنـهـرَا

أنّ مُقامه القطيعةُ. وبالكرخ من بغداد وهو الجانب الغربيّ الذي تَدَيّره منها قطيعتان إحداهما قطيعة الربيع كان يسكنها التُجّار، والأخرى قطيعة الفقهاء، ولا نجزم بإحداهما لفَقْدنا مأخذاً من التاريخ إلاّ أننا نرجّح قطيعة الفقهاء ومستدَلُّنا بيت من س(١):

بـمـحـلّـة الـفـقـهـاء لا يـعـشـو الـفـتـى ناري ولا يـنـضـو الـمـطـيّ عـزائـمـي

وإن كان صاحبا التنوير والضرام أرادا بمحلّة الفقهاء بغداد. وأظن أن هذا من عدم علمهما بمقامه، وإلا فظاهر أن المحلة لا يراد منها مدينة عادةً.

وأما نزوله بالكرخ فقد تواتر لدينا دلائله، وبه كان في محلّة بين السورين خزانة سابور. ولعل منزله بالقطيعة كان من دار سابور الملحقة بخزانته مما وقفه لأهل العلم الذين يستفيدون منها وذكرها في س(٢) بقوله:

وغـنّـت لـنـا فـي دار سـابـورَ قَـيْـنَـةٌ مـن الـوُرْق مِـطـربُ الأصـائـل مـيـهـال

ويأتي قول مهيار فيها.

وقال أبو الطيّب الطبريّ(٣) على ما نقل عنه السّلَفيّ في الجزء الذي وضعه في أخبار أبي العلاء: «كتبتُ إلى أبي العلاء المعرّيّ الأديب حينَ وافى بغداد وكان قد نزل في سويقة غالب (وهي من محالّها) ثم أتى بأبياته وبجوابها على اللام ـ وانظرهما في الفائت ـ فلعل نزوله بها كان باديءَ بدء عند بعض معارف خاله أبي طاهر أو من مُكاتِبيه من أعيان فقهائها، ثم يكون انتقل منها إلى القطيعة.

وكان الكرخ إذ ذاك محطّ رحال أماثل الفضلاء، نشأ فيه ناشئة من بلغاء الأدباء والشعراء، وبحسبك في الباب ما أورده ياقوت(٤) في ترجمة الباخرزي عن السمعانيّ أنّه لمّا ورد بغداد مدح القائم بقصيدة (ذكر بعضها ياقوت)، فاستهجن البغداديون شعره وقالوا: فيه بُرودة العجم فانتقل إلى الكرخ وسكنها وخالط فضلاءها وسُوقتها مدّة وتخلّق

(١) ٢: ١٠٠. قال ابن الأثير ٩: ١٠٨ كان أبو حامد الإسفرائني يدرس بمسجد عبد الله بن المبارك بقطيعة الفقهاء.
(٢) ٢: ٥١.
(٣) الوفيات ١: ٢٣٣، والبدائع للأزدي ٢: ١١٤. ولم يذكر الأزدي سويقة غالب وأورد الخبر مسنداً فقال: أخبرني ابن المقدسي، قال: أخبرني الحافظ السلفي، قال: سمعت أبا الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفي يقول: سمعت القاضي أبا الطيب الطبري يقول: كتبت إلى أبي العلاء المعري حين وافى بغداد ا هـ مختصراً، واليافعي ٣: ٧٠، وابن الوردي ١: ٣٦١.
(٤) ٥: ١٢٣.

بأخلاقهم، واقتبس من اصطلاحاتهم ثم أنشأ قصيدة (ذكر أيضاً بعضها) فاستحسنوها وقالوا: تغيّر شعره ورقّ طبعه ا هـ. أقول وكأن صاحبنا أشار إلى هذا المعنى بقوله ـ س[١]:

وما الفصحاء الصيْد والبَدْوُ دارُها بأفصحَ قولاً من إمائكم الوُكْعِ

وفي دَرْب الزعفران من الكرخ يقول القاضي أبو الحسن الميانِجيّ[٢] الفقيه وكان رفيقاً لأبي إسحاق الشيرازي في القراءة على أبي الطيّب الطبريّ ويصف ما وَشَانَ هَمَذان:

إذا ذُكر الحِسان من الجنان فحيَّهلاً! بوادي المَاوشان
تَجِدْ شِعْباً تُشعِّبُ(؟) كلَّ همّ ومَلْهًى مُلْهِياً عن كلّ شان
ومَغْنًى مُغْنِياً عن كلّ ظبي وغانيةٌ تُدِلّ على الغواني
بروض مُؤْنق وخرير ماءٍ ألذَّ من المثالث والمثاني
وتغريدِ الهزار على ثِمار تراها كالعقيق وكالجُمان
فيا لك مَنزلاً! لولا اشتياقي أُصيحابي بدَرْب الزعفرانِ

أُنشدت هذه الأبيات بين يدَيْ أبي إسحاق وكان متكِئاً فلما بُلَغ إلى البيت الأخير جلس مستوياً وقال المراد بأصيحاب درب الزعفران أنا ـ ما أحسن عمده[٣] اشتاق إلينا من الجنّة.

دار الكتب القديمة
وأبو أحمد الموسوي وولداه

كان ببغداد خزانة الخلفاء وكان فيها من الكتب ما لا يوصف كثرة ولا يقوّم عليْه نفاسةً ولم تزل على ذلك إلى أن دهمت التتر بغداد ـ كما في صبح الأعشى[٤] ـ وأظن الواجكا من خازني هذه الدار. وذكر في الغفران[٥] ابن حاجب النعمان وهو أبو الحسين عبد العزيز بن إبراهيم. قال ابن النديم في «الفهرست»[٦] وقد ترجم له: «ولم يشاهد خزانة للكتب أحسن من خزانته لأنها كانت تحتوي على كل كتاب عين وديوان

(١) ٢: ٧٦.
(٢) عليّ بن الحسن بن عليّ.
(٣) كذا والظاهر ما عمده.
(٤) ١: ٤٦٦.
(٥) ١٠.
(٦) ص: ١٣٤، ١٦٦، وكان القادر استوزره ولمهيار الديلمي فيه قصيدة في ديوانه ١: ٦٧.

فرد بخطوط العلماء المنسوبة» الخ. ولا نستغرب أن يكون صاحبنا استفاد منها ومن غيرها من الخزائن الخصوصية. ثم إن بهاء الدولة بن عضد الدولة أنشأ[١] خزانة بشيراز وولّى رعايتها عليّ بن هلال المعروف بابن البوّاب ـ صاحب الخطّ الشهير ـ فلعل هذا كان الباعث لوزيره أبي نَصْر سابورَ بن أردشير الملقَّب بهاء الدولة المتوفّى سنة ٤١٦هـ على أن أنشأ بالكرخ في محلّة بين السُّورَين داراً حافلةً بالكتب الثمينة العتيقة. قال ياقوت: «بين السُّورَين محلّة كبيرة كانت بكرخ بغداد وكانت من أحسن محالّها وأعمرها، وبها كانت خزانة الكتب التي وقفها الوزير سابور، ولم يكن في الدنيا أحسن كتباً منها، كانت كلها بخطوط الأئمّة المعتبرة وأصولهم المحرَّرة، واحترقت فيما احترق من محالّ الكرخ عند ورود طُغرل بك أوّل ملوك السلاجقة إلى بغداد سنة ٤٤٧هـ[٢]» ا هـ. زاد ابن الأثير[٣] أنه عملها سنة ٣٨١هـ، وجعل فيها أكثر[٤] من عشرة آلاف مجلّد ـ وفي الوافي[٥] أنه جعل رعايتها إلى عَلَويَّين أحدهما أبو عبد الله بن الطحاوي العلويّ، وكان حياً سنة ٤٠٢[٦] هـ. هذا وقال ابن الأثير بنفسه في حوادث سنة ٣٨٣هـ: وفيها بنى أبو النصر سابور ببغداد داراً للعلم ووقف فيها كتباً كثيرة على المسلمين المنتفعين بها ا هـ. فانظر فبأيّ قوليه تأخذ وعلى أيهما تعوّل.

خُذا بطنَ هَرشَى أوقفاها فإنما كلا جانِبَي هَرْشَى لهنّ طريقُ

وتأتي فيما بعدُ حكاية تدل على ما كان لهذه الدار من القيمة إذ ذاك، وأُخرى. وسابور هذا كان ممدَّحاً جواداً، وبابه محطّاً لرحال الشعراء ومَرَاداً. وعقد الثعالبي في يتيمته[٧] باباً لمُدّاحه وأورد كثيراً من أشعارهم. وكان أبو إسحاق الصابىء من أصدقائه وله فيه شعر كثير أورد بعضه ابن خلّكان[٨] وياقوت[٩] ـ وأظنّ أن لأبي أحمد الموسوي وولَدَيْه يداً قويّة في إنشائها ـ ومما يقوّي ظنّي أن الرضيَّ أصهر إليه في ابنته فتزوَّجها وأورد نسخة هذا العقد وهي من إنشاء الصابىء صاحبُ صبح الأعشى[١٠] ـ

(١) أدباء ٥: ٤٤٦.
(٢) وقال ابن الأثير ٩: ١٤٥ سنة ٤٥٠هـ. وعند مرجليوث سنة ٤٥١هـ.
(٣) ٩: ١٤٥.
(٤) وفي الوافي على ما نقل عنه مرجليوث ١٠٤٠٠ غير مائة نسخة من المصاحف المكتوبة بخط بني مقلة.
(٥) على ما نقل عنه مرجليوث: ٢٤.
(٦) الكامل ٩: ٩٨.
(٧) ٢: ٢٩٠.
(٨) ١: ٢٠٠.
(٩) أدباء ١: ٣٤٨، ٣٥٣.
(١٠) ١٤: ٩٧.

وفي هذه الدار يقول مِهْيار الديلميّ كما في الضرام:

نـزلـنـا فـي بـنـي سـاسـان دُوْراً   بـهـا تُـسْـلَـى بـيـوتـكِ فـي قُـضـاعـةْ
إذا مـا الـضَّـيْـمُ رابـكِ فـاسـتـجـيـري   ذرا سـابـورَ وانـتـجـعـيْ بـقـاعَـهْ

ولعل ابن البوابِ كان يتردّد إليها حيث تَعَرَّفَ به صاحبنا وذكره في شعره. س[١]:

ولاح هـلالٌ مـثـلُ نـون أجـادهـا   بـمـاء الـنـضـار الـكـاتـبُ ابـن هِـلال

وأما خازنها إذ ذاك فإني مع طول التنقيب لم أتمكن من الجزم بأحد الرجلين الواجكا أو أبي منصور، إلا أن الظاهر ترجيح أبي منصور. والواجكا يكون خازن خزانة الخلفاء والله أعلم. وأما صاحبنا فإنه يدعوها دار العلم أو دار الكتب، والقديمة صفة للكتب في اسم دار الكتب القديمة لا صفة للدار كما ذهب على بعض شبّان العصر[٢].

وأما الشريف النقيب أبو أحمد الحسين بن موسى فإنه كان يتولى نقابة الطّالبيّين قديماً ببغداد والنظرَ في المظالم والحجَّ بالناس، ثم رُدَّت هذه الأمور كلّها سنة ٣٨٠هـ لا سنة ٣٨٨هـ كما ذهب على ابن خلكان، ومستندنا نسخة هذه الولاية بتمامها في صبح الأعشى[٣] إلى ولده الرضيّ[٤] محمد أبي الحسن في حياة أبيه. وناهيك من جلالة قدرهم[٥] أن أبا الفتح عثمان بن جني صنف كتاباً في تفسير أربع قصائد للرضيّ وسماه تفسير العلويّات. وللرضيّ في مدحه شعرٌ أنظره في ديوانه. وللمرتضى وهو أكبر من الرضيّ في الردّ على أبي الفتح تصنيفان[٦] تتبّع أبيات المعاني للمتنبي التي تكلّم عليها ابن جني وكتاب النقض على ابن جنّي في الحكاية والمحكي. وله الأماليّ المعروفة[٧] بدُرَر الفرائد وغُرَر الفوائد أو الدُّرَر والغُرَر. وهؤلاء الثلاثة كانوا في الشغف بالعلم وأهله، والوَلَع بالمعتَنينَ بنقله وحمله ما يُحْرزون به قصبات السبق على

(١) ٢: ٤٤.
(٢) صاحب (ذ): ١٦٨ ولفظه: إحداهما قديمة أسسها الرشيد وهي بيت الحكمة والأخرى حديثة أنشأها سابور ا هـ. والعجب أنه نقل بعد هذا كلام ياقوت وفيه كما مر لنا نقله اسم دار سابور ودار الكتب القديمة لا الحديثة. وانظر الأدباء ٦: ٣٥٨.
(٣) ١٠: ٢٤٧.
(٤) كأمير لا كما قال صاحبنا س:

سـاوى الـرضـيّ الـمـرتـضـى وتـقـاسـمـا   خـطـط الـعـلـى بـتـنـاصـف وتـصـافِ

(٥) أدباء ٥: ٣٠.
(٦) أدباء ٥: ١٧٤.
(٧) طبع بإيران ثم بمصر

أبناء عصرهم وأعيان مصرهم، وكانت حلقاتهم عُصرة فضلاء الدهر ونُخبَةَ أماثل العصرِ. وكان الناس يعرضون عليهم الشعر ويمتصّون من أخلاف حوافل محافلهم غزير الدّرّ. وهذه بعض حكايات ترمي إلى الغرض وتقضي عنا بعض المفترَض:

حكى الكمال ابن الأنباري[١] وابن الجوزي وياقوت وغيرهم أن الربعي كان على شاطىء دجلة في يوم شديد الحرّ، وهو عريان يَسْبَحُ فاجتاز عليه المرتضى ومعه عثمان بن جني وهما في سُميريّة[٢] [ياقوت زَبْزَب][٣] وعليهما مظلّة تُظِلّهما من الشمس. فلما رأى المرتضى عرفه وعرف أن معه عثمان بن جني فقال له: يا مرتضى ما أحسن هذا التشيّعَ! عليّ (الرَبَعيُّ) تتقلّى كبده في الشمس من شدّة الحرّ، وعثمان عندك في الظلّ تحت المنكور[٤] لئلا تصيبه الشمس. فقال المرتضى للملاح جدَّ وأسْرع قبل أن يَسُبّنا.

أورد ياقوت[٥] في ترجمة أحمد بن عليّ البَتّيّ كاتب القادر من نوادره الشائعة، وكان مَزّاحاً «أنه انحدر مع الرضيّ والمرتضى وابن أبي الرّيان الوزير وجماعة من الأكابر لاستبقال بعض الملوك، فخرج عليهم اللصوص ورَمَوْهم بالحَرّاقات وجعلوا يقولون: ادخلوا بأزواج القحاب. فقال البَتّيّ: ما خرج هؤلاء علينا إلاّ بعَيْنٍ. قالوا: ومن أين علمتَ. قال: وإلاّ فمن أين علموا أنا أزواج قحاب».

قال المرتضى[٦]: «دخل عليَّ أبو الحسن ابن المحاملي مع أبي حامد الإسفرائني ولم أكن أعرفه فقال لي أبو حامد: هذا أبو الحسن ابن المحامليّ وهو اليوم أحفظ للغة والفقه مني».

نقل ياقوت[٧] في ترجمة وليّ الدولة ابن خيران أنه سلّم لبعض الأعيان بمصر جزئين من شعره ورسائله ليستصحبهما إلى بغداد ويعرضهما على المرتضى وغيره من الرؤساء ويستشير في تخليدهما دارَ العلم. فينْفِذ بقيّةَ الديوان والرسائل إن عَلِمَ أن ما أنفذه قبلُ ارتُضي واستُجيد ا هـ.

وفي الغيث[٨] والأدباء أن المرتضى كان جالساً في علّية له تُشرف على الطريق

= وترجم للولدين ابن خلكان ١: ٣٣٦ و٢: ٢، وللمرتضى ياقوت ٥: ١٧٣ وأبو جعفر الطوسي في فهرسته. وللرضي ترجمة حافلة عند ابن أبي الحديد ١: ١٠ واليتيمة ٣: ٢٩٧.

(١) نزهة: ٤١٦، الأذكياء: ٦٥، أدباء ٥: ٢٨٤، والكامل ٩: ١٦٤.

(٢) (٣) كلاهما ضرب من السفينة وردا في مناقب بغداد لابن الجوزي ص: ٢٧.

(٤) لم أجد الكلمة في المعاجم المعروفة الحاضرة.

(٥) ١: ٢٣٤، وبت بالفتح قرية من أعمال بغداد.

(٦) الشافعية ٣: ٢٠. (٧) ١: ٢٤٢.

(٨) ١: ٢٢٩ ـ ٥: ١٧٨ ـ والمطرز هو أبو القاسم عبد الواحد بن محمد بن يحيى بن أيوب ذكره ابن =

فمرّ تحته المطرّز (الغيث ابن المطرّزي) الشاعر يجرّ نعلاً باليةً وهي تثير الغبار. فأمر بإحضاره. فلما حضر قال له: أنشدني أبياتك التي تقول فيها:

إذا لم تبلّغني إليكم ركائبي فلا وردت ماء ولا رَعَت العُشبا

فأنشده إياها فلما انتهى إلى هذا البيت أشار الشريف إلى نعله البالية وقال له: أهذه كانت من ركائبك؟ فأطرق المطرّزي غيث ساعة، ثم قال له: لما عادت هبات سيّدنا الشريف أيده الله إلى مثل قوله:

وخذا النوم من جفوني فإني قد خلعتُ الكَرَى على العُشّاق

عادت ركائبي إلى مثل ما ترى لأنك خلعت ما لا تملكه على من لا يقبل. فاستحيى الشريف منه. وكان[1] الشيخ صدر الدين ابن الوكيل يقول: «والله إن قول المطرّزي عندي أحسن من قول الشريف».

ونقل ابن الجوزي في الأذكياء[2] على طراد بن محمد أن يهودياً ناظر مسلماً أظنه قال في مجلس المرتضى. فقال اليهودي: أيْشْ أقول في قوم سماهم الله مُدْبرين؟ يعني النبيّ ﷺ وأصحابَه يوم حُنين. فقال المسلم: فإذا كان موسى أدبر منهم (كذا). قال له: كيف؟ قال: لأنّ الله تعالى قال: «ولّى مُدْبراً ولم يعقّبْ» وهؤلاء ما قال فيهم ولم يعقّبوا. فسكَتَ.

فإن شئت فقل هذه أسمار وحكايات، ولكن عندي أنها آيات بيّنات، تدل على مزايا العهد وخصائصه، للباحث عن العلم وغائصه، وما مُنحَه السيد المرتضى وبيته من الإكرام والتبجيل على ما أتيتُ به وانتقيتُه.

الشيخ أبو أحمد عبد السلام
المعروف بالواجكا[3] خازن دار العلم ٣٢٩ ـ ٤٠٥

هو الأديب[4] النحوي الراوية اللغوي عبد السلام بن الحسين بن محمد بن

= الأثير وأورد له أبياتاً قال وتوفي سنة ٤٣٩هـ وانظر ٩: ٢٢٦، وترجم له الباخرزي في دمية القصر وسماه وكناه كابن الأثير والثعالبي في التتمة ودعاه أبا القاسم عبد الرحمٰن بن محمد ثم أورد له الأبيات وفيها: إذا لم الخ. والباخرزي والثعالبي دعواه ابن المطرز لا المطرز ولا ابن المطرزي وهو الظاهر.

(١) هذه الزيادة من الغيث. (٢) ١٠٥.

(٣) بغية: ٣٠٥، وغفران: ١٨٤، والأشباه ٣: ١٣٣. وفي فهرست أبو بكر الإشبيلي: ٣٣١، وأحمد عبد السلام بن الحسين بن محمد بن طيفور القرميسيني البصري.

(٤) وزعم مرجليوث: ٢٤ وتبعه صاحب (ذ): ١٦٧ أنه صاحب الصوت البعيد في علم تقويم البلدان ـ ولم أر هذا عند غيرهما وفيهما عند غيرهما مقنع.

عبد الله البَصْري ـ وكان من أصحاب أبي سعيد السيرافي[١] وابن جنّي[٢] والقرميسيني[٣] النحوي وأبي القاسم الدِهَكيّ[٤] قرأ عليه أشعار ربيعة الجوع وجد نسختها ياقوت بخط أبي أحمد. وممن أخذ عنه ابن بَرْهان النحوي[٥] وعبد العزيز الأزجيّ[٦] ترجم له صاحب النزهة[٧] واختلسه صاحب الضرام وصاحب البُغية وقد خبط خبطاً شنيعاً[٨] ـ وفي فهرست أبي بكر[٩] الإشبيلي قال أبو بكر المصحفيّ، قال لي الفقيه الراوية أبو الحسن علي بن إبراهيم في بعض ما كان يُخبرني به: أكبرُ من لقيتُ من رُواة كتب اللغة والنحو والتفسير والأخبار ونوادر العرب وأيّامها الشيخ أبو أحمد عبد السلام بن الحسين البصري وكان راوية بغداد يومئذ ا هـ.

وكان لصاحبنا صديقاً صدوقاً، يبجّله ويرتشف من كأس وداره صبوحاً وغبوقاً. ولم يتلمذ عليه صاحبنا كما وهم صاحب البغية وقد شرحناه فيما مضى. وروى عنه كثيراً من الأخبار، وسيرد بعضها. وهَاكَ هُنا ما يصلح منها للأسمار.

نُقل[١٠] من نسخة لكتاب إصلاح المنطق قال أبو العلاء المعرّي حدثني عبد السلام البصري. وكان خازن دار العلم ببغداد وكان لي صديقاً صدوقاً قال: كنت في مجلس أبي سعيد السيرافيّ وبعض أصحابه يقرأ عليه[١١] إصلاح المنطق فمضى ببيت حميد بن ثور (رض):

ومطويّةُ الأقراب أما نهارُها فسَبْت وأما ليلها فذميل

فقال أبو سعيد ومطويّةِ أصلحه بالخفض. ثم التفت إلينا فقال: هذه واو ربّ. فقلت: أطال الله بقاء القاضي إن قبله ما يدل على الرفع. فقال: ما هو؟ فقلت:

أتاك بيَ الله الذي أنزل الهدى ونور وإسلام عليك دليل

ومطويّة الأقراب... فعاد وأصلحه وكان ابنه [أبو] محمد حاضراً فتغير وجهه

---

(١) لا ابنه أبي محمد يوسف وهو السيرافي الصغير كما زعم مرجليوث: ٢٥ غلطاً. وانظر الحكاية الآتية. وفي آخر نسخة الموشح للمرزباني: أن عبد السلام انتسخها سنة ٣٦٦هـ وهذا يؤيد ما قلنا.

(٢) نزهة: ٤٠٩، وأدباء ٥: ١٩.

(٣) أدباء ٥: ٤٤٠.

(٤) أدباء ٥: ٧٨.

(٥) نزهة: ٤٢٨.

(٦) بغية: ٣٠٦.

(٧) ٤١٢.

(٨) حيث قلد الصفدي (مرجليوث: ٢٤) في سنة وفاته أنها ٣٢٩هـ سنة الولادة وقال: إنه قرأ على الفارسي أيضاً. وسمّي أباه الحسن وهو الحسين بن محمد نزهة ٤١٢ وغيره.

(٩) ٣٨٧ طبع إسبانيا.

(١٠) الوفيات ٢: ٣٥٠.

(١١) وأورد البيتين التبريزي في تهذيب الإصلاح ١: ١٥ والسبت السير السريع.

لذلك فنهض لساعته ووقته والغضب يستطير في شمائله إلى دكّانه وكان سَمّاناً فباعها واشتغل بالعلم إلى أن برع فيه وبلغ الغاية فعمل شرح إصلاح المنطق. قال أبو العلاء: وحدثني من رآه وبين يديه أربعمائة ديوان وهو يعمل هذا الديوان ١هـ. فانظر إلى غزارة أدبه وعلمه وكونه باعثاً على نبوغ عالم من خيرة العلماء بين ظَهرانَيْنا.

وفي الغفران[(١)] قد شاهدت عند أبي أحمد عبد السلام بن الحسين المعروف بالواجكا رحمه الله ـ فلقد كان من أحرار الناس ـ كُتُبًا عليها سماع لرجل من أهل حلب وما أشك أنه الشيخ (يعني ابن القارح) ا هـ.

وقال في الغفران[(٢)] حكى لي الثقة أن أبا عليّ الفارسي كان يذكر أن أبا بكر بن السَّرَّاج عمل من المُوْجَز النصف الأول لرجل بَزّار ثم تقدَّم إلى أبي عليّ بإتمامه ا هـ. ومن قطعة في س[(٣)] بعث بها إلى التنوخي:

جُزْءٌ بدَرْب جميل في يدي ثقة سألتُه ردَّ مضمون إذا قدرا

ولا ريب أنه أراد بالثقة في البيت الواجكا، فأحرِ به أن يريده به في الحكاية أيضاً. ودَرْب جميل الذي كان به منزل الواجكا أغفله ياقوت إلاّ أن بيتاً من س[(٤)] يرشدنا إلى أنه بالكرخ:

وهل يُرْجِس الكرخيّ والدار غَرْبةٌ من الشأم جِسّ الواعد المترجِ

وكان صاحبنا يجتمع معه كلّ جمعة في مجلس المحاضرات ولعل ذلك في جامع المنصور وقد حقق ظني حاشية في نسخة بانكي پور على قوله إليك زودتني عن حضور بمجمع وهي «مسجد الجامع». ومستندنا ما فاض من أمر المحاضرات والمناظرات به في ذلك العصر[(٥)]. وقال أهل العصر[(٦)]: إن ذلك بدار الواجكا ولكن لم يأتوا بما يعوَّل عليه في الباب. قال ـ س[(٧)]:

تَهَيَّجَ أشواقي عَروبةُ إنّها إليك زَوّتْني عن حضور بمجمع

وله إليه بعد الرجوع عينيّة من س[(٨)] وورد ذكره في عنوان التائيّة[(٩)] إلى التنوخي وفيها أيضاً[(١٠)] وفي الرائية[(١١)] إليه أيضاً ـ والطائية[(١٢)] التي في عنوانها «يخاطب خازن دار العلم» أيضاً إليه على ما أظن وسيرد أمرها. ومن الرسائل ر الـ ١٦ إليه بعد الرجوع

(١) ١٨٤.
(٢) ١٣٧.
(٣) ٢ : ١٤٠
(٤) ٢ : ١١٠.
(٥) انظر حياة الحيوان ١ : ٢٣٥ والشافية ٣: ١٨٢ وغيرها.
(٦) صاحب (ذ): ١٧٩ ـ وكل من تبعه هو ـ
(٧) ٢ : ١١٠.
(٨) ٢ : ١٠١.
(٩) ٢ : ١١٢.
(١٠) ٢ : ١٢٠.
(١١) ٢ : ١٤٠.
(١٢) ٢ : ١٢١.

ذكر فيها أن كتبه لا تصله فيحتاج إلى الاعتذار، وأنه يشتاق إليه وإلى الكرخ شوقاً بلغ الغاية - وتطرَّب إليه في الـ ١٥ إلى الصابوني - وورد ذكره مراراً في الغفران تصريحاً وكناية كما مضى وكما يأتي.

روى القِفْطِيّ[١] أنه عرض على صاحبنا ما بخزانته من الكتب فلم ير فيها شيئاً غريباً إذ كان قد قرأها كلَّها بطرابُلُس إلاّ ديوان تيم اللات فاستعاره منه وسافر إلى المعرَّة وهو معه فردَّه إليه مع قصيدته التائية ا هـ. والحكاية بحيث ترى مجموعة أوهام وذلك أنه لم يكن إذ ذاك بطرابلس دارٌ للكتب أصلاً كما قد مضى روايته عن العَدْل. وإنا نراه يقدر الكتب حقّ قدرها واستفاد منها علماً جَمّاً. ومن ذا الذي يستغني عن أعلاق الأسفار كائناً مَن كان، على أنه سيرد بعد هذا ما يردّها، وإن كان ما قاله له وجهٌ لم يكن تَطَرُّبه إلى دار الكتب بلغ به إلى هذه الغاية. على أن الديوان لم يكن منها بل هو صُنع المحسّن والد أبي القاسم التنوخي وكان استعاره من أبي القاسم لا من عبد السلام ولم يستصحبه إلى المعرّة بل أودعه عَبْدَ السلام وأوصاه أن يوصله إلى التنوخيّ، والتائيّة ليست إليه بل إلى التنوخي. ولكن الصاحب ابن العديم قارب في العدل حيث ذكر أن أبا العلاء طلب ببغداد أن تعرض عليه الكتب التي في خزائنها فأدخل إليها وجعل لا يُقْرَأ عليه كتاب إلا حفظه.

وورد في عنوان العينيّة[٢] إليه «عبد السلام صاحب الدولة» جاء في نسخة بانكي پور «صاحب الرواية» وهو الذي صُحّف في النسخ المطبوعة بصاحب الدولة وأوقعنا في عناء ولا توجد هذه الكلمة في سائر النسخ ولا أثبتها فيه أحد من أصحاب التراجم بل قالوا بأجمعهم إنه تولّى الإشراف على دار الكتب ولا تحقَّقت معناها فيه من أيّ جهة كان؟.

رجعنا إلى ذكر المجمع العلمي مع الواجكا - قال بعض الشبان[٣] وكأن هذا المجمع السّريّ هو الذي أسماه إخوان الصفاء لشيوع هذا اللفظ بين المسلمين في ذلك العصر.... حيث يقول....

وإذا أضاعتني الخطوب فلن أُرَى لِـوِدادِ إخـوان الـصـفـاء مُـضـيـعـا

ا هـ

أقول وهذا رجمٌ منه بالغيب وغلط، فلم يكن المجمع من السرّ في شيء، ولا كان فيه أحد من متفلسفي ذلك العصر. وأكثر أعضاء مجمع إخوان الصفاء كانوا ماتوا عند وروده ببغداد. وأما هذا البيت فإنه أحد أبيات ثلاثة[٤] قالها على لسان الحافظ

(١) قال صاحب (ذ): ١٧٨ والذهبي - أقول ولعله وهم منه فليس هذا القول في تاريخ الإسلام له.
(٢) س، ٢: ١٠١.
(٣) صاحب (ذ): ١٧٩.
(٤) س، ٢: ١٣٦ وأدباء ١: ١٧٥.

الرحّالة المحدّث أبي الوليد الحسن بن محمد البلخيّ الدّرْبندي المتوفى سنة ٤٥٦هـ، ترجم له ابن عساكر[١] وياقوت رسم «دربند» وكان زاره بالمعرّة[٢]، وما للمحدّثين ومجامع الفلاسفة؟ وورد في حماسة البحتري[٣] لإسماعيل بن بَشّار وكان قبل ظهور هذه الجماعة بقرنين:

وإن أيقنتَ أن الغيَّ فيما   دعاكَ إليه إخوانُ الصفاءِ

على أن الرجل كان زاره بعد الرجوع بزمان، وكان رحّالة لا يُلقِي عصا التسيار، ولا يملُّ من الأسفار، وله أُسوة في هذا الرجم بصاحب الضرام ولفظه «عنى بإخوان الصفاء أصدقاءه الصافية الوداد، وكأنه يوهم أنه عنى بهم أصحاب الرسائل المعروفة برسائل «إخوان الصفاء» وهي رسائل فصيحة تشتمل على ضروب الحكمة، صنفها جماعة من الحكماء منهم (أبو[٤]) سليمان محمد (ابن) معشر المقدسي، وأبو الحسن علي بن زهرون[٥] الزنجاني وأبو أحمد النهرجوري[٦] وزيد بن رفاعة ـ وألفاظ هذه الرسائل للمقدسي» ا هـ. وهو في الغلط شريكه إلاّ أن لفظة «كأنه يوهم» يقلّل نصيبه مما ملأ منه عصريُنا عِذْله.

أبو منصور خازن دار العلم

ذكر في الغفران[٧] توفيقَ السوداء التي كانت تخدم في دار العلم ببغداد على زمان أبي منصور محمد بن عليّ الخازن وكانت تُخرج الكتب إلى النساخِ ا هـ.

فهذا نصّ في اسمه واسم أبيه. وهذا الرجل بعث إليه صاحبنا بر الـ ١٩ خاطبه فيها: «بسيدي الشيخ»، ورغب في الاجتماع معه والسير إليه ثم اعتذر عنه بعجزه وأن كُتُبه إليه تَتْرى إلاّ أنّه لم يَحظ بأجوبتها وأنه أرسل إليه قصيدة لزومية ولم يدر هل وصلت أم لا؟ فالظاهر أنها بُعَيد الرجوع إذ كان يهمِس برحلة أخرى إلى بغداد ـ كما يشير إليه قوله أدنى إشارة ـ س[٨]:

أظنّ الليالي وهي خُونٌ غوادر   بردّي إلى بغداد ضيّقةَ الذرع

---

(١) ٤ : ٢٤٧.

(٢) انظره في زوّاره بالمعرة.

(٣) الخطية: ٣٦٥.

(٤) الإصلاح من تاريخ الحكماء للقفطي مصر، ص: ٥٩، والشافعية ٣: ٢٧ والملل للشهرستاني.

(٥) عند القفطي هارون.

(٦) عند القفطي المهرجاني.

(٧) ٧٣.

(٨) ٢ : ٧٩.

ولا أرى التاريخ يفيدنا أكثر مما مرَّ. وأمّا خزانته التي كان يتولى رعايتها فالظاهر أنها دار الكتب القديمة إلا أنه ليس ثمّة نصّ على ذلك ـ ، وأما الطائيّة[1] فالظاهر أنها إلى أبي أحمد المذكور والله أعلم. (للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني):

وما أعجبتني قطُّ دعوى عريضةٌ   وإن قام في تصديقها ألفُ شاهد

وهناك أبو منصور محمَّد آخرُ بُعيد ذلك العصر ورد اسمه بآخر نسخة[2] شعر أبي دَهْبل الجمحي في صورة سماع أخيه الشيخ أبي غالب محمد بن أحمد بن طاهر بن حَمْدٍ من الشيخ أبي القاسم التنوخيّ عليّ بن المُحَسِّن فعدَّد أبو غالب أسماء من سمع الديوان معه وفيهم أخوه المذكور من غير أن يسميه خازناً ـ وورد اسم أبي غالب محمد مراراً على أول الديوان وآخره مع لفظ الخازن ـ وهذه الخطوط مما لا يتطرَّق إليه أدنى ريب.

وترجم ياقوت لمحمد بن أحمد بن طاهر الخ قال أبو منصور الخازن لدار الكتب القديمة مات سنة ٥١٠هـ. ذكر ذلك ابن الجوزي سمع علي التنوخي الصغير وكان فقيهاً على مذهب الإمامية ثم روى عن غَرْس النعمة في كتاب الهفوات ما خلاصته قال: كان بدار العلم التي وقفها سابور خازن يعرف بأبي منصور. واتفق بعد وفاة سابور بسنين كثيرة أن آلت مراعاة الدار إلى المرتضى فرتّب معه آخرَ يُعْرف بأبي عبد الله بن حَمْد (؟) مشرفاً عليه وكان داهية فصمد لأبي منصور كيداً ثم سرد الحكاية. قال ياقوت: هكذا وجدت هذا الخبر وقد وافق رواية ابن الجوزي في كون ابن حَمْدٍ خازن الكتب بين السُّوْرَين وفي مقاربة العصر وخالفه في الكُنية ولا أدري هل هو هذا أو غيره أو قد غلط أحدهما في الكُنية والله أعلم. ثم وقفتُ على المذيّل الذي للسمعانيّ بخطّه على حاشية (؟) ملحقاً أن محمد بن عَطّاف الموصلي سأل أبا منصور بن حَمْد الخازنَ عن مولده فقال سنة ٤١٨هـ. قال وسأله غيري فقال سنة ٤١٧هـ، وهذا يدلّ على أن هذه الحكاية ليست عنه لأن المرتضى مات سنة ٤٣٦هـ فيكون حينئذٍ قد كان ابن حمد ابن اثنتي عشرة (؟ ثماني عشرة) سنة فيستحيل أن تكون الحكاية عنه وعساها عن أبيه والله عز وجل أعلم بالصواب ا هـ على طوله. وترجم له ابن حجر أيضاً في اللسان[3] وذكر اسمه وكنيته كياقوت، وكذا سنَتيْ ولادته ووفاته، وزاد

---

(١) وفي (ذ): ٢١٢ ما يدل على أنها قيلت بعد سنة ٤٢٠هـ وهي دعوى محضة.

(٢) نسخة جامعة لبسيك (ألمانيا) عدد 807، V والعدد القديم: D.C. 354 وقد طبعوها مع صور ورقتي الأول والآخر بمجلة الجمعية الآسيوية ١٠١٧ ـ ١٠٧٥ سنة ١٩١٠م.

(٣) ٥: ٣٨ عدد ١٣٠.

ذكر أخيه أبي غالب. فهذا صريح في أن أبا منصور أيضاً خازن كأخيه أبي غالب كما مَرَّ.

وقد تَمَكَّنَّا على بُعد عهدنا والحمد لله على ذلك من كشف بعض ما أبهم على ياقوت. وذلك أن أبا منصور صاحبَ الحكاية في الهفوات هو صاحب أبي العلاء لا أخو أبي غالب الذي رُتّب معه آخراً بعد وفاة سابور وهو المذكور في الحكاية بأبي عبد الله بن حَمْد، ولعله كان يُكْنَى إذ ذاك كذلك ثم يكون تكنَّى بأبي منصور بعد وفاة أبي منصور صاحب أبي العلاء. فهذا يفيدنا أن صاحب أبي العلاء كان خازنَ دار الكتب القديمة ـ كما كنا أيدناه ظنّاً ـ وأنه بقي بعد وفاة سابور. ويعضُده ما مرّ من أمر ر إليه بعد الرجوع. بقي أمر ترتيب ابن حمد بالخزانة وهو ابن ١٨ سنة، فهذا فيه نوع غرابة أو لعل ابن حمد هذا هو أخوه أبو غالب على أن يكون أسنّ من أبي منصور بل هو الراجح إن شاء الله. فإذا المترجم في الأدباء واللسان هو أبو منصور بن حمْد لا شك. وأما أمر إشرافه على الخزانة فلعلّه مع أخيه أبي غالب أو بعده. هذا ما بلغ بنا البحثُ إليه وعند الله علم الجليّة.

ولما وقع ياقوت وهو الجذل المحكَّك والمجرَّب فيما وقع فيه فكيف بقرْعَى العصر. إلاّ أني أنقل قول بعض المستعربة[1] استطرافاً (أ) لقي[2] أبا منصور صاحبُنا ببغداد (ب) هو الذي[3] أرسل إليه طائيته على ما صرّح به في ر إليه (ج) وأبو منصور[4] هذا هو المترجم له في الأدباء (أي المولود بعد رجوع صاحبنا من بغداد بـ ١٨ سنة) (د) وأن قول ياقوت[5] «ولا أدري هل هو هذا أو غيره» وهم منه.

فأنت تراه بدعاوٍ يكَذِّب بعضها بعضاً. فكيف لقيه ببغداد ولم يولد بعدُ وكيف يرسل إليه الطائية ولم يُخْلَق. والطائيّة ليست مرادة بالقصيدة اللزومية التي ذكر إرسالها في ر إلى أبي منصور. فإنها من س وليس فيه شيء من اللزوم. وكيف يثبت وهم ياقوت بدعوَى فارغة.

ولما وصلت إلى هذا الموضع وجدتُ في البغية[6] عن ياقوت. راجع الأدباء له ٧: ٤٥، ترجمة لصاحب أبي العلاء إن شاء الله إلاّ أنه لم يُسمّه خازناً، قال محمد بن عليّ بن عمر بن الجبّان أبو منصور أحد حسنات الريّ وعلمائها الأعيان جيّد المعرفة

(١) هو ذ، س مرجليوث.

(٢) م، ر ص: ٢٥.

(٣) حاشية ترجمته ر، س ص: ٥٨ والعدد: ٤.

(٤) حاشية الأدباء عدد ١ ـ ٦: ٣٥٨.

(٥) حاشية الأدباء عدد: ١ ـ ٦: ٣٦٠.

(٦) ٢٩ ـ والترجمة أطول مما أوردناه.

باللغة باقعة الوقت وفرد الدهر إلى آخر ما وصفه به كان من ندماء الصاحب، وهو صاحب الشامل في اللغة قرىء عليه سنة ٤١٦هـ وسكن أصبهان وكان من أصحاب أبي عليّ، وقرأ عليه عبد الواحد بن بَرْهان ا هـ المقصود منها. وذكر في ترجمة ابن بزهان (بالفتح)(١) أنه قرأ على عبد السلام، أيضاً وفي النزهة(٢) أنه كان يُقرىء بالكرخ(٣) وتوفي سنة ٤٥٠هـ. فلم يبق كما ترى إلاّ أمر ولاية الخِزانة.

القاضي التنوخي الصغير

٣٧٠ ـ ٤٤٧

هو أبو القاسم(٤) علي بن المحسِّن(٥) أبي علي صاحب الفَرَج والنِّشْوار وأشعار تنوخ ابن أبي القاسم عليّ، وهو القاضي التنوخي الكبير صاحب المقصورة(٦) ابن محمد بن أبي الفَهْم داود بن إبراهيم بن تميم بن جابر ينمى إلى تيم اللات ثم إلى قضاعة. قرأ على غير واحد من شيوخ بغداد، منهم(٧) الرَّبَعيّ وابن كيسان والرّزّاز وغيرهم. ومن تلامذته الخطيب البغدادي وقد أكثر من الأخذ عنه وهو قارىء شعر أبي دهبل عليه، وجُملة السامعين ٢٥ نفساً على ما ورد في صورة سماع الشيخ أبي غالب عليه(٨) سنة ٤٣٢هـ، منهم أبو منصور بن حَمْد المذكور. كان ثقة ثبتاً قبلت شهادته في حداثته وتقلد قضاء عِدّة نواح من المدائن وأعمالها ودَرْزيْجان(٩) والبَرَدان وقرميسين وغيرها. قال الخطيب وكان دَخله كل شهر من القضاء ودار الضرب وغيرهما ستين ديناراً فيمرّ الشهر وليس له شيء. وكان ينفق على أصحاب الحديث. قال ياقوت وكان الخطيب والصوري وغيرهما يبيتون عنده.

وكان من بيت العلم والأدب والقضاء متحفّياً بصاحبنا مكرماً له. قرأ عليه مع أنه

(١) ٣١٧ ونزهة: ٤٢٨.

(٢) ٤٢٣.

(٣) نزهة: ٤٣٠.

(٤) ترجم الثلاثة على الولاء في اليتيمة ٢: ١١٦ و١١٥ و١٠٥، والأدباء ٥: ٣٠١، ٦: ٢٥١ ـ ٥: ٣٣٢، الوفيات ١: ٤٤٦، ٤٤٥، ٣٥٣، ودون الأوسط السمعاني ورق: ١١٠، وللحفيد فقط الفوات ١: ٦٨، والضرام في يائية التهنئة واللسان ٤: ٢٥٢.

(٥) بتشديد السين والكسر. وفي س ٣: ١١٨ يا ابن المحسن. . . البيت.

(٦) المروج على هامش النفح مصر ٣: ٤١١ وهي في مدح تنوخ وقضاعة.

(٧) ابن الشيخ ٢: ٢٥٦.

(٨) تجاه ص: ٤٤ ـ ١ سنة ١٩١٠م من مجلة الجمعية الآسيوية.

(٩) كذا في الأنساب وهي قرية بغربي بغداد. لا أذربيجان كما هو في الوفيات مصحفاً ١: ٤٤٧.

من أقرانه كما في النزهة[١] والضرام وتاريخ الذهبي لما ورد بغداد شعر صباه أعني ما أُنشيء من شعر السِّقْط إلى ذلك الوقت. قال ابن خلكان[٢] كان يصحب أبا العلاء المعري وأخذ عنه كثيراً. ثم قال إنه كانت بينه وبين أبي زكريّا التبريزي مؤانَسة واتحاد بطريق أبي العلاء ا هـ. وفي البغية[٣] أن التبريزي تلمَّذ على التنوخي أيضاً. أقول أما المؤانسة فنَعَمْ ولكن بعد رجوع صاحبنا بدهر فإن التبريزي وُلد سنة ٤٢١هـ كما قال ابن خلكان[٤] نفسه. وأما أن تكون بطريق أبي العلاء، فإني أرتاب فيه فإن الطريق لم تكن وُطئت قبل ورود التبريزي المعرّة وأما بعد رجوعه منها فإن حتف التنوخيّ قد دنا. والذي أرى أن يكون قرأ على التنوخي وهو ابن ١٨ سنة، ثم بعد رجوعه من المعرّة تكون هذه الوصلة قد تأكّدت وإن لم تبق إلا هُنيهة كالبرق الخاطف. وكان يزور صاحبَنا بالقطيعة[٥] محافظةً على الوداد، وتأميناً لسوقه من الكساد. وكان صاحبنا يُدِلّ بأن نسيبه في تنوخ ويُزهى، وأن مَساعي[٦] بيته لقضاعة إليها الموئل والمنتهى. س[٧]:

لولا مساعيك لم نَعْدُد مساعِينَا ... ولم نُسامِ بأحكام العُلَى مُضَرا
أذاكرٌ أنت عصراً مرّ عندك لي ... فليس مثلي بناسٍ ذلك العُصُرا
أيامَ واصلْتَني وداً وتكرمةً ... وبالقَطيعة داري تحضرُ النهَرا[٨]
كَنيّ[٩] محمد! نَسبي مفيدي ... ووادَك والهوى أمر بَديّ
بنو الفَهْم الذين بَنى علاهم ... أبو الفهم الهُمام الهِبْرِزيّ
سَمَوْا في الجاهلية بالمَعالي ... وزادوا بعدما بُعث النبيّ

ومن شعر صاحبنا إليه في س[١٠] تائيّته الطويلة في أمر ديوان أشعار تيم اللات في الجاهلية جمع والده أبي علي وكان استعاره منه وتركه عند الواجكا ورحل فسأله بعد أن أقرأه السلامَ أن يسلمه التنوخيَّ. وورد أمره في الرائية[١١] إليه أيضاً أقول وذكر مترجمو الواجكا أنه كان جواداً ربَّما اعترضه السائل وليس معه شيء فيعطيه من الكتب المتقوّمة شيئاً. وانظر في عنوان التائية «فخشي أن يكون جرت غفلة في أمر الكتاب» فهذا ينظر إلى ما ذكروا. وله إليه يائية[١٢] ببغداد يهنئه فيها بمولود وُلد له كناه صاحبنا

(١) ٤٢٥ اليائية: ١٣٧.
(٢) ١: ٤٤٦.
(٣) ٤١٤ ـ واليافعي ٣: ٦٧.
(٤) ٢: ٢٣٥.
(٥) كما أن صاحبنا كنا يزوره في حلقته على ما يأتي في حكاية يوح.
(٦) مر أمر المقصورة في مدح قضاعة آنفاً.
(٧) ٢: ١٣٩.
(٨) دجلة.
(٩) ١: ٦٧.
(١٠) ٢: ١١٢.
(١١) س، ٢: ١٤٠.
(١٢) ٢: ٦٦.

أبا علي وسماه محمداً. ولا شك أنها قيلت ببغداد ويدل عليه قوله منها:

إذا نـأَتِ الـعـراقَ بـنـا الـمـطـايـا فـلا كُـنّـا ولا كـان الـمـطـيُّ

على أن ذكر بغداد ورد في عنوان بعض النسخ[١] أيضاً ولكن ياقوت[٢] نقل عن بعضهم أن المولود وُلد سنة نيف و ٤٤٠هـ، وروى حكاية تشبهه عن القاضي الدامغاني قال: دخلت على أبي القاسم قبل موته بقليل وقد علت سنّه فأخرج إليه ولده من جاريته فلما رآه بكى. فقلت: يعيش (؟) إن شاء الله وتُربيه ويُقرّ الله عينك به.فقال: هيهات والله ما يتربّى إلاّ يتيماً وأنشد (من شعر صاحبنا في اللزوم[٣]):

أرى ولـد الـفـتـى عِـبـأً عـلـيـه لـقـد سـعـد الـذي أمـسـى عـقـيـمـا

فـإمـا أن يـخـلّـفـه عَـدُواً وإمـا أن يُـرَبّـيـه يـتـيـمـا

ثم قال: أريد أن تزوّجني من أمه فإنني قد أعتقتُها على صَداق عشرة دنانير ففعلت. وكان كما قال تربّى يتيماً وهو أبو الحسن محمد بن عليّ قبل القاضي أبو عبد الله شهادته ثم مات سنة ٤٩٤هـ. وانقرض بيته ا هـ. وترجم له صاحب «الجواهر المضيئة»[٤]. قال: هو أبو الحسين (وقد مرّ عند ياقوت أبو الحسن) محمد ابن علي أبي القاسم ا هـ. ثم نقل عن ابن النّجار حكاية له وقال: مات سنة ٤٩٤هـ كذا ذكره ابن النجار ا هـ. وهذا كله صريح في أنه وُلد بعد رجوع صاحبنا بنيف وأربعين سنة. فالظاهر أنهما ولدان بينهما نحوٌ من أربعين سنة وكلاهما محمد على اختلافهما في الكُنية بأبي علي وأبي الحسن. على أنه من الممكن أن يكون تكنيته من صاحبنا لم توافق الرواج والنّفاذ. ولصاحبنا في حَلْقته خبر وسيأتي.

هو في حَلْقة الرَّبَعيِّ

روى الكمال ابن الأنباري[٥] عن التنوخي الصغير وياقوت[٦] وغيرهما أنّه لما ورد إلى بغداد قصد أبا الحسن عليّ بن عيسى الربَعي [النحوي صاحب أبي علي الفسويّ] ليقرأ عليه شيئاً من النحو. فقال له: لِيَصْعَدِ الإصطبلُ. فخرج مغضَباً ولم يَعُد إليه. والإصطبل في لغة أهل الشام الأعمى ولعلها معرَّبة ا هـ. أقول: وكان التنوخي تلميذاً للربعي كما ذكر ابن الشيخ البَلَوي[٧]. ومثل هذا القَذَع والجَبْه، وإذالة الوجْه،

(١) المصرية دون الإيرانية.
(٢) أدباء ٥: ٣٠٢.
(٣) ٢: ٢٤٩.
(٤) ٢: ٩٨.
(٥) ٤٢٥.
(٦) ١: ١٦٩.
(٧) ٢: ٢٥٦.

لم يكن ببدع من الربَعيّ فما ذاك بأوّل قارورة له كسرت، ولا أول هَناة أُتيتُ. فإنّه كان مغفّلاً مجنوناً، وبسفاسف الأمور مفتوناً. كما نقل كل من ترجم له قال ابن الأنباري[١]: «ويُحكى من سيره وتصرّفاته ماطيّه أحسنُ من نَشْره». وقال التبريزي[٢]: سألت أبا القاسم بن بَرْهان فقلت له: يا سيدنا تترك الربَعي والأخذَ عنه مع إدراكك إيّاه وتأخذ عن أصحابه. فقال لي: كان مجنوناً وأنا كما ترى. فما كنّا نتّفق ا هـ. يعني المثل ـ أنا تئِق وأنت مئق فكيف نتّفق، ومرّ حكاية جنونه مع المرتضى وابن جني. وقال الخفاجي في شفاء الغليل[٣] اصطبل بلغة أهل الشام معناه الأعمى كما في كتاب الهميان، ولذا قال ابن عباد جُرّوا الإصطبل في حكايته مع المعرّي ا هـ. وهذا وهم شنيع وتخليط مستهجَن لثلاث حكايات هذه إحداها والأخريان ستأتيان في بيان «مجلس المرتضى» على أن اسم كتاب الصفَدِيّ نكْتُ الهميان وفيه[٤] اسطبل بالسين.

اعتراض له على فقهائها

من شعره في اللزوم[٥]:

تناقض مالنا إلاّ السكوت له ... وأن نعوذ بمولانا عن النار

يد بخمس مئين عسجداً [ا] فُديت ... ما بالُها قُطعت في رُبْع دينار

روى الحافظ عماد الدين أبو الفداء ابن كثير الدمشقي من أصحاب حجة الله على أهل الأرض الإمام ابن تيمية الحراني رضي الله عنه في تفسيره[٦]: ذكروا أن أبا العلاء المعرّيّ لما قدم بغداد اشتهر عنه أنه أورد إشكالاً على الفقهاء في جعلهم نصاب السَّرِقة رُبع دينار، ونظم في ذلك شعراً دلَّ على جهله وقلّة عقله يد... الخ البيتين، ولمّا قال ذلك واشتهر عنه تطلبه الفقهاء فهرب منهم. وقد أجابه الناس في ذلك فكان جواب القاضي عبد الوهاب المالكي رحمه الله أنه قال: «لمّا كانت أمينةً كانت ثمينة ولمّا خانتْ هانتْ» ومنهم من قال: هذا من تمام الحكمة والمصلحة وأسرار الشريعة العظيمة. فإن في بابِ الجنايات ناسب أن تُعَظم قيمة اليد بخمسمائة دينار لئلا يُجْنى عليها، وفي باب السَّرِقة ناسَبَ أن يكون القدر الذي تُقطع فيه ربع دينار لئلا يسارع الناس في سَرِقة الأموال فهذا هو عين الحكمة عند ذوي الألباب ا هـ.

---

(١) ٤١٦.

(٢) أدباء ٥: ٢٨٧.

(٣) ص، ٣٣ مصر سنة ١٣٢٥هـ.

(٤) ص: ١٠٣.

(٥) ٢: ٣١٧.

(٦) ٣: ٣٤٥ بهامش فتح البيان.

وقال الذهبي[١] أنبأتنا أم العرب فاطمة بنت أبي القاسم أنا فرْقد الكِناني سنة ٦٠٨هـ: أنا السِّلَفي سمعت أبا زكريا التبريزي قال: لمّا قرأت على أبي العلاء بالمعرّة قوله: «يد بخمس مئي من عسجد» البيتين. سألته عن معناه فقال: هذا مثل قول الفقهاء عبارة لا يُعْقَل معناها. قلت: لو أراد ذلك لقال تعبّد. ما لنا ا هـ؟ ولما اعترض على الله بالبيت الثاني قال السِّلَفي:إن قال« هذا الشعر معتقداً معناه فالنار مأواه وليس له في الإسلام نصيب ا هـ.

وقال ابن الشيخ البلوي[٢] الأندلسي صاحب السِّلَفي:ويقال« إن المعرّي كتب إلى ابن حزم بهذا البيت يد. . . . البيت فقال:

صيانة النفس أغلاها وأرخصها خيانة المال فافهم حكمة الباري

بلغ البيت غيره فقال:

بذاك سُنة خير الناس قد وردت فلا سبيل إلى تعليل الآثار

ا هـ.

أما جواب ابن حزم فقد عزاه محشي اللزوم إلى القاضي عبد الوهاب. وقال الصفَدي[٣] وصاحب المعاهد[٤] إنه لعلم الدين السخاوي وهو أيضاً من تلامذة السلفي فكيف يمكن أن يعْزو ابن الشيخ جواب صاحبه إلى من تقدمهما بنحو قرن ونصف إلا أن روايتهما:

عِزّ الأمانة أغلاها وأرخصها ذل الخيانة. . . . . .

البيت.

وهي الأصلح. وأما عزو المحشي فإنه أراه وهماً منه، كما وهم صاحب النور السافر[٥]« والقزويني في «آثار البلاد» ص ١٨١ أيضاً« في عَزْوه إلى الشريف الرضي وصاحب روضات الجنات[٦] في عزوه إلى المرتضى.

---

(١) ١٣٢ ونقله ابن حجر في لسانه ١: ٢٠٥.

(٢) ٢: ٣٨٢.

(٣) الغيث ١: ٤٨، والنكت: ١٠٧.

(٤) ١: ٥١.

(٥) انظر ص: ٣٦٤ من نسخته الخطية بخزانة الشيخ عبد الحي في لكفؤ.

(٦) ص: ٧٤ ولفظه: «ومن المشهور أن المعري اعترض يوماً على المرتضى بقوله يد البيت، فأجابه بقوله: عز البيت. وأجابه رجل آخر من أهل المجلس بقوله:

هناك مظلومة غالت بقيمتها وههنا ظلمت هانت على الباري

أ هـ مختصراً.

وقال ياقوت[١] كأنَّ المعري حمار لا يفقه شيئاً ثم أجاب بمثل جواب ابن كثير الآخر. جاء في «روض الأخيار» ص ١١٧ أن الشيخ شمس الأئمة الكردري أجابه بقوله:

قل للمعرّي عار أيما عار جهل الفتى وهو من ثوب التقى عار
لا تقدحنّ زناد الشعر من حكم شعائر الشرع لم تقدح بأشعار
فقيمة اليد نصف الألف من ذهب ولو تعدّت فلا تسوى بدينار

وتصدّى للدفاع عنه محشي اللزوم فقال أرى أن اعتراض المعريّ واقع على الفقهاء القائلين بقطعها لا على الباري بدليل قوله: وأن نعوذ الخ. لأن بعض الفقهاء قال: لا تُقطع إلا في الثمين من المال وأما الخسيس[٢] ففيه التعزير والضرب بالحَبْس والضرب فكأنه لا يرى رأي القائلين بالقطع ويرى أن التقدير اجتهاد فيكون الحكم عليها برُبع دينار مع الحكم لها بخمسمائة دينار تناقض(؟) ا هـ.

ووجدته في اللزوم يخطر عن القطْع مطلقاً:

لا تُحدِثِ القطع في كفّ ولا قدم ولا تَعَرَّضْ بذي الدنيا لسَفْكِ دم

وأرى أنه اعترض على الفقهاء في تقدير النصاب كما هو ظاهر من عبارة ابن كثير، ومنشؤه حرصه على الدخول في عداد المتفقّهة لما رأى جمهورهم عاكفين ببغداد أو الافتنان وشَحذ الخاطر والاستطراف، أو استنزاف ما عندهم من قوّة القريحة وجَوْدة الخاطر. لا الاعتراض على حكمة الباري سبحانه. ولو كان هذا دليلاً على كفره لم ينزل عليه القاضي عبد الوهّاب بالمعرّة بعد الرجوع بزمان مع أنه أول غرض لسهم اعتراضه، ولا شيخ الإسلام الصابوني وهما هما ولكان لسان أهل بغداد طِلِقاً بتكفيره كما نرى ألسنة المتأخرين ويا هل ترى دَهماء البغاددة وأعيان علمائها اجتمعوا للاحتفال بتوديع زنديق ملحد. وهل يريد ما قاله السِّلَفِيُّ وهو الذي يقول[٣] (إن كان قاله):

زعم الجهول ومن يقول بقوله إن المعاصي من قضاء الخالق
إن كان حقّاً ما يقول فلمْ قَضَى حدَّ الزناء وقطعَ كفّ السارق

(١) ١ : ١٩٢.

(٢) وذلك أن الكتاب والسنة ساكتان عن تقدير النصاب وأما الأئمة الأربعة فمذهب مالك: القطع في ثلاثة دراهم فصاعداً ومذهب الشافعي: في ربع الدينار ومذهب أحمد: الجمع بين القولين. ومذهب أبي حنيفة وأصحابه وسفيان الثوري: أن النصاب عشرة دراهم مضروبة. وقال بعض السلف لا تقطع الخمس إلا في خمس(؟) أي في خمسة دنانير أو خمسين درهماً ينقل هذا عن سعيد بن جبير فهو الأوفق بمذهب صاحبنا إن سلم قول المحشي.

(٣) ١ : ٤٨ من الغيث.

فليس بيتاه إذا إلا خَطْرَةً عَرضت، ونَفْثةً ما نَضِجَتْ وشِقْشِقةً هَدَرَتْ ولما صادفتْ جواب صديقه عبد الوهاب هَدأت. وإلا فما معنى قوله من اللزوم:

ما قيمتي فَلسٌ وفي حكمه أنيَ أُودَى ألفَ دينار

وعند الله علم السرائر، وهو يتولى الضمائر.

هو بحضرة القائم الخليفة

لم أرَ أحداً من رُواة أخباره ذكر شيئاً مما يجذب إلى معنى العنوان ـ غير أني رأيت عندَ دَوْلتْ شاه السمرقندي أُسطورةً هي بأساطير رُسْتمَ وإسْفَنْدَيارَ أشبهُ منها بصحائف التاريخ والأخبار. ورأيت كثيراً من علماء الفرس ـ والله شهيد أني لا أريد الغضّ منهم أو التنقّص لهم ـ ربما يأتون بما يُطْرَى معَهُ البُكم الخُرْس. وإني طالما:

جَرّبتهم فوجدتهم لمّا سَبَرْتهم زُيُوفْ

وهذا تعريبُ زُمْزَمته وبيان جَمْجمته قال في تذكرته[١]: ولأبي العلاء في علم المعاني والبيان عدة كتب (؟؟ فأين هي؟) وكان القائم بأمر الله الخليفة العباسيّ يكرمه ويتفقّده (فلماذا رجع إذاً وشكا عُسرته ببغداد[٢]) وله في مدح آل عبّاس قصائد (لم نجد منها شفعاً ولا وَتْراً). حُكي أن أبا سعيد الرستمي[٣] وهو من أعيان الفضلاء وأماثل الشعراء كان يتلمّذ عليه لما عميَ في آخر عُمُره (يا سبحانَ الله!!) ولذا يدعونه أبا العلاء الضرير. وكان كلّما أنشأ مديحاً في الخليفة قاده أبو سعيد إلى مجلسه. وقالوا: إن أبواب دار الخلافة كانت من الارتفاع بحيث أن أصحاب الرايات كانوا يدخلون فيها من دون أن ينكّسوها. فكلما وصل به الرستمي إلى باب من أبوابها قال له: انحنِ أيها الأستاذ، فينثني، فكان الخليفة ومن بحضرته من الأعيان يضحكون على ذلك. فيقول أبو العلاء مستنكراً: لله دَرُّكَ من تلميذ! ا هـ.

ولم يذكر أحدٌ تَلَمُّذَ الرستمي عليه ولا أحْسَبُه من الأحياء إذ ذاك فإنه من الطارئين على باب الصاحب ابن عبّاد، على أن أبا العلاء ممن يرى الموت أمرأ وأهنأ من أن يصير هُزْأَةً يُسْخَر منه لأبناء الدُّنى. س[٤].

(١) طبعة ليدن ص: ٢٤ و٢٥. (٢) ٢ : ٥٣:

مقل من الأهلين يسر وأسرة كفى حزناً بين مشت وإقلال

(٣) وهو محمد بن محمد بن الحسين الوفيات ٢ : ١١ وأورد كثيراً من شعره صاحب اليتيمة وترجم له السمعاني. ولم أجد بعد سنة وفاته. إلا أن في اليتيمة ٣ : ١٣٠ أنه لما شاخ في عهد الصاحب أقل من قول الشعر وهذا يجذب إلى تكذيب الفارسي فإن الصاحب توفي سنة ٣٨٥هـ.

(٤) ١ : ١١٣.

فيا موتُ زُر إن الحياة ذميمة ويا نفس جِدّي إن دهركِ هازل
رحلت[1] لم آتِ قِرْواشاً أزاوله ولا المهذَّبَ أبغي النيل تقويتا
والموت أحسن بالنفس التي أَلِفت عِزَّ القناعة من أن تسأل القوتا

عرض الأشعار عليه بها

نقل الحافظ ابن سيّد الناس اليَعْمَريَّ الأندلسي[2] أن أبا نصر المنازيّ واسمه أحمد بن يوسف[3] دخل على أبي العلاء المعريّ في جماعة من أهل الأدب فأنشد كلُّ واحد منهم من شعره ما تيسر فأنشده أبو نصر:

وقانا لَفحةَ الرَّمضاء وادٍ سَقاهُ مُضاعَفُ الغيث العميم
نزلنا دَوْحهُ فحَنا علينا حُنُوَّ الوالدات على الفطيم
وأرْشَفنا على ظمإٍ زُلالاً ألذَّ من المُدامة للنديم
يَصُدُّ الشمس أنّى واجَهَتْنا فَيَحْجُبُها ويأذن للنسيم
تروع حَصاهُ حاليةَ العذارى فتلْمِس جانبَ العِقْد النظيم

فقال أبو العلاء: «أنت أشعر من بالشام» ثم رحل أبو العلاء[4] إلى بغداد فدخل المنازي عليه في جماعة من أهل الأدب ببغداد ـ وأبو العلاء لا يعرف منهم أحداً ـ فأنشد كل واحد ما حضره من شعره حتى جاءت نوبة المنَازيّ فأنشد:

لقد عَرَض لنا بسَجْع إذا أصغى له ركْبٌ تلاحَى
شجا قلبَ الخليّ فقيل[5] غَنَّى وبَرَّح بالشجيّ فقيل ناحا

---

(١) ٢ : ١١٩.

(٢) ثمرات الأوراق بهامش المستطرف ١ : ٣٣، ونسمة السحر (خط) ١ : ١١٤، والوفيات طبعة غوتنجن ٣ : ١٤ من الحواشي رواية عن تقي الدين التميمي في طبقاته والأبيات الميميّة في البلدان رسم منازجرد. قال ياقوت: ولم أسمع في معناه أحسن منه وروايته مضاعف الظل وعلى اليتيم وأرق من المدامة، وأبو الفداء ٢ : ١٦٨ وروايته وقاه مضاعف النبت، والفطيم، وابن خلكان ١ : ٤٥ وروايته كأبي الفداء قال والأبيات بديعة في بابها، والمعاهد ١ : ٨٥، وروايته كالثمرات إلا أرق وأتى بقلب بعضهم للأبيات، ونزهة الأنام ٩٦، والمرقصات: ٤٧ وابن الوردي ١ : ٣٤٩، ونقلها الغرولي من خط ابن سيد الناس (٦٠٠ ـ ٦٧٢هـ) وفي مطالع البدور ١ : ٧٠ روى أن أبا نصر المنازي الخ.

(٣) ويأتي في زواره بالمعرة بأبسط مما هنا.

(٤) وفي نسمة السحر ١ : ١١٤ أن هذا العرض الثاني وقع أيضاً بالمعرة بعد نحو عشرة أعوام ولفظه: وكان الشعراء يعرضون أشعارهم عليه الخ. ونقله عنه صاحب نزهة الجليس ١ : ٢٨١.

(٥) وفي الأصل بالعين المهملة، والبيتان الأولان يوجدان في الغيث ٢ : ١٩٩ معزوين إلى ابن قاضي ميلة، وروايته: زها قلب الخلي فقال: غني بالغين المعجمة.

وكم للشوق - في أحشاء صبّ إذا اندملتْ أجَدَّ لها - جِراحا
ضعيف الصبر عنك وإن تقاوى وسكران الفؤاد وإن تصاحى
بذاك بنو الهوى سَكرى صُحاةٌ كأحداق المهَا سكرى صِحاحا

فقال أبو العلاء: «ومَنْ بالعراق» - عطفاً على قوله (؟) مَن بالشام ا هـ.

وحكى ابن العديم في تاريخ حلب[١] ما نصّه: «وبلغني أن المنازي عمل هذه الأبيات [الميمية] ليعرضها على أبي العلاء المعريّ - فلما وصل إليه أنشده الأبيات، فجعل المنازي كلما أنشده المصراعَ الأول من كل بيت سبقه أبو العلاء إلى المصراع الثاني الذي هو تمام البيت كما نظمه. ولما أنشده قوله: نزلنا المصراع؛ قال أبو العلاء: حُنوَّ الوالدات على الفطيم. فقال المنازيّ: إنما قلتُ على اليتيم.فقال أبو العلاء: الفطيم أحسن» ا هـ.

وقال ابن البرّاق[٢] في سَوْق أخبار حَمْدة (ويقال حمدونة بنت زيادٍ المؤدّب خنساءُ المغرب من وادي آش) العوفيّة ونسب بعضهم إلى حمدة هذه الأبياتَ الشهيرة بهذه البلاد المشرقيّة وهي وقانا الخمسةَ الأبياتَ - وممن جزم بذلك الرُّعَيْنيّ وقال: «إن مؤرّخي بلاد الأندلس نسبوها لحمدة من قبل أن يخرج المنازيّ من العدم إلى الوجود» ا هـ. ولسنا نستطيع أن نجزم بالحُكْم إلا أنّا نستكبر عَزْوَ الوهم إلى هؤلاء الجمّ الغفير. وما منهم إلا صيرفيٌّ نحرير. وأما أبو نصر هذا فإنه وزَرَ لابن مروان صاحب ميّافارقين، وكان فاضلاً شاعراً كافياً، ترسّل إلى القسطنيطنية مِراراً، وكان جمّاعةً للكتب مُغْرَماً بها، توفي سنة ٤٣٧هـ - والأبيات عملها في بلدة بُزاعا بالعين المهملة وهي فيما بين مَنْبِجَ وحَلَب لمّا مرّ بواديه فأعجبه، وهو نَزِهٌ. وفيه يقول ابن الوردي[٣] المعريُّ وفي الباب:

إن وادي الباب قد أذكرني جنّة المأوى فللّهِ العجبْ
فيه دَوْح يحجُب الشمسَ إذا مال قال للصبَا جُز بأدب
طيره مُغْربةٌ في لحنها تُطْرب الحيَّ كما تُحْيي الطرب
مَرْجُه مبتسِم مما بكت سُحُبٌ في ذيلها الطِّيْبُ انسحَبْ
نهره إن قابل الشمس ترى فضّة بيضاء في نهرِ ذَهَبْ

(١) النفح، مصر ٢: ٤٩٢، وليدن ٢: ٦٣١، وروايته كما أتينا به وحنو المرضعات.
(٢) النفح، مصر ٢: ٤٩١، وليدن ٢: ٦٣٠.
(٣) ديوانه: ٢٤٢، والأبيات سبعة، وهناك روح تحجب وهو تصحيف لا شك. ثم رأيتها في تاريخه أيضاً ١: ٣٥٠ على الصواب.

والحكاية تدلّ على أن البغاددة كانوا يعرضون عليه أشعارهم، وأن الطارقين لبابه كثيرون، إلا أن التاريخ لم يحفظ لنا أخبارهم.

رواة شعره بها

روى غير واحد(١) عن التنوخي الصغير أنه قال ورد أبو العلاء بغداد وقرأت عليه شعره. ونقل صاحب البغية(٢) أن ابن فُوْرَجَّة أيضاً قرأ عليه بها. وظنُّنا أن المقروء ديوان المتنبي وشيء من السقط ـ وفي الدُّمية من رواة شعره من س شيخ الإسلام أبو عثمان الصابوني وأبو محمد الهَمَذاني فهل روياه عنه بها أو بالمعرّة؟ هذا مما لا نتمكن من الجزم على أحد شِقَّيه ـ ويجيء في التلامذة عدة من الأندلسيّين فهل لقيه بعضُهم ببغداد؟

وارتاب بعضهم(٣) في قبوله مستدلاً بأن السقط لم يتمّ إلاّ بعد الرجوع بعدّة أعوام وتدرّج منه إلى أنه لم يكن ببغداد أستاذاً ولا تلميذاً ا هـ. والقول بحيث ترى، فلا يمنع نقص السقط إذ ذاك عن رواية ما تم منه. وإني أرى أنْ كان السقط أو جملة شعره إلى آخره سنة ٣٩٨هـ حاضراً لديه ببغداد، ثم إنه زاد فيه ما قاله بها، أو في أمرها بُعيد الرجوع. ولا بُدّ أن يعطي نسخة شعره للقارئيه عليه. نعم إنه أضاف إليه نحو الربع بعد الرجوع. وكذا الدرعيّات فنرى أن الأولين كانوا يُفرزونها من السقط وهي في الشروح الحاضرة ملحقة به على أن نُسخَ السقط تختلف في قلّة الشعر وكثرته وانظره في بيان تآليفه.

وأما الأستاذية فلا يستنكرها من قرأ هذا الفصل ـ على أنه إن لم يكن يُقرىء فبماذا كان يقضي ساعاته هنالك؟ الواجكا وأبو منصور والتنوخيّ لم يكونوا فارغين لِيَبْقوا معه آناء الليل وآناء النهار ـ وعثرتُ في إفادته لأهلها على خبر طريف وهو:

قالوا في بيت س(٤):

ويـوشـعُ ردَّ يُـوحَـى بـعـض يـوم ... وأنـت مـتـى سـفـرتَ رددتَ يـوحَـى

إن(٥) أبا العلاء لما ورد بغداد اعترضوا عليه وقالوا: صحَّفت إنما هي بوح بالباء

---

(١) كالكمال ابن الأنباري وصدر الأفاضل والذهبي وصاحب البغية وغيرهم.

(٢) ١٣٦.

(٣) صاحب (ذ): ١٦٧.

(٤) ١: ٦٥.

(٥) المعاهد ٢: ١٨٩، وتاج العروس ٢: ٢٤٩، وجمعنا بين روايتيهما ـ وكأنهما رويا عن الاقتضاب ص: ٢٨٠ من دون تنبيه عليه.

الموحَّدة لا بالياء المثناة في حَلْقة ابن المحسّن [القاضي التنوخيّ الصغير] واحتجوا عليه بكتاب الألفاظ ليعقوب ـ فقال: هذه نسخ مُحْدَثة غيَّرها شيوخكم، ولكن أخرجوا ما في دار العلم من الكتب القديمة ـ فأخرجوها فوجدوها مقيَّدة بالمثنَّاة التحتية كما قال ا هـ. قلت: وممن جزم بالباء الموحدة المبرِّد وأبو علي البغدادي وابن الأنباري وثبت عليه وجرى في ذلك بينه وبين أبي عُمر الزاهد كلُّ شيء حتى قال الشعراء في ما× قال ابن خالويه: ثم أخرجنا كتاب الشمس والقمر لأبي حاتم السجستانيّ؛ فإذا يوح بالمثنَّاة ورد اللفظتان يُوْحُ (غير مُجْرَى) ويُوْحَى في الحَلَبيات للفارسيّ ـ وقد كثر من غره تصحيف نُسَخ الألفاظ لتداوله ومنهم ابن سِيْدَهْ فظن أن يعقوب رواه بالموحَّدة، وذكرها صاحب «القاموس» في الموضعين والجوهري في بعض النسخ بالموحَّدة فقط والسهيلي أيضاً. وهاك ما ورد في طبعة الألفاظ[1]: «ويقال قد طلعت يُوْحُ يا هذا [بالياء غيرَ مصروف فالصواب على ما ذُكر ـ وفي النُّسَخ بُوْح بالباء كما ذكره ابن الأنباري وثبت عليه وفي كتاب المعبدي والصيدلاني بوح بالباء بنقطة واحدة]».

فالحكاية صريحة في أن كان ثمة كثير من الحاضرين في حلقة التنوخيّ من رواة شعره، وأنهم أذعنوا بفضله على مشايخهم إذ دلَّهم على تصحيفهم الذي ورثه كابرٌ عن كابر وأبقاه الأول للآخر، وأنَّ دار الكتب سواء كانت القديمةَ أو العبّاسيةَ بحيث وصفها غيرُ واحد، لا يستغني عنها مُقرّ أو جاحد، يهاجر لمثلها على تراخي الشقّة ومَطْلها.

ومما يَرْمي إلى غرض الباب ما روى ابن الجوزي في الأذكياء[2] وياقوت[3] في الأدباء ونقله عنهما كثير من العلماء[4]. قال الأول: روى رفيقنا عبد الكريم بن منصور قال: سمعت المبارك بن أحمد الأفوه (أو الأخوث) يقول: خرج رجل من بغداد على سبيل الفُرجة فقعد على الجسر. فأقبلت امرأة من جهة الرُّصافة متوجّهةً إلى الجانب الغربي [الكرْخ]. فاستقبلها شابٌّ فقال: رحم الله عليّ بن الجَهْم. فقالت المرأة: رحم الله أبا العلاء المعري. وما وقفا بل مرّ الرجل مشرّقاً ومرّت المرأة مغرّبة، فتبعتُ المرأة وقلتُ: إن لم تقولي لي ما أراد وما أردتِ وإلا فضحتُكِ. فضحكت وقالت: أراد الشابّ بقوله رحم الله علي بن الجهم قوله:

---

(١) تهذيب الألفاظ ص: ٣٩٠.

(٢) ١٧٤، دون السند والغيث عن الأذكياء والسياق هنا منه ١: ٢٣٦ وهذا يدل على أن طبعة الأذكياء مختصرة وليس الكتاب على غرة الأول.

(٣) أدباء ١: ١٧٦.

(٤) الخزانة: ١٨٦، وثمرات الأوراق بهامش المستطرف ١: ١١٤ والمعاهد ٢: ١٩٧ والبديعي ٢: ١٣٦.

عيونُ المَها بين الرُّصافة والجَسْر جلبنَ الهوى من حيث أدري ولا أدري

وأردت أنا بقولي: رحم الله أبا العلاء المعري قوله[١]:

فيا دارها بالخَيْفِ إنّ مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوالُ

ولفظ ياقوت قرأت بخط أبي سعد [السمعاني وتوفي سنة ٥٦٢هـ] قال: سمعت المبارك بن أحمد ابن الأخوث مذاكرة: خرج رجل الحكاية. والغرض من سياق هذا السند أن يُستدلّ به على قرب عهد وقوع الحكاية بعهد أبي العلاء بأهل بغداد. فأخلِقْ به أن أُهنّئه بقولي:

فصِيْتُكَ يا شيخَ المعرّة طائر مَطيرَ العُقاب حيث ندري ولا ندري

وشعرك ترنوه بلحظِ كرامة عُيونُ المَها بين الرُّصافة والجَسْر

تمثَّلَ في شرق وغرب بذكره مشاهدُ أُنس للبُداة وللحضْر

فسَقْياً! لعهد كنت بيتَ قصيده ورَعياً! لأيام مضين على النهْر

بعض ما استفاد بها

مرّ بعضه في ذكر الواجكا وغيره وهاك ما وجدته غير ما تقدم، وهو لا يخلو عن فائدة أدبية:

(١) قال في الغفران[٢]: كنتُ بمدينة السلام فشاهدت بعض الورّاقين يسأل عن قافية عديّ بن زيد التي أولها:

بكر العاذلون في غَلَس الصبـ ـح يقولون لي ألا تستفيق

ودعا بالصبوح فجراً فجاءت قينة في يمينها إبريق

وزعمَ الورّاق أن ابن حاجب النعمان[٣] سأل عن هذه القصيدة. وطُلبت في نسخ من ديوان عديّ فلم توجد. ثم سمعت بعد ذلك رجلاً من أهل استراباذَ يقرأ هذه القافية في ديوان العِباديّ ولم تكن في النسخة التي في دار العلم.

---

(١) س ٢: ٤٩ والقصيدة قالها بمدينة السلام.

(٢) ١٠ ـ ورواية غيره ودعوا بالصبوح يوماً. وللأبيات خبر مستملح أنظره معها في درة الغواص استمبول ١١١، والخزانة الكبرى ٤: ١٣٠، والوفيات ١: ١٩٥، والأغاني الطبعة الثانية ٥: ١٥٨، وابن عساكر ٤: ٤٢٨، وكل من ترجم لحماد الرواية.

(٣) ترجم له ابن النديم ص: ١٣٤. قال: وكان أحد أفراد الزمان في الفضل والنبل ومعرفة كتابة الدواوين وكان إليه في أيام معز الدولة ديوان السواد ولم يشاهد خزانة كتب أحسن من خزانته لأنها الخ. ومر في فصل دار الكتب.

(٢) وفيه[١] أيضاً ما فحواه أن بعض الأدباء بمدينة السلام سئل عن قول عمرو بن كلثوم:

فما وَجدتْ كوجدي أمُّ سَقْبٍ أضلّتْه فرجّعت الحنينا
ولا شمطاءُ لم يترك شقاها لها من تسعة إلاّ جنينا

هل يجوز نصب شمطاء فلم يجب بشيء ثم ذكر جوازَه من وجهين كأنه قال: ولا أذكر شمطاءَ أي أنها أوجَدُ أو لا تنسَ شمطاء.

(٣) وفيه[٢] أن رواة بغداد كانوا ينشدون في قِفا نَبْكِ هذه الأبيات بزيادة الواو (يذهبون فيها مذهب الخَزْم) وكان ذُرَى رأس المُجيْمر البيت وكان مُكاكيّ البيتَ وكأن السباع البيت. ثم شنّع عليهم أنهم تبعوا في ذلك من لا غريزة له في القريض وإلا فأيّ فرق يبقى إذاً بين النثر والشعر.

(٤) وذكر فيه[٣] أن لأبي الطيّب اللغوي كتاباً في الإتباع صغيراً في أيدي البغداديّين.

(٥) وذكر[٤] ابن الرومي الشاعر والبغداديون يدّعون أنه متشيّع ويستشهدون على ذلك بقصيدته الجيميّة وما أراه إلا على مذهب غيره من الشعراء.

(٦) وفيه[٥] والبغداديون يحكون أن أبا سعيد السيرافي عمل من كتابه المعروف بالمُقْنع أو الإِقناع إلى باب التصغير ثم تُوفّي، وأتمّه بعده ولده أبو محمد.

(٧) وروي في مقدمة ل[٦]: أنه شاهد بعض المتحققين بالأدب ببغداد يجعل الرويّ الياءَ في قول الشاعر[٧]:

يا أيها الراكبان السائران معاً قولا لِسنْبِسَ فلتقطُفْ قوافيْها

قال: وما أحسب هذا ممن قاله إلا وهما لأن الرويّ الساكن لا يكون بعده وصل. أقول ومستدلُّه فيما ذهب إليه مصطلح الخليل ليس إلاّ. وخالفه المتأخرون قاطبةً حيث يجعلون الروي في مثله الياء ويوردون مثله في الدواوين في باب الياء لا في الهاء كما فعل في اللزوم. ولم يفهم بعض مستعربة العصر[٨] مصطلحه في ذلك فحكم

(١) ٩٥.
(٢) ٨٧.
(٣) ١٩٢.
(٤) ١٦١.
(٥) ١٣٧، ومثله في الأدباء ٣: ٨٦.
(٦) ١: ٢٢.
(٧) من شعراء حماسة أبي تمام.

على كثير من شعره في ل في فصل الهاء وغيرها أنه لا يوجد فيه مع أنه موجود في الهاء وغيرها إلا أنه بحث عنه في فصل الياء وغيرها فأخفق.

(٨) قال ابن الوردي[١] حدّث أبو العلاء المعري أن البغداديين حدّثوه بها أنه لما عَبَرَتِ السنّةُ (يريد أهلها) بأبي عمر [الزاهد] في الكرخ وهم شيعة بغداد وحوله التكبير والتهليل. قال قائل هذا والله لا كمن دُفنت ليلاً يعني فاطمة عليها السلام فثار أهلُ الكرخ وقُتل بينهم جماعة وطُرح أبو عمر عن النعش وجُرح جراحاً كثيراً.

(٩) وحكى ابن مهذب[٢] في تاريخه حدّثني الشيخ أبو العلاء المعري أنه سمع عنه (عن الزجاج) ببغداد أنه لما حضرته الوفاة سئل عن سنّه فعقد لهم سبعين وآخر ما سُمع منه: اللهم احشرني على مذهب أحمد بن حنبل.

وظننا أنه كان يحضر مناظرات الفقهاء ومحاضرات العلماء والأدباء بمحافلهم المشهودة ومجامعهم المحضورة لا سيّما بجامع المنصور، وهو قطب رحى الدهور. ويلاقي نُظّار أهل الجَدَل، وعلماء الأديان والملل. فنرى شعره طافحاً في ل بأرباب المقالات، وآرائهم والمنتحلات. فذكر المعتزلة وأئمتهم وآراءهم والمتكلمين وأهل الجبر والقدر والشيعة وأهل السنة والمحدثين والفقهاء والقرامطة والعبيديين وآراء المجوس وديانات الهنود وعاداتهم وانظر النظرة. وأكتفي هنا بنقل حكاية في عادة سَتِيْ عن الغفرانِ[٣]. قال: حدثني قوم من الفقهاء ما هم في الحكاية بكاذبين ولا في أسباب النِّحَل جاذبين أنهم كانوا في بلاد محمود وكان معه جماعة من الهند قد وثِق بصَفائهم يُفيض عليهم الأعطية لوفائهم، ويكونون أقرب الجند إليه إذا حلَّ وإذا ارتحل وأن رجلاً منهم سافر في جيش جهزه، فجاء خبره أنه هلك بموت أو قتل. فجمعت امرأته لها حطباً كثيراً وأوقدت ناراً عظيمة واقتحمتها والناس ينظرون. وكان ذلك الخبر باطلاً. فلما قدم الزوج أوقد له ناراً جاحمة ليُحرق نفسه حتى يلحق بصاحبته. فاجتمع خلق كثير للنظر إليه. وأن أصحابه من الهند كانوا يجيئون إليه فيُوَصُّونه بأشياء إلى أمواتهم هذا إلى أبيه وهذا إلى أخيه وجاءه إنسان منهم بوردة وقال: أعط هذه فلاناً يعني ميّتاً له. وقذف نفسه في تلك النّار. وحدَّث من شاهد إحراقهم نفوسهم أنهم إذا لذعتهم النار أرادوا الخروج فيدفعهم من حضر إليها بالعصيّ والخَشُب فلا إله إلا الله لقد جئتم شيئاً إدّاً! ا هـ. والخبر مما نشاهده كلّ يوم ليس فيه ذرّة من المبالغة. ولعل أخبار الملاحدة[٤] والزنادقة والمتنبئين والمتألّهين من طرائف مكاسبه بها لا من تِلاد الشام.

(١) هو مرجليوث في حاشية الأدباء ١: ١٩١، ١٩٣ حيث ترك (سطروه) غفلاً إذا لم يجده في ل.
(٢) تاريخ ابن الوردي.
(٣) ١٥٣.
(٤) التي نرى منها حياض الغفران مترعة وكأسها دهاقاً.

ويُرشدنا بيتان مِن ل أنه كان يتعرّف بجالية الأقطار الشاسعة، وأن حلقة معارفه بها كانت واسعة. وهما:

ما لي وللنفر الذين عَهِدتُهم بالكرخ من شاس ومن إيلاق
خَلْقٌ مُجادِلةٌ كشَرْب مهلهِل[١] شربوا على رغم بكأس حَلاقِ

سائر معارفه بها

مضى معظمهم ويأتي الآخرون في زُوّاره بالمعرة أو في تلامذته وممن لم يُذكر في الموضعين ابن تميم البَرقيّ، وفي نسخة بانكي پور الرَقّيُّ ولم أجدها في الأنساب للسمعانيّ وغيره. هذا الرجل كتب إليه أبياتاً يشكو فيها مرضه وأنه لم يَعُدْه. فأجابه بأبيات من س[٢] وهي غاية في الظرف والملاحة، تدل على ولوجه بها في كل باب وساحة. وذكر فيها أن شكواه ليست من عاهة أو آفة، بل هي من حدَق المراض المتردّدة بين الجسْر والرُّصافة:

أمُعاتِبي في الهَجر إن جاريتَنِي طَلْقَ الجِدال وُجدتَ عينَ الظالم
حُوشيتَ من شكوَى تُعاد وإنما شكواكَ من نظر بدجلَة عارم
فاكفُف جفونك عن غرائز فارس فالضرب يَثْلِم في غِرار الصارم
وعيادةُ المرضى يراها ذو النهى فرضاً ولم تُفْرَضْ عيادةُ هائم

ولا نعرف هل كان أبو بكر الصابوني وأبو عمرو الاستراباذي ـ اللَّذَيْن كاتبهما في أمر استنساخ شرح السيرافي ـ بعدُ حيّين يُرْزَقان، أم غالت بهما أيدي الحدثين.

موت النقيب أبي أحمد الموسوي

توفي أبو أحمد والد الشريفين في جمادى الأولى سنة ٤٠٠هـ فرثاه أبو العلاء بقافية[٣] ساحرة وكلمة سائرة، أولها:

أودَى فليت الحادثاتِ كَفافِ مالُ المُسيف وعنبرُ المستاف

---

(١) يريد قوله:

ما أرجى بالعيش بعد ندامي كلهم قد سقوا بكأس حلاق.

وإيلاق: مدينة بلاد الشاس متصلة ببلدان الترك. والبيت من كلمة تمامها في حرب بكر وتغلب عن محمد بن إسحاق وغيره، ص: ١١٤.

(٢) ٢: ٩٨.

(٣) ٢: ٥٥، س.

وهي طويلة قال ابن خلكان[١] أجاد فيها كل الإجادة. يقول فيها في الشريفين:

أبقيتَ فينا كوكبين سناهما ... في الصبح والظلماءِ ليس بخافِ
قَدَرَيْن[٢] في الإرداء بل مطرين في الـ ... إجداء بل قمرين في الإسْداف
ساوَى الرضيُّ المرتضى وتقاسما ... خِططَ العُلى بتناصُفٍ وتصافِ
حِلْفا نَدًى سبقاً وصَلَّى الأطهر الـ ... مَرْضى[٣] فيا لِثلاثةٍ أحلاف
المُوْقديْ نار القرى الآصال والـ ... أسحارَ بالأهضام والأشعاف
حمراء ساطعة الذوائب في الدجى ... ترمي بكل شَرارة كطِراف
وأنا[٤] الذي أهدَى أقلُّ بَهارة ... حُسْناً لأحسن روضة مئناف
أوضعتُ في طُرُق التشرّف سامياً ... بكما ولم أسلك طريقَ العافي

قال الزمخشري في الكشّاف[٥] في تفسير إنها ترمي بشرر كالقصر الآية بعد أن نقل البتين الموقديء حمراء: «وكأنه قصد بخبثه أن يزيد على تشبيه القرآن ولتَبَجُّحِه بما سُوِّلَ له من توهُّم الزيادة جاء في صدر بيته بقوله حمراء توطئةً لها ومناداةً عليها وتنبيهاً للسامعين على مكانها. ولقد عَميَ ـ جمع اللّهُ له عَمىَ الدارين ـ عن قوله عز وجلّ: ﴿كَأَنَّهُ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾﴾ فإنه بمنزلة قوله كبيت أحمر وعلى أن في التشبيه بالقصر وهو الحصن تشبيهاً من جهتين من جهة العظم ومن جهة الطول في الهواء وفي التشبيه بالجِمالات وهي القلوس تشبيه من ثلاث جهات من جهة العظم والطول والصفرة. فأبعد الله إغرابَه في طِرافه، وما نَفَخَ شِدْقَيْهِ من استطرافه ا هـ.

أقول: وأَيْمُ اللّهِ إنه جُنَّ جنونَ المُوَسْوسين، وهَذَى هذيان المُبرْسَمين. أساء سمعاً فأساء جابةً ومن شهل شيئاً عابه. ولم يعمل بما قال الأول المنصف، لا تَهْرِفْ بما لا تعرف. وقد أحسن الإمام ابن خطيب الرّيّ في الرّد عليه في تفسيره، وأطال

(١) ٢: ٤.
(٢) هذه اللفظة طبرة وإن لم يتنبه له أحد كما ذكروا أن المتنبي لما انصرف من حضرة عضد الدولة، وكان فيما قال يودعه:

وأيّا شئت يا طرقي فكوني ... أذاة أو نجاة أو هلاكا

فكانت الأذاة والهلاك حيث قتل في طريقه تلك.
(٣) كمسعى لا بتشديد الياء على زنة المفعول كما هو في س، وهو مصدر كالرضى (كإلى) ويستعملان بمعنى المفعول.
(٤) يتضاءل للرضي فإنه أشعر قريش في طوال القصائد وكثرة الشعر.
(٥) الأميرية سنة ١٣١٩ ـ ٣: ٢٤٤.

فراجعه. وهذا بلديّه صدر الأفاضل الخوارزمي قال[١] بعد أن ذكر أن التشبيه في العظم والاستدارة والحمرة وهذا من قوله تعالى ترمي الآيتين. فانظر إلى اتفاقهما في البلدة، مع التباين في الرفق والشدّة، والتُّؤَدَة والحِدَّة. وصدق أبو الطيّب:

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفتُه من الفهم السقيم

وهذا على أن الزمخشريّ كان مولعاً بالسقط[٢] فكتب منه نسخة بخطّه على ما رآه صدر الأفاضل.

وهذا كلّه قبل أن ينزل الزوّ - ويتجافى مسافةُ الدَوّ - ويُظْلَمَ الجَوُّ بين المرتضى وصاحبنا في أمر أبي الطيّب حين لا يُغْني لَيْتٌ ولا لَوٌّ - فقبّح الله حصائدَ الألسنة - وفَلَتَاتِ الآونة -.

هو في مجلس المرتضى أوّلاً وآخِراً

نقل ياقوت[٣] وغيره أنه دخل على المرتضى فعَثَرَ برَجُل - فقال من هذا الكلب فقال المعرّيّ: الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسماً. وسمعه المرتضى فاستدناه واختبره، فوجده عالماً مُشَبّعاً بالفِطنة والذّكاء فأقبل عليه إقبالاً كثيراً. وكان أبو العلاء يتعصّب للمتنبي ويزعم أنه أشعر المُحْدَثين، ويفضّله على بشار ومن بعده مثل أبي نواس وأبي تمّام. وكان المرتضى يبغض المتنبي ويتعصّب عليه، فجرى يوماً بحضرته ذكر المتنبي فتنقصه المرتضى وجعل يتّبع عيوبَه، فقال المعري: لو لم يكن للمتنبي من الشعر إلاّ قوله:

لكِ يا منازلُ في القلوب منازلُ

لكفاه فضلاً. فغضب المرتضى وأمر بسَحْبِ رِجله، وأُخرج من مجلسه. وقال لمن بحضرته: أتدرون أيَّ شيء أراد الأعمى بذكر هذه القصيدة؟ فإن للمتنبي ما هو

---

(١) وفي نسخة نسمة السحر ١: ١١١ بعد نقل قول الزمخشري: ولا أدري من أين له أنه قصد الزيادة على تشبيه القرآن. فمن المعلوم أن القصر أعظم من الطراف... ولكن الزمخشري من فضله كان حديد المزاج كثيراً ا هـ ونقله عنه صاحب نزهة الجليس ١: ٢٨٢.

(٢) الضرام شرح ليت الجياد خرسن يوم حلاحل.

(٣) الأدباء ١: ١٦٩، والنزهة ٤٢٦، البغية: ١٣٦، ممرات الأوراق بهامش المستطرف ١: ١١٣، حياة الحيوان ٢: ٢٣٠، المعاهد ١: ٤٩، ٢: ١٩٣، الصبح المنبي ٢: ٦١، النكت ١٠٣، الخزانة: ١٨٦، اليافعي ٣: ٦٨.

أجود منها. فقيل: النقيبُ السيّد أعرفُ. فقال: أراد قوله في هذه القصيدة:

وإذا أتتْكَ مذمّتي من ناقص ... فهي الشهادة لي بأني كاملُ

اهـ.

أقول: وهاتان حكايتان وقعتا في أوّل مدّة إقامة صاحبنا وآخرها ـ ولا بدّ أن تكون الثانية وقعت بعد وفاة أبي أحمد ـ وقد أحسن صاحب المعاهد في إفرازهما. وصرّح صاحب حياة الحيوان أن القائل له: من هذا الكلب هو ذلك الرجل الذي عثر به لا المرتضى. وهذا التصريح يفيد ما أوهمه ضمير قال عند الآخرين. وقد صدق من عدّ الضمائر من المبهمات.

ومثله ما يروى[١] عن جُنادَةَ اللغوي كان صاحبنا يعرفه[٢] أنه حضر مجلس الصاحب بشيراز وهو شَعثُ الزّيّ، فجلس قريباً منه وكان مشغولاً فلما بصر به قَطّب وقال: قم يا كلب من ههنا، فقال له جُنادة الكلب هو الذي لا يعرف للكلب ثلاثمائة اسم. فمدّ عند ذلك الصاحبُ يده وقال: قم إلى ههنا فما يجب أن يكون مكانك حيث جلست ورفعه إلى جانبه.

وأما قول المرتضى أتدرون أيَّ شيء الخ فيضاهيه في الفطنة والذكاء[٣] ما يروى أن سيف الدولة كان يبالغ في مدح المتنبّي، فقال السَريُّ الرّفّاء وكان يحسد منزلته انتخِبْ لي قصيدة له أُعارِضْها ـ فقال: عارِض لنا قصيدته التي أوّلها:

لِعَيْنَيْكَ ما يلقَى الفؤاد وما لَقِيْ

قال السريّ: فاعتبرتُها تلك الليلة فلم أرها من مختاراته ـ ثم فَطِنتُ أنه أشار إلى بيت في آخرها:

إذا شاء أن يلهو بلحية أحمقٍ ... أراه غباري ثم قال له الْحَقِ

اهـ.

وأخطأ أبو المحاسن في زعمه أن الحكاية جرت له مع الرضي كما أخطأ الخفاجي في تخليطه ثلاث حكايات: حكاية مع الربعي ومع المرتضى وحكاية جُنادة ـ وقد مرّ ـ.

وقال بعض أهل العصر[٤]: إن أبا العلاء لم يختر أن يكون متعصباً للمتنبي

(١) البغية: ٢١٣.

(٢) الغفران: ١٧٤، وكان أسامة أستاذ أبي القاسم المغربي.

(٣) الخزانة: ١٨٦، فصاحبنا إذا مصل في هذه الفطنة والسري مجل له، والمعاهد ٢: ١٩٣.

(٤) صاحب (ذ): ١٨٣.

وشديداً على المرتضى كما أن هذا لم يختر أن يكون متعصباً عليه الخ. وكلا شِقَّيْه باطل فإن المرتضى حاله في تنقّص المتنبي مما لا يجهله متأدّب قرأ أماليَّه[١] وأما تعصّب صاحبنا له فإنه أشهر[٢] من نار على عَلَم ومن البدر في داجي الظُّلَم. ومرّ لنا حكاية بعض ما يدل عليه وسيأتي بعضه في ذكر ابن فَوْرَجّة.

ولم يكن غضب الشريف بهيّن، وإن لم يوجد له ثَمّ أثرٌ متبيّن. فإن أُسرته كانت تُسامي مَنْصِبَ الخلافة[٣]، وتُناصيها في الوجاهة. وكان أبو أحمد مبجّلا في الخلافة ودولة بني بُوَيْه. خاطبه بهاء الدولة البُوَيْهِيُّ بالطاهر الأَوحد، وَلِيَ نقابةَ الطالبيّين خمس مرّات، وكان السفيرَ بين الخليفة والبويهيّين والحمدانيّين. والمرتضى كان متكلّماً أديباً وله الأماليُّ وغيره. على أن صاحبنا كان يَضِنّ بعِرْضه، ولم يكن يسمح أن يبذُل ماء وجهه. أو يبقى كلاًّ على الإخوان مدفعاً، ومستثْقَلاً مضيَّعاً. وهو القائل ـ ل:

إذا كان إكرامي صديقيَ واجباً … فإكرام نفسي لا محالة أوجب
وانزل بعِرضك في أعزّ محلة … فالغَوْر ليس بمَوْطِن للمُنجِد

وجاء في ل بيتان وهما:

وأصحابُ الشريف ولا تَساوٍ … كأصحاب ابن زُرعةَ وابن سَمْح[٤]
فأميرُهم نال الإمارة بالخنا … وتَقِيُّهم بصلاته متصيِّدُ

ورواية سرّ العالَمَيْن[٥] المنحول للغزاليّ، ونقيبُهم فإن صحت فهل أراد بهما

(١) مصر ٣: ١٢٨ وغيرها.
(٢) انظر البديعي ١: ٤٧.
(٣) انظر الوفيات ٢: ٢، ومقدمة ابن أبي الحديد.
(٤) هما نصرانيان من أصحاب المنطق، وترجم للأول ابن النديم ص: ٢٦٤.
(٥) طبعة بمبي ٨٥.
وللسيوطي كتاب سماه: التبري من معرة المعري، انتسخت التبرّي هذا... من نسختين بخزانة بانكي پور: لا تخلوان عن الأغلاط، وهي أرجوزة في نحو أربعين بيتاً. قال خليفة: أرجوزة ذكرها في ديوان الحيوان. وقال: دخل أبو العلاء على الشريف فعثر برجل، فقال: من هذا الكلب؟ فقال: الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسماً، قال: وقد تتبعت اللغة فحصلتها أكثر من ستين اسماً ونظمتها ا هـ. ومن الكتاب نسخة بخزانة برلين وعددها في فهرس الوارد ٧٠٥٦ أولها:

لله حمد دائم الولي … ثم صلاته على النبي
قد نقل الثقات عن أبي العلا … لما أتى للمرتضى ودخلا
من ذلك السيافع ثم الوازع … والكلب والأبقع ثم النازع
والوع والعلوش ثم الوعوع … والشعير الوعواع فيما يسمع

الشريف النقيب أبا القاسم المرتضى؟ لا! بل هو يربأ بنفسه أن يهجو أحداً كما نقل من قوله عبد السلام القزويني المعتزليّ ويأتي في الزُّوّار. فليس مثل هذا إلاّ من عِداد نقده لجملة الطوائف ورجالاتها، وعاداتها وحالاتها.

وروى أبو منصور الطبرسي في كتاب الاحتجاج[1] والعُهدة عليه أن أبا العلاء دخل على المرتضى فقال: أيها السيّد، ما قولك في الكُلّ؟ فقال السيّد: ما قولك في الجزء؟ فقال: ما قولك في الشِّعْرَى؟ فقال: ما قولك في التدوير؟ قال: ما قولك في عدم الانتهاء؟ فقال: ما قولك في التحيّز والناعورة؟ فقال: ما قولك في السبع؟ فقال: ما قولك في الزائد البري على السبع؟ فقال: ما قولك في الأربع؟ فقال: ما قولك في الواحد والاثنين؟ فقال: ما قولك في المؤثر؟ فقال: ما قولك في المؤثرات؟ فقال: ما قولك في النَّحْسَيْن؟ فقال: ما قولك في السعدين؟ فبُهِتَ أبو العلاء. فقال السيّد المرتضى عند ذلك: ألا كلّ مُلْحَد مُلْهِد. فقال أبو العلاء: من أين أخذته؟ قال: من كتاب الله عز وجل: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ ثم قام وخرج. فقال السيد قد غاب عنا الرجل وبعد هذا لا يرانا. فسئل السيّد عن شرح هذه الرموز والإشارات فقال: سألني عن الكلّ وعنده الكل قديم، ويشير بذلك إلى عالم سمّاه العالم الكبير فقال لي: ما قولك فيه أراد أنه قديم فأجبته عن ذلك وقلت له: ما قولك في الجزء ~~لأن عندهم الجزء~~ لأن عندهم الجزءَ محدث وهو متولّد عن العالم الكبير، وهذا الجزء عندهم هو العالم الصغير، وكان مرادي بذلك أنه إذا صحّ أن هذا العالم محدث فذلك الذي أشار إليه إن صحّ فهو محدث أيضاً لأن هذا من جنسه على زعمه والشيء الواحد والجنس الواحد لا يكون بعضه قديماً وبعضه محدثاً، فسكت لما سمع ما قلته. وأما الشعرى أراد أنها ليست من الكواكب السيارة فقلت له: ما قولك في التدوير أردت أن الفلك في التدوير والدَّوَران[2] والشعرى لا يَقدح في ذلك. وأما عدم الانتهاء أراد بذلك أن العالم لا ينتهي لأنه قديم فقلت له: قد صحّ عندي التحيّز والتدوير وكلاهما يدلاّن على الانتهاء. وأما السبع أراد بذلك النجوم السيارة التي هي عندهم ذوات الأحكام فقلت له: هذا باطل بالزائد البري الذي يحكم فيه بحكم لا يكون ذلك الحكم منوطاً بهذه النجوم السيارة التي هي الزَّهْرَةُ والمشتري والمرّيخ

= هذا الذي من كتب جمعته وما بدا من بعد ذا ألحقته
والحمد لله هنا تمام ثم على نبيه السلام
ونسخة أخرى بخزانة بانكي پور في الهند وأخرى بحيدر آباد.

(١) طبعة إيران سنة ١٣٠٢هـ ص: ٢٥٥. ونقله صاحب روضات الجنات ص: ٩٤.

(٢) وفي نسخة بالشعرى وأما عدم الخ.

وعطارد والشمس والقمر وزُحَل. وأما الأربع أراد بها الطبائع فقلت له: ما قولك في الطبيعة الواحدة النارية يتولّد منها دابّة بجلدها تمسّ الأيدي ثم يطرح ذلك الجلد على النار فتحرق الزهومات فيبقى الجلد صحيحاً؛ لأن الدّابة خلقها الله على طبيعة النار والنار لا تحرق النار والثلج أيضاً تتولّد فيه الدِّيدان، وهو على طبيعة واحدة والماء في البحر على طبيعتين يتولّد منه السموك والضفادع والحيّات والسلاحف وغيرها وعنده لا يحصل الحيوان إلا بالأربع فهذا مناقض بهذا. وأما المؤثر أراد به الزُحَل فقلت له: ما قولك في المؤثّرات أردت بذلك أن المؤثرات كلهن عنده مؤثرات، فالمؤثر القديم كيف يكون مؤثراً، وأما النَّحْسان أراد بهما أنهما من النجوم السيارة إذا اجتمعا يخرج من بينهما سعد، فقلت له: ما قولك في السعدين إذا اجتمعا خرج من بينهما نحس؟ هذا حكم أبطله الله تعالى ليعلم الناظر أن الأحكام لا تتعلق بالمسخّرات لأن الشاهد يشهد أن العسل والسكّر إذا اجتمعا لا يحصل منهما الحنظل والعلقم، والحنظل والعلقم، إذا اجتمعا لا يحصل منهما الدِّبْس والسُّكّر. هذا دليل على بطلان قولهم وأما قولي: ألا كل ملحد ملهد؛ أردت أن كل مشرك ظالم لأن في اللغة ألحد الرجل إذا عدل عن الدين وألهد إذا ظلم، فعلم أبو العلاء ذلك وأخبرني عن علمه بذلك فقرأتُ: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ﴾ الآية ا هـ، على طوله، وهذه المحاجّة بمذاهب القوم أشبه منها بمذهب أبي العلاء وإنما ذكرتها استطرافاً حتى لا يخلو كتابي هذا عن كل ما يجذب إليه.

شعره بها في الحنين إلى الشام

هو قبل أن يجري بينه وبين المرتضى ما جرى لم يكن ينوي أن يفارق بغداد كما مرّ لنا إثباته إلاّ أنه لم يكن نسي وطنه بالمرّة فمما قال متشوّقاً إليه[1]:

فـيـا دارهـا.. الـبـيـت ... وغـنّـت لـنـا.. الـبـيـتَ

فقلت: تَغَنَّيّ كيف شئتِ فإنما ... غِناؤك عندي يا حمامة إعوال

تمنّيت أن الخمر حلّت لنَشْوةٍ ... تجهّلني كيف اطمأنّت بيَ الحالُ

فأذهلَ أني بالعراق على شَفَا ... رَذِيِّ[2] الأماني لا أنيسٌ ولا مال

مُقِلّ من الأهلَيْن يُسْرٍ وأُسْرةٍ ... كَفَى حَزَناً بَيْنٌ مُشِتّ وإقلال

متى سألت بغدادُ عني وأهلُها ... فإنيَ عن أرض العواصم سآلُ

(١) س ٢: ٥١.

(٢) في الأصل بالزاي المعجمة وهو تصحيف.

إذا جنّ ليلي جُنّ لبّي وزائد ... خُفوقُ فؤادي كلما خَفَقَ الآلُ
وماء بلادي كان أنجعَ مشرباً ... ولو أن ماء الكرخ صهباءُ جِرْيال
فيا وطني إن فاتني بك سابق ... من الدهر فلْيَنْعَمْ لساكنكَ البال
فإن أستطع في الحشر آتك زائراً ... وهيهات لي يوم القيامة أشغالُ
وكم ماجد في سِيْف دجلةَ لم أَشِمْ ... له بارقاً والمرءُ كالمزن هَطَّالُ
سيطلبني رزقي الذي لو طلبتُه ... لما زادَ والدنيا حظوظ وإقبال

وأرى أنه أنشأ في نحو هذه المدّة أشعاره في النسيب التي أَعجبت ياقوت[١] والباخرزيّ وهي تَشِفّ عن نَواه، وتجذِب إلى هواه.

أسالتْ[٢] أتيَّ الدمع فوق أسيل ... ومالت لظلّ بالعراق ظليل
أيا جارةَ البيت الممنع جاره ... غدوتُ[٣] ومَن لي عندكم بمَقيل
لغيري زكاة من جِمال فإن يكن ... زكاة جَمال فاذكري ابنَ سبيل

ثم لما وافى شهر الله رجب الفرد الأصمّ سنة ٤٠٠هـ وحان ما كان الله حَتَمَ نراه أعرض عن التجمجم واعتاض التصريحَ عن التغمغم.

طربن[٤] لضوء البارق المتعالي ... ببغداد وَهْناً ما لهنّ وما لي
تمنّت قويقاً والصراة حِيالَها ... تُراب لها من أينُق وجِمال
إذا لاح إيماضٌ سترتُ وُجُوهها ... كأنّي عمرو والمطيُّ[٥] سعَالِ
وكم هَمَّ نِضْوٌ أن يطير مع الصبَا ... إلى الشأم لولا حَبْسُه بعِقال

فيا برق ـ فهل فيك ـ البيتين:

دعا رجبٌ جيشَ الغرام فأقبلتْ ... رِعال ترود الهمَّ بعد رعال
ولاح هلال مثل نون أجادها ... بجاري النُضار الكاتبُ ابن هلال
أإخوانَنا بين الفرات وجِلَّقٍ ... يَدَ الدهر لا خبّرتُكم بمُحال
أُنَبِّئُكم أني على العهد سالم ... ووجهيَ لمّا يُبْتَذَلْ بسؤال

(١) أدباء ١ : ١٧٤، والدمية (خط كلكتة) ورق: ٦.
(٢) س: ٢ : ١٤.
(٣) ابتكرت إليكم وزرتكم على العبد.
(٤) ٢ : ٣٨ س.
(٥) زعموا أن عمرو بن يربوع تزوج جنية فقيل: استرها من البرق وإلا تفرك فغفل يوماً ففرت، وقالت:
أمسك بنيك عمرو أني آبق ... برق على أرض السعالي آلق
التنوير ٢ : ٣٩ ابن أبي الحديد ٤ : ٤٤٤، أدباء ٥ : ٤٥٠.

وأنـي تيمّمتُ العراق لغير ما تَيَمَّمَه غَيْلانُ عند بلال
فأصبحتُ محسوداً بفضليَ وحدَه على بُعْد أنصاري وقِلَّة مالي
نَدِمتُ على أرض العواصم بعدما غدوتُ بها في السَّوْم غيرَ مغالِ
ومن دونها يوم من الشمس عاطل وليلٌ بأطراف الأسنَّة حالِ
أروح فلا أخشى المنايا وأتّقي تَدَنُّسَ عِرْض أو ذميمَ فِعال

وقد أطلنا في سَرْد الأبيات وإنها النمير غيرُ المحلَّلِ، والرحيقُ المسلسل. صارت لنا عُقلةَ المستوفَز، فعُذرنا واضح إن لم تُوجَز. وإني لتذكِرني الأريحيَّة الأدبية حين ما يمرّ بي قوله: «دعا رجبٌ» البيتَ ما كنتُ قرأتُه في الدهر الأول في أشعار الهذليين[١] من شعر عبد الله بن مسلم:

يا للرجال ليوم الأربعاءِ أما ينفكّ يُحدِّث لي بعد النُّهَى طَرَبا
إذ لا يزال غزال فيه يفْتِنني يأوي إلى مسجد الأحزاب منتقبا
يخبّر الناسَ أن الأجر همّته وما أتى طالباً للأجر محتسِبا
لكنه شاقَه أن قيل ذا رجبٌ يا ليتَ عِدّةَ حولٍ كلِّهِ رَجَبا
يقال شهر عظيم القدر في سنة يهوى لها كل مكروب إذا كَرِبا

والأبيات ظاهرة في أنها قيلت بعد تلك الواقعة المشؤومة في مجلس المرتضى.

أبو عليّ ابن فُورجَّةَ البروُجِرْدِيّ

وبينما كان متردّداً في الإقامة والرحلة إذ أتاه خبر مرض أُمه فأخذ يودّع بغداد بقصيدة مطلعها[٢] وهو آية في براعة الاستهلال:

نبيٌّ من الغربان ليس على شَرْع يخبّرنا أن الشعوب إلى صَدْع

وجاءه ابن فُوْرَجَّةَ وهو تلميذه يستوقفه بقصيدة بديعة لم يصل إلينا منها إلا أوّلها[٣]:

ألا قامت تجاذبني عِناني وتسألني بعَرْصتها مَقِيْلا

ويكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق فالبيت يدلّ على صداقته وخلوصه وعلى أنه حَزِنَ لفراقه واستوحش لفقد أُنسه. وقد أحسن غاية الإحسان وبالغ في الكناية لرجل قد

(١) الجزء الثاني.
(٢) س، ٢: ٦٨.
(٣) س، ٢: ٨٠.

أجمع على الرحيل، ولم يمتنع بنهي ناهٍ ولا عَذْلِ ناصح عَذول. وهذا يدل على لطافة فِكرته وذكاءِ فطنته. فأهداه صاحبنا أخرى مثلها، وكان أحقّ بها وأهلها. تنظر إلى معناه، وتجذب إلى مَرْماه. أولها:

كفى بشُحوب أوجُهنا دليلا على إزماعنا عنك الرحيلا

ومنها:

وشارَفَنا فِرَاقُ أبي عليّ فكان أعزَّ داهيةٍ نُزولا

ولو لم ألق غيرك في اغترابي لكان لقاؤك الحظَّ الجزيلا

وهي التي أظهر فيها أنه قد بَتَّ عزيمتَه على العُزلة، وأن هذه الحياة نكداءُ مشؤومة على ما سيأتي.

وهو محمد بن حَمْد (كفَلْس) بن محمد بن عبد الله بن محمود بن فُوْرَجَّةَ[١] صاحب ردَّين على ابن جني في تفسير شعر المتنبّي: أحدهما الفتح على أبي الفتح، والآخر التجنّي على ابن جنّي تتبع فيهما أوهامه وسَقَطَاتِه. لقي صاحبنا ببغداد وهو شابٌّ[٢]، وكان مقيماً بها[٣] إلى رحلته وقرأ عليه شيئاً[٤]. والظاهر كما تقدم أن المقروء شعر السقط وديوان المتنبي. ونقل الرجل عنه فوائد أدبية لا أرى بأساً بإيراد بعضها.

قال أبو الفتح في قول أبي الطيب[٥]:

قد شرّف الله أرضاً أنت ساكنها وشرّف الناسَ إذ سوّاك إنسانا

---

(١) ضبطه صاحب الفوات ابن فورجة بضم فسكون فراء مفتوحة فجيم مشددة كما في نسخة التتمة المكتوبة في أول المائة السابعة مشكولاً وفي نسخة إنباه الرواة بخط القفطي مؤلفه، وصاحب البغية خالفهم فشدد الراء نقل الأول عن ياقوت: أنه توفي بنهاوند سنة ٣٨٠هـ وهذا غلط. ونقل الثاني عن المجد في البلغة: أنه ولد سنة ٣٣٠هـ وهو أيضاً غلط، فإنه لقي صاحبنا شاباً ببغداد ويلزم على هذا أن يكون عمره ٧٠ سنة. وعجب منه أنه نقل عن الثعالبي أنه كان موجوداً سنة ٤٤٥ فيجب على قوليه أن يكون بلغ من العمر أكثر من ١٢٠ سنة. على أن نقله هذا عن الثعالبي غلط، فإنه توفي سنة ٤٢٩هـ وأعجب منه أن يرجح أن اسمه حمد ولعله اتباعاً للباخرزي في الدمية وهذا أيضاً غلط فإن صاحبنا دعاه في س ابن حمد كالقفطي وفي كشف الظنون «ديوان المتنبي»: أنه كان حياً سنة ٤٣٧هـ وفورجة أظنه مصغراً والأصل پورجة بمعنى الطفل الصغير.

(٢) لقيه في عنفوان شبابه، س، ٢: ٨٦.

(٣) س، ٢: ٨٣.

(٤) البغية: ١٣٦.

(٥) العكبري ٢: ٤٣٠، الواحدي، بمبئي: ١٢٤.

لو قال موضع سوَاك أنشأك لكان جميلاً. قال ابن فُوْرَجَّة نهاية ما يقدر عليه الفصيح أن يأتي بألفاظ القرآن وألفاظ الرسول ﷺ وألفاظ الصحابة. وعند أبي الفتح أنه يقدر على تبديل ألفاظ هذا الشعر بما هو خيرٌ منه، قال: وقرأت على أبي العلاء المعرّيّ ومنزلته في الشعر ما قد علمه من كان ذا أدب، فقلت له يوماً في كلمة ما ضَرَّ أبا الطيّب لو كان قال مكان هذه الكلمة كلمة أخرى أوردتها فأبان لي عَوَار الكلمة التي ظنَنْتها، ثم قال: لا تظنّن أنك تقدر على إبدال كلمة واحدة من شعره بما هو خيرٌ منها فجرّب إن كنت مرتاباً، وها أنا (بدون ذا[١]) أجرّب هذا العهدَ فلم أقدِر وليجرّب من لم يصدّق يجدْ الأمر كما قلتُ ا هـ. فأنت ترى تعظيمه لشيخه وضَرْبَه إياه في الأدب مثلاً، وأنا أقول كما قال: إن منزلة أبي الفتح في اللغة أيضاً ليست مما ينكر ولكن فوق كل ذي علم عليم. وورد مثل معنى الحكاية في ر[٢] إلى النكتي ولفظه: «قد علم أن أحمد بن الحسين كان شديدَ التفقّد لما ينطق به من الكلام. يُغيّر الكلمة بعد أن تُرْوَى عنه[٣] ويَفرُّ من الضرورة وإن جذبه إليه الوزن وقد خرم في موضعين (ثم ذكرهما)». وروى عنه حكاية أخرى[٤] في تعفف المتنبي وطهارة ذيله ونقاء جيبه من الخَنا. وروى عنه أشياء أخرى[٥] وأكثر من نقل شعر السقط وهذا يؤيّد ما تقدّم من قراءته إياه عليه ببغداد، والله أعلم.

وله ترجمة في الدُمية وإنباء الرواة والتتمّة[٦] وفي الفوات والبغيةٌ مع أوهام كثيرةٍ. قال الباخرزي وشعره فرخ شعر الأعمى، أعني شاعر معرة النعمان وإن كان هذا منتزهاً في معرة العميان. هذا وقد لهج الباخرزي بكلمة شيخه البحّاثي.

مادحوه ومراسلوه شعراً

ولما كان ابن فُوْرَجَّة ختام من أجابه أبو العلاء نظماً رأينا إلحاق هذا الفصل به ـ فإنه بعد الرجوع أعرض عن تقارض الثناء وكاذبات المدائح[٧]، ل:

(١) ولا يجيز مثله النحويون وما أكثر من وقع في هذا الخطأ، وانظر تاج العروس ١ : ٣٧ وغيرها. ومثله في س، فها أنا لا أخوانٌ ولا أخان.

(٢) ص: ٦٨

(٣) وانظر رسالتنا «ابن رشيق» المطبوعة في السلفية بمصر ص: ٥٦.

(٤) البديعي ١ : ٧٨.

(٥) الواحدي ٢٥ و٢٣٢ وغيرهما.

(٦) ورق: ٥٣٧، باريس ـ ٢ : ١٩٨ ـ ٣٩.

(٧) قال، ل:

بني الآداب غرتكم قديماً زخارف مثل زمزمة الذباب

وصفتُك فابتهجتَ وقلتَ خيراً | لتجزيني فأدركني ابتهاجي
إذا كان التقارض من مُحال | فأحسن من تمادحنا التهاجيْ
وأزهد في مدح الفتى عند صدقه | فكيف قبولي كاذباتِ المدائح

واعتذر إلى النكتي، وكان كاتبه نظماً ونثراً بقوله: «إنما أجبته بنثير دون منظوم لأني منذ سَنَوَات أعرضتُ عن تلك الهَنَوات».

(١) كان بعض الشعراء مدحه وخطب وُدّه فأجابه بر الـ ٢٣.

(٢) بعض الأعيان كان أنفذ إليه قصيدة له رائية. فشكره بر الـ ٤١.

(٣) أبو الحسن محمد بن سعيد بن سِنان الذي تقدم إليه برغبة عزيز الدولة الروميّ في اختصار كليلة ودمنة برقعة منظومة خاطبة فيها بالأجل بعد أعوام من الرجوع فأجابه بر الـ ٣٦، واعتذر بحدوث مرض أنهك قواه وعاقه عن قبول الخدمة. ويأتي لابن سنان ذكر فيما بعدُ.

(٤) النكتي خاطبه بالنثر والنظم بعد فترة على عهد الاجتماع طويلة وكان شعره من الطويل والكامل والوافر. فأثنى على نظمه وبسط في خلوّه من جملة العيوب وقد فَصّلها. وهذا الرجل إذ ذاك كان شيخاً هِمّاً وكان صديقاً لبعض أصحاب ابن خالويه ممن سمع منه أبو العلاء. إلاّ أن صاحبنا يجري معه في قَرَن، كأنه لِدَةٌ له أو قَرْن ذو شَجَن. والرسالة تحتوي من مسائل العروض والقافية عيوناً، ومن أفانين الشعر أفنوناً فأُفنونا. وهي أحكم رسالة فيما أعلم، وأطولها وحاشاها من إيراث السأم.

(٥) الوزير أبو القاسم المغربي المازّ. كاتبه بقصيدتين ميمية وواويّة فأجابه برسالة المنيح وأثنى على نظمه ثناء باهظاً.

(٦) الشريف أبو إبراهيم محمد بن إسحاق العلوي المذكور وأخوه موسى أجاب عن قصائد لهما وانظر س[1].

رأينا في نسخة بانكي پور في عنوان «الحائية». وقال: يجيب الشريف أبا إبراهيم العلويّ محمد بن أحمد بن محمد بن الحسين بن إسحاق بن جعفر الصادق عن قصيدة أولها: بعادك أسهر الجفن القريحا». فتبيّن أن ليس لأبي إبراهيم أخ يكون يدعى موسى بل هو تصحيف محمد والعصمة لله وحده.

= وما شعراؤكم إلا ذئاب | تلصص في المدائح والسباب
أقارضكم ثناء غير حق | كانا منه في مجرى سباب
أأُذهب فيكم أيام شيبي | كما أذهبت أيام الشباب
معاذ الله قد ودعت جهلي | فحسبي من تميم والرباب

(١) ١: ٩٠ و٥٦.

(٧) أبو القاسم علي بن الحسن بن علي بن جَلَبات ومَرَّ مدحه بقصيدة فأجابه بميمية. س[١]. «معجزات... اعتبارُ» هي في جواب ابن جلبات أيضاً.

(٨) المفضل مدحه بقصيدة فأجابه بأخرى على زنتها ورويها. س[٢].

(٩) أبو الخطاب القصير العراقي مدحه بقصيدة وأثبتها في نسخة دفعها إلى أبي العلاء. س[٣] فأجابه ببائية.

(١٠) بعض الشعراء مدحه بقصيدة فأجابه برائية. س[٤].

(١١) كتب بعض الناس إليه بشعر نعت فيه الخمر وأهدى إليه شيئاً. فأجابه بقطعة ميميّة س[٥].

(١٢) القاضي أبو الطيب الطبري كتب إليه حين وافى بغداد ما قد ذكرناه مع جوابه في الفائت.

(١٣) عاتبه ابن تميم البَرَقي ببغداد بأبيات وكان مريضاً فلم يعده فأجابه بميميّة[٦] ومرّ أمرها.

(١٤) أبو علي ابن فُوْرَجَّة ومرّ آنفاً.

ولعل كثيرين كانوا يكاتبونه نظماً ممن أجابهم نظماً ثم نثراً ولكن لم يصلنا أخبارهم. فمنهم الواجكا والتنوخي الصغير وأبو منصور الخازن[٧] محمد بن علي والقاضي أبو الطيّب الطبريّ وغيرهم.

احتفال البغاددة لوداعه وتحفيهم به

مرَّ بعضه فيما مضى وهاك ما بقي. كتب[٨] بعد الرجوع إلى خاله أبي القاسم ورعاية الله شاملة لمن عرفتُه ببغداد. فلقد أفردوني بحسن المعاملة وأثْنَوْا عليّ في الغَيْبَة. وأكرموني دون النظراء والطبقة. ولمّا آنسوا تشميري للرحيل وأحسّوا بتأهّبي للظعن أظهروا كسوف بال، وقالوا من جميل كلّ مقال. وتلفّعوا من الأسف ببرد قشيب

(١) ١ : ٩٩.
(٢) ١ : ١٤٢.
(٣) ١ : ١٥٣ وهو الجبلي المار ويأتي في الزوار.
(٤) ١ : ١٧٢.
(٥) ٢ : ٣٦.
(٦) ٢ : ٩٨.
(٧) ورد في ر صاحبنا إليه ذكر قصيدة لزومية كان أنفذها إليه.
(٨) ص: ٣١.

وذرفت عيون أشياخ شِيَب. فلا إله إلا الله أي نابتة ليست لها راعية. . . . . وأمروني لرغبتهم في صَقَبي منهم بأمور تنهى عنها القناعة، والله يحسن جزاءهم إن كان ما فعلوه حِفاظاً فهو مِنّة عظيمة وإن كان نفاقاً فهو عِشْرة جميلة. وانصرفت وماء وجهي في سِقاء غير سَرِب الخ. . . . وكنت إذا أخبرتُ رجلاً بمسيري بانت فيه كآبة وبدت عليه كَبْوَة. فكتمت ذلك عنهم كتمانَ المرأة ضَرَّتها بالغيب، ما في جسدها من سوء وعيب. فلما عَلق حِرباءُ البين تَنْضُبَتَه. ووقف صُرَد الفراق موقفه كنتُ وإياهم كأبي قابوس[(١)] وبني رواحة قالَ لهم خيراً وأثنى عليهم وودَّعهم وداع أن لا تلاقي ١هـ. ومن أخرى[(٢)] إلى أهل المعرّة ويحسن [الله] جزاء البغداديّين فلقد وصفوني بما لا أستحقّ، وشهدوا لي بالفضيلة على غير علم وعرضوا عليّ أموالهم عرضَ الجِدّ. فصادفوني غير جَذِلٍ بالصفات ولا هَشٍّ إلى معروف الأقوام ورحلتُ وهم لرحيلي كارهون.

فتراه إذاً قد حَظِيَ بها بما لم يحظَ به أمثاله. وهم كثيرون ممن خاب رجاؤه وأخفق آماله. فذمّ بغداد وأهلها. ولم يستثن شيخها ولا كهلَها. وهذا القاضي عبد الوهابِ نبتْ به بغداد كما ذكر ابن بسام[(٣)] كعادة البلاد بذوي فضلها، وعلى حكم الأيام بمُحْسني أهلها ـ فخلع أهلها وودّع ماءها وظِلّها وحُدّثت أنه شيّعه يوم فصل عنها من أكابرها وأصحاب محابرها جملة موفورة وطوائف كثيرة وأنه قال لهم: لو وجدت بين ظَهْرَانَيْكم رغيفين كلَّ غَداة وعشية وعند ياقوت كلَّ يوم مدّاً من الباقِلّى ما عدلتُ عن بلدكم لبلوغ أُمنيّة وفي ذلك يقول:

سلام على بغداد من كل منزل ... وحُقَّ لها مني سلام مضاعف
فوالله ما فارقتُها على قلى لها ... وأني بشَطّي جانبَيْها لعارف
ولكنها ضاقت عليّ برُحبها ... ولم تكن الأرزاق فيها تساعف
وكانت كخلٍّ كنتُ أهوى دُنُوّه ... وأخلاقه تنأى به وتخالفُ

ولما وصل إلى مصر لقي من الإكرام ما لا مزيد عليه ا هـ. وهذا مثل ما جرى على النضر بن شُمَيْل[(٤)] لما فارق البصرة إلى خراسان. وكل هذا يدل على كثرة العلم

(١) راجع القصة في الأغاني الثانية ٢: ٢٩.
(٢) ص: ٣٤.
(٣) الوفيات ١: ٣٠٤، والحكاية في البلدان أيضاً رسم بغداد، والغيث ١: ٦٨، والشعر الفوات ٢: ٢١ وغلط مرجليوث في زعمه أنه رحل من مصر إلى بغداد ص: ٣٤.
(٤) وانظره في الغيث ١: ٦٩. والقاضي عبد الوهاب أيضاً:

بغداد دار لأهل المال طيبة ... وللمفاليس دار الضنك والضيق
أقمت فيها مضاعاً بين ساكنها ... كأنني مصحف في كف زنديق

بالمدينة كثرة أضاعَت لحامليها خطراً وقيمة كما قال في ر له[١] إلى خاله أبي القاسم: «والعلم ببغداد أكثر من الحصا عند جمرة العَقَبة. . . . ولكن على كل خير مانعٌ» ا هـ ـ وكان حال بعض علمائها كما قال أبو الطيب الطبري[٢]:

قوم إذا غسلوا ثياب جمالهم لبسوا البيوتَ إلى فراغ الغاسل

يعني أن أحدهم حينما يريد أن يغسل ثيابه الوَسِخة يستعير من صاحبه ثيابه إلى أن يفرغ ذاك ويقعد هذا في البيت عُريانَ ـ يعني أن كلاهما لا يملك فضل ثوب.

نيته على العزلة وهو بها

تقدّم لنا أنه لم يكن وردها ليرحل عنها، وكان مزمعاً على أن يقيم بها إلى أن يوافيه يومه. ولكن لما رأى من تقطيب الرؤساء، والأعيان، وتنافسهم في جلب النار إلى أقراصهم والافتتان. وأن الدنيا كما هي، مفطورة على الشرور والدواهي. وأن لذائذ الحياة ورغائبها، والمشتهيات ومَطايبها. من تقدير العزيز العليم. لا مدخل للجهد والكدّ في زيادة حبّة على ما منح الرازق الحكيم كما قال الأول:

وليس الغِنى والفقر من حيلة الفتى ولكن أحاظٍ قُسِّمت وجُدودُ

وكما قال هو عند الوداع:

سيطلبني رزقي الذي لو طلبتُه لما زاد والدنيا حُظوظ وإقبالُ

إذا صدقَ الجَدّ افترى العمّ للفتى مكارمَ لا تُكْرِي وإن كَذب الخال

ولم يكن يرغب في صِلات أجواد الممدّحين. فلم يبذُلْ ماء وجهه وهو الخطير الثمين. لهذا الغرَض المهين. ورأى ميسوره معسوراً، فحبس شخصه في المغارة مأسوراً. حتى لا يُلام إن فرط منه تقصير في حقوق الأصدقاء الكرام. ويُعْذَرَ ولا يقصّر. ومن أفرغ المجهود فقد أعذَر. وأن يأمن آفات المعاشرة من الكذب والتخرّص والغِلّ والنميمة والحسد كما قال. ل:

تغيّبتُ في منزلي برهةً ستيرَ العيون فقيدَ الحسَدْ

على أنه لم يجد هناك لسلعته منفقاً ولبضاعته مشترياً يعظُم له قَدْرُهُ. ويَفكه من إسار الزمان فيحلو ليْ له مُرُّه. فعزم على ما عزم عليه. وجزم بما به جزم. لا كمن قال قد أحزمُ لو أعزِم. ولا نُبعد إن قلنا إن موت والدته الرَّؤوم نَغَّصَ عليه هذا العيش المشؤوم. وأما كلامه في المعنى فهاكه: «وأنا[٣] وحشيّ الغريزة أنسيّ الولادة». وكتب

---

(١) ص: ٣٠. (٢) الوفيات ١: ٢٣٤.

(٣) ر، ص: ٢٩.

في ر[١] إلى خاله أبي القاسم: «ولما فاتني المُقام بحيث اخترتُ أجمعت على انفراد يجعلني كالظبي في الكناس. ويقطع ما بيني وبين الناس إلا من وصلني الله به وصل الذراع باليد. والليلة بالغد» وبادر[٢] أهل المعرّة بنيّته هذه إعلاماً. مخافة أن يزوره أحد فيُوْلِيه ملاماً. وقال فيه: «وأحلف ما سافرت أستكثر من النشب ولا أتكثّر بلقاء الرجال، فشاهدت أنفس مكان لم يُسْعِف الزمن بإقامتي فيه». وكتب إلى بعض العلوية[٣] وكان زاره في منزله القديم فلم يجده هناك «وقد كنت عرَّفته بالعراق ما عزمت عليه من انفراد يحجُزُ عن المرَاد. ووجدتُ الوالدة رحمها الله قد سبق بها القدر إلى المدَرِ فأتت النيّة بالمنية. فانطويت على يأس ومجانبة للناس» وله كثير من الشعر في اللزوم في غرض العزلة والوحدة. وأن بني آدم مفطورون على الشرور والأسواء، وأن الظلمة متقدّمة على النور والكدر على الصفاء، وأن العالم كله نَجَس. وتدرج من هذا إلى زعمه أن الوالد مصدر الجناية مذهبَ مَزْدَكْ وأشياعه. وكاد من غلوّه في النفرة من نوع الإنسانِ. أن يُنْسَب إلى الفَنَد والهَذَيان. ونمى سوءُ ظنه بالناس أن لم يستثن أحداً من الأخيار والأكياس وانظر كله في النظرة. وقال ابن حجر[٤] وكان لا يحمد أحداً. وهذا بعض شعره في العزلة:

وفي وحدة الإنسان أصناف لذّة ... وكل صنوف الوحش يجمعها القفر
حورفتُ في كل مطلوب هممتُ به ... حتى زهدتُ فما خَلّيتُ والزُّهدُ
لا توحش الوحدة أصحابَها ... إن سُهيلاً وحده فارد
إذا حضرتْ عندي الجماعةُ أوحشت ... فما وحدتي إلاّ صحيفةَ إيناسي
إن صحَّ عقلك فالتفرد نعمة ... ونوى الأوانس غايةُ الإيناس
إذا انفرد الفتى أُمنت عليه ... دنايا ليس يُؤمنها الخِلاط
فلا كذب يقال ولا نميم ... ولا غلط يخاف ولا غِلاط
تمنيتُ أني بين روض ومنهل ... مع الوحش لا مصراً أحُلّ ولا كَفرا
في الوحدة الراحة العُظمى فآخ بها ... قلباً وفي الكون بين الناس أثقال
إن الطبائع لما أُلّفت جَلبت ... شرّاً تولّد فيه القيل والقال

(١) ر، ص: ٢٣.
(٢) ر، ص: ٣٤.
(٣) ر، ص: ٣٥.
(٤) اللسان ١: ٢٠٤.

حتى إذا مالكُ الأشياء فرَّقها زال العناء ولم يُتْبعك تَنقالُ
هَويتُ انفراديَ كما يخف عمَّن أُعاشر ثِقْل احتمالي
وما زال نِعْما الرأي لي أن منزلي كأني فيه مضمرٌ كُنَّ في نِعَما
أراك إذا انفردتُ كفيت شراً من الخلّ المُعاشر والمِعَنّ
خبرتُ البرايا والتصعلك والغِنى وخفضَ الحشايا والوجيف مع السَّفْر
فأطيبُ أرض الله ما قلّ أهله ولم ينأ فيه القوت عن يدك الصِّفْر
يعاني مقيم بالعراق وفارسٍ وبالشأم ما لم يلقه ساكنُ القفر
إلزم ذَراك وإن لقيت خصاصةً فالليث يستر حاله الإخدار
لم تَدر ناقةُ صالح لما غدت أن الرواح يُحَتّمَ فيه قُدارُ
أما العراق فعمّت أرضَه فِتن مثلَ القيامة غَشّتها غواشيها
والشأم أصلح إلا أن هامته فُضّت وأسرى على النيران عاشيها

وهذه المقاطيع الثلاث تَجْذِب إلى أنه وطّن نفسه على المكاره والأحداث إلى أن يوافيه حِمامه فيذْلى في الأجداث. وسنُلمع به عما قريب.

ولكن أوّلُ ما وجد من شعره في العُزلة ما أجاب به ابن فورجّة كما قدّمنا:

تأمَّلنا الزمان فما وجدنا إلى طيب الحياة به سبيلا
ذر الدنيا إذا لم تحظ منها وكن فيها كثيراً أو قليلا
وأصبح واحدَ الرجلين إمّا مليكاً في المعاشر أو أبيلا
ولو جزت النَّباهة في طريق الـ ـخُمول إليَّ لاخترت الخُمولا

سبب رجوعه ورجوعُه وطريقه

إذا كنت ذا لُبّ مكين فلا تقس بحمصك والميماس دجلة والكَرْخا

مرّ خبره في مجلس المرتضى أنه لقي فيه غضاضةً ومَضضاً. ورأى ببغداد مظاهر العزّ والوجاهة والخفض والراحة، وأن ليس بيده منها غيرُ الأسف وإصفار الراحة. على أنه مع ما فيه من تجرُّع غُصص هذه الحياة النكداء ببلدة خِلوٍ من الأسرة والأوِدّاء. هاج له من أهل عصره نيرانَ الحسد، ولَذَعت جمرتها روحَه والجسد. س(١):

فأصبحت محسوداً بفضليَ وحده على بُعد أنصاري وقلّة مالي

---

(١) ٢: ٤٥.

وكان الرجل من صِباه ممنوّاً بالحُساد ومكايدهم، ومرتبكاً في أشراك الأعداء ومَصايدهم ـ على ما نعقد له فصلاً ـ وبينما هو في هم وبلبال، وشُغْل بالٍ إذ ورده خبر مرض أمه. وأنه قد أشرف على الضياع ما كان من أهل ثمّه ورَمّه. كما قال س[١]:

أثـارنـي عـنـكـم أمـران والـدةٌ ... لـم ألْـقَـهـا وثـراء عـاد مـسـفـوتـا

أحياهما اللّهُ عصرَ البين ثم قَضى ... قبلَ الإياب إلى الذُّخرَين أن موتا

لولا رجاءُ لقائيها لما تبعت ... عَنسِي دليلاً كسِّر الغِمد أصليتا

ومما كتبه[٢] إلى علوي بعد الرجوع: «وقَدِمتُ أخا انفاض إلى أمور أنا بها غيرُ راضٍ. من جَدْب عامّ اتّصل في عام بعد عام» ور[٣] إلى خاله أبي القاسم تَنُم بما ستره. وتبدي بعض ما أضمره قال: «وكنتُ ظننتُ أنّ الأيام تسمح لي بالإقامة هناك فإذا الضارية أحجأ بعُراقها. والأمة أبخل بضرّتها والعبدُ أشحّ بكُراعِهِ. والغراب أضنّ بتمرته. ووجدتُ العلم ببغداد أكثر من الحصا عند جمرة العَقَبة. وأرخص من الصيحانيّ بالجابرة. وأمكنَ من الماء بخُضارة. وأقرب من الجريدة باليمامة. ولكن على كل خير مانع. ودون كل دُرّة خرساءُ مُوَحّية أو خضراءُ طاميةٌ.

إذا لـم تـسـتـطـع شـيـئـاً فـذره ... وجـاوِزْه إلـى مـا تـسـتـطـيـع[٤]

يكفيك ما بلّغك المحلَ أن عجز ضِلّ عن شخصك فلا يعجزنّ عن عضو منك فلما زَبَنت الضروس الحالبَ، ونَزَت العنودُ تحت الراكب. ومنعت القَلوعُ النازعَ. . . . وخيّب رائداً سحابٌ. وكَذَبَ شائماً برق. وأخلف رُويعياً مَظنةٌ، عادت لعترها لَمِيْسُ وذكر وجارَهُ ثُعالة وطَرب لو كنْته ابنُ دايَةَ» ا هـ.

فهذا صريح في أن الرجل كان يرغب من صميم قلبه أن لو آتاه الله رَغَداً من العيش من وجهه ولكن معظنته أخفقت، وَمخيلته أخلفت وقد مضى شعره في المعنى في آخر فصل البضاعة.

ولا بُدَّ تطَلّع نفسهُ وفيه بقية من حبّ الدنيا وتستشرف في هذا الدَوْر من الحياة إلى الاستزادة والعليا. ولكنّه لما روّض نفسه وقنّعها على الكفاف إذ ليس الريّ كما قال عن التشافّ. عاد شَماسُها انقياداً، وألقت إليه مَقاداً. فلم يرغب بعد في كنوز المملوك ولا المالك، وزهد فيها زهد الناسكُ. كما قال. ل:

---

(١) ٢: ١١٩.

(٢) ر، ص: ٣٥.

(٣) ر، ص: ٣٠.

(٤) من عينية عمرو بن معد يكرب الزبيدي وهي في الخزانة.

ما سَرّني بقناعة أُوتيتَها في العيش مُلْكاً غالبٍ وذَمار

وعرض عليه المستنصر العُبيدي ما ببيت المال بالمعرَّة من الحلال فلم يقبل على ما مضى بيانه. وأحسن أبو ذؤيب أشعر هذيل:

والنفس راغبة إذا رغّبتها وإذا تُرَدُّ إلى قليل تقْنَعُ

وأما رجوعه فهو على النوق على طريق الموصل وهو مَهْلكة مخوف. مُغارٌ للبادية فللجسور المقدام عنه عيافٌ وصُدوف، كما قال[١]:

وكم بين ريف الشام والكرْخ منهلا موارده ممزوجة بسمامِه

وكتب إلى الواجكا[٢]:

ويؤنِسنا من خشية الموت معشر بكل حُسام في القِراب مودَّعِ
طريقةَ موت قُيّدَ العَيْرُ وسْطَها لينْعَمَ فيها بين مَرْعى ومشْرَعِ

وإلى التنوخي[٣]:

وأهل بيت من الأعراب ضِفْتهم لا يملكون سوى أسيافهم بِيْتا
جِنٌّ إذا الليل ألقى سِتْرَه بَرَزُوا وخَفَّضوا الصوت كيما يرفعوا الصيتا

وإلى الخازن[٤]:

وما أذهلتني عن ودادكَ رَوعةٌ وكيف وفي أمثاله يجب الغَبْطُ
ولا فتنة طائيّة عامرية يحرِّق في نيرانها الجَعْد والسَبط

يشير إلى بدء تغلب صالح بن مرداس وهو من كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وإلى حسان وهو من طيء على الشامات كما يأتي.

فسار عن بغداد[٥] لستّ بقين من رمضان سنة ٤٠٠هـ على طريق الموصل وميّافارقين ومرّ بطرف حلب الشهباء ولكن لم يعرج عليها وبيَّن سبب تنكّبه عنها ذهاباً وإياباً في ر[٦] إلى خاله أبي القاسم. وكان نزل[٧] في طريقه بالحسنَية وهي بلد شرقي

(١) س، ١: ١٠٥.
(٢) س، ٢: ١٠٩.
(٣) س، ٢: ١١٥.
(٤) س، ٢: ١٢٦، وقال صاحب (ذ): ٣١٢: إن البيتين يشيران إلى حصار صالح لحلب وهذا إسراف. نعم يدلان على ما أتاه قبل سنة ٤١٤هـ، بالرحبة وأطرافها وبحلب أيضاً.
(٥) ر: ٣٢.
(٦) ر: ٢٩.
(٧) ر: ٣٣.

الموصل فلم يزل في أمن وإفراط من الماء حتى بلغ آمد (ديار بكر) ثم عادت السبيل إلى غوائلها وسَدِكت الرّفاق بمخاوفها.

فما بلّغنا إلا جَريضاً ... بلا نِقْي العظام ولا سَنام

ولما وصل الرَّقّة[1] كتب منها إلى خاله كتاباً شرح فيه ما حمله على النزول. ولم يكن وصل المعرّة[2] بعدُ إذ أتاه نعي أُمه البرّةِ الوَصول.

وأورد الصاحب ابن العديم في الباب التاسع من العدل عدّة قصائد لبعض أنسبائه قيلت في استقدام أبي العلاء والتحفّي به.

موت أمه

كانت أمه من أُسرة نجيبة كما يظهر من بيتيه من س ومرّا. وكان لما توفيت ابن ٣٧ عاماً إلاّ أشهراً، وكان بَرّاً بها متحنناً إليها. فرثاها بقصيدتين[3] أثبتهما في س إحداهما ميمية والأخرى لامية وذكر مُصابه بها في ر[4] إلى خاله أبي القاسم وفي ر إلى بعض العلويّة أيضاً.

قال:

سَمعتُ نَعِيَّها صَمّيْ صمام ... وإن قال العواذلُ لا هَمامِ

وأمّتني إلى الأجداث أمٌّ ... يَعِزُّ عليّ أن سارت أمامي

وأُكبِرُ أن يُرثّيهَا لساني ... بلفظ سالكٍ طُرُقَ الطعامِ

يقال فيَهْتِمُ الأنيابَ قولٌ ... يباشِرها بأنباءٍ عظامِ

كأن نواجذي رُديتْ بصخر ... ولم يمرُرْ بهنّ سوى كلامِ

ومَنْ لي أن أصوغ الشُّهْب شعراً ... فأُلبِسَ قبرَها سِمْطَيْ نِظامِ

مضتْ وقد اكتهلتُ فخلتُ أَني ... رضيعٌ ما بلغتُ مَدَى الفِطامِ

قوله: يقال: فيهتم البيتين يشير إلى ما أشار إليه في الأخرى بقوله:

أراني الكرى أني أُصبتُ بناجد ... ألا إن أحلام الرقاد لضُلاّل

أجارحتي العُظمى تُشبّهُ ساهياً ... بسنّ لها في ساحة الفم أمثالُ

(١) ر، ص: ٣٠. وليس هذا الكتاب في جملة رسائله.

(٢) عنوان ميمية الرثاء س ٢: ٨٧ و ر، ص: ٣٥.

(٣) ٢: ٨٧ و١٣٧.

(٤) ر، ص: ٢٨ وص: ٣٥.

قالوا: إنه كان أُري في المنام أن ناجذاً له سقطتْ فأوّله بموت والدته. وقد علمنا من اللزوم أيضاً سقوط أسنانه بين ٤٠ ـ ٥٠ من عمره قال:

فمي أخذت منه الليالي وإنني لأشرب منه في إناء مثلّم

وكتب إلى أبي الحسن بن سنان[١] وكان تقدم إليه بأمر عزيز الدولة في اختصار كليلة ودمنة وأمثاله: «الآن عَلَتِ السّنّ وضَعُفَ الجسم وتَقَارَب الخَطْوُ وساء الخُلُق وعُطّلت رَحًى كانت لي لم تكن تُجَعْجع ولكن تَهْمِس. كنت أقصرُ طَحْنها على نفسي وأتقوّى به دون غيري، ولم يكن لها ضمان ولكن فجع بها الزمان. ولم يبق إلا أن يخلو مكانها العامر. فيصبح كأنه المحلُّ الدامر. فأما المنفعة بها فقد انقضت وانقرضت. وإن تشبّه بها في الظعن أخواتها صار لفظي من أجل ذلك مشينا، وجعلْتُ سين الكلمة شيناً فلم يفهم عني سامع ما أقول» ا هـ.وهذا كله قبل بلوغه الـ ٥٠[٢] فإن عزيز الدولة قُتل سنة ٤١٢هـ.

وورد ذكرها في اللزوم على مذهبه في جناية الوالدين على الولد، وليس دليلاً على العقوق:

متى لُمتماني على زلّة رجعتُ على أُمّيَ الهابل

سَعَى لي والدايَ بغير لُبٍّ وسِيّانِ العرائسُ والسعالي

الحنين إلى بغداد وأهلها

وقصائده في أمرها

ذكرنا أنه كان أودع الواجكا ديوانَ تَيْم اللات ليُسلّمه التنوخيّ. فلما وصل المعرّةَ كتب إليه عينيّةً[٣] وإلى التنوخي تائيّةً[٤] أقرأ فيها عبد السلام السلامَ، وذكر أنه كان أودع الكتابَ إيّاه حتى يوصله إلى التنوخي إبْراء لساحته وتخفيفاً لعُهْدَته وذمته. ولكن لم يعلم بعد عدّة من الأعوام أيضاً علم جليّة الأمر فكتب إليه في أبيات ذكر فيها ورود

(١) ص: ١١٩.

(٢) وأبعد صاحب (ذ) فزعم أن هذا قبيل موته. ولعله لا يدري أنه كان يعد نفسه من الكهول وهو ابن ٣٦ سنة كما هو في اللامية إلى ابن فورجة وميمية رثاء أمه. وانظر زعمه هذا في ص: ٦٧ و٢٢٣. وزاد حيث زعم هذا العزيز هو الذي صنف له اللامع العزيزي وهذا وهم وانظره في الحكام والتآليف.

(٣) س، ٢: ١٠١.

(٤) س، ٢: ١١٢.

القاضي عبد الوهاب بالمعرة[(١)]:

جزءٌ بدَرْب جميل في يَدَيْ ثقة سألتُه رَدَّ مضمون إذا قَدرا
وكم بعثتُ سؤالاً كاشفاً نبأً عنه فلم أقضِ من علمي به وَطَرا

وكان كما مرَّ كتب مدخله ببغداد إلى أبي حامد في أمر استنقاذ السفينة من العشَّارين ولكن الرجل لم يوفَّق إلى ذلك. وحاز فضل اليد عليه أبو أحمد الحكاري[(٢)] فخَلَّصها من أصحاب الأعشار والظاهر أن هذا التخليص بعد الرجوع بمدة فشكر صنيعه هذا في طائيته[(٣)] إلى خازن دار العلم بقوله:

وعن آل حَكَّار جَرَى سَمَرُ العُلا بأكمل معنى لا انتقاص ولا غَمْطُ
فإن ينْسهم أمرَ السفينة فضلهم فليس بمنسيَّ الفراقُ ولا الشَّحْط

ثم شكرهم بستة أبيات.

وأما الحنين إليها فهذا شعره من س:

مما كتبه[(٤)] إلى التنوخي ببغداد في أمر التهنية:

إذا نأت العراقَ بنا المطايا فلا كنا ولا كان المطيّ
على الدنيا السلامُ فما حياة إذا فارقتُكم إلا نَعيُّ

ومما أجابَ به ابن فُوْرَجَّة[(٥)]:

كَلِفنا بالعراق ونحنُ شرخ فلم نُلمم بها إلاّ كهولا
وشَارَفَنا فراقُ أبي عليّ فكان أعزَّ داهية نُزولا
وردنا ماء دجلة خير ماء وزُرنا أشرف الشجر النخيلا
وزُلنا بالغليل وما اشتفينا وغايةُ كلّ شيء أن يزولا

ومن عينية قالها يودع بغداد[(٦)]:

(١) س، ٢: ١٣٩. وهذا مما يضعف قول مرجليوث: إن عبد الوهاب زارها سنة ٤٢٠هـ. وهذا تخمين منه استدلالاً بقول ابن خلكان إنه توفي بمصر لأول ما وصلها سنة ٤٢٢هـ. ونبسط الأمر في الزوار.
(٢) كذا بالحاء في السقط في موضعين. وآل حكار لم أعرفهم مع طول التنقيب والبحث.
(٣) س، ٢: ١٢٩.
(٤) س، ٢: ٦٨.
(٥) س، ٢: ٨٣.
(٦) ٢: ٧٥.

أُودّعكم يا أهل بغداد والحَشا ... على زَفَرات ما يَنِيْنَ من اللذْع
وداعَ ضَنٍ[١] لم يستقلّ وإنما ... تحامل من بعد العِثار على ظَلْع
إذا أط نِسْع قلتُ واللوْم[٢] كاربي ... أجِدُّكمو لم تفهَمُوا طَرَبَ النِّسْع
فبئس البديلُ الشأمُ منكم وأهله ... على أنهم قومي وبينهم رَبْعي
ألا زَوِّدوني شَرْبَةً ولو أنّني ... قدرتُ إذاً أفنيتُ دجلةَ بالجَرْع
وأنّى لنا من ماء دجلة نُغبةٌ ... على الخِمْس من بُعد المفَاوز والرِّبْع
وما الفصحاء الصيد والبدْوُ دارُها ... بأفصح قولاً من إمائكم الوُكع
أدرتم مقالاً في الجِدال بألسُنٍ ... خُلقن ـ فجانبْنَ المضَرة ـ للنفع
سأُعرض إن ناجيتُ من غيركم فتى ... وأجعل زَوًّا من نبانيَ في سمعي
لبستُ جِداداً بعدكم كلَّ ليلة ... من الدهم لا الغُرّ الحِسان ولا الدُّرْع
أظنّ الليالي وهي خون غوادر ... بردّي إلى بغداد ضيِّقَةَ الذرْع
وكان اختياري أن أموت لديكم ... حميداً فما ألفيتُ ذلك في الوُسْع
فليت حِمامي حُمَّ لي في بلادكم ... وجالت رِمامي في رياحكم المِسْع
فدونكمو خفضَ الحياة فإننا ... نصبنا المطايا بالفلاة على القطع
تعجّلتُ إن لم أُثن جَهْدي عليكم ... سحابَ الرزايا وهْي صائبة الوَقْع

ومما كتب إلى الواجكا[٣] بُعيد الرجوع:

ألم يأتكم أني تفرّدتُ بعدكم ... من الإنس مَنْ يَشْرب من العِدّ يَنْقَعِ
نعم حبّذا قيظ العراق وإن غدا ... يَبُثُّ جِماراً في مقيل ومضجَع
فكم حَلّةٍ من أصمع القلب آنسٍ ... يطول ابنَ أوس فضله وابنَ أصمع
أخِفّ لذكراه وأحفظ غيبَه ... وأنهض فعلَ الناسك المتشرِّع
لقد نصحتني في المُقام بأرضكم ... رجال ولكن ربّ نُصح مضَّع
فلا كان سيري عنكمو رأي مُلْحد ... يقول بيأس من مَعاد ومَرْجع

ومنها:

أبا أحمد اسلَمْ إن من كرم الفتى ... إخاء التنائي لا إخاء التجمّع

(١) ضن بكسر النون كما هو الرواية على ما في الضرام لا كما التنوير بالفتح.
(٢) لا الدوم كما في التنوير مصحفاً.
(٣) س، ٢: ١١١.

تُهَيِّجُ أشواقي عَروبةُ إنّها إليك زَوَتْني عن حضور بمَجْمَع
ألا تسمع التسليمَ حين أكُرُّه وقد خاب ظنّي لست مني بمَسْمعِ
وهل يُوْجِسُ الكرخيُّ والدار غَربة من الشأم حِسَّ الراعد المترجِّع
سلام هو الإسلام زارَ بلادَكم ففاضَ على السُّنّيّ والمتشيّع

ومن التائيّة[1] إلى التنوخيّ:

سَقياً لدجلةَ والدنيا مُفرّقة حتى يعود اجتماعُ النجم تشتيتا
وبعدها لا أُريد الشرب من نَهَر كأنما أنا من أصحاب طالوتا
بَتَّ الزمان حبالي من حبالكم أعْزِزْ عليَّ! بكون الوصل مبتوتا
ذمّ الوليد[2] ولم أذمُمْ جوارَكم فقال: «ما أنصفتْ بغداد» حُوشيتا
فإن لقيتُ وليداً والنوى قَذَفٌ يوم القيامة لم أُعدمه تبكيتا
أعُدُّ من صلواتي حفظ عهدكمو إن الصلاة كتابٌ كان موقوتا
أحسنتَ ما شئتَ في إيناس مغتربٍ ولو بلغتُ المنى أحسنتُ ما شيتا

ومما كتبه إلى خازن دار العلم[3]:

خليليَّ لا يخفى انحساري عن الصبا فحُلاّ إساري قد أضرّ بي الربْطُ
ولي حاجة عند العراق وأهلِهِ فإن تقضياها فالجزاء هو الشرط
سَلا علماءَ الجانِبَيْنِ وفِتيةً أبثُّوهما حتى مَفارقُهم شُمط
أعندهم علم السلُوّ لسائل به الركبَ لم يعرف أماكنه قَطّ
وما أربَى إلاّ معرَّسُ معشر هم الناس لا سوق العروسِ ولا الشطّ
وما سار بي إلاّ الذي غرّ آدما وحوّاءَ حتى أدركَ الشرفَ الهَبْط
ألا ليت شعري هل أدين ركائبا أمُطُّ بها حتى يُطلِّحها المَطُّ
وهل يُنْشِطنّي من عقالي إليكم رضى زمني أم كلّ شيمته سُخْط
وإن خلطتني بالتراب مَنيّةٌ فبعض ترابي من ترابكم خِلط

---

(١) س، ٢: ١١٩.
(٢) يعني البحتري وقوله:
ما أنصفت بغداد حين توحشت لنزيلها وهي المحل الآنس
التنوير ٢: ١٢٠، والغيث ١: ٦٨، وفي الشريشي ٢: ٧٨ عزوه إلى أبي الفتح البستي وأظنه وهماً.
(٣) س، ٢: ١٢٥.

فيا ليتني طارت بكوري إذا دنا ... بكُوري - قطاةٌ بالصراة لها وقْطُ
لأقضيَ همّ النفس قبل مجَلَّةٍ[١] ... كأن عظامي الباليات بها خَطّ
نعم حبّذا بُؤسَى أزارت بلادهم ... ولا حبّذا نُعمَى بدارهم تَنْطُو

ومما كتب إلى التنوخي[٢]:

أذاكرٌ أنت عصراً مرَّ عندك لي ... فليس مثلي بناسٍ ذلك العُصُرا
أيام واصلتني وُدّاً وتكرمة ... وبالقطيعة داري تحضُرُ النهَرَا

ومن ل:

يا لهْف نفسي على أني رجعتُ إلى ... هذي البلاد ولم أهلك ببغداذا
إذا رأيتُ أموراً لا توافقني ... قلتُ الإيابُ إلى الأوطان أدّى ذا

ومنه:

شئمتِ يا هِمَّةً عادتْ شآمية ... من بعدما أوطنتْ عصراً ببغداذِ
ولستِ ذاتَ نخيل لا ولا أُنُفٍ ... كَرْمِيّةٍ فتقولي شَفّني داذي

وقد أسهبتُ وأطنبتُ. وظني أنّني ما قضيتُ الحقَّ ولا قاربتُ. وتأمّلت فرأيتُ باعي قصيراً. ونِضْوي حسيراً. عن تأدية ما عاناه من لذَعات الوجد وتباريح الكمَد. مما هدَّ ركنه الأشدَّ. وساعدَه الأسدَّ. وأوهن روحَه والجسد. فرأيتُ الأَوْلى الإتيانَ بلفظه الذي ما زال يَبُثُّ. ولا بُدَّ للمصدور أن يَنْفُثَ. وإن قلباً لم تُنْضِجه هذه النفثات. لَنِيٌّ فجٌ يحَقّ أن يُحْكَم عليه بالممات.

نظرة عامة على حياته وعاداته

قال الذهبي[٣]: كان له مغارة ينزل إليها ويأكل فيها ويقول: العَمَى عَورة والواجب استتاره في كلّ أحواله. فنزل مرّة وأكل دِبْساً فَنَقَطَ على صدره منه ولم يشعُرْ. فلما جلس للإقراء قال له بعض الطلبة: يا سيّدي أكلتَ دِبْساً فأسرع بيده إلى صدره يمسّه فقال: نعم لعن الله النَّهَم. فاستحسنوا سرعة فهمه ا هـ. قال[٤]: وكانت لي نفس قويّة لا تحمل منَّةَ أحد، ولو تكسَّبَ بالشعر والمديح لنال بذلك دنيا ورياسة. وكان أكله العَدَس وحلاوته التيْن ولباسه القُطن وفراشه لبداً وحصيره بوريَّةً. وفي ر[٥]

(١) الصحيفة. وأراد هنا القبر لطيه طي الصحيفة.
(٢) س، ٢: ١٣٩. (٣) ١٣٠.
(٤) ١٢٩، واللسان ١: ٢٠٤.
(٥) أدباء ١: ٢٠١.

إلى الداعي أنه اقتصر على فُول وبُلسن وما لا يعذب على الألسن. وقال الرحالة الفارسي[١]: إنه لم يكن يأكل غير نصف منّ من خبز الشعير. وربما أكل طعاماً بلا إدام ليلاً كما جاء في ل. وكان إدامه من الزيت وشربه في الفخار كما في ل.

وكان يتجنّب أصناف اللحوم والصيْد والبَيْض وحيوان البحر يذهب مذهب الجِيْنيّة أو البراهمة أو مذهب الزُّهّاد من جميع الأديان في ترك اللذائذ[٢]. وأَبَرَّ على البراهمة في الاجتناب من العَسَل واللبن والأَقِطِ. وزاد إذ اجتنب الجُلود واتخذ لنفسه نعلاً من الخشب. وهذا كله من شعره في اللزوم. وله في ضدّ بعض هذه الأغراض أيضاً شعر وانظر النظرة.

ولم يكن يستبيح في حال من الأحوال كائناً ما كان شرب الخمر، وكان أعدى عدوّها من صباه إلى أن اخترمتْه المنون. واللزوم طافحٌ بذمّها والتحذير منها وله في المعنى ألوف من الأبيات وليس ثمّ بيت فذّ لا أقول يصرّح بل يجذب إلى استحلالها أو تناوله لها. وله في ذمّها كتاب خاصّ سماه خماسيّة الراح ويأتي.

وهذا بعض شعره في غير اللحم والخمر من الأغراض المتقدمة:

أقفرتُ من جهتين قفر مفازة ... وطعام ليل جاء وهو قفار[٣]

لنفسي ما أطعمتُ لم يدر آكل ... سواي أحلواً جاز في الفم أم مُرّا

---

(١) ص: ١٥.

(٢) هو لم يستقر بنفسه على طريقة كما قال السلفي. ور إلى الداعي استدل فيها أولاً على تحريم اللحم ثم ذكر أن سبب الاجتناب ضيق ذات يده ص: ١٩٩ و٢٠١، ثم صرح في أخرى ص: ٢٠٥ أنه لا يقول بتحريمه وإنما تركه اجتهاداً في التعبد ورحمة للمذبوح رغبة أن يجازى عن ذلك بالغفران واستدلوا على ذلك بقول تلميذه في رثائه:

إن كنت لم ترق الدماء زهادة ... فلقد أرقت اليوم من جفني دما

أن قوله: «زهادة» صريح في مذهبه وتلميذه أعرف به ـ وفي النزهة: ٤٢٧ وأدباء ١: ١٧٠ أنه مرض مرة فوصف له الطبيب الفروج، فلما جيء به لمسه بيده وقال: استضعفوك فوصفوك هلا وصفوا شبل الأسد. وقال ابن الوردي ١: ٣٥٨ إن قول تلميذه لم ترق الدماء زهادة يدفع قول من قال: إنه لم يرق الدماء فلسفة، ونسبه إلى رأي الحكماء وتلميذه أعرف به ممن هو غريب يرجمه بالغيب. وماذا على من ترك اللحم وهو من أعظم الشهوات خمساً وأربعين سنة زهادة، وقد قال المكي في قوت القلوب إباحة حلال الدنيا حسن والزهد فيه أحسن. ولما أتى رسول الله ﷺ أهل قباء بشربة من لبن مشوبة بعسل وضع القدح من يده وقال: «أما أني لست أحرمه ولكني أتركه تواضعاً لله تعالى». وأُتِيَ عمر بن الخطاب (رض) بشربة من ماء بارد وعسل في يوم صائف فقال: اعزلوا عني حسابها. وقد نهى النبي ﷺ عن التنعم وكتب الرقائق وغيرها مشحونة بترك السلف الصالح للشهوات والملاذ الفانية رغبة في النعيم الباقي! هـ.

(٣) بلا إدام.

وإذا غلا البُرّ النقيّ فشارك الـ ـفرسَ الكريم وساو طِرْفك تمْجُد
واجعل لنفسك من سليط ضيائها أُدْماً ونَزْرَ حلاوة من عُنْجُدِ[1]
وارسم بفخّار شرابك لا تُرِد قَدَحَ اللجين ولا إناءَ العسجد
يكفيك أُدماً سليط ما أريق له دم ولا مسّ روحاً إذا جَرى ألم
جَشِبٌ كفاك مَطاعما وعباءة أغنتك أن تتخير الأوبار
يُقنعني بُلْسُنٌ[2] يمارَس لي فإن أتتني حلاوة فبَلَسْ
فلُسَّ ما اخترتَ إنّ أروحَ من يسار قارون عفّةٌ وفَلَسْ
فاترك لأهل الملك لذّاتهم فحسبنا الكَمْأة والأَحبَل[3]
ونشرب الماء براحاتنا إن لم يكن ما بيننا جُنْبُلُ
وقوتي الشيء أبى مثله فصيحُ هذا الخلق والألكنُ
أفدتُ بهجران المطاعم صحةً فما بيَ من داءٍ يخاف ولا حِبْن[4]

في اللباس

لباسي البَرْس[5] فلا أخضر ولا خَلوقيّ ولا أدكن
غالَوْا بأثوابهم فما حسنوا في ذَهَبيّ اللباس بل قَبِحوا
أجاهد بالطهارة حين أشتو وذاك جهاد مثلي والرباطُ
مُقنعي في الزمان ستري ودِفئي من لباس راق العيونَ وفُرْش
قد شربت المياه بالخَزَف الوَخْـ ـش فأغنى عن محكمَات بخَرْش
وتغنّيت في الأمور فنابت قدمي عن ركوب دُهم وبُرْش

وربما[6] تجنّب في الشتاء من الحميم كما قال:

مضى كانونُ ما استعملتُ فيه حميمَ الماء فاقدُم يا سُباطُ

---

(١) الزبيب.
(٢) البلسن كبرسن العدس والبلس التين.
(٣) اللوبياء. وجنبل قدح من الخشب.
(٤) دمل.
(٥) القطن.
(٦) لا دائماً فإن خادمته سكينة كانت تسخن له الماء كما سيأتي.

هو حبيساً

كان يسمي نفسه رهينَ المحبِسَيْن كما في عنوان مُلقى السبيل وعند كثير ممن كتب أخباره، أو رَهن المحبسين كما في مقدمة اللزوم يريد حبس بصره بالعمى وحبس نفسه. وجعلهما في موضع ثلاثة حيث قال:

أراني في الثلاثة من سجوني ... فلا تسأل عن الخبر النبيث
لفقدي ناظري ولزوم بيتي ... وكون النفس في الجسد الخبيث

الصلاة

كان مواظباً على الصلوات في مواقيتها. ولم ينقل عنه أحد توانياً في أمرها أو كسلاً. وهذا لزومه مشحوناً بالحضّ عليها. وليس له كلمة يخالفها في شيء من كتبه قال. ل:

خذوا سِيَري فهن لكم صلاح ... وصَلُّوا في حياتكم وزَكوا
ولا تُصغوا إلى أخبار قوم ... يصدّق مَيْنَها العقل الأركّ
إذا كنتَ في دار الشقاء مصلّياً ... فإنك في دار السعادة سابق
إذا الحُرّ لم ينهض بفضل صلاته ... فذلك عبد من يد الدهر آبق
وقال له صلّ داعي الهدى ... وقال له مُلحد لا تُصَلّ

وقال في ر[1] إلى الداعي وقد عجز عن القيام في الصلاة فإنما يصلي قاعداًوهذا في كبَره[2] وذكر لنا أنه عجز في هرمه عن الوضوء أيضاً، قال يخاطب الدنيا:

لكِ أوقاتي فخلّيني إذا قمتُ أُصلّي
ودعيني ساعةً فيكِ لمولاي الأجلّ
فعُدْ جسدي للعنصر الطُّهْر تسترحْ ... إذا صرتَ تقضي الفرض عند التيمّم

صومه الدهر

ذكر كما مرّ في ر[3] إلى الداعي أنه لما بلغ ثلاثين عاماً سأل ربّه إنعاماً ورزقه صوم الدهر فلم يُفْطر في السنة ولا الشهر. وإني لأستبعد أن يكون تمّ له هذا الصوم

---

(١) أدباء ١ : ٢٠٧.
(٢) حين بلغ من العمر ٧٥ عاماً أو يزيدون.
(٣) ١٩٩.

قبل رجوعه من بغداد. نعم كان يُكثر من الصوم فيما بين ٣٠ ـ ٣٧ من عمره. وذكر الرحالة الفارسي أيضاً صومه للدهر. ل:

طال صومي ولست أرفع سَوْمي ... ووفودي على المنيّة فِطْرُ
صُمْتُ حياتي إلى مماتي ... لعلّ يوم الحِمام عِيدُ
أنا صائم طولَ الحياة وإنما ... فِطري الحِمام وعند ذاك أُعيِّدُ

ضَرورة

ولم يتزوّج ولا أعقب كما قال:

ونظم أُناس تَناهى إليَّ ... من عهد آدم ثم انقطعْ
وأصبحتُ في الدنيا غبيناً مرزَّأً ... فأعفيتُ نسلي من أذاة ومن غبْن
فإن تحكمي بالجَوْرَ فيَّ وفي أبي ... فلن تحكُميه في بناتي ولا في اْبني
وأرحتُ أولادي فهم في نعمة الـ ... ـعدم التي فضَلَت نعيمَ العاجل
ولو أنَّهم ظهروا لعانوْا شدَّةً ... ترميهم في مُتْلِفات هواجل
لو أنّ بنيّ أفضل أهل عصري ... لما آثرتُ أن أحظى بنَسْل
فكيف وقد علمتُ بأن مثلي ... خسيسٌ لا يجيء بغير فسل
وضَرورةٌ في شيمتين لأنني ... مذ كنتُ لم أحْجُجْ ولم أتزوج

وغلا في ذلك حتى عدَّ إخراج الولد من العدم إلى الوجود جنايةً من والده عليه. وهذا مذهب مَزْدَكَ وأشياعه. وله في المعنى شعر كثير أتينا بأكثره في النظرة.

خُدّامه

ذكر في ر[١] له إلى خاله أبي القاسم أنه كانت له خادمة عجوز تسمى سُكينة، فاستدعاها إلى حلب لضبط منزله. فاعتلّ أخوها فأرادت الخروج إليه، ولحقت أبا العلاء علّة فأظهرت أن خروجها إليه وأنه محتاج إليها. وكانت هذه العجوز تسخّن له الماء وتُصلح له القِدر وتوقد النار. وعزم على خاله ألاّ يُوْقِفها على كتابه لئلا يدركها ما يدرك الآدميين إذا سمعوا في أنفسهم مثل ذلك. وهذا بحيث ترى نهاية المروّة والفتوَّة حيث حَدِبَ عليها مع كيادِها حَدَبَ الأبوّة. ولم يسمح أن تكتئب بكلماته فيها. أو تقف على أدنى تقصير دَلَّ عليه منها. وجاء في قصته مع وزير محمود بن صالح ذكر

(١) ٥٠.

غلام له يدعى قَنْبَرا قدّم له الوضوء كما في سر العالمين[١] المنحول إلى الإمام أبي حامد الغزالي. ويظهر من ل أن لم يوفِ له أحد من خدّامه. وأن بعض خدّامه لم يكن يطيعه. قال:

ومن عناء الليالي خادم ضَغِن … إن يُؤمر الإمرَ يفعل غير ما أُمِرا
والعصا للضرير خير من القا … ئد فيه الفجور والعصيان
يكفيك عبد وليس يُقْنِعه … ألف وكم دُمت وهو لم يَدُم

وهو يأمرنا بالرفق بالحيوان والعبيد ولا يرى للأحرار عليهم فضلاً بل لا يرى للإنسان على الجماد أيضاً مَزِيَّة:

يا ضارب العَوْد البطيء وظَهْرِه … لا وِزْرَ يحمله كوِزر الضارب
أُرْفق به فشهدتُ أنك ظالم … في ظالمين أباعد وأقارب
أنحن أفضل أم أشياء جامدة … أضحت سواءً لديها العين والأثرُ
واغفر لعبدك ما يجْنيه من زَلل … ولا تأيّا بسوءٍ من تأياكا
فالحق يحلف ما عليٌّ … عنده إلا كقنبر

الإقراء والإملاء

كان يقضي عامّة أوقاته في الإقراء والتصنيف والذكر والتسبيح. وقد سمَّى لنا مستملياً قال[٢] في ثَبَت كتبه: «لزمت مسكني منذ سنة أربعمائة، واجتهدت على أن أُتوفى على تسبيح الله وتحميده إلى أن أُضطرَّ إلى غير ذلك فأمليتُ أشياء، وتولّى نسخها الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الله بن أبي هاشم أحسن الله معونته. فألزمني بذلك حقوقاً جمّة وأيادي بيضاً لأنه أفنى[٣] فيَّ زمنه ولم يأخذ عما صنع ثمنه. والله يحسن له الجزاء ويكفيه حوادث الزمن والأرزاء» ا هـ. وهذا الرجل عمل أبو العلاء لابنه كتابين في النحو ذكرناهما في الثبت. ولعله لم يكتف به وحده وفي ر[٤]: «أنه لم يبق عنده لبيب مستمل فتأخر الإجابة» ومثله في آخر الغفران[٥] «أنا مستطيع بغيري فإذا غاب الكاتب فلا إملاء». وذكر ياقوت أنه وقف على ثَبت كتبه[٦] بخط أحد مستمليه.

(١) ص: ٣٨.
(٢) أدباء ١: ١٧٩. وفي العدل على أن أتوفر.
(٣) صرح في موضعين من الثبت أنه استملى تآليفه بأسرها.
(٤) ص: ١١٢.
(٥) ٢٠٦.
(٦) ١: ١٧٩.

فهذا كله يجذب إلى ما رأيناه. وقال الذهبي[(١)]: كان يُملي تصانيفه على الطلبة[(٢)]. وقال الذهبي[(٣)] في ترجمة أبي القاسم المُقرِىء الشاعر المعرّي: إنه حضر مجلس أبي العلاء فاقترح عليه أن يقرأ شيئاً ولعله من القرآن فتلا:

﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ٧٢﴾ فلما فرغ أبو العلاء من درسه هنّأ الرجل على صلابته في أمر الدين وزوّده بيتين وهما:

هذا أبو القاسم أعجوبة ... لكل من يدري ولا يدري

لا ينظم الشعر ولا يحفظ الـ ... ـقرآن وهو الشاعر المُقري

أقول ولكنه بنفسه يقول في ل:

عمى العين يتلوه عمى الدين والهدى ... فليلتي القَصوى ثلاث ليالِ

ومجلسه هذا في مسجده بالمعرّة وكذا فهمت من حكاية التبريزي المارة في حفظه عن الأنساب.

قال ابن الوردي[(٤)]: وكان يُملي على بضع عشرة مَحْبَرَةً في فنون من العلوم. ثم رأيتُ ابن العديم عقد في العدل باباً لكُتّابه وهو السابع قال فيه: كان عنده أربعة كتاب في جرايته وجاريةٌ يكتبون عنه ما يكتب إلى الناس وما يُمليه من النظم والنثر والتصانيف، وكتب له جماعة من المعرّة أخصّهم أنسباؤه. ومنهم ابن أخيه أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سليمان فإنه كان ملازماً لخدمته، ويكتب له تصانيفه ويكتب عنه الإجازة والسماع لمن يسمع منه ويستجيزه. وكتب تصانيفه بخطّه حتى يقع بخطّه من المصنف الواحد نسختان وأكثر. وكان بَرّاً بعمه مشفقاً عليه ولأبي العلاء فيه قطعتان أنظرهما في الفائت في الميم. ومنهم ابن أخيه أخو هذا وهو أبو الحسن علي بن محمد سمع على عمه أبي العلاء جميع أماليه ونسخها بخطه. ومنهم أبو الحسن علي بن عبيد الله (ومرّ عبد الله) ابن أبي هاشم المعرّي متولي أوقاف الجامع بالمعرة لزمه وكتب كتبه بأسرها، وكتب من المصنف الواحد عدّة نُسخ وكان خطه مورقاً حسن الضبط والإتقان (ثم نقل قول المعري المذكور لزمت مسكني الخ، وفيه

(١) ١٣٠.

(٢) وزعم مرجليوث أن له مستملياً يسمى أبا المجد مستدلاً بما ورد من ذكره في الرسالة الـ ٣٠. وهذا غلط منه فإنه أخو أبي العلاء على أنه ليس ثم ما يدل على استملائه والذي غره من العبارة معناه: أن أبا المجد يشتغل بقضاء حاجات من لا يشكره فلا يستفيد من مثل هذه الأشغال شيئاً وكان أسن من أبي العلاء ولهذا ذكره بلفظة: سيدي.

(٣) مرجليوث: ٣٧، والبيتان في أدباء أيضاً ١: ١٧٦، ورواية الأول لا يحسن الشعر.

(٤) ١: ٣٥٨.

أيضاً عبيد الله) وكان ابنه أبو الفتح محمد بن علي أيضاً من كتّابه الذي عمل له أبو العلاء كتابين كما يأتي في التآليف. ومن كتّابه جماعة من بني هاشم. ومن كتّابه إبراهيم بن علي بن إبراهيم الخطيب وهو كاتب حسن صحيح الخط متقن في الضبط كتب معظم كتب المعري وتصانيفه بخطه وكتب عنه في السماع عليه والإجازة منه وقرأ عليه ا هـ كلام الصاحب ملخّصاً.

مشيبه

لم يسودّ شعره إلاّ بعد برهة وفي ذلك يقول. س[1]:

وحُلتُ كلّي سوى شيب تجاوزني ... ولم يُبَيّض على طول المدى الشّعَرا

قال صاحبا التنوير والضرام وقد كان الغالب عليه السوادَ على كبره. أقول ويشهد له. ل:

غــرَّكَ ســودُ الــشــعــرات الــتــي ... فــي الــوجــه مــنــي وأنــا الــدالــف
كـلـفـتـنـي شـيـمـةَ عـصـر مـضـى ... هـيـهـات مـنـك الـعُـصُـر الـسـالـف
أيا مَفرقي هلاّ ابيضَضْتَ على المدى ... فـمـا سَـرّنـي أنْ بـتَّ أسـودَ حـالـكـا
قـبـيـحٌ بـفـوْدِ الـشـيـخ تـشـبـيهُ لـونـه ... بـفـوْدِ الـفـتـى، والله يـعـلـم ذلـكـا
وما ينفع الغربيبُ والضّعف واقعٌ ... إذا كـان لـونُ الـرأس غـيـر هـجـان
تـأخُّرُ الـشـيـب مـنـي مـثـل مـقـدَمـه ... على سواي ووقت الشيب ما حضرا

ويذكر لنا أنه لم يكن يحبّ أن يطول به الأمد حتى يتخدّد لحمه ويَدْلفَ في المشي.

بـقـيـتُ كـسـا الـخـدَّيـن جَـوْنـهـمـا ... ثـم اسـتـحـال ومسّ الـجـسـمَ تـخـديـدُ
بـلـوتُ مـن هـذه الـدنـيـا وسـاكـنـهـا ... عـجـائـبـاً وانـتـهـاء الـثـوب تـقـديـد
لا سَـبَـط الـخـالـق فـي مُـدَّتـي ... حـتـى يـرى الـنـاظـرُ هـدّاجـي

ومرّ ذكر تأوُّهه من ضعفه في الصلاة وسقوطِ أسنانه في وفاة أمه وكان وَفّرَ لحيته لم يقصها ولم يَخْضِبْها. قال ـ ل:

ونـابـتُ الـوجـه زيـن فـي الـنـديّ لـه ... كـالأرض حَسّنها في العين إبقال
أيـهـا الـشـيـب لا يـريـبـك مـن كـفّـي ... مـقّـص ولا يـواريـك خِـطْـرُ

(١) ١ : ٣٥٨.

وذكر في بعض شعره وهو في الفائت أنه عراه الصَمَمُ في كِبره وهو قوله لابن أخيه القاضي أبي محمد عبد الله التنوخيّ:

أجِـدُّكَ مـا تـركـتَ وأنـتَ قـاضٍ تـعَـهُّـدَ مُـقْـعَـدٍ أعـمـى أصـمّ

ويأتي ما يقوّيه في «أمراضه».

فذلكة أفكاره وآرائه في معتزله

هب أنك زرت المعرَّة فرأيت في زاوية من بيت رجلاً قصيراً مجدَّر الوجه مشوَّهه نحيلاً وقد تخدد جلدهُ وتغضَّنَ جالساً على لِبْدة أو بارية وهو في بُرْجُد في الشتاء أو في عباءة في الصيف، ولست ترى في البيت من الأثاث أو الرياش شيئاً غير عُصيّة له أو آنية من الفَخَّار أو نعل من الخشب. فأدلف له حتى تُصيخ لهَمْسه فإنه يقول: ما لي وللناس، إني قد جربتهم بالشام وبالعراق أيضاً، فلم أرهم إلا مفطورين على الشرور والغيبة والنميمة، متنافسين في اللذائذ منكبينَ على الشهوات، فيا ليت آدم لم يتزوج أمهم، ويا ليت حواء بانت منه أو عقِمت ولم يُخلّفا لنا هؤلاء الأنجاسَ. لا أقول: إن أولهم كان أصلحَ منهم فكلّهم رجْس والعالم كله كدَرٌ ولا صَفْوَ فيه والظلمة فيها متقدّمة على النور. ولهذا لم أتزوّج حتى لا أجْنِيَ على ولدي كما أن والديَّ جَنيا عليَّ فحسبي ما أنا فيه ولا أسبّ الدهر فإنه لم يفسد بل فسدنا نحن. فيا وَلَدُ نمْ هنيئاً في العدم، ولا تخرج إلى الوجود حتى لا تتعرض للأذى والمتالف. وما ضرَّك لو وأدك والداك إلاّ أنني لا أرضى لهما بذلك. ويا أيها الشاب لا تتزوج وإن أبيتَ فلا تتزوّج إلا عقيماً ولا تزد واحدة فَغُلّ واحد خير من غُلّين. ولا تزوَّج أيها الكهل صغيرة واختر لنفسك مثلك من الطاعنات في السنّ. وأرى السوداءَ خيراً من البيضاء وامنعها عن مخالطة الأقرباء والأحماء ولا تُخلّها تسير إلى المسجد فإن مسجد البيت خير لهن وبه فليكن قبرهنّ. ولا أرى لها أن تترك زوجها وتحجَ البيت العتيق حتى يُبصرها الغُواة وأرى أن الله ومحمداً ﷺ لا يرضيان فعلها هذا. ولا تَطَلَّعَ على الجدار تنظر إلى عُرس الأمير وغيره. ولا تسمح لها أن تشرب الخمر أو تُغني بالمعازف فإنها داعية الفتن، ولا أن تردَّد إلى عرّاف أو منجّم أو كاهن لتستخبرهم عن حياة طفلها أو تسألهم عزيمةَ الحبل أو استرضاء الزوج. وما لأمير المصر لا يقيم هؤلاء القطّاعَ عن الطرق؟ ولا تتردَّدَ إلى حَمّام ولا تتبرّج بزينة وحُليّ وعطر. ولا تُعلمها القراءة أو الكتابة فإن المغازل خير لهنّ. ويا أيها الرجل أنت أيضاً لا تُطّلعْ على جدار الجارة ولا تتعرّضْ لنساء النصارى الغاديات إلى الكُنُس. وإني أرى لك شرَّ النساء المؤْمِسات المشاعات.

والعقل هادٍ لك فلا تَرُدّه أبداً ولا تُصْغِ إلى أقوال هؤلاء الغواة الذين يأمرون

الناس بالعُرف وينْسَوْن أنفسهم فلا يأتمرون بما يأمرون. ما همّهم إلا الحُطام والشراب والملاهي. فليس صاحب طيلسان إلا عدوّاً مخاتلاً وإن تاب إبليس تابوا، وهم كاذبون في دعوى الهداية. يرتّلون حم والزمر كالمزامير. ويُصَلّون فيَقْصُرون ويكذبون على المنابر على رؤوس الأشهاد. وإني لأعجب من الصوفية فحسبي أن أدعي قُطْنياً ولا أتشهّر.

ولا أرى السلطان إلا يأكل أموال الناس وجباياتهم بالباطل. ليس همّه إلا في الرغائب من القيان والمغنين والعِيدان، ومَن الذي أحلّ لهم هؤلاء الكتابيات بلا مُهور. ويقولون: إن والي مصر وقُضاتَه عادلون ولكن لم أر منهم إلاّ الظلم، ولِمَ يتقاتلون؟ وكلهم ينتمي إلى دين التوحيد فهل هذا جزاء ذبحهم للحيوان؟ ولا أرى لقريش فضلاً على غيرهم، بل لا أرى للإنسان فخراً لا على سائر الحيوان ولا على الجماد. وليس كلّ هذا إلا جُدوداً وحُظوظاً، فإني أرى عند ظالم كنوزاً مدّخَرة وعليلاً لبيباً يتعذّر عليه الحاجة الطفيفة. وأرى الحجي والحظَّ لا يجتمعان وحكم الحظ سار. فهذه ذاتُ أنواط والركن عبدَهما الناس دون سائر الأحجار، وليس ماء زمزم إلا كسائر المياه بل أملحَ منها ولكنه امتاز بالبخت، فإذن أراني مجْبراً في هذه الحياة لا أقدر على شيء ولو خُيّرتُ لم آتها فقد أتيتُها كرْهاً وأفارقها كرهاً وأنا فيما بين ذلك مُدبَّر.

وأما العوامّ فيزعمون أن أول من شاب إبراهيمُ وإن نار فارس خمدت بولادة نبيّهم، وأن الشُّهُب رُجمت لبعثه. وأن الدعاء يجلب المطر وأن لا بدّ للاسم أن يوجد معناه في المسمى وأن الأولين كانت جسومهم كالنخيل وادَّعَوْا للمعمَّرين من السنين ما يستنكره العقل. وزعموا أن قوماً من الأبرار طاروا في الجوّ أو مشوا على الماء مع أن السَّعْدَيْنِ[1] والعُمَرَيْنِ وهما هما لم يكونا بهذه المثابة. ويرتجون إماماً يقوم بينهم بالعدل ـ وكذبوا لا إمام سوى العقل ـ وهم يُسرعون في الاعتقاد بالزجر والفَأْل والطِّيَرَة وأحكام المُعَزِّمين والمنجمين والقصاصين.

فبمن تراني أُعاشر إذاً وحال طوائفهم كما علمتَ ولا أرى خليلاً إلا ينافق صاحبَه، والآخرُ يداجيه على عَواره وهم يفخرون بالأنساب مع أنها اختلطتْ وامتزجت ولم يبق فيها صريح صميم. ويظلمون الحيوان ولا يَرْفُقون به ولا أراهم خيراً منه. ويؤثرون أولادهم وأنفسهم بالألبان على أولاده ويتركون أولاده جُوَّعاً يتضاغَوْن ويصيدونه ويرمونه ولم يستحقّ منهم ذلك ويذبحونه ثم يأكلونه ولا أرى كل ذلك من الحلال لهم ولا اللبن أو الأقط أو البيْضَ وربما أتجنب الجلدَ فهذا نَعْلي من الخشب. ولا تقربن ضَرَبَ النحل فإنها لم تدّخره لك.

(١) سعد بن معاذ وسعد بن أبي وقاص (رض).

ولا أدري بأي ذنب سُلّطَ الليث على المهاة والبازي على بَغاث الطير. لا بل أعترف بتوحيده وحكمته وقدرته فلست مُلْحداً كحمّاد وبشّار وأتجنب من الذنوب وأتوب إليه وأرى التقوى خير ذُخر يُعدّه الإنسان. وقالوا: إن الناس يقومون يوم الساعة بين يدي رب العالمين أو ليس من المستبعد جمع العظام بعد أن أرَمّتْ؟ والأجزاء بعد أن انتشرت؟ وهؤلاء طائفة من الفلاسفة يقولون بقِدم العالم والنجوم والأفلاك ويقول بعضهم: بأن الأنام كالنبت لا حساب لهم يَزْهَرُون ثم يذبلون. لا بل أرى أن الله لا يصْعُبُ عليه شيء فهو القدير كالربع يخلو ثم يُعْمَر وبدائعُ الله كثيرة يحار فيها لُبُناً فأُومن بأن النجوم تفقد نورها كما أن الضحك يتلوه الوجومُ. وليس الأنام كالنبْتِ بل هذا كذب اختلقه اليهود وورثه منهم الفلاسفة. وأيّاً ما كان فإني أراهم يذهبون ولا يرجعون، وهذه الأجسام تَهْمُد ولا علم لي بمصير الأرواح فأنا في حنْدِس مقيم.

وأما تشتُّت الأديان والمذاهب فهو مما يُحيرني في أمرها، هؤلاء اليهود تعظّم السبت والنصارى يوم الأحد والمسلمون عَروبةَ وما الأيام إلاّ متساوية، ولا أرى الأحبار والرهبان والنُّسّاك إلا محتالين للمعاش. والشرائعُ هي التي ألقت بيننا عَداوات ولولا خُبْثٌ في طِباعنا لكانت المساجد تُقْرَن بها البِيَع، واليهود مِن غوَايتهم يرتقبون إلى الآن مسيحهم وما أرى ما يتلون من الصحائف إلاّ كذباً اختلقوه ولا أُومن بالتوراة إن كانت الخمر فيه حلالاً فما أراهم إلا كاذبين على موسى. ويعجبُني زُهد الرهبان من النصارى إلا أني لا أرى لهم أكلَ أموال النفوس الكواسبَ ولا أرى أحداً ضلَّ رُشْدَهُ كالنصارى في تعظيم الصُّلْبان وزعمهم أن عيسى كان ابن الله ثم مع ذلك أسلموه إلى اليهود للصّلْب مع أن الوالد يشفق على ولده يضربه لِداتُه فأين كان والده إذ ذاك؟ وكيف أسلمَ ولده الأعادي؟ أم غلبوه على أمره؟ ثم يزعمون إن اليهود استلبوه منهم. فتبّاً! لآرائهم جعلوه ربّاً ثم تنقصوا به وازْدَرَوْه. وأرى قلوبهم تَمُجُّ ما يصدعون به. وأما صلاتهم في الكنائس بالألحان والغِناء فإني أرى صلاة المسلمين خيراً منها في المساجد، على أني أنصح عامتهم لو وجدت داعياً! فهل تُعيرني سَمَعَها أمةٌ تغدو في الفِصْح إلى كنائسها وهي تجمع صنوفاً من الشبَّان والكواعب فإني أرى جارية كالوَرْدَة تنفح بالمسك أردانها تروح بقربانها إلى القسّ وتسخط زوجها وربّها في مفارقتها بيتها مع أنها جربت من القسّ سوأةً سوآء وفتكة شنعاء فرجعتْ وأثوابُها ضامنة فتنةَ القسوس والرُّهبان. وسمعت أن مسلماً تَنَصَّرَ ولولا أن الضلالَ حاق به ما فارقَ الإسلام فشُروده ليس مما يُزْرَى به.

على أني لا أرى للمسلمين أن يستحلّوا الكتابيّات بلا مُهور. وبلغني أن نصرانية خلعت زُنّارها لتتزوج مسلماً وأراها أساءت في فعلها. وهؤلاء المجوس تدّعي أن نارها

لم تخْمَدْ إلى الآن ولا يعجبني نكاحهم بالأخوات ولا قولهم أن أهْرَمَنَ تولّد من يزْدانَ بل يعجبني قولهم: إن الظلمة متقدّمة على النور إذ لست أرى في الأنام إلا الشرور والخير فيهم واحد في ألف.

أما الصلاة فإنها ديني لا أتهاونُ بها وأرى الدين اضمحلَّ ولو أدّوا زكاتهم وافية لم يبق في الدنيا فقير. وإني صائم طول دهري ولعلي أفطر يوم حِمامي وأُعيّد. ولا أرى للصائم أن يكذب فإن هذا يُبطل صومه. وأرى الناس يحُجُّون لا من نُسْك بل أشَراً وبطراً وأيّ فائدة من الحجّ إن لم يرعَوُوا عن قبيح أعمالهم وهؤلاء أعمامي وأخوالي لم يحُجُّوا فحيثما كانوا كنتُ فلست أرضى التفرّد بالنعيم دونهم وربّما أُزمع على الرحلة ولكن يعوقني عنها عوائق.

وبلغني أن نساك الهند يَحْلِقون رؤوسهم ويطيلون أظفارهم ضدَّ نُسّاكنا. والهنود يُحرقون أمواتهم بالنار وأراها خيراً لهم من الكافور في إذهاب الريح فسيّان أن أُدفن أو أُحرق ولكنني لست أرضى أن أُجعل في تابوت. ولكن إن صحّ عذاب القبر فجنّبني إياه وإن دفنتني فزد في قبري شِبْراً هداك الله! ولا تدفنني بجنب من يقول لي: ضايقتَنِي في المثوى. ولا أُوصي بشيء كما أوصى لبيد فلست راجعاً إلى هذه الدار. فأرى المُوْصيَ أخرقَ.

وأرى كلاً من الروافض والشراة غاوياً. ولكن ما بال هذا الدين الذي جاءنا من هَجَرَ ألم يكن يكفينا الذي أتانا من مكة. وأرى أن المعتزلة والمرجئة متنافِسون في الدنيا. زعموا أن الصغائر تخلّد في النار مع أنهم يرتكبون الكبائر. وليس المتكلّمة بأدونَ منهم حيث زعموا من سفَهَهم أن الله بلا زمان ولا مكان وأبو الهذيل وابن كلاّب وابن المعلم والباقلاني كلهم يهْذون، وما جَدَلهم إلاّ تعلّة وأرى الأحاديث رُكّبت لها أسانيد مكذوبة مع أن الكذب لا يتطرّف إلا إلى الخبر. وكيف يكون المذاهب الأربعة على الحقّ إذا كان واحد يحلّل شيئاً والآخر يحرّمه. ولست أرى رواج المذاهب في أصقاع مخصوصة إلاّ من جهة كون الفقيه بها. فلا تقلّد أحداً ولا تترك العقل سُدًى فهو خير مُشير.

وها أنا ذا أفارق حياتي النكداء ولم أدر لماذا خُلقتُ سوى أن ورودي من إذن مليكي والعيش نوم، والمنية يقظة. وأنا دائماً من أمر ديني في حَيْرَة متواصلة، وبصيرُ الأقوام أعمى مثلي فخَلْنا في ظلمة نتصادمْ. والذي يأتي ليفيدني رشداً يزيدني حيرة ورَيْباً. إلا أنّني لا أكفر الله نعماءَه فهو الذي يخلق ما يشاء ويختار وعنده علم كل شيء بمقدار. والذي أَبُتُّ به أن لن يذهب العُرف بين الله والناس فافعل الخير وائتِ العُرف واتّق مولاك فالتُّقى مما لا يرتاب في فضله اثنان والزم النُّسك فإنه خير عَتاد وذخر.

سل يا قنبُر هؤلاء لماذا أتوني من أقاصي البلاد؟ يا أسفاً! إني لا أستطيع لهؤلاء المساكين معونة. ومن الذي دلّهم عليَّ. فيا ويلتا! كلّما رغبت في الخمول قُدِّر لي غير المأمول ولستُ أوّل من كُذب عليه وادُّعي له ما ليس عنده. من أين أتعلم؟ ولم أكن صاحب ثراء أو جدّ أو رحلات أو بصر فكيف الحُداء بغير بعير. على أني نسيت ما كنتُ حفظته في الدهر الأول. وما الذي يُغني عنّي هذه الترّهات التي لفّقها سيبويه وأصحابه وتباهَوْا بها فجعلوها مكاسبَ لهم فعادت بالخسيس من الرزق. على أنهم لم يسلموا من طوارق الليالي وكوارث الدواهي. ل:

بني الآداب غرّتكم قديماً زخارف مثل زمزمة الذباب
أأذهب فيكم أيامَ شيبي كما أذهبت أيام الشباب
معاذ الله قد ودّعتُ جهلي فحسبي من تميم والرِّباب
وإن مَقاتل الفرسان عندي مَصارع تلكم الغَنم الرُّباب
وألقيتُ الفصاحة عن لساني مسلّمةً إلى العرب اللُّباب
شغول ينقضين بغير حمد ولا يرجعن إلا بالتباب
غفرانَ ربّك قل ما فعل الفتى ما ليس مُحْوِجَةً إلى استغفار

نباهته وطيران صيته بعد الرجوع

مما قاله في صباه[١]:

وقد سار ذكري في البلاد فمن لهم بإخفاء شمس ضوءها متكامل

ل. يخاطب الدنيا:

وما أبهجتِني منذ التقينا وإن نَوّهتِ بي ورفعتِ سَمْعي

ذكر لنا ببغداد أنه لما اختار العزلة رغب في الخمول وأعرض عن حُبّ السُّمعة وطلب الشُّهرة، ولكن لا بدَّ للبحر أن يُزْبد ويفور وللطيب أن يفوح. س[٢]:

ولو جرت النباهةُ في طريق الـ خمول إليَّ لاخترتُ الخمولا

ومما قال في المعنى بعد الرجوع:

وخمول ذكرك في الحياة سلامة ودهاك من أمسى لذكرك شاهرا

وفي الغفران[٣] كلما رغبتُ في الخمول قدر لي غير المأمول. ومن ر[٤] له:

(١) س، ١: ١١٠.
(٢) ٢: ٨١.
(٣) ١٩٢.
(٤) ٣٥.

«ويُحْسن [الله] جزاء البغداديين فلقد وصفوني بما لا أستحق وشهدوا لي بالفضيلة على غير علم. . . . فصادفوني غير جَذِل بالصفاتِ» وأطال في المعنى في طَرَفَيْ الملائكة فراجع ل:

أَلـم تـرنـي كـمَـيْـتُ الـنـاسَ نـفـسـي فـأظـهـرنـي الـقـضـاء ومـا كـمـانـي

قال الذهبي وابن حجر[1] ولما عاد إلى المعرّة قصده الطلبة من النواحي. وقال ابن خلّكان[2] ثم رجع إلى المعرّة ولزم منزله وشرع في التصنيف وأخذ عنه الناس وسار إليه الطلبة من الآفاق وكاتبه العلماء والوزراء وأهل الأقدار ا هـ. وكان بغداد يومئذٍ محكّ الامتحان. ومِسْبَارَ الغوْر والعِيان. فلما حاز بها السَّبْق عند الرِّهان. والذكرَ الجميلِ من بين الأقران. طارت سُمْعته منها إلى أعماق الأندلس وأقاصي خراسان. فأخذ طَلَبَةُ العلم يُهْرعون إليه من كل وادٍ ويُنْسِلُون من كلّ حَدَب فيحُطّون رحالهم ببابه. دون أمثاله وأضرابه. وقال ابن القارح[3]: «قد شاع فضله في جميع البشر. وصار غُرّةً على جبهة الشمس والقمر. خلد ذلك في بدائع الأخبار. وكُتب بسواد الليل على بياض النهار». وقال أيضاً[4]: «وكيف وقد أصبح ذكره في مواسم الذكر آذاناً. وعلى معالم الشكر لساناً. فمن دافع العيان وكابر الإنس والجان واستبَدَّ بالإفك والبهتان كان كمن صالب بوقاحته الحجر» ا هـ. ويذكر لنا أن إقدام صِيْته هَمَّ بالنُّكول ونباهته بالخمول في آخر حياته. ولعل المراد ما اشتهر من الإلحاد والزندقة قال. ل:

صـروف الـليالي إن سمحن لماجد بذكر جميل عُدن يَعْصفن بالذكر
عـرَّفَـتْـنـي حتى شُهرتُ ـ الـلـيـالـي ثـمَّ صـالـت عـلـيَّ بـالـتـنـكـيـر

وهذا سَرْد شعره في المعنى:

يـزورنـي الـقـوم هـذا أرضـه يـمـن مـن الـبـلاد وهـذا داره الـطَّـبَـسُ
قالوا: سمعنا حديثاً عنك قلت لهم لا يُـبـعـدُ الله إلا مـعـشـراً لـبَـسُـوا
يبغون منّيَ معنى لستُ أُحسنه فـإن صـدقتُ عَـرَتْـهم أوجُهٌ عُـبُـسُ
أعـانـنـا الله! كـلٌّ فـي مـعـيـشـتـه يـلـقـى الـعـنـاءَ فـدُرِّي فـوقـنـا دُبَـسُ!
مـاذا تـريـدون لا مـالٌ تَـيَـسَّـرَ لـي فـيـسـتـمـاحُ ولا عـلـم فـيـقـتَـبَـسُ
أتـسـألـون جَـهـولا أن يـفـيـدكـمـو وتـحـلُـبـونَ سـفـيّاً ضـرعـهـا يَـبَـسُ

(١) ١٣٠، واللسان ١: ٢٠٤.
(٢) ١: ٣٤.
(٣) ٢١٠.
(٤) ١٩٥.

ما يُعجِب الناسَ إلا قول مختدع كأنّ قوماً إذا ما شرفوا أُبسوا
أنا الشقيّ بأني لا أطيق لكم معونة وصروف الدهر تحتبس
مَنْ لِيَ أن لا أقيم في بلد أذكرَ فيه بغير ما يجب
يُظَنّ بي اليُسْرُ والديانة والعلـ ـم وبيني وبينها حُجب
أقررتُ بالجهل وادّعى فِهَمي قوم فأمري وأمرهم عجب
لقد علم الله ربّ الكمال بقلّة علمي وديني ومالي
أماليَ فيما أرى راحة مدى الدهر من هذَيان الأمالي
أجهل مني رجل يبتغي عنديَ ما لستُ له مُحْسنا
من يبغ عنديَ نحواً أو يُرد لغة فما يساعَف من هذا ولا هذي
يكفيك شرّاً من الدنيا ومنقَصَةً ألاّ يبين لك الهادي من الهاذي
وعجيبٌ فرح النفس إذا شاع في الأَرض نشاها وانتَشَرْ
أطلبتمو أدباً لديَّ ولم أزل منه أعاني الحَجْر والتفليسا
ما كنت ذا يُسر فأجمعَهُ ولا ذا صحة فأُخالف التغليسا
وأكرمني على عيبي رجال كما رُوي القريضُ على الزّحاف

هو والأندلس

قال ابن سعيد[1] في أبي بكر المخزوميّ وكلاهما من الأندلس:

يا ثانيا للمعريّ في حُسن نظم ونثْر

مرَّ لنا روايةٌ عن ابن الشيخ الأندلسيّ أن المعري أرسل إلى الإمام المجتهد الحُجَّة أبي محمد بن حزم الظاهري بيتيه «يد . . . البيتين» وما أجاب به عنهما. فإن صحّ ولا نستبعده[2] فلعل هذا بعد الرجوع بزمان غير قصير. فإن ابن حزم رضي الله عنه وُلد سنة ٣٨٤هـ، وأول سماعه للعلم سنة ٣٩٩هـ، وتوفي سنة ٤٥٦هـ إذ بلغ من العمر ٧٢ عاماً. وبعثته هذه على يد بعض تلامذته[3] من الأندلسيين أو الراحلين إلى الأندلس وهم فيما بلغني أبو مالك أحمد بن الصنديد العراقي. قال ياقوت في الأدباء (١: ١٥٢): كان من أهل الأدب والشعر. روى شعر المعرّي عنه وله فيه شرح وله مع

(١) النفح، ليدن ١: ١١٧.
(٢) فقد أحال الغزالي على كتاب له وكان قد عصره شيئاً. انظر الحفاظ ٣: ٢٢٣.
(٣) وانظر تراجمهم في باب التلامذة.

الحُصْريّ مناقضات دخل الأندلس وكان عند بني طاهر ومدح الرؤساء والأكابر، وأبو الخطاب العلاء بن عبد الوهاب. . . ابن حَزْم المَرِيّيُّ المعروف بابن أبي المغيرة. وأبو تمَّام غالب بن عيسى الأنصاري، ولعله لقيه نحو سنة ٤٢١هـ كما سيأتي. وأبو عبد الله بن جابر القرطبيّ وأبو الفضل الدارميّ الوزير داعية القائم العباسيّ الذي أرسله[١] إلى المعزّ بن بادِيس الصِّنهاجيّ صاحب إفريقية نحو سنة ٤٣٥هـ، وهذا الرجل للمغاربة كالأبهري للمشارقة في بثّ شعر أبي العلاء، فقرأ عليه ابن السِّيد صاحب أحسن شروح السِّقْط على ما قال ابن خلّكان. وأبو القاسم عبد الدائم بن مرزوق بن خير القيروانيّ روى عنه السقط أبو الحسن علي بن محمد وهو أخو ابن السِّيد المذكور وأبو عمرو السفاقُسيّ[٢] روى عن أبي العلاء خطبةَ الفصيح. وابن حزم كان له بعلماء المشرق مراسلات إذ ذاك وانتشرت كتبه في حياته بالبلاد المشرقية وحسبك أن الغزاليَّ شهد له بالفضيلة. وأما صاحبنا فإنه ينقل كثيراً من أخبار الأندلس في الغفران فذكر ابن هانىء وغلوّه[٣] وروى ابن خلكان[٤] رأيه في شعره. وروى في الغفران[٥] خبر الشاعر المعروف بابن القاضي في مدحه المنصور بن أبي عامر صاحب الأندلس بقصيدة أولها:

ما شئتَ لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهّار

ويقول فيها أشياء فأنكر عليه ابن أبي عامر وأمر بجلْده ونفيه ا هـ، والمنصور مُعاصر له. وهذا كلّه يدل على أن الرجل كان خبيراً بأخبار المغرب والأندلس وكان يأتيه منها على أيدي تلامذته ما تقرّ به الأعين وتلَذّ الأنفس.

ثم إن القاضي أبا بكر بن العربيّ المالكيّ رجع إلى الأندلس من رحلته الطويلة سنة ٤٩٣هـ، بعِلم جَمٍّ بعد أن قرأ على أبي زكريا التبريزي[٦] جملة صالحة من تآليف المعرّيّ. وهي على ما ذكره تلميذه أبو بكر الإشبيليّ في فهرسته[٧] السقط وضَوْءه ورسائله ومنها الإغريضية وشرحها له والفَلاحيّة وشرحها له والصاهل والشاحج ولسانه

(١) انظر كتابنا «ابن رشيق»، ص: ١٤ و٣٢.

(٢) فهرست أبو بكر: ٣٤٣.

(٣) الغفران: ١٥٤.

(٤) انظر كتابنا «ابن رشيق»: ٥٨.

(٥) ١٥٤.

(٦) وقرأ عليه سعد الخير بن محمد الأنصاري إصلاح المنطق كما ورد في الإجازة بخط التبريزي وانظر فهرست مكتبة ليدن ٣٣ والظاهر أنه قرأ عليه من كتب المعري أيضاً والله أعلم.

(٧) س: ٤١٢.

له وخطبة الفصيح وسائر شعره في اللزوم وقال في موضع آخر(١): تآليف أبي العلاء المعري وجميع ماله من منثور ومنظوم روايتي لذلك كلّه عن أبي بكر بن العربي عن أبي زكريا التبريزي عنه. وكذلك الشيخ أبو الحسن سعد الخير بن محمد بن سهل الأنصاري الأندلسي، فإنه سمع بمدينة السلام على التبريزي «سقطَ الزند» كما ورد في عنوان نسخة «سقط الزند» ببانكي پور وانظر وصفها في الثبت.

ومن المتأخرين أبو محمد الأنصاري(٢) المتوفى سنة ٦٤٥هـ صاحب ابن الأبّار سمع شعر أبي العلاء على أبي إسحاق بن أبي اليسر عن أبيه عن جدّه عن أبي العلاء.

وفي نفح عن الطيب(٣) [عن المطمح(٤)] أن للوزير أبي القاسم [محمد] ابن عبد الغفور ـ وترجم له الفتح(٥) وابن الأبار(٦) ـ رسالة سماها بالساجعة [والغِرْبيب(٧)] حذا بها حذو أبي العلاء في الصاهل والشاحج له. صنعها للوزير الفقيه أبي أيوب بن أميّة وبعث بها إليه فأقامت عنده أياماً ثم استدعاها منه فصرفها إليه وكتب معها كتاباً ظريفاً منه «فاسعَدْ أعزّكَ الله بكرَّتها وسلها عن أفانين مَعرَّتها».

وفيه أيضاً(٨): أن للحافظ أبي الربيع الكَلاعيّ صاحب الاكتفاء في مغازي الرسول والثلاثة الخلفاء كتاباً سماه «جُهْدَ النصيح في معارضة المعري في خطبة الفصيح» وآخر سماه: «مفاوضة القلب العليل ومنابذة الأمل الطويل بطريقة المعري في مُلقى السبيل». وأصل ملقى السبيل محفوظ بخزانة دَيْر اسكوريال كبعض رسائل أخرى للمعري. وفيها نسخة من معارضة أخرى له لأبي عبد الله بن أبي الخصال وزير يوسف بن تاشِفِيْن وذكره أبو بكر في «فهرسته»(٩) ولفظه جزء فيه مُلقى السبيل [لابن أبي الخصال] بنظم بديع ونثر سنيع في معنى الزهد الرفيع من تأليفه.

وذكر ابن الأبار في «التكملة»(١٠) أن لابن غَلِنْدُهْ الأمويّ السَّرَقُسْطِيّ المتوفى سنة ٥٨١هـ لزومياتٍ.

(١) ٤٥٠.

(٢) التكملة رقم: ١٤٥٨.

(٣) مصر، ٢: ٣١٦، ليدن: ٣٧٢، وأبو القاسم هذا نقل قول المعري من س:

ودبّت فوقه حمر المنايا ... ولكن بعدما مُسِخَتِ نمالا

إلى قوله:

تريه المنايا الحمر فيه وجوهنا ... مماثلة الأرواح في صور الذر

الغيث ٢: ١١٥.

(٤) مصر، سنة ١٣٢٥هـ ص: ٣٣.

(٥) مطمح الأنفس، مصر: ٣٥.

(٦) التكملة رقم ٦٥٢.

(٧) الزيادة من التكملة.

(٨) مصر ٢: ٥٨٧ ليدن: ٧٦٩.

(٩) ٤٢.

(١٠) رقم: ١٥١٦.

ولأبي الطاهر محمد بن يوسف التميميّ السَّرَقُسطيّ خمسون مقامة لزومية بناها على لزوم ما لا يلزم. قال ابن بَشْكُوالَ في الصلة[١] هو صاحبنا ومقاماته أخذت عنه واستُحسنت وتوفي بقُرْطُبة سنة ٥٣٨هـ.

وهذا كله يدل على ما تمكن في نفوس أهل الجزيرة من حب أبي العلاء وآثاره الخطيرة. فاقتفوا قفوه. واحتذوا حذوه وجعلوه إماماً يقتدى به[٢] ومناراً يهتدى به. ولنعم ما قال ل:

واعتقاد الإنسان فيك جميلا ... مِنَّةٌ لا ينالها منكَ شُكْرُ

هو والحساد

لا يستطيع الناس فضيلة ... بالقدر صيّرها إليك مصيّرُ

قد جرت سُنّة الله أن يَمْنُوَ كلُّ نابغ من العباد، بكيد الحُسّاد. حتى ينشروا خبيءَ علمه ويبحثوا في مكنون فضله. وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ولو فكّروا لدروا أنهم لا يستطيعون ضَرّاً ولا نفعاً. فنرى الرجل بُلي بهم من صباه قال س:[٣]

بأيِّ لسانٍ ذامّني متجاهل ... عليّ وخَفْقُ الريح فيَّ ثناءُ
تكلّمَ بالقول المضلّل حاسد ... وكل كلام الحاسدين هُراء
رويدَكَ[٤] أيها العاوي ورائي ... لتُخْبرني متى نطقَ الجماد
أأخملُ والنباهةُ فيّ لفظٌ ... وأُقْتِرُ والقناعة لي عَتاد
كأنّي[٥] إذا طُلتُ الزمان وأهله ... رجعت وعندي للأنام طوائل

ومن سائر شعره[٦]:

تَعاطَوْا مكاني وقد فُتُّهم ... فما أدركوا غير لمح البَصَرْ
وقد نَبَحُوني وما هِجْتُهمْ ... كما نبحَ الكلبُ ضوءَ القمر

---

(١) رقم: ١١٧٥ ومنها نسخة باسكوريال. ترجم لأبي الطاهر ترجمة ضافية ابن الأبّار في المعجم عدد: ١٢٤، وصاحب البغية: ١٢٠. وورد ذكر المقامات هذه في التكلمة تحت رقم: ١٧٢٢ وتحت: ٣١٢ من طبعة الجزائر وفي معجم ابن الأبّار: ٢٦٦ والمعاهد ٢: ١٠٦.

(٢) ولابن عمار الأندلسي وكأنه معاصر صاحبنا (٤٢٢ - ٤٧٧هـ) تضمين لبيته من السقط (١: ٣١) لو اختصرتم الخ. أورده صاحب المعاهد ٢: ٩٨ وهذا أدل دليل على انتشار شعر صاحبنا بالجزيرة في حياته. وابن عمار لم يكن فارقها إلى البلاد المشرقية كما هو معروف.

(٣) ١: ٨٥. (٤) ١: ٦٦.

(٥) ١: ١١٠.

(٦) ١: ١٣٦.

وقال ببغداد[١]:

فأصبحتُ محسوداً بفضليَ وحده   على بُعْد أنصاري وقِلَّةِ مالي

ولكن لما اخترق صيته المسامع بعد الرجوع. كثر عدادُ من طوى له الشنآن والحسد بين الضلوع. ل:

أضحت تُظَنُّ بك الديانة والغنى   والعلمُ فاهتاجت لك الحُسَّاد

وإذا حُسدت فإن شكر فضيلة   أن لا تؤاخِذَ بالإساءة حاسدا

كم صاحبٍ يتمنَّى لو نُعيتُ له   وإنْ تشكّيْتُ راعاني وفدّاني

تغيّبْتُ في منزلي برهةً   ستيرَ العيونِ فقيدَ الحسَدْ

ويأتي في وصف اللزوم آخر رسالة له فيمن حرّف بيتاً من اللزوم وذكر به ابناً لصالح بن مرداس.

ونقلوا[٢] عن ابن العديم في كتابه العدل والتحري في دفع التجري على أبي العلاء المعري أنه قال: قرأتُ بخط أبي اليَسَر المعرّيّ في ذكره، وكان رضي الله عنه يُرْمَى من أهل الحسد له بالتعطيل ويعمل تلامذته وغيرهم على لسانه الأشعار يُضمّنونها أقاويلَ المُلحِدَة قصداً لهلاكه وإيثاراً لإتلاف نفسه. فقال رضي الله عنه حاول. . . . بإهوان. الثلاثةَ الأبيات وهي في الفائت. وشكا إلى المنازي كما يأتي حسدَهم فعاد كما قيل:

إنّك لا تشكو إلى مصمّتِ   فاحتمل العبْءَ الثقيل أو مُتِ

وقد أخرجَ عداوتهم أحسن مُخرج حيث قال. ل:

أردتَ إهانتي فحماك مني   قضاءٌ فيَّ كان له نُجوز

وجدتَنِيَ اللُّجَيْنَ أو الثريّا   وتصغيرُ المصغَّر لا يجوز

تلامذته والرواة عنه

أرى أن ناشئة المعرّة من بيوتات آل سليمان وبني عبد اللطيف وبني الدوَيْدَة وغيرها كانوا يقرؤون عليه. ولكن التاريخ لم يحفظ لنا من أخبارهم إلا قليلاً. وحسبك أن الذين رثوه على ما قال ياقوت وغيره[٣] أربعة وثمانون شاعراً. روى السِّلَفيّ[٤] عن

(١) ٢ : ٤٥.

(٢) أدباء ١ : ١٧٩، ونكت: ١٠٥، معاهد ١ : ٥٠.

(٣) أدباء ١ : ١٧١، وذهبي: ١٣٥.   (٤) ذهبي: ١٣٥.

الأبهري أنه خُتِمَ في أسبوع واحد على قبره مائتا خَتمة، وظاهر أنّ جُلّهم من تلامذته. وذكر ابن العديم في الباب الخامس من العَدْل ممن قرأ عليه أو روى عنه كثيراً من العلماء والأدباء والمحدّثين من أهل المعرة وغيرهم من الغرباء من حلب وكَفْر طاب والأندلس وتبْريز وأصبهان وسروجَ والرَّقَّة وهَكَّار وبغداد والمصّيصة وأبهر ونيْسابور والأنبار من أئمة وعلماء وقضاة وأدباء رُواة وحُفَّاظ ثقات. رووا عنه وكتبوا وأخذوا العلم واستفادوا وعظّموا قدره ومعارفه. وقال الرحالة الفارسي: إنه لا يزال جماعة وافرة من الطلبة يقيمون ببابه ويقرؤون عليه كتب الشعر والأدب، وهم أكثر من مائتي رجل. فإن صحّحنا قوله فلا بد أن يكون له من التلامذة ما لا يقلّ عن ألوف وإن أنكرناه فهم مئون ولا شكّ. والأسف أننا نقتنع من الإعراج على هَجْمة ومن الجَمّ الغفير على شِرذمة، لفقدنا من الوسائل اللازمة ما يَهُمّ، ومن كتب الأخبار ما يخصّ ويعمّ. فهاكهم غير من مرَّ في أبواب بَغْداد:

(١) فأوّلهم فضلاً وذكراً ولآثاره إذاعة ونَشْراً ابنُ الخطيبِ التبْريزيّ، أبو زكريّا يحيى بن علي الشيبانيّ[١]، اللغوي صاحب التصانيف الممتّعة التي شحنها بكُنوز علوم أبي العلاء رحل إليه كما قال القفطيّ[٢]، وأبو الفداء[٣] من تبْريز إلى المعرّة[٤] لا من بغداد ويمكن أن يكون عاج إليها. وكان سبب توجّهه إليه على ما روى القِفْطِيّ[٥] أنه حصلتْ له نسخة من كتاب التهذيب في اللغة تأليف أبي منصور الأزهري في عدّة مجلدات لِطاف وأراد تحقيق ما فيها وأخْذَها عن رجل عالم باللغة فدُلّ على المعريّ. فجعل الكتاب في مِخْلاة وحملها على كَتِفه من تبريز إلى المعرّة. ولم يكن له ما يستأجر به مركوباً. فنفذ العَرَق من ظهره إليها فأثّر فيها البَلَلُ. وهي ببعض الوقوف ببغداد وإذا رآها من لا يعرف صورة الحال فيها ظنَّ أنها غريقة وليس بها سوى عرق الخطيب المذكور ا هـ. وكان أبو العلاء حَدباً عليه عَطوفاً. ولما عاناه من مَشاقّ الشقّة رقيقاً رؤوفاً. كما يعلم من حكايته عنه في الحفظ. وقال في شرح السقط له[٦]: «لما حضرتُ أبا العلاء قرأت عليه كثيراً من كتب اللغة وشيئاً من تصانيفه. قال: وَكانَ

(١) راجع ترجمته في النسب: ١٠٣، والوفيات ٢: ٢٣٣، والنزهة: ٤٤٣ والبغية ٤١٣.
(٢) وانظر الحكاية التالية.
(٣) ٢: ٢٢٤ لا من خراسان كما زعم صاحب (ذ): ٢٠٤ ولا من بغداد كما يوهم كلام مرجليوث: ٣١ ولا من نهروان على ما في نزهة الجليس ١: ٢٧٨.
(٤) وزعم صاحب البغية: ١٣٦ أنه قرأ عليه ببغداد وهذا سبق قلم، فإن التبريزي لم يكن ولد بعد، وسبقه صاحب الإسعاف.
(٥) الوفيات ٢: ٢٣٣، وفي ختام المصباح المنير للفيومي ذكر نسخة من التهذيب عليها خط التبريزي.
(٦) فهرس خزانة باريس: ٣١١٢، والكشف «سقط الزند».

يَحُثّني على الاشتغال بغير السقط من كتبه». وورد في ختام نسختين من اللزوم[١] في إجازة له لتلميذه ابن الجواليقي أنه قرأ شيئاً من اللزوم على أبي العلاء، ومرّ ما يَعْضُده في ذيل البيتين «يد» البيتين أنه قرأهما عليه وهما من اللزوم. وقال في مقدمة تهذيب الإصلاح له[٢] بعدما ذكر ما في الإصلاح من التكرار المُمِلّ وكان أبو العلاء المعريّ والشيوخ الذين قرأتُ عليهم هذا الكتاب يكرهون منه التكرار ا هـ. ولم أره ينقل عنه في التهذيبين له شيئاً يذكر. وأما شرح الحماسة فإنه ملأه بأقواله الملتقطة من تأليفه الرياش المصطنعي أظنّه. قال في موضع[٣] وروى قول النَّمَريّ وما تعقَّبه به أبو العلاء: «فلا تعدلنَّ عما ذكره أبو العلاء إلى غيره» وأرى أنه أودع الرياش بجملته في شرحه ولم يُبْقِ منه بقيَّة تُذْكَر وهو بنفسه[٤] راوي الرياش عنه.

قال السلفيّ[٥]: سمعتُ أبا زكريا التبريزي اللغوي يقول: أفضل من رأيته ممن قرأت عليه أبو العلاء. ونقل القِفطي[٦] عنه أنه لما قرأ عليه إصلاح المنطق طالبه[٧] بالسند. فقال له: إن كنت تريد العلم فخذه عني ولا تَعْدُني وإن كنت تريد الرواية فاطلبها عند غيري. قال القفطي: فهذا يدلُّ على أن أبا العلاء كان يثق بنفسه ويعتقد أنه أدرك اللغة وأنها في عصره لأنضج منها في عصر ابن السِّكِّيت.

وأما مدّة إقامته بالمعرة فلم أر من عَيَّنها وأظنُّها[٨] بين ٤٤٠ ـ ٤٤٧ وذلك أن أبا زكريا ولد سنة ٤٢١هـ[٩]. وقالوا[١٠]: إن الضوء آخر تآليف أبي العلاء. وهذا الكتاب لم يكن وُضع إلاّ بعد مفارقته له كما ذكر ذلك أبو زكريا بنفسه في شرح السقط له:

---

(١) وهما أقدم نسخة منه، انظر فهرس خزانة ليدن وأخرى مثلها في بومباي.

(٢) مصر ١ : ٢ وبسط المعنى أبو العلاء في الإغريضية ص: ١٩ وقال إن ذكر الكلمة مرتين كالجمع في النكاح بين الأختين.

(٣) مصر ١ : ١٩٢.

(٤) انظر فهرس الخديوية ٤ : ٢٦٩.

(٥) ذهبي: ١٣٥.

(٦) (ذ): ٣٠٤.

(٧) ولهذا نراه روى الإصلاح عن الرئيس هلال الصابي. وانظر فهرست خزانة ليدن: ٣٣.

(٨) وروى الذهبي عن الحفاظ (٣: ٣١٥) خبراً في قراءة التبريزي على الخطيب أبي بكر البغدادي بجامع دمشق. وقال ابن عساكر (١ : ٣٩٨)، وابن السبكي في طبقاته (٣: ١٢) إن الخطيب قدم دمشق سنة ٤٤٥هـ حاجاً فسمع خلقاً كثيراً وتوجه إلى الحج ثم قدمها سنة ٤٥١هـ فسكنها وحدث بعامة مصنفاته ا هـ. وهذا يجذب إلى تصديق المدة التي عيناها ثم خرج منها إلى صور سنة ٤٥٧هـ ثم إلى العراق سنة ٤٦٢هـ انظر الحفاظ ٣ : ٣١٨.

(٩) ومات سنة ٥٠٢ ببغداد وهو مدرس الأدب بالنظامية وخازن دار الكتب بها.

(١٠) تاريخ ابن الوردي ١ : ٣٦، عن دفع المعرة عن شيخ المعرة وكشف الظنون رسم سقط الزند عن شرح التبريزي.

إن ابن الأبار روى مشيخة السِّلَفيّ للتُجيبي قال: أنشدنا السِّلَفيّ قال: أنشدنا أبو المكارم الأبهري قال: أنشدنا أبو العلاء التنوخي لنفسه بالمعرّة:

تــوحَّــدْ فــإن الله ربــك واحــد ولا تــرغَبَــن فــي عِـشـرة الـرؤسـاء

الأربعة أبيات مِن ل.

(٢) أبو المكارم عبد الوارث بن محمد الأسدي المالكي[١] رئيس أبهر. روى السِّلَفِي[٢] جملة من الأشعار والأخبار عنه عن أبي العلاء قال: وكان من أفراد الزمان ثقة مالكياً. ويظهر من حكايته في وفاته أن لعله كان حاضراً إذ ذاك[٣] بالمعرَّة. وهو راوي السقط وكثير من اللزوم وشيء من غيرهما عنه. قال السمعانيّ: وسماه أبا المكارم عبد الوارث بن عبد المنعم الأبهريّ هو أحد الأدباء الفضلاء. تلمذ لأبي العلاء المعري وقرأ عليه الأدب روى لنا عنه أبو عبد الله الخلّال الأديب بأصبهان وآخرُ سماه[٤] والأبهري لأهل خراسان ولمن يصاقبها كأبي الفضل البغدادي وابن العربي للمغاربة. فإنهم يروون السقط وغيره بطريقه، قال صدر الأفاضل الخوارزمي أخبرنا بالسقط الأستاذ البارع ناصر الدين أبو المظفر بن أبي المكارم المعروف بالمطرزي قراءة عليه. قال: أخبرنا الوالد عبد السيّد بن علي المطرزي قراءة عليه قال: أخبرنا الشيخ الرئيس أبو المكارم الأبهري قراءة عليه، قال: أخبرنا الفاضل أبو العلاء.

(٣) أبو الفضل محمد الدارمي الوزير البغدادي داعية القائم على ما مر. انفصل من بغداد نحو سنة ٤٣٥هـ، ووفد على القيروان سنة ٤٣٩هـ. فالظاهر[٥] أنه لقيه بينهما بالمعرة وقرأ عليه شيئاً وأوصله إلى المغرب والأندلس. قال أبو بكر الأندلسي في فهرست مرويّاته[٦] وحدثني بالسقط أيضاً شيخنا أبو الحسين عبد الملك بن محمد بن هشام عن الأستاذ أبي محمد ابن السيد البَطَلْيَوْسي عن أبي الفضل البغدادي عن المعري ـ وروى صاحب النفح[٧] أنه اجتمع مع أبي العلاء بالمعرة وأنشده قصيدة لامية يمدح بها صاحب حلب فقبل عينيه وقال: لله أنت من ناظم! وترجم له صاحب النفح والمعالم[٨] والتتِمَّة.

---

(١) ذهبي: ١٣١، ١٣٣، و١٣٧ وترجم له الباخرزي في الدمية.
(٢) انظر ذهبي.
(٣) ولكن لا شك في قراءته عليه بها.
(٤) لم أستطع قراءة اسمه.
(٥) ٢: ١٠٣، مصر.
(٦) ٤١٢.
(٧) مصر، ٢: ١٠٣، ليدن: ٧٧.
(٨) ٣: ٢٤١. وانظر «ابن رشيق»: ٣٢.

(٤) أبو الربيع سليمان بن أحمد السَّرَقُسْطِي المتوفَّى سنة ٤٧٩هـ عن ٨٠ سنة. قال الذهبي: أنبأنا عبد الرحيم العامري عن أحمد بن أبي أنعم أن الحافظ أبا عبد الله بن محمود أخبره في كتابه أنا أبو القاسم الأزجيّ عن هبة الله بن علي المقرىء. أنشدنا أبو الربيع السَّرَقُسْطِيّ أنشدنا أبو العلاء المعري لنفسه:

أنا صائم طولَ الحياة وإنما فطري الحِمام ويوم ذاك أعيّدُ

الأبيات الخمسة من اللزوم.

ترجم له الذهبي في «الميزان» وابن حجر في «اللسان» (٣: ٧٥).

(٥) أبو الخطاب العلاء بن عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمٰن بن سعيد بن حزم الأندلسي المَرِيِّي. ترجم له الضبّيّ[١] قال: ويعرف بابن أبي المغيرة وهو من بيت جلالة وعلم ورياسة وفضل كبير ومات في رجوعه عند وصوله إلى الأندلس بعد سنة ٤٥٠هـ. وابن بشكوال[٢] في الصلة قال: إنه ولد سنة ٤٢١هـ ومات بالمريّة سنة ٤٥٤هـ انصرافه وسنه ٣٣ عاماً وبقيت رحلته نحواً من تسع سنين وسمع منه الخطيب البغدادي ا هـ. والمقَّريّ[٣] عن الحميدي في الجذوة وأثنى عليه قال: وكان من أهل العلم والأدب والذكاء والهمة العالية. وهو تلميذه كما في النسب للسمعاني.

(٦) أبو مالك أحمد بن الصنديد العراقي قال ياقوت في الأدباء (١: ١٥٢): كان من أهل الأدب والشعر. روى شعر المعري عنه وله فيه شرح وله مع الحصْري مناقضات. دخل الأندلس وكان عند بني طاهر ومدح الرؤساء والأكابر.

(٧) أبو تمام غالب بن عيسى الأنصاري الأندلسي. لقيه بعد سنة ٤٢٣هـ. فإن في الأبيات التي رواها عنه السِّلَفيّ[٤] بمكة بيتاً وهو:

أتتني من الأيّام ستّون حِجّةً وما أمسكت كفّاي ثِنْيَ عِنان

ترجم له ابن الأبار في «التكملة»[٥] قال: جاور بمكة وروى عن.... وأبي العلاء المعري ـ أنشدنا أبو عمرو بن سفيان التميميّ بتُوْنِسَ أنشدنا عليُّ بن المفضَّل المقدسي أنشدنا السِّلَفيّ أنشدنا أبو تمام غالب بن عيسى الفقيه أنشدنا أبو العلاء:

أبا العلاء ابن سليمانا.... البيتين أنظرهما في الفائت.

---

(١) ١٢٤١.
(٢) ترجمة سابقة عدد ٩٥٦.
(٣) النفح، مصر ٢: ١٢.
(٤) ذهبي ١٣٤. وانظر لتلمذه: ١٣٧ منه واللسان ١: ٢٠٦.
(٥) ١٩٥٧.

(٨) أبو القاسم عبد الدائم بن مرزوق بن خير القيراوني. روى عنه السقط أخو ابن السيد البطليوسي أبو الحسن عليّ بن محمد كما قال أبو بكر[١] وترجم له الضبّيّ[٢]. قال: وتوفي بطُلَيْطِلَةَ سنة ٤٧٢هـ. وابن بَشْكُوالَ[٣] في الصِّلَة وذكر أنه كان بالبصرة سنة ٤٢٨هـ وصاحب «البُغية»[٤].

(٩) أبو الطاهر محمد بن أحمد بن أبي الصقر الخطيب الأنباري قرأ عليه بالمعرة، وروينا من طريقه حديثاً في باب طلبه للعلم وورد ذكره عند السمعاني والذهبي وابن حجر[٥]، وترجم له القِفْطيّ في إنباء الرواة[٦]، ورأيت نسخته بخطه قال: هو محمد بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن عبد الجبار بن مُفلِح الأنباري أبو طاهر بن أبي الحسين بن أبي الصقر، ثقة فاضل خَيرٌ دَين رحل إلى مصر والشام والحجاز وسمع الكثير وحصَّل الكتب ورجع إلى الأنبار وحدث وانتشرت عنه الرواية (ثم أورد كثيراً من شعره مسنداً ثم روى عن) أبي الفتح ابن الخلال إمام جامع الأنبار أنه توفي سنة ٤٧٦هـ. ا هـ.

(١٠) القاضي أبو المجد محمد بن عبد الله ابن أبي المجد محمد أخي أبي العلاء. ذكر ابن الأبار في «التكملة»[٧] في ترجمة صاحبه أبي محمد عبد الله الأنصاري أنه كان عنده شعر أبي العلاء مسموعاً على أبي إسحاق بن أبي اليَسَرِ عن والده عن جده، عن أبي العلاء. وقال ياقوت[٨]: إنه أدرك عم أبيه أبا العلاء وروى عنه مصنفاته وأشعاره.

(١١) أبو عبد الله بن جابر القرطبيّ قال ابن الأبار[٩] يروي عن أبي العلاء المعري شعره. أخذ عنه أبو عبد الله بن خطّاب التُطيْليّ من شيوخ أبي عامر بن رزق، ذكر ذلك أبو بكر يحيى بن أبي عامر في بَرْنامجِه ا هـ.

(١٢) الخليل بن عبد الجبار القزويني[١٠] هو تلميذه ونقل عنه السِّلَفي عن أبي العلاء حديثاً أثبتناه في باب الطلب، قال السِّلَفيّ: وكان ثقة.

(١٣) أبو غالب همام بن الفضل بن جعفر بن علي بن المهذّب المعريّ. له

---

(١) ٤١٢.
(٢) رقم ١١٢٨.
(٣) رقم: ٨٣٨.
(٤) ٢٩٦.
(٥) ١١٠ ـ ١٣٧ ـ ١: ٢٠٦.
(٦) ورق: ١٨.
(٧) رقم: ١٤٥٨.
(٨) أدباء ١: ١٦٤ ونسخته مصحفة فصححها هكذا فمنهم القاضي أبو المجد محمد بن عبد الله بن أبي المجد محمد بن عبد الله (أبي أبي العلاء) سطر ١٣.
(٩) ١٤٦٨.
(١٠) ذهبي: ١٣٢، ١٣٧، واللسان ١: ٢٠٦.

تاريخ نقل عنه ياقوت[١] عدة فوائد ومنها[٢] قال: حدثني الشيخ أبو العلاء أن أبا علي مضى إلى العراق وصار له جاه عظيم عند الملك فَنّا خُسْرُوْ الخ. ومنها[٣] في البحتري ووالده. ومنها[٤] في ترجمة أبي رياش والزجاج وكذا نقل عنه ابن الوردي أيضاً شيئاً كثيراً.

(١٤) شيخ الإسلام أبو الحسن علي بن أحمد بن يوسف الهكّاريّ. هو ناقل خبره مع وزير محمود وسيأتي. وقد تصحف[٥] على سبط ابن الجوزي اسمه حيث دعاه نقلاً عن الغزالي[٦] يوسف بن علي الهركاري. ولم أر أحداً سماه الهركاري ولا وجدت كلمة هركار فيما بيدي من المعاجم. والهكّارية التي ينسب إليها ناحية فوق الموصل في جزيرة ابن عمر يسكنها الهكارية وهم صنف من الأكراد، ولا أستبعد أن تكون الناحية تدعى الهركار أيضاً. إلا أنني لم أجدها بهذا اللفظ. وأما يوسف فإنه جد شيخ الإسلام. وليس ببدع[٧] أن يكون له ولد يدعى يوسف كجده ولكن صحبته لأبي العلاء وروايته عنه بلا واسطة كأبيه مما لم يثبت. والعجب كل العجب أن صاحب سر العالمين يدعو يوسف شيخ الإسلام وقال في موضع آخر[٨] أنشدني المعري لنفسه وأنا شاب في صحبة يوسف بن علي شيخ الإسلام ثم أورد ستة أبيات من اللزوم أولها:

أنا صائم طول الحياة وإنما ... فطري الحِمام وعند ذاك أعيِّد

وهذه ظاهرة أنه يدعو علياً شيخ الإسلام على الصواب ولكن لقاء الغزالي وكان وُلد سنة ٤٥٠هـ للمعري من دونه خرط القتاد. وهذا الكتاب تلفيق أعجمي لا يحسن العربية[٩] فسحنه بالأغلوطات[١٠].

(١) أدباء ١: ٧٤ و٢١٥

(٢) أدباء ٣: ١٩.

(٣) بلدان رسم حردفنة.

(٤) أدباء ١: ٧٤، ٤٧.

(٥) نكت: ١٠٧.

(٦) وهذا الخبر موجود في سر العالمين المنحول إليه طبعة بومباي ص: ٣٨ ولفظه: وحدثني يوسف بن علي بأرض الهركار . . . قال يوسف شيخ الإسلام: دخلت المعرة على زمان المعري الخ.

(٧) قال ابن خلكان وخرج من أولاد الشيخ وحفدته جماعة تقدموا عند الملوك الخ.

(٨) ص: ٨٥.

(٩) فإنه قال بعد نقل الأبيات: «هذا الشعر في بحر لزوم ما لا يلزم».

(١٠) قال ص: ١٠٠. وأنشد الشيخ أبو العلاء لنفسه رحمه الله تعالى:

يا قوم أذني لبعض الحيّ عاشقة ... والأذن تعشق قبل العين أحيانا

إن العيون التي في طرفها مرض ... قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

يصر عن البيت.

فأنت ترى أن هذه ظلمات بعضها فوق بعض كيف أنشده المعري ولم يولد بعد؟ والأبيات ليست =

وسئل شيخ الإسلام لما انفصل عنه عما رآه منه وعن عقيدته فقال: هو رجل من المسلمين وكان لقيه بالمعرة وسمع منه. تُرجم له في «الأنساب» و«الوفيات» و«اللسان» و«مرآة الجنان»[١].

(١٥) أبو الحسن علي بن همّام[٢] تلميذه رثاه بأبيات ميمية تأتي في محلّها.

(١٦) أحمد بن حمّاد المعريّ هو أبو سعد راوي ملقى السبيل عنه[٣].

(١٧) أبو الحسن علي بن عبد الله بن أبي هاشم مستمليه[٤] وفي العدل ابن عُبيد الله. متولّي أوقاف الجامع بالمعرّة.

(١٨) ابنه أبو الفتح محمد عمل له كتابين في النحو سيردان. وذكرهما ابن العديم.

(١٩) أبو الفضل هبة الله بن أحمد بن يحيى بن زهير. قال ياقوت[٥] لعله لقي أبا العلاء المعري وقرأ عليه شيئاً. وولي القضاء بحلب وأعمالها في سنة ٤٧٣هـ وهو من أجداد الكمال ابن العديم الحلبي فإنه عمر بن أحمد بن هبة الله بن محمد بن أبي الفضل المذكور.

(٢٠) القاضي أبو الفتح بن أحمد السروجي أخو القاضي أبي المهذب عبد المنعم. روى[٦] في حكايته قال: دخلت على أبي العلاء بالمعرة ذات يوم في وقت خلوة بغير علم منه وكنت أتردد إليه وأقرأ عليه الخ.

(٢١) الشيخ أبو محمد الخَمْداني (في نسخة الدمية بالمتحف البريطاني وفي أخرى بالخط المغربي الحَمْدانيّ بالحاء كما صوّبناه). روى عنه الباخرزي[٧] في دُمْيته عدّة من قصائده في السقط.

(٢٢) رجل واسطي لم يسمه وذكر في الغفران[٨] أنه كان يتعرض لعلم العروض

= للمعري بل الأول لبشار الأعمى (الوفيات ١: ٨٩) والآخران لجرير. انظر طبقات ابن قتيبة ليدن: ٩.

(١) ٥٩١ ـ ١: ٣٤٦ ـ ٤: ١٩٥ ـ ٣: ١٤٢.

(٢) ذهبي: ١٣٧ ـ الوفيات ١: ٣٤.

(٣) ٢١٧ ـ والذي في فهرس خزانة أسكوريال لدرنبورغ تحت العدد: ٤٦٧ أحمد بن كمال المعري والنسخة واحدة لا شك.

(٤) أدباء ١: ١٨٠. ذهبي: ١٣٥، العدل.

(٥) أدباء ٦: ٢٧.

(٦) ذهبي: ١٣٤ ومعاهد ١: ٥٠.

(٧) وفي نسخة الدمية الخطية بكلكتة ورق ٥ و٦ الهمداني (؟).

(٨) ١٨٤.

وهو الذي ذكر لصاحبنا أنه رأى ابن القارح بنصيبين.

(٢٣) ومن رواة شعره شيخ الإسلام أبو عثمان إسماعيل الصابوني. قال البيهقي: إنه إمام المسلمين حقاً وشيخ الإسلام صدقاً. قال ياقوت دخل معرة النعمان فلقي أبا العلاء. قال ابن عساكر: إنه قدم دمشق حاجاً سنة ٤٣٢هـ الخ، وتوفي سنة ٤٤٩هـ كصاحبنا. وروى عنه الباخرزي كلمتين له إحداهما من اللزوم والأخرى على الضاد ذكرتها في الفائت. ولفظه رجعت إلى تعليقاتي وعثرت مما أنشدنيه الأستاذ شيخ الإسلام. . . . الصابوني له قال: أنشدني لنفسه بمعرّة النعمان. وترجم له السمعاني وابن عساكر وياقوت وابن السبكي[1].

(٢٤) ومنهم أبو الوليد الحسن بن محمد البلخي الدَّرْبَنْدِيّ الحافظ الجَوّال روى[2] أبو سعد [السمعاني] بسنده عنه قال: أنشدني أبو العلاء التنوخي في داره عند وداعي إياه (س)[3]:

كم بلدةٍ فارقتُها ومعاشر يُذْرُوْن من أسف عليَّ دموعا

وإذا أضاعتْني الخطوبُ فلن أرَى لعُهود إخوان الصفاء مُضِيْعا

خالتُ توديعَ الأصادق للنوى فمتى أُودّعُ خِلِّيَ التوديعا

قال ابن عساكر[4] وياقوت[5] وترجما له. رحل في طلب الحديث وبالغ في جمعه وأكثر غاية الإكثار ا هـ. وهو شيخ الخطيب أبي بكر وتوفي سنة ٤٥٦هـ. قال ابن عساكر ودخل دمشق. وانظر في أبواب بغداد ذكر الواجكا.

(٢٥) أبو الحسن الدّلفيّ المَصّيصي النحوي وهو محمد[6] بن عبد الله بن حمدان ومات بمصر سنة ٤٦٠هـ، وكان زاره في عنفوان شبابه بالمعرّة وانظر مبحث طلب العلم.

(٢٦) أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الأصفهانيّ روى عنه الضوء وسائر كتبه. ويأتي في فصل دينه كان قرأ عليه السقط كما ورد في سند نسخة بانكى پور.

(٢٧) القاضي أبو سعد روى عن أبي العلاء عدّة فوائد على حاشية نسخة من

---

(١) ٣٤٦ـ٣: ٢٧ـ٢: ٣٤٨ـ٣: ١١٧ ولاء.

(٢) أدباء ١: ١٧٥.

(٣) ٢: ١٣٦ وفي العنوان: «قال على لسان البلخي».

(٤) ٤: ٢٤٧.

(٥) بلدان «دربند» ثم وجدت في الحفاظ ٣: ٣٢٩ ترجمة له أيضاً.

(٦) البديعي ١: ٤٢٤ والبغية: ٥٢٥.

«الجمهرة» لابن دُريد[١].

(٢٨) أبو عمرو السفاقُسيّ. روى[٢] عن أبي العلاء خُطبة الفصيح، وهو عثمان بن أبي بكر بن حمود الصَدَفيّ. رحل إلى المشرق بُعَيْدَ سنة ٤٢٠هـ. وسنه إذ ذاك نحو ثلاثين فسمع من أبي نُعيم الحافظ وشيخ الإسلام الصابوني والقاضي أبي الطيّب الطبريّ وغيرهم. ثم رجع إلى الأندلس سنة ٤٣٦هـ فقرأ عليه أهلها. ولقي ابن رشيق وابنَ شَرَفَ بالقيروان ووقع بينه وبينهما مشاعرة ظريفة ترجم له ابن بِشْكُوال والضبّيُّ.

(٢٩) ابن أخيه القاضي أبو محمد عبد الله بن أبي المجد محمد. وكان بَرّاً بعمه حَدِباً عليه وهو الذي مَرَّضَه مِراراً. ذُكر في عداد المستملين ويأتي في فصل الموت. ولأبي العلاء فيه كلمتان أنظرهما في الميم من الفائت. وهذا كله عن العدل والتحرّي.

(٣٠) ابن أخيه وأخو السابق أبو الحسن علي بن أبي المجد محمد سمع على أبي العلاء جميع أماليه ونسخها بخطّه.

(٣١) مستمليه إبراهيم بن عليّ وقد مرّ في المستملين قال ابن العديم: قرأ عليه الخ.

(٣٢) أبو النصر محمد بن محمد بن أحمد بن همهاه الرامشي النيسابوري النحوي (٤٠٤ ـ ٤٨٩هـ) قال ياقوت[٣] وقد ترجم له أنه أخذ الأدب عن أبي العلاء المعري.

وممن أظنه منهم:

(٣٣) أبو الرضا عبد الوهاب بن الفرج بن النَّوْت المعري المتوفى سنة ٤٨٠هـ وفي خريدة العماد أبو الرضا عبد الواحد وهو الصواب. وعبد الوهاب عن النُّكْت[٤] وأظنه تصحيفاً. رثاه على الراء كما سيأتي.

(٣٤) الأمير أبو الفتح ابن أبي حَصينة المعريّ شاعر أسد الدولة عطيّة

(١) انظر نسخته الخطية بخزانة حيد آباد ص: ٢٣، ٢٤، ١٠ وغيرها ولفظه قال لي الشيخ أبو العلاء..... وأراه الذي رثى القاضي وادعاً برائية طويلة ذكرها القفطي في إنباء الرواة وسماه محمد بن أحمد.

(٢) فهرست أبو بكر: ٣٤٣ وهو يرويها عن أبي محمد بن عناب عن السفاقسي عنه، والصلة رقم: ٨٧٦ والبغية للضبي رقم ١١٨٠.

(٣) الأدباء (٧: ١٠٠).

(٤) ١١٠. ثم أني تحققت تصحيفه بخبر رواه الأزدي في بدائع البدائة ٢: ٤٤ في ارتجاله بحضرة ثمال بن صالح وشاعره ابن سنان الحفاجيّ.

ابن صالح بن مرداس وولاّه المعرّة توفي في حدود سنة ٥٠٠هـ. وذكره ابن بطلان[١] المتطبّب في رسالته إلى هلال بن المحسّن نحو سنة ٤٤٠هـ، وأنه شاعر حلب إذ ذاك. وله مرثية في أبي العلاء تأتي. وترجم له الكتبي[٢].

(٣٥) أبو العباس أحمد بن خلف الممتّع. قال ابن القارح[٣]: إني وجدت آثار تفضله (أبي العلاء) عليه ظاهرة ولسانه رطباً بشكره وقد ملأ السماء دعاء والأرض ثناء ا هـ. ويظهر من فحوى كلامه أن أبا العباس من أهل المعرّة. وفي الغفران[٤] وسيدي الشيخ أبو العباس الممتّع في السنّ ولد وفي المودّة أخ الخ.

(٣٦) محمد بن علي المقرىء الكازرونيّ. روى ابن الأبار عن مشيخة السلفيّ للتجيبيّ قال: سمعت السلفيّ بالإسكندرية يقول: سمعت القاضي أبا الحمد الموحد بن محمد بن عبد الواحد بتُسْتَرَ يقول: سمعت محمد بن علي المقرىء الكازروني بالأهواز يقول: دخلنا على أبي العلاء المعري منصَرَفَنا من مكة ونحن جماعة فسألَنا عن أسمائنا وبلداننا وصنائعنا. فانتسب كل واحد منا فلما سألني عن صناعتي قلت: أنا قارىء. قال: فاقرأ لي آية من كتاب الله تعالى فقرأت: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ۝٣٠﴾ فبكى بكاء شديداً ثم أمر لنا بذُريهمات وقال: اصرفوها في البَلَس يعني: التين فإنه أوانه. فسألناه أن ينشدنا شيئاً من الشعر فأنشدنا:

يغدو الفقير وكل شيء ضِدُّه والأرض تُغلق دونه أبوابَها

(الأربعةَ وهي في الفائت).

(٣٧) المفضل ولعله المفضل بن سعيد العزيزي وكان تلميذاً له كما جاء في «التنوير» وحاشية نسخة بانكي پور. أنظر الملحوظة على ص ٨٦ وص ٨٦ من الأصل أيضاً.

(٣٨) أبو الخطاب أحمد بن المغيرة الأندلسي قال ابن السراج القارىء المتوفي سنة ٥٠٠هـ في مصارع العشاق ص ٢١٧. أخبرني[٥] أبو الخطاب أحمد بن المغيرة الأندلسي بدمشق لأبي العلاء أحمد بن سليمان وذكر لي أنه قرأ عليه ديوان الصبابة[٦]

(١) بلدان «حلب» والحكماء للقفطي ترجمة ابن بطلان.
(٢) ١: ١٢٢. وانظر خبر مساجلته ابن سنان الإجازة بحضرة سديد الملك في بدائع البدائة ١: ٢١٣ وخبر توليته وتأميره من المستنصر راجعه في تاريخ ابن الوردي ١: ٣٦٥.
(٣) ٢٠٤.
(٤) ١٧١.
(٥) لعل صوابه أنشدني.
(٦) كذا والصواب ديوان الصبا وهو السقط.

وقرأته عليه جميعه بدمشق من أثناء قصيدة له أولها:

أسالت أتيَّ الدمع فوق أسيل

الخ.

(٣٩) أبو عبد الله نصر بن صدقة القابسيّ النحوي. كان يتعانى الأدب فقدم مصر وأخذ عن علمائها، ثم توجه إلى المعرة فلازم أبا العلاء وأخذ عنه ديوان سقط الزّند وكتب منه نسخة جيدة ورجع لمصر فقدمها للحاكم فقرأ عليه فأعجبه نظمه وأرسل إلى عزيز الدولة الوالي بحلب أن يحمله إلى مصر فاعتذر فكفّ عنه. استدركه الحافظ ابن حجر على المقريزي في «المقفى» كما قاله السيوطي في البغية. أقول: وهذا يشتمل على أمور هامة فاتنا ذكرها في مظانها، فلتُستدرَكْ.

زُواره بالمعرّة

ممن لم يرووا شعره فيما بلغنا

(١) القاضي عبد الوهاب المالكي الفقيه الشاعر. لما نبا به المقام ببغداد على ما مرّ في فصل احتفال البغاددة وفارقها إلى مصر[١] اجتاز في طريقه بالمعرّة فأضافه أبو العلاء وبعث إليه ثلاثين درهماً مع قطعة بليغة في الاعتذار[٢] تدلّ على أنه لم يتمكن من اليسار. وذكر وروده في قطعة[٣] له إلى التنوخي أيضاً، وأن القاضي يُثني عليه. ثم إن القاضي توفي بمصر لأول ما وصلها. فذهب على بعض المستعربة[٤] أن سنة اجتيازه بالمعرة ٤٢٠هـ ولكن ذكر أشعار تنوخ في قطعته إلى التنوخيّ وذكر خمسين من عمره في قطعته إلى القاضي مما يقرّب المدة فلعله أقام بالشام بعد مفارقته بغداد أعواماً والله أعلم. ومر في فصل الحنين إلى بغداد[٥].

(٢) الشيخ أبو سعيد الخوارزمي الضرير أحمد بن محمد بن علي بن نمير المتوفى سنة ٤٤٨هـ، لقيه بالمعرّة بنية الحجّ كما مرَّ في فصل الرحلة إلى بغداد[٦].

(٣) أبو القاسم الوزير المغربي كان أقام بها في صِباه كما هو في ر[٧] الـ ١ وقد مرَّ.

(١) الوفيات ١: ٣٠٤.
(٢) س، ٢: ١٣٨.
(٣) س، ٢: ١٤٠.
(٤) د. س مرجليوث.
(٥) وللقاضي شعر من اللزوم أورده ابن الشيخ ١: ٢٧٤.
(٦) انظر ترجمته في الشافعية ٣: ٣٣.
(٧) ص: ٧.

(٤) أبو الحسن علي (أ و أبو الحسين محمد) بن عبد الواحد البغدادي المعروف بصريع الدلاء قتيل الغواني ذي الرقاعتين وكان ماجناً كان طلب من أبي العلاء حين اجتاز به في طريقه إلى مصر حيث توفي شراباً وما يليق به فسَيَّر إليه قليل نفقة أو نُزُل على ما في الضرام واعتذر بقطعة لامية[١]. وسماه صريع البين واحتال لتزيين اسمه وجهاً جيداً حيث زعم أنه فعيل بمعنى فاعل على المبالغة قال:

دُعيتَ بصارع فتداركته مبالغة فرُدّ إلى فعيل

وتوفي بمصر سنة ٤١٢هـ، وهي سنة قدومه بها. وله ترجمة في «الوفيات»[٢] و«الفوات»[٣] و«التتمّة». وسماه ابن الوردي في «تاريخه» ١: ٣٣٤ علي بن عبد الرحمٰن الفقيه المعروف بصريع الدلاء.

(٥) رئيس المنجّمين كان أقام بها كما قال في الغفران[٤].

(٦) الوزير أبو نصر المنازي ومر في أبواب بغداد. نقل الذهبي[٥] وابن خلّكان[٦] عن غَرْس النعمة قال: ثنا الوزير أبو نصر بن جهير ثنا أبو نصر المنَازِيّ قال: اجتمعت بأبي العلاء فقلت له: ما هذا الذي يُرْوَى عنك ويحكى. قال: حسدوني وكذبوا عليّ. فقلتُ على ماذا حسدوك؟ فقد تركت لهم الدنيا والآخرة. فقال: والآخرة!!! وجعل يكرّرها ويتألّم لذلك وأطرق فلم يكلّمه إلى أن قام. وهذا صريح في زيارته بعد الرجوع. ومرّ قبل زيارَته إياه قبل الرحلة وببغداد.

(٧) أبو يوسف عبد السلام بن محمد القزويني المعتزلي داعيتهم ٣٩٣ ـ ٤٨٨هـ كان مشغوفاً بِجَمع الكتب ذوات الخطوط المنسوبة. واجتمع لديه منها كميةٌ وافرة. وأهْدَى منها أعلاقاً إلى نظام الملك. والرجل صاحب حكايتين في الغَضّ منه والوقيعة في دينه. وهو كما يظهر من فحوى كلامه مِعَنّ مِفَنّ. وعِرِّيض مُعَنِّت مُعَنّ. حدّث[٧] أبو الكرم خميس الحَوْزي الواسطي حدثنا القاضي أبو يوسف القزويني قال:

(١) س، : ٣٤، وابن الوردي ١ : ٣٣٤.

(٢) ١ : ٣٥٩ وسياق الخبر هنا منه.

(٣) ٢ : ٢٣٧، ولكنه سماه محمداً وسميناه علياً كما في الوفيات وحسن المحاضرة. هذا ثم أني رأيت الثعالبي ترجم له في التتمة وسماه أبا الحسين محمد بن عبد الواحد القصار. قال: وهو بصري المولد والمنشأ إلا أنه استوطن بغداد. . . . ولما رأى سخف الزمان وأهله وميلهم من الكلام إلى هزله أخذ في طريق السخف ونزع ثياب الجد وتلقب بصريع الدلاء الخ.

(٤) ١٥٧. (٥) ١٣٢.

(٦) ١ : ٤٤، وصاحب الغيث ٢ : ٣٥ ـ وقد عزا الخضر الموصلي هذه الحكاية إلى أبي يوسف القزويني وهذا غلط منه فاضح، والرجل فيما علمت غير متثبت وقد نعى عليه البغدادي في الخزانة.

(٧) أدباء ١ : ١٧٢.

قال لي ملحد المعرّة: ما سمعتُ في أمر الحسين بن علي رضي الله عنه شيئاً يجب أن يُحْفَظَ. فقلت له: قد قال[١]: سواديّ من أهل بلادنا أبياتاً لا يقول مثلها تنوخ جدّك الأكبر (ثم أتى بخمسة أبيات على العين) قال (أبو الكرم) ولم يسمّ لنا قائلاً ا هـ. وقال[٢]: قال لي المعري: لم أهجُ أحداً قطّ. فقلت له: صدقتَ إلا الأنبياءَ. فتغير وجهه زاد الخضر الموصلي في الإسعاف (وقال: ما أخاف من أحد سواك) ـ أقول ولله درُّ من قال:

فعين الرضى عن كل عيب كليلةٌ ولكنّ عينَ السُّخْطِ تبدْي المساويا

وترجم له ابن السبكي وابن حجر واليافعي[٣] وقال: هذا أن له تفسيراً كبيراً في أزيد من ثلثمائة مجلّد.

(٨) أبو الحسن المختار بن بطلان المتطبّب البغدادي. قال القِفْطي[٤] كان يألف أبا العلاء وكان بالمعرّة إذ ذاك (يريدُ قُبيل موته) وله حديث في موته يأتي. ترجم[٥] له ابن أبي أُصيبعة والقِفْطيّ.

(٩) أبو الحسن علي بن القارح وسيأتي. كان أقام بالمعرّة قبلُ كما هو مصرح به في الغفران[٦]. ثم إنّه أظهر الحنين إلى لقائه في رسالته[٧] بقوله: والله لولا ضَعْفِي وعَجْزي عن السفر لخرجتُ إليه متشرّفاً بمجالسته ومحاضرته الخ. ولسنا ندري هل تسنّى له ما أراد. أم حالت دونه أمّ اللُّهَيْم أختُ النآد.

(١٠) أبو الحسن محمد بن سعيد بن سنان كما هو مصرح في ر[٨] الـ ٢٠.

(١١) أبو الخطّاب الجَبُليّ الشاعر. قال ابن الأثير[٩] مضى إلى الشام ولقي المعرّيّ وعاد ضريراً. ثم أورد له بيتين. وقد مرّ في باب أبي حمزة. وكان زاره[١٠] قبل رحلته إلى بغداد ومدح المعرّيّ فأجابه ببائية من السقط[١١]. توفي سنة ٤٣٩هـ[١٢].

---

(١) كان القزويني ينتحل مذهب الزيدية في الفروع.

(٢) أدباء ١: ١٧١.

(٣) ٣: ٢٣٠، اللسان ٣: ١٤٧، ٤: ١١.

(٤) (ذ): ٢٢٤.

(٥) انظر رسالته في رحلته إلى الشام في البلدان رسم حلب وغيرها وعند القفطيّ في الحكماء.

(٦) ١٨٤ و١٩٢.

(٧) ٢١١.

(٨) ص: ٥٥.

(٩) ٩: ٢٢٦. وترجم له الثعالبي في التتمة وسماه محمد بن علي.

(١٠) كذا في اختيار مختصر تاريخ الخطيب لابن جزلة (خط) ولفظه: سافر في حداثته (من العراق) إلى الشام وأجابه أبو العلاء عن شعر كتبه إليه مدحه به عند وروده معرة النعمان الخ.

(١١) ١: ١٥٣.

(١٢) ابن الوردي ١: ٣٥٠.

ياقوت: (٤: ١٤١) ذكر في ترجمة أبي سليمان الداودي الضرير أنه كان مولعاً بشعر أبي العلاء يحفظ منه جملة صالحة ولذلك كان الناس يرمونه بسوء العقيدة وتوفي سنة ٦١٥هـ. وجاء في نَكْت الهِمْيان ص ٢٩٧ في ترجمة مكّيّ بن شَبّة الماكسيني أنه كان يتعصّب لأبي العلاء المعري ويطرب إذا قرىء عليه شعره للجامع بينهما من الأدب والعمى لأنه أضر بأَخَرَة.

ولع الناس به وبنثيره ونظامه

قد افتتن الناس في احتذاء مثاله واتباع مقاله، ومرَّ بك جُملةٌ من الباب صالحةٌ. فواحد يتبعه في اللزوم وهو وإن سبق عهدَه إلا أنه لم يكن شيئاً مذكوراً، وهو أول من نبّه إليه وأنهض الهمم. وآخر يقتفيه ويقْرُوْ قريَّه في إنشاء الأسجاع في الزهد والنّسك كالزمخشري في الأطواق والكلم النوابغ والمقامات، وعبد المؤمن الأصفهاني في الاطباق. وآخر يضمّن أبياته شَغفاً بها وإعجاباً كالصَّفَدي[1] وكبلديّه الشيخ أبي حفص زين الدين عمر ابن الوردي فإنه تلاعب بشعره تلاعُباً وافتُتِنَ افتتاناً فضمَّن صدورَ رائيته[2] التي أوّلها:

يا ساهر البرق أيقِظْ راقدَ السَّمر

وبعضَ أعجازها أو الأبياتَ بتغيير يسير ونقلها في مدحه ﷺ قال جامع ديوانه: ولقد فاتت بشرف ممدوحها أصلها وكان عليه السلام أحقَّ بها وأهلها. وكالشرف ابن عُنَيْن والسراج الوراق[3]. وآخر ينسب إليه ـ إذ يعهده ملحداً ظريفاً ـ كلَّ ما يجده من باب الإلحاد مع أن الرجل بَراء منه كابن السُّبكي[4] وأبي الحسين الجَزّار[5].

---

(١) غيث ١: ٧٥ تضمينان.

(٢) وهي طويلة انظر ديوانه: ٢٠١ ـ ٢٠٤، والخزانة للحموي: ٣٨٢ ـ ٣٨٤، والديوان أيضاً: ٢٨٠، ووهم جامعه فعزا بعض تضمينات له لأبيات المتنبي إلى أبيات المعري انظر ٢٣١ و٢٧٥، وانظر تضميناً آخر له في تاريخه ٢: ١٨٨.

(٣) المعاهد: ٢: ٩٨.

(٤) حيث نقل في الشافعية ٣: ٩٧ بيتي ابن الراوندي وانظرهما في القاف من الفائت زاعماً أنهما للمعري. ثم قال: فقبحه الله ما أجرأه على الله. ثم ذكر نقيضتها.

(٥) قال:

وفي علم العروض دخلت جهلاً وعمت بخفتي في كل بحر

فأذكرني به التفعيل جهلاً (؟ بيتاً) تضمن نصفه الشيخ المعري:

مفاعلتن مفاعلتن فعولن حديث خرافة يا أم عمرو

مع أن المصراع حديث خرافة الخ لبعض مشركة قريش كما هو في كتب السيرة. المغرب لابن سيده ٤: ١٣٤.

ولكن العجب كل العجب فيما روى[١] ابن خلكان في تاريخه قال: حدثني من أثق به أن شخصاً قال له: رأيت في تأليف أبي (؟) العلاء المعري ما صورته: «أصلحك الله وأبقاك لقد كان من الواجب أن تأتينا اليوم إلى منزلنا الخالي لكي يحدث لي أُنسك يا زين الأخلاّء، فما مثلك من غيّر عهداً أو غفل» وسأله من أيّ الأبحر، وهل هو بيت واحد أو أكثر ـ فإن كان أكثر فهل أبياته على رويّ واحد أو مختلفة الرويّ ـ قال: ففكّر فيه ثم أجابه بجواب حسن قال ابن خلكان فقلتُ للقائل: اصبر حتى أنظر فيه ولا تقل ما قاله. فأجاب بعد حُسن النظر بما أجاب به عنه الرجل ـ وهذه الكلمات تخرج من بحر الرجز، وتشتمل على أربعة أبيات في روي اللام وهي على صورة يسوغ استعمالها عند العروضيّين ومن لا يكون له بهذا الفن معرفة ينكرها لأجل قطع الموصول منها ولا بدّ من الإتيان بها لتظهر صورة ذلك وهي:

أصـلـحـك الله وأبـقـاك لـقـد كـان مـن الـ
ـواجـبِ أن تـأتـيـنـا الـيـومَ إلـى مـنـزلـنـا الـ
ـخـالـي لـكَـيْ يَـحْـدُثَ أُنـسـك يـا زيـن الأخِـ
ـلاء فـمـا مـثـلُـك مَـن غَـيّـر عـهـداً أو غَـفَـلْ

واختلس الحريري في مقاماته قول أبي العلاء في بعض رسائله «إحاطة الهالة بالقمر والأكمام بالثمر» قال ابن الخشاب[٢]: هو بعينه قول أبي العلاء المعري في بعض رسائل حفظها ابن الحريري بعينها.

ملوك حلب لعهده وأمراؤها

لم أعثر على تاريخ مختص بحلب فالتقطت هذا الباب من تاريخ ابن القلانسي وابن الأثير وابن خلدون ومن صبح الأعشى وغيرها. وظنّي أن هؤلاء لم يمنحوا المعرّة من التفاتهم ما يذكر. على أنهم أغلفوا عدّة من وُلاة حلب أيضاً ـ كما سيأتي ـ.

كانت في حلب في نيابة بَدْر الأخشيدي والي دمشق ـ حتى انتزعها منه سيف الدولة بن حمدان سنة ٣٣٣هـ[٣]، وبقي بها حتى توفي سنة ٣٥٦هـ ثم أخذ فرعويه[٤] غلامه البيعة لابنه سعد الدولة أبي المعالي شريف، ثم تغلب على أمره سنة

---

(١) الثمرات بهامش المستطرف ١: ٧٨.

(٢) انتقاده على المقامات طبعة الحسينية سنة ١٣٢٦هـ. ص: ٨.

(٣) في الصبح ٤: ١٦٨ سنة ٣٠٣هـ، وهو تصحيف.

(٤) كذا هو في أكثر الكتب وفي قلا فرغوية، وفي خ: قرعويه وكذا عند أبي الفداء.

٣٥٨هـ وأخرجه من حلب إلى حماة ـ ثم وقع الاتفاق بينه وبين فرعويه على أن يخطب له بحلب ويخطبان جميعاً للمعز العلوي ـ ونزل[1] رقتاش التركي غلام سيف الدولة من حصن برزويه فلقي مولاه أبا المعالي ونزل حمص[2]، وشرع في عمارتها ولَمّ شعثها وكانت الروم أفسدتها فصار أمر أبي المعالي يقوى وشوكته تشتدّ. وكان فرعويه قد استناب غلامه بكجور في حلب. فلما قوي أمره قبض على مولاه، وحبسه في قلعة حلب وملك البلد وأقام تقدير ستّ سنين. وأظن أن في أيام بكجور كانت ولادة أبي العلاء. وكاتب أبا المعالي من حلب رجال فرعويه وأطمعوه في تملّك البلدة فنهض صوبَها ونزل على معرّة النعمان وأخذ منها غلاماً كان غلب عليها يقال له: زهير فقتله وسار عنها فنزل أبو المعالي حلب سنة ٣٦٦هـ فأقام عليه تقدير أربعة أشهر. ثم راسله بكجورُ. فطلب منه الأمان وأن يوليه حمص. فأجابه إلى ذلك ووفى. فسار إلى حمص وعمرها ووفر غَلاّتها وكان يكاتب العزيز صاحب مصر في أن يوليه على دمشق. ولما كانت سنة ٣٧٢هـ وقعت الوحشة بينه وبين أبي المعالي. فكاتبه أبو المعالي بأن يخرج من بلده. فراسل العزيزَ ثانية فولاه دمشق سنة ٣٧٣هـ. وكان كاتبه في تملّك حلب وأطمعه في ذلك. ثم كان من إخراجه من دمشق وفراره إلى الرقّة سنة ٣٧٨هـ وسؤالِه أبا المعالي أن يرجع إليه كما كان وخيبتِه ثم كتابته إلى العزيز وأطماعه إيّاه في حلب بإشارة وزيره المغربيّ على ما مرّ حكايته ما كان. وكان لؤلؤ الكبير غلام سيف الدولة يدبّر كل هذه الأمور لسعد الدولة. ثم إن بكجور أخلفه المخَايلَ وخانه كل من كان وعده بالنصر والانحياز إليه فأخذه سعد الدولة بعد أمور طويلة وقتله. ثم إن خليفة مصر بو نئذٍ العزيز قلّد حلب أبا علي بن مروان سنة ٣٨٠هـ ولكن لم يدخلها وبقيت بيد سعد الدولة حتى توفي بالفالج سنة ٣٩٣هـ، وفي أيامه بلغ صاحبنا من الشباب نهايته وبرع نابغاً حريصاً على العلم وبلغ عند موته ٣٠ عاماً ـ وعهد سعد الدولة إلى ولده أبي الفضائل[3] سعيد الدولة ووصّى به إلى لؤلؤ ـ ثم كان من إغراء الوزير المغربي العزيزَ بحلب وجرّه عليها عساكر مصريةً كثيفة واستنجادِ أبي الفضائل بالروم ما مرّ ذكره في أخبار الوزير المغربيّ العزيزَ بحلب وجرّه عليها عساكر مصريةً كثيفة واستنجادِ أبي الفضائل بالروم ما مرّ ذكره في أخبار الوزير المغربيّ، وهو الذي مدحه أبو العلاء بعدّة قصائد من س منها: اللامية وهي أول قصيدة فيه. ثم إنه غلبه على أمره أبو نصر بن لؤلؤ وخطب للحاكم وقال ابن خلكان[4] للظاهر بن الحاكم ولقّبه مرتضى الدولة ـ ثم فسد ما بينه ما فطمع

(١) أبو الفداء ٢ : ١٨٨ ما رقطاش وحصن برذية.

(٢) وكان لأبي المعالي. خ ٤ : ٢٤٦.

(٣) وفي الصبح ٤ : ١٦٨ أبو الفضل وهو تصحيف.

(٤) ١ : ٢٢٨.

فيه صالح بن مرداس الكلابي صاحب الرَّحْبة ومُقيم دعوة العُبيديين بها فدخل مع بني كلاب حلب سنة ٤٠٢هـ بعد أن رجع أبو العلاء من بغداد فأغلق ابن لؤلؤ عليهم الأبواب غَدْراً، وقتل كثيراً منهم وحبس آخرين ومنهم صالح. ثم إنه أعمل الحيلة في الهرب ونجا بنفسه وحشد الأعراب وحاصر حلب ٣٢ يوماً فخرج إليه ابن لؤلؤ وقاتلهم فهزمهم صالح وأسر ابنَ لؤلؤ. ثم إنه أطلقه بأموال جزيلة بذلها له. ثم إن فَتْحاً غلامه قوي أمره وراسَلَ الحاكم صاحبَ مصر فولاَّه صيدا وبيروت ونزل له عن حلب - وخرج أبو نصر بأنطاكية إلى الروم وصار كالقارظ العَنَزيّ لم يوقف له على أثر. وتسلّم حلبَ نُوّاب الحاكم حتى انتهت إلى نائب من نُوّابه يدعى عزيزَ الدولة فاتكاً أبا شجاع وكان رومياً كما قال ياقوت وابن العديم[١] أرمنياً وقال ابن الأثير: إنه عزيز الملك من الحمدانية ولعله وهم منه تبعه فيه ابن خلدون وأبو الفداء والقلقشندي. وأما لقبه: عزيز الدولة فقد ورد هكذا في رسالتين الـ ٢٤ والـ ٣٩ لصاحبنا وفي تاريخ ابن القلانسي مراراً[٢] وفي «معجم الأدباء»[٣] وفي «التتمة»[٤] وهؤلاء ليسوا مظنّة للوهم وقد حار بعض شُبّان العصر[٥] في أمره حيرة الضبّ فجمع بينه وبين النون. وعزيز الدولة هو الذي صنف له صاحبنا كتاب الصاهل والشاحج والقائف ثم شرحهما وهو الذي استدنى صاحبَنا إلى حضرته أبو نصر صَدَقَةُ بن يوسف الفلاحيُّ - فهضم صاحبنا نفسه واعتذر بالضعف والعجز في ر الـ ٢٤ إلى الفلاحيّ، فاقتنع العزيز على أبي الخير المفضَّل بن سعيد بن عمرو المصري الشاعر الملقّب بالعزيزي لاختصاصه بعزيز الدولة أبي شجاع فاتك. هذا لفظ الثعالبي في «التتمّة» وقد ترجم له. ثم إن الفلاحي وصل إلى مصر فأُرسِل صُحبةَ الدِزْبريّ سنة ٤١٩هـ في حملته على صالح بحلب ناظراً في الأموال ونفقة الرجال. ثم ارتقت به الحال فوزر للمستنصر الفاطمي بعد وفاة الجرجرائي وقُتل

(١) عن تاريخه بخزانة باريس ومعناه على - ما نقله مرجليوث: ٣١، أنه كان عبداً أرمنياً لمنجوتكين ومنجوتكين هو الذي أرسل بعساكر مصرية لحصار حلب سنة ٣٨٤هـ، وكان العزيز قلد ولاية حلب من الحاكم سنة ٤٠٧هـ.

(٢) ٧١ و٧٢، ٧٥.

(٣) ١: ١٨٧.

(٤) نسخة باريس الخطية وفي ترجمة المفضل بن سعيد.

(٥) صاحب (ذ): ٦٧ فإنه لم يعرفه في ولاة حلب وزعم أن اللامع العزيزي موسوم باسمه وقد غره في أن الوالي هو عزيز الملك قول ابن الأثير ثم رجح أن يكون ثمال بن صالح معز الدولة هو عزيز الدولة. وهذا كله وهم وتخليط مستشنع فإنا قد عرفناه والياً عليها من كتب مختصة المواضيع واللامع العزيزي منسوب إلى عزيز الدولة ابن ثابت بن ثمال بن صالح راجع أدباء ١: ١٨٨، ولم يسم أحد ثمالاً عزيز الدولة بل سموه معزها، وأما شكوى أبي العلاء من هرمه في نحو خمسين من عمره فليس ببدع منه فإنه أخذ فيها بعد الرجوع من بغداد.

بعد ثلاثة أشهر من تقلّد الوزارة سنة ٤٤٠هـ. والذي يظهر من الرسائل أن الفلاحيّ لعله فارق عزيز الدولة في حياته ـ وكتب خاله أبو القاسم والشيخ أبو الحسن علي بن عبد المنعم بن سنان إلى صاحبنا (انظر الـ ١٧ والـ ٢٠) في أمر أبي الحسن محمد بن سعيد بن سنان ليشفع له إلى حضرة عزيز الدولة حتى يولّيه بعض الأعمال فكتب[١] إلى الفلاحي المذكور. ويظهر أنه شُفّع ووُلّي ابنُ سعيد ثم إن صاحبنا ألف للعزيز الصاهل والشاحج فجاءه كتاب ابن سعيد هذا في أن يختصر أمثال كليلة ودمنة فأجابه بالـ ٣٦ أظهر فيها رضاه باختصار[٢] كليلة ودمنة. ثم نجد الـ ٤٠ إليه وهو منوط إليه الأعمال التي يقوم بها الوزراء وكان عزم على الحجّ فثبّط أبو العلاء عزيمته معتلاً باحتياج البلاد في هذه الحالة إليه إذ كان الروميون يُهاجمونهم على بغتة. ولابن سعيد هذا ولد يسمى عبد الله بن محمد شاعر وله كتاب في الصَدْفة، نقل عنه ياقوت[٣] فصلاً في معارضة المعري للقرآن وأورد له ابن عساكر[٤] شعراً وترجم له الكتبي[٥] وذكر ابن بطلان[٦] في رسالته إلى هلال الصابىء. قال ابن القلانسي[٧]: وفي سنة ٤٥٣ نُدب للمسير من حلب إلى القسطنطينية رسولاً من معز الدولة ابن صالح. ومات سنة ٤٦٦هـ مسموماً. ترجم له الباخرزي في الدمية[٨].

ثم إن عزيز الدولة قتله غلام له سنة ٤١٢هـ بمواضعة مع أخت الحاكم صاحب مصر لأنه كان عصى على الظاهر وكان خلف الحاكم. فوليها منهم عبد الله بن علي الكتاميّ المعروف بابن شعبان وكان أمر الفاطميين يضعف فاجتمع حسان أمير بني طيّىء وصالح بن مرداس أمير بني كلاب صاحب الرَّحْبة وسنان بن عليان وتحالفوا على أن يكون من حلب إلى عانة لصالح ومن الرَّمْلة إلى مصر لحسّان ودمشق لسنان. فسار حسان إلى الرملة فخرج منها أنوشتكين واستولى عليها ونهبها وقتل أهلها وذلك سنة ٤١٤هـ أيام الظاهر المصري وفيه يقول أبو العلاء. ل:

أرى حلباً حازها صالح وجال سنان على جِلّقا

---

(١) انظر ر، ص: ٥٥.

(٢) وهو القائف المذكور.

(٣) أدباء ١: ١٧٧.

(٤) ٥: ٣٧٣.

(٥) ١: ٢٣٣.

(٦) بلدان «حلب» وكان زارها نحو سنة ٤٤٠هـ ولفظه: وفيها حدث قد ناهز العشرين وعلا في الشعر طبقة المحنكين الخ، والحكماء للقفطي.

(٧) ٩١.

(٨) ١٣ من نسخة حيدر آباد، ويوجد اليوم ديوانه ببعض حواضر الشام.

وحسّان في سَلَفَيْ طيّيء ... يصرّف من عزّه أبلقا
فلما رأت خيلُهم بالغبار ... ثغاماً على جيشهم علّقا
رمت جامعَ الرملة المستضـ ... ـام فأصبح بالدم قد خُلّقا
أصاب الرملةَ الحدثانُ يوماً ... فخَصَّ وما يزال أخا اشتمال
والرملة البيضاء غودر أهلها ... بعد الرَّفاغة يأكلون قفارها

وقصد صالح حلب وبها ابن شعبان والياً من المصريين، فتملكها وملك من بعلبكّ إلى عانة وذلك سنة ٤١٤هـ كما قال ابن الأثير[١] وأبو الفداء وابن خلدون وقال ابن خلكان[٢] سنة ٤١٧هـ وهو وهم. وأقام بحلب ستّ سنين وحاصر المعرة سنة ٤١٧هـ، فكان ما كان مما سنذكره بعدُ. ثم إن الظاهر وَلّى أمير الجيوش أنوشتكين[٣] الدِّزْبِريّ[٤] دمشق ولقبه منتجب الدولة بالجيم[٥] وأصحبه صدقة الفلاحي المذكور فأوقع بصالح وحسّان بالأُقحوانة وفَلّ جموعهما وقتل صالحاً واحتزّ رأسه وذلك في جمادى الأولى سنة ٤٢٠هـ. ونجا ولده أبو كامل شِبْل الدولة نصر بن صالح فجاء وملك حلب وبقي بها إلى سنة ٤٢٩هـ. ذكر صاحبنا في الغفران[٦] وكان كتبه في أيامه سنة ٤٢٤هـ أن عبد المنعم بن عبد الكريم كان قاضي حلب إذ ذاك. ثم إن الدِّزْبِريّ صمد له مع العساكر المصرية وصاحب مصر يومئذٍ المستنصر فلقيه عند حماة وقتله في شعبان من السنة المذكورة وقبض الدِّزْبريّ على حلبَ وبقي بها حتى توفي في سنة ٤٣٣هـ. ولما كان على دمشق كان يوجّه إلى أبي العلاء بالسلام ويُحْفي المسألةَ عنه، فأراد جزاءه على ما فعل فعمل له شرف السيف في جزءين كما جاء في ثبت[٧] كتبه. وكان أبو علوان ثمال بن صالح الملقب بمعز الدولة بالرحبة فلما بلغه موت الدِّزْبريّ، جاء وتملك حلب وملكها في صفر سنة ٤٣٤هـ، فبقي بها إلى سنة ٤٤٠هـ وفيها[٨] كتب سيف الدولة مقلّد بن كامل بن مرداس وهو بكفر طاب إلى

(١) ٩: ٩٥، ٢: ١٤١، ٤: ٢٧٢.
(٢) ١: ٢٢٨.
(٣) أو نشتكين وانظر لمبدأ أحواله تاريخ ابن القلانسي: ٧١.
(٤) أو التبريزي بكسر فسكون كما ضبط أبو الفداء وابن خلكان.
(٥) لا بالخاء كما هو عند مرجليوث ص: ٣١.
(٦) ٥٨.
(٧) أدباء: ١: ١٨٦، وروى مرجليوث عن تاريخ ابن العديم بعدما ذكر أمر صالح سنة ٤١٨هـ، وفي العام القابل قبض على حلب فاتح وسأل قاصده عن أبي العلاء وعرج على المعرة في طريقه إلى حمص، ولا أدري ما أراد بالفاتح ولعله وقع منه وهم في فهم عبارة ابن العديم.
(٨) ابن الوردي ١: ٣٥١.

واليه بالمعرة أبي الماضي خليفة بن جيِّهان أن يخرّب سورها ويهدمه كله غير مواضع اعتنى بها. وصنع أبو العلاء لحفيده وسَمَّاه[١] الأمير عزيز الدولة وغرسها ابن تاج الأمراء أبي الدوام ثابت بن ثمال الخ كتابه اللامع العزيزي في تفسير شعر المتنبي ويسمى معجز أحمد أيضاً. ثم إن المصريين حاربوه فهزمهم ثم أصلح أمره معهم لمَا ضَجِرَ وأرسل إليهم هدايا ونزل لهم عن حلب. فأنفذوا إليها أبا علي الحسن بن علي (ابن ملهم) ولقَّبوه: مكين الدولة فتسلَّمها من ثمال في ذي القعدة سنة ٤٤٩هـ، وفي ربيعها الأول قد كان مات أبو العلاء. وكاتب أهلُ حلب محمود بن شِبْل الدولة، نصر بن صالح ليُسلّموا إليه البلد وكان منهم على مسير يوم وحاصروا ابن ملهم، فجاء محمود في جمادى الأخرى سنة ٤٥٢هـ ودخل حلب ووزيره صاحب الخبر الآتي عمَّا قريب إن صحّ وله في محمود بيت نذكره. ولكنك ترى أن محموداً لم يتملّكها إلا بعد وفاة صاحبنا. ثم كان من حروبه المتوالية مع المصريين ما سرده المؤرّخون إلى أن وافاه أجله بحلب سنة ٤٦٨هـ وأوصى بها لابنه الصغير ولكن أهل حلب استصغروه فسلّموا البلد إلى ولده الأكبر نَصْر بن محمود وكان كريماً ممدَّحاً وأفضل مدَّاحه من الشعراء: أبو الفتيان ابن حَيُّوس الشاعر الذي ترجم له ابن خلكان[٢].

هذا ما بلغنا إليه من التواريخ التي وصلتنا. ولكن الحاجة إلى تاريخ خاص بحلب ماسّة بعدُ، فإنا نجد في ثَبَت كتبه[٣] رسالة سمَّاها السَّنَديّة وهي في جزء. وروى بعض العصريين[٤] أنه عملها لسند الدولة الذي كان نقل من أفامية إلى حلب والياً عليها سنة ٤١٤هـ فالعُهدة عليه فإنَّا لم نجده في وُلاتها. ونجد فيه بعض كتب صنعها لأمراء لم يسمِّهم كتضمين الآي وعبث الوليد أو سماهم كالرياش المصطنعي عمله للأمير مصطنع الدولة أبي غالب كليب بن علي ولكن لم يتصل بنا أخبارهم.

قضاء الحاجات

لما علم الناس بما له من الخطر والقَدْر والمنزلة في نفوس أمراء العصر. أسأموه بالاستشفاع في قضاء الحاجات. وأبرموه بالاستنجاد في تحقيق الطَّلبات، ويظهر من الـ ٣٠[٥] أن لم يكن هو مخصوصاً بذلك بل إن أخاه الأكبر أبا المجد كان يتقيّل آثار

(١) أدباء ١ : ١٨٨.
(٢) ٢ : ١٠.
(٣) أدباء ١ : ١٨٨.
(٤) مرجليوث: ٣١. عن ابن العديم.
(٥) ص: ١١٢.

آبائه في الكرم. ومَنْ يُشابهُ أبَه فما ظلم. قال: «وأما سيدي أبو المجد فشغله من قلّة الفائدة يكاد يمنع نومه، وينتظم ليلتَه ويومه. فأما نهاره في أشغاله فكأنه سلِك قَصُر، في نظام كَثر، وإنّما عامة ذلك في حاجة من ليس له شكر مسموع، ولا في معونته إن شاء الله أجر مرفوع». وكذا أخواله فقد كتب[١] إلى أبي طاهر «ولو ادّعيتُ المروأة لزعمتُ أني تعلّمتُها من آل سَبيكة كثرهم الله». وصرّح في أخرى إليه أن أسفاره للمتاجر ليست إلا لمعونة الآخرين وإلا فإن الله أغناه بالكفاف عن تجشيم ذوات البُرين. وهذا لفظه[٢]: «وإنّ مروّته تغلب حاله، وتجشّمه السفر وارتحاله».

فلم يكونوا يُخَلُّونه في وحدتِه. بل يُخِلّون بعُزلته. فيستشفعون به إلى بعض أولياء السلطان فيتكلّف لهم ذلك بكرم خِيْمه وطيْب نجاره فيرجعون بتحقُّق الحاجة وإنجاح السُّؤل وقضاءِ المأمول شاكرين ليده التي أسداها. أو كافرين لصنيعته التي عاناها. وقد عقد الصاحب ابن العديم الباب العاشر من كتابه في حُرمته عند الملوك والخلفاء والأمراء والوزراء أطال فيه وأوفاه حقّه من العناية. كما أن الرؤساء كانوا يتقاضَوْنه يداً بيد أن يجيز[٣] لهم أبياتاً يَعْرضونها أو ينشىء شعراً على أغراضهم[٤]، أو ألسنتهم أو يَسِم كتاباً بأسمائهم[٥] وهو جُهْدُ المُقِلّ وبِضاعة المُدْقِع. مع أنه كان يُبدي لهم براءتَه من العلم[٦] ويعتذر بالكِبَر ويُظهر التبرّم والضَجَر. وأنّ ليست هاتيك العلوم مما يُغني عنه في العقبى قُلامةَ ظُفُر.

فسترى أنه شفع إلى صالح لبني وطنه فعاد مشفَّعاً ورجع محفوفاً بالإكرام مُشيَّعا.

ومن الباب ر الـ ٣ إلى بعض أولياء السلطان يشفع في صديق له كان عاملاً يُعرف بالحسين بن عَنْبَسة بن عبد الله، ويظهر من فحواها أنه كان تقدّم له ترسُّلٌ إليه في هذا الغرض. إذ شكر فيه من أبي فلان وأنه لولا المُراسَل إليه لم يَسْلم: وأنه لا يزال هو وأهله داعين لوليّ نعمتهم ويُبدي له انحيازه إليه وأنهما رضيعا لبان وفرسا رهان. ثم يطلب منه أن لا يزال يُسْعِد الرجل بآرائه حتى يتمكن على الرجوع إلى وطنه وسَكَنه. وزعم بعض أهل الغرب[٧] أنها رسالة سياسيّة لرجل نُفِي من وطنه وأن ر الـ ٤ تدلّ على أن أبا العلاء شُفّع ولكنا لا نتمكّن بالجزم في الباب. على أن الغربيّين

(١) ص: ٤٤.
(٢) ص: ٤٣.
(٣) س، ١: ١٨٧.
(٤) تقاضاه بعض الأمراء أن ينشىء قصيدة تهنئة بالعرس وانظر س ١: ١٤٧.
(٥) كتضمين الآي والرياش وغيرهما ومر شرحه آنفاً.
(٦) انظر ر الـ ٣٦، وطرفي الملائكة الأول والآخر.
(٧) مرجليوث: ٣٢.

لِلَهَجِهِم بالسياسة لو طَنَّتْ ذُبابةٌ على رؤوسهم لزعموها إمَّا لهم وإمَّا عليهم. ور الـ ٤ إن ثبت لها علاقة بأختها السابقة فإنها تدل على إنجاح المرام وإسعافه بمأموله. أظهر فيها أن المراسَل به جمَل أمرَ جماعة بحضرة رئيس ولم يُسَمِّ الثلاثة.

ومنه كتابه في أمر ابن سعيد وكان من بيت ابن سِنان القاطنين بحلب إلى عزيز الدولة ـ وكان صاحبنا يَبْذُل لآل سنان نخيلةَ صدره ـ فذكر أن القاضي أبا جعفر (؟) لا يمكنه أن يعزم على السلطان وإنما المأمول في الحاجة أبو نصر [صَدَقة الفلاحيّ] ور الـ ٣٦ تظهر أنه شُفع فيه فَتدرّج ابن سعيد إلى الوزارة أو ما يضاهيها، وتقدم إلى صاحبنا برغبة صاحبه عزيز الدولة في اختصار كليلة ودمنة وأمثاله على ما مر كله آنفاً. ور الـ ٤٠ تصرح بما ناله ابن سعيد من المقام الرفيع وثبط فيها من عزيمته على الحجّ زاعماً أن إقامته بحلب وهي من الثغور يُرْجَى به أضعافُ ما في الحج من الأجور.

ور الـ ٣٢ إلى مجهول في استطلاق محبوس والصَّفْح عن جنايته.

ور الـ ٣٣ إلى قاض في مثله من الأغراض.

وله دالية من س[١] وكان أبو عبد الله ابن السقاء الكاتب سأله أن يعمل قصيدة إلى صاحبه يصف له فيها ما شاهد منه من الوفاء والإخلاص.

هو وصالح بن مرداس الكلابي

قال أبو غالب بن مهذَّب المعري[٢] ومرّ في التلامذة في تاريخه في سنة ٤١٧هـ[٣]، صاحت امرأة [حامل] يوم الجمعة في جامع المعرّة وذكرت أن صاحب الماخور[٤] أراد أن يغتصِبها نفسها. فنفر كل من في الجامع وهدموا الماخور وأخذوا خشبه ونَهَبوه. وكان أسد الدول [صالح] في نواحي صَيْدا فوصل الأمير أسد الدولة فاعتقل من أعيانها سبعين رجلاً؛ وذلك برأي وزيره تادرس[٥] بن الحسن الأستاذ النصراني وأوهمه أنّ في ذلك إقامةً للهَيْبة. قال: ولقد بلغني أنه دُعي لهؤلاء المعتَقَلين

(١) ١: ١٧٤.

(٢) أدباء ١: ٢١٥.

(٣) كذا في الأدباء وأراه الصواب ونقل مرجليوث: ٣٣ عن الوافي للصفدي عن أبي غالب المعري أن ذلك سنة ٤١٧هـ ولكن سفارة أبي العلاء وخبره مع صالح وقعا سنة ٤١٨هـ كما عند ابن الوردي أيضاً ١: ٣٣٨، وروى في (ذ) ص: ٦١ قولاً ثالثاً وهو أنه وقع سنة ٤١٩هـ ولا أدري من أين؟ والقول ما أثبتناه في المتن.

(٤) مجمع الفساق والخمارين معرّب مي خور فارسية بمعنى شارب الخمر. وقيل: عربية لتردد الناس به من مخر السفينة كما قاله ثعلب وجمعه مواخير ومواخر.

(٥) Theodore.

بآمِدَ وَميّافارِقِيْنَ على المنابر. وقطع تادرسُ عليهم ألفَ دينار. وخرج الشيخ أبو العلاء المعرّيّ إلى أسد الدولة صالح وهو بظاهر المعرّة وقال له: «مولانا السيّد الأجلّ أسد الدولة ومقدَّمُها وناصحها كالنهار الماتع اشتدَّ هجيرُه وطابَ أبرادُه، وكالسيف القاطع لان صفحهُ وخَشُنَ حَدّاه. خذ العفو وأمر بالعُرْف وأعرض عن الجاهلين». فقال صالح: قد وهبتُهم لك أيُّها الشيخ. ولم يعلم أبو العلاء أن المال قد قُطع عليهم وإلا كان قد سأل فيه. ثم قال الشيخ أبو العلاء بعد ذلك شعراً وهو[١]:

تغيّبت في منزلي بُرْهةً ستيرَ العيون فقيدَ الحسد
فلما مضى العمر إلاّ الأقل وحُمَّ لروحي فراقُ الجسد
بُعثتُ شفيعاً إلى صالح وذاك من القوم رأيٌ فَسَدْ
فيَسْمَعَ منّيَ سجع الحمام وأسمعَ منه زئيرَ الأسد
فلا يُعْجِبَنّيَ هذا النفاق فكم نفّقتْ مِحْنَةٌ ما كَسَدْ

وسياق أبي غالب صحيح لا غبار عليه ويوافقه ما يأتي من أبيات أبي العلاء الرائية. وقال القِفْطيّ[٢] ما ملخّصه: وجدتُ على ظهر كتاب ديوان الأعشى في مدينة قِفْط في سنة ٨٥ (يريد ٥٨٥هـ): حُكي أن صالح بن مرداس صاحب حلب نزل على معرّة النعمان مُحاصِراً لها ونصب عليها المناجيق، واشتدّ في الحصار لأهلها فجاء أهل المدينة إلى الشيخ أبي العلاء لعجزهم من مُقاومته لأنّه جاءهم بما لا قِبَلَ لهم به. وسألوا أبا العلاء تلافيَ الأمر بالخروج إليه بنفسه وتدبير الأمر برأيه إمّا بأموال يَبْذُلونَها أو طاعة يُعْطُونها. فخرج ويده في يد قائده وفتح له باباً من أبواب معرّة النعمان وخرج منه شيخ قصير يقوده رجل. فقال صالح هو أبو العلاء فجيئوني به. فلما مَثَلَ بين يديه سَلَّم عليه ثمّ قال الأمير: أطال الله بقاءه كالنهار الماتع قاظ وسطه وطاب أبرادُه. أو كالسيف القاطع لان متنُه وخشن حدّاه. خذ العفو الآية. فقال صالح لا تثريب عليكم اليوم قد وهبتُ لك المعرّة وأهلها وأمر بتقويض الخيام فنُقضت ورحل. ورجع أبو العلاء وهو يقول[٣]:

تَجّى المعرّةَ من بَراثن صالح رَبٌّ يُعافِي كلَّ داء مُعْضِل

---

(١) ل، ١: ٣٤١.

(٢) أدباء ١: ٢١٥.

(٣) ل، ٢: ٢٠٢ وقبلهما:

آليت أرغب في قميص مموّه فأكون شارب حنظل من حنظل

الحنظل الثاني: الماء المجتمع في نقر الصخور.

ما كـان لـي فيـهـا جَنـاحُ بـعـوضـة ألـلَّـهُ أَلْـحَـقَـهـم جَـنـاحَ تَـفـضُّـلِ

ا هـ.

وعند الذهبي[(١)] عن القفطيّ أيضاً زيادةٌ وهي بعد قوله: قد وهبتُها لك ثم قال له: أنشدنا شيئاً من شعرك لنرويه فأنشده بديهاً أبياتاً فيه ا هـ، فأنت ترى أن سياق القِفطي لا يخالف ما مرَّ ولا ما سيأتي في شيء غير أنه أوضح بعض زوايا الحكاية مما لم يكن في إهمالها نقصٌ ما. وذكر أبو العلاء هذه القصّة على ما مرّ في لزومه فقال:

أتت جـامـعٌ يـوم الـعَـروبـة جـامـعـاً تَقُصّ على الشُّهّاد بالمصر أمرَها
فإن لـم يـقـومـوا نـاصريـن لـصوتـهـا لـخِـلـتُ سـمـاءَ الله تُـمْـطـر جَـمْـرَهـا
فـهَـدّوا بـنـاءً كـان يـأويْ فِـنـاءَه فـواجرُ ألـقـتْ لـلـفـواحش خُـمْـرَهـا
وزامـرةٌ لـيـسـت مـن الـزُّبْـد خَـضّـبـت يـديْـهـا ورِجْـلَـيْـهـا تـنـفُّـق زمْـرَهـا
أَلِـفـنـا بـلادَ الـشـام إِلْـفَ ولادة نُلاقِيْ[(٢)] بها سُوْدَ الخطوب وحُمْرَها
فـطَـوْراً نُـداري مـن سُـبـيـعـة لـيـثَـهـا وحـيـنـاً نُـصـادي فـي ربـيـعـة نُـمْـرَهـا
وَدِدت بـأنّـي فـي عَـمـايـةٍ فـاردٌ تُـعـاشـرنـي الأروى فـأكـرَهُ قُـمـرهـا
فـإنـي أرى الآفـاق دانـت لـظـالـم يَـغُـرّ بـغـايـاهـا ويـشـرب خـمـرهـا
ولـولا أصـول فـي الـجـيـاد كـوامـنٌ لـمـا آبـت الـفـرسـانُ تَـحْـمَـدُ ضُـمْـرَهـا

ولعل البيتين الأخيرين ينظران إلى تادرس الوزير. فإنه لم يهْجُ صالحاً. ولمّا ودّه صالح بالإكرام وإنجاح المرام لَهِج به في شعره فقال: ل:

مـا لُـمْـتُ فـي أفـعـالـه صـالـحـاً بـل خِـلْـتُـه أحـسـنَ مـنـي ضـمـيـرْ
يـا قـومِ لـو كـنـتُ أمـيـراً لـكـم ذمـمـتـم فـي الـغـيـب ذاك الأمـيـر
وإنـمـا سـائـسـكـم دائـبٌ يـرعـى الـمـطـايـا ويـسـوق الـحـمـيـرْ
يـامـحـلّـي عـلـيـك مـنـي سـلام سـوف أمْـضـيْ ويَـنْـجَـزُ الـمـوعـودُ
لـيـت شـعـري عـمّـن يـحُـلّـك بـعـدي أقـيـامٌ لـصـالـح أم قُـعـود
لا مُـلك لـي وأرى الـدنـيـا تـحـاصـرنـي ومـا حـجـجـتُ وقـد لاقـيـت إحـصـارا
تـنـكّـر صـالـح فـضـبـابُ قـيـس ضِـبـابٌ يـتّـقـيـن مـن احـتـراش
أَحَيَّ كـلاب قـد رعـى الـنـبـتَ قـبـلـكـم فـريـقٌ وشـامـوا فـي حـنـادسـهـم بَـرْقـا

(١) ١٣٠.
(٢) وفي الأصل: تلاقي وهو تصحيف.

وزعم بعضهم(١) أن المؤرخين مختلفون في القصّة اختلافاً كثيراً، ولم يستطيعوا أن يجزموا بمصدرها أو نتيجتها ولا علّة لذلك إلا أنهم لم يدرسُوا ل فإنَّ أبا العلاء بيّن فيه الواقعة وسمى المرأة جامع (؟) فلو أنهم قرأوه لما اضطربوا ا هـ ملخَّصاً. وكلّ هذه القعقعة تمهيد لاكتشاف الرائيّة المارّة فإنه حاز فيها فضل السبق. إلاّ أننا لم نر حرفاً واحداً يكون مصدر اختلاف لهم ولا نَنْبزهم بالجهل عن ل وهم هم. ولم يسمّ أبو العلاء المرأة جامعاً وإنما الجامع كل حامل(٢) من النساء.

وأما الأبيات التي أنشدها صالحاً فقال بعضهم(٣): إنها الرائيّة المارّة وأراه غلطاً منه فإن صاحبنا لم يكن سوء الأدب بلغ به إلى أن ينشد صالحاً بديها على وجهه «فإني أرى الآفاق دانت لظالم.. البيتين» وإن كان ذلك تعريضاً بوزيره. ورأيت في ل أبياتاً وحَرَى أن تكون هي هي. وهي:

يا صالحُ اجعلْ وصفَ شخصك واسمَه ... مِـثْـلَـيْـن إنـك فـي بـحـارك مـاهـرُ
مـا فِـضّـة الإنـسـان إلاّ فَـضّـة ... والـتـبـر تـتـبـيـر ـ وجَـدّك ظـاهـر
والـدُّرّ دَرّ لـلـهـمـوم وتُـسِـرُّه ... إن الـجـواهـر بـالأذاة جـواهـرُ(٤)

هو وابن القارح دوخلة(٥) سنة ٤٢٤هـ
وابن المهذب نحو سنة ٤٣٥هـ

هو علي بن منصور كما في الغفران(٦) ابن طالب الحلبي أبو الحسن الملقّب دوخلة. وقال في رسالته(٧): إنه كان يدرس على ابن خالويه بحلب، ولما مات سافر إلى بغداد ونزل علي أبي علي، وكان يتردد إلى علمائها إذ ذاك كأبي سعيد السيرافي

(١) صاحب (ذ): ٢٠٩ و٢١١ و٦١.
(٢) كما في المستدرك على القاموس من التاج.
(٣) صاحب (ذ): ٦٢.
(٤) من الجهار بمعنى العلانية.
(٥) ونقل البديعي فصلاً من كلامه يدل على سعة مداركه ١: ٤١٦ وأما دوخلة فإني وجدته في الأمثال البغدادية للطالقاني بعد برهة ولفظه تحت رقم ٢١٢: «خذ من عقله في دوخلة» مثل للأحمق، والدوخلة من خوص منقّبة لا يبقى فيه شيء كثيف ا هـ وفي مثل آخر رقمه: ٢٦٧: «سركم عنده في دوخلة، مثل لمن يفشي أسرار الناس.
(٦) ١٨٤.
(٧) ٢٠٨.

والرُّمَّاني والمَرْزُبَاني وأبي حفص الكتاني ـ قال ابن عبد الرحيم[١] شاهدناه ببغداد راوية للأخبار حافظاً لقطعة كبيرة من اللغة والأشعار قؤوماً بالنحو. وكانت معيشته التعليم بالشام ومصر. كان آخر عهدي به بتكريت سنة ٤٢١هـ[٢] ثم توجه إلى الموصل وبلغتني وفاته من بعد، وكان يذكر أن مولده بحلب سنة ٣١٥هـ، ولم يتزوج ولا أعقب ا هـ المقصود. وأما توجّهه إلى الموصل فقد ورد ما يدل على رسالته وفي الغفران أيضاً. ولكن قوله في الوفاة مُوْهِمٌ فإن أبا العلاء بعث إليه غفرانَه سنة ٤٢٤هـ كما صرّح بذلك فيه[٣]. وأما قوله: إنه لم يتزوّج فهو كما قال إلاّ أنه ذكر في إقامته بحلب أمر التزويج على[٤] ما تحدَّث به بعض الطُلاَّب لأبي العلاء فرجّح صاحبُنا له البِكْرَ على الثيِّب لولا أنه يحتاج إلى مُعينٍ في ضَعفه فأشار عليه بالعَوان. وأدَّبَ أبا القاسم المغربيّ بمصر وله فيه أهاجيُّ ثم أدَّب ولدَيْ الحسين بن جوهر القائد[٥].

ولما رآه أبو العلاء يبحث عن مكنون علمه ويستنبط، ألقى إليه مقاليد معارفه كما قيل: «أكرمت فارتبط»، وبَثّ له عُجَرَه وبُجَرَه. وأراه حجوله وغُرَره. مع أن له عِدّة طوال الرسائل والرِّقاع. إلى النابهين من علماء الأصقاع والبِقاع. ولكن أحداً لم يتمكّن من استخراج خبيء علمه المصون. تمكُّن دوخلة منه في استنباط العيون.

وتطرّف إلى ذكر المتنبي ودعواه النبوّة وسائرِ الزنادقة والملاحدة. والدهرية والجاحدة. قال ولكني أغتاظ على الزنادقة والملحدين الذين يتلاعبون بالدين ويرومون إدخال الشُّبَه والشكوك على المسلمين، ويتسعذبون القدح في نبوّة النبيّين صلوات الله عليهم أجمعين، ويتطرفون ويبتذؤون إعجاباً بذلك المذهب تيه مغنّ وظرف زنديق[٦]. ثم ذكر كثيراً من مثالبهم ومصايرهم. ومواردهم ومصادرهم. فكأنّه استورى بذلك زَنْدَ صاحبنا وقَدَحه. فرأى عنده من أخبارهم ما بَهَرَه به إذ شرحه. وأتْرَعَ منه مزادته وقَدَحه. فلم يُطق حمل ما ناء به إذ فَدَحَه.

وأما ابن المهذب فهو جعفر بن علي بن المهذب لم نعلم فيه إلاّ أنه رثاه

(١) أدباء ٥: ٤٢٤.

(٢) وفي طبعة الأدباء سنة ٤٦١ وهو تصحيف من ناشره في إبدال أسماء الأعداد بالأرقام، فإنه يلزم على هذا أن يكون بلغ من العمر نحو ١١٥ سنة، ومستدلنا ما نقله محمد محمود الشنقيطي في أول الغفران عن الأدباء وفيه في سنة الوفاة ما أثبتنا، ولفظ البغية وقد أخذ الترجمة عن ياقوت وكان حياً سنة ٤٢١هـ.

(٣) ١٤٩.

(٤) الغفران: ١٧١.

(٥) رسالته: ٢٠٨.

(٦) من أمثال المولدين انظره في كتابنا معجم الأمثال.

صاحبنا[١] بتأبينة من خيرات التآبين وحسانها وجيادها لا هجانها ذكر فيها أخاً للميّت وخمسة أولاد له. وذكر بعضُ العصريّين[٢] أنه أحد فقهاء المعرّة وأدبائها المشهورين وتوفي نحو سنة ٤٣٥هـ والعُهدة عليه.

ناصر خُسرو العلوي
الحكيم الفيلسوف

يوجد اسمه في أول رحلته هكذا أبو معين [الدين] ناصر بن خسرو القبادياني المروزيّ وقباديان قرية حوالي مَرْوَ وسكن بلخ. وأهل العصر يرتابون في كونه علوياً. وانفصل في رحلته عن مَرْو سنة ٤٣٧هـ، واجتاز بقزوين وتبريز وميّافارقين وحرّان إلى حلَب ثم وصل لـ ١٣ مضين من رجب الفرد سنة ٤٣٨هـ[٣] بمعرّة النعمان، وانفصل منها لمنتصف رجب. فلم يلبث إلاّ نحو يومين ولم يلق أبا العلاء بنفسه، وروى ما سمعه فيه من الأخبار مما نقلنا كلّه في مظانّه. واجتاز في طريقه بمصر وذكر من أبّهة المستنصر وعظمته ما رآه بعينيه، ويوجد له عدة قصائد فارسية في مديحه وهناك اعتنق مذهب الفاطميين وأخذ على نفسه أن يكون داعية لهم بإيران وحجّ ثلاث حَجّات ورجع إلى مصر ثم إنه ودّعها وحجّ رابعة سنة ٤٤٢هـ، ثم رجع على طريق تهامة واليمن إلى الأحساء وشاهد القرامطة ولقيهم ويظهر أنه كان هواه معهم ثم وصل البصرة سنة ٤٤٣هـ ومنها إلى أصفهان أول سنة ٤٤٤هـ منها إلى بلخ في جمادى الآخرة حيث لقي أخويه أبا سعيد وأبا الفتح عبد الجليل.

فألقت عصاها واستقرّ بها النوى كما قرّ عيناً بالإياب المُسافِرُ

وكان متفلسفاً حكيماً له في علم الكلام كتاب زاد المسافرين. وله عدة كتب أخرى أكثرها منظومة. وكان أخذ بعد الرجوع في بثّ دعوة العبيديين ببلاده فنُفي منها بأمر الخليفة العَباسيّ ولكنه لم يزل يدعو إليهم باقي حياته.

هو وداعي الدعاة الفاطمي

هو على ما سماه ياقوت[٤] أبو نصر هبة الله بن موسى بن أبي عمران. وورد في

(١) س، ٢: ٢.
(٢) هو شارح المجاني ١٢٤٩.
(٣) لا سنة ٤٢٨ كما زعم صاحب (ذ): ٢١٥ والعجب أنه أقام على أساسها صروحاً.
(٤) أدباء ١: ١٩٥.

عنوان «مختصر الرسائل» الدائرة بينه وبين المعري الموجود ببعض الخزائن[١] الداعي في الدين عصمة المؤمنين[٢] أبو نصر هبة الله. وورد في الخِطَط[٣] ذكر قبر باسم هبة الله بن موسى العجميّ والظاهر أنه هو. وكان هذا الرجل إمامياً داعياً إلى مذهب الفاطميين كما قال ابن حجر[٤]. وتمام اسم هذا المنصب على ما في صبح الأعشى[٥]: «داعي الدعاة بالبراهين الظاهرة إلى استعلام الحقائق». وفيه[٦] أيضاً أن هذا المنصب كان عندهم عالي المرتبة.

وأما هذه الرسائل الدائرة بينهما فإنها لهما حقاً لا مجال للريب فيه، فقد ذكر غرس النعمة[٧] وقوعها بينهما ولكنه كنى الداعي برجل ولفظه لقيه رجل فقال له: لِمَ لا تأكل اللحم؟ قال: أرحم الحيوان. قال: فما تقول في السباع التي لا طعام لها إلاّ لحوم الحيوان، فإن كان لذلك خالق فما أنت بأرأف منه. وإن كانت الطبائع المُحْدِثَة لذلك فما أنت بأحذق منها ولا أتقن عملاً فسكت ا هـ. وقد ذكرها[٨] ابن الهبارية أيضاً في فَلَك المعاني له.

وورد فيها أنّه ترك اللحم حين بلغ ثلاثين عاماً. وفيه تصديق لقول ابن حجر[٩] المارّ أنه بقي في صنعاء سنة لا يأكل اللحم، وأنه مضى على تركه له ٤٥ عاماً. أي إن بدء الترسل حين بلغ ٧٥ عاماً من عمره وفي سنة ٤٣٨هـ. وكانت مراسلته من حلب كما صرّح به[١٠] لا من مصر كما ذهب على بعض العصريّين[١١]. وتقدم الدّاعي ـ لما كتب إليه صاحبنا أن إضرابه عن اللحم لضيق ذات يده ـ برغبته في أن يكتب (بل كتب) إلى تاج الأمراء حتى يُدِرّ له من الرزق ما هو حظ مثله من ألذّ الطعام. وهذا التاج هو أبو الدوام[١٢] ثابت بن ثمال بن صالح بن مرداس الذي عمل لابنه عزيز الدولة

(١) خزانة ليدن انظر فهرستها ١ : ٢٩٦ وفيها له إلى أبي العلاء خمس رسائل (وهذا عدد رسائلهما جميعاً) جمع معاهن في هذين الجواب والخطاب ثم أوردهما من كتاب جمهرة الإسلام ذات النشر والنظام للشيزري الذي ذكره ابن خلكان ١ : ٢٣٨.

(٢) وردت هذه الكلمة في رسالة أبي العلاء إليه (أدباء ١ : ٢٠٤).

(٣) ١ : ٤٦٠.

(٤) اللسان ١ : ٢٠٧.

(٥) ٦ : ٤٨.

(٦) ٩ : ١٨.

(٧) أدباء ١ : ١٧٠، واللسان ١ : ٢٠٦.

(٨) أدباء ١ : ١٩٤ وذلك المعالي تصحيف ومنه نسخة بجامع أيا صوفيا وعدده في دفتره المطبوع سنة ١٣٠٤هـ ٤١٥٧.

(٩) ١ : ٢٠٤ اللسان.

(١٠) أدباء ١ : ٢٠٩.

(١١) صاحب (ذ): ٦٩ ومرجليوث: ٣٩، والمجلة ج ٣، ص: ٣١٤.

(١٢) أدباء ١ : ١٨٨، فلعله كان مقيماً عند أبيه ثمال صاحب حلب (٤٣٤ ـ ٤٤٠) إذ ذاك على ما مر.

وغَرْسِها صاحبُنا اللامعَ العزيزيَّ. وكان جُلّ آل مرداس متشيّعين إذ ذاك كما مرّ لنا ذكره في باب الحكام. وذكر ابن الوردي أن سعد الدولة أبا المعالي زاد سنة ٣٦٩هـ في الأذان: «حيّ على خير العمل»، وهذا على أن ابن بطلان صرّح في رسالته إلى غرس النعمة[١] أن الفقهاء كانوا يفتون بحلب نحو سنة ٤٤٠هـ على مذهب الإمامية. وليس التاج هذا صدقة الفلاحي[٢] فإنه كان إذ ذاك مخيّماً بمصر مرتبكاً في مضايق السياسة فتولّى الوزارة للمستنصر سنة ٤٤٠هـ وبقي ثلاثة أشهر وفيها قتل[٣].

هو ووزير[٤] محمود بن نصر بن صالح

يسلك محمود وأمثاله   طريقَ خاقانٍ وكُنْدَاج

روى سبط ابن الجوزي[٥] في «مرآة الزمان»: قال الغزالي: حدثني يوسف بن عليّ بأرض الهركار [التي بنبات أرضها خواصّ عظيمة نذكر نبذاً منها في أماكن (؟) هذا الكتاب وشيئاً في كتاب السلسبيل قال يوسف شيخ الإسلام] دخلت معرّة النعمان وقد وشى وزير محمود بن (؟) صالح إليه بأن المعري زنديق (برهمنيّ سر) لا يرى إفساد الصور ويزعم أن الرسالة تحصل بصفاء العقل. [ولم يزل الوزير جاهداً حتى حمل الملك على أن] فأمر بحمله إليه وبعث خمسين فارساً ليحملوه [فدخل إلى الشيخ رجلان من أصحابه وأعلماه بالقصّة فدخل المعري المسجد فأنزلهم أبو العلاء دار الضيافة، فدخل عليه عمه مسلم بن سليمان، وقال يا ابن أخي، قد نزلت بنا هذه الحادثة الملك محمود يطلبك فإن منعناك عجزنا، وإن أسلمناك كان عاراً علينا عند ذوي الذمام ويركب تنوخَ[٦] الذُّلّ والعار. فقال له: هوّن عليك يا عمّ فلا بأس علينا وأكرِم أضيافك] فلي سلطان يَذُبّ عني ثم [قال الشيخ لغلامه قَنْبَر قدّم الماء فقدّمه إليه و] اغتسل وصلّى إلى نصف الليل. ثم قال لغلامه: انظر إلى المرّيخ أين هو؟ قال: في منزلة كذا وكذا. قال: ارقُبه واضرب تحته وَتِداً وشُدَّ في رِجلي خَيْطاً واربِطه إلى

---

(١) انظر بلدان «حلب» والحكماء للقفطي مصر: ١٩٤.

(٢) كما زعم مرجليوث في مقدمته على هذه الرسائل بمجلة الجمعية الآسيوية ص: ٢٩٠ سنة ١٩٠٢م.

(٣) على ما مر في باب الحكام.

(٤) ذكر الكتبي ١: ٢٣٣ وزيراً لمحمود بن صالح (؟) وسماه أبا نصر محمد بن الحسين ابن النحاس. ثم ذكر حكاية تدل على تشرر محمود ومثله عند ابن خلكان ١: ٣٦٧.

(٥) النكت: ١٠٧، وروى الخبر صاحبا نسمة السحر ١: ١٠٩ ونزهة الجليس ١: ٢٨٠، عن ابن أبي أصيبعة في طبقات الأطباء ولم أجده في النسخة المطبوعة منه. وابن الوردي أيضاً ١: ٣٦٠.

(٦) في الأصل: تنوخاً.

الوتد، ففعل غلامه ذلك فسمعناه يقول: يا قديم الأزل يا علّة العِلَل يا صانع المخلوقات ومُوْجِدَ الموجودات، أنا في عزّك الذي لا يُرام وكنَفِك الذي لا يُضام، الضيوفَ! الضيوفَ! الوزيرَ! الوزيرَ! ثم ذكر كلمات لا تفهم [حتى برق بارق الصبح] وإذا بهدّة عظيمة. فسألنا عنها فقيل وقعت الدار[1] على الضيوف الذين كانوا بها فقتلت الخمسين. وعند طلوع الشمس وقعت بطاقةٌ من حلب على جَناح طائر لا تُزْعجوا الشيخ فقد وقع الحَمّام على الوزير. قال يوسف: فلما شاهدتُ ذلك دخلتُ على المعريّ فقال: من أنت؟ قلت: أنا من أرض الهركار فقال: [سر. حملوك على قتلي و] زعموا أني زنديق. ثم قال: اكتب، وأملى عليّ وذكر أبياتاً من قصيدة ذكرتها أنا وأولها: أستغفر الله في أمني وأوجالي[2] ا هـ. (وراجع تمامها في الفائت).

والزيادات واختلاف الروايات بين المعكفين من سرّ العالمين[3] المنحول للغزالي. ولعل السِّبْط منه أخذ ولكن قبل أن تَعْبَثَ به يدُ الكاشفي[4]. ولعلَّ عَجْبَ الذَّنب من هذا الخبر والفقار هما اللذان سلما، وأما اللحم والشحم والصِّرْم فكله مخدوش. و«أول من خَدَشَ الخَدُوشَ أنوشُ». فإن بيت ل المازّ يدلّ على ما كان محمود يطوي بين ضلوعه منه. ولكنّ سَوْقَ الخبر بطلسمات بليناس. أشبه منه بأبي العلاء وعادات الناس. وقد سردنا من العوادي التي تحول دون تسليمنا إياه على غَرّه جُملةً في باب التلامذة وهاك سائرها:

(١) لم يكن أبو العلاء يعرف من النجوم وأحكامها إلاّ ما يلزم المتأدّب على أنه إن كان متألّهاً فما له ولأحكامها. وعلى أن ما في اللزوم في النجوم يمنع من التصديق.

(٢) كلماته يا قديم إلخ ليست مما يشبه كلام أبي العلاء.

---

(١) بعده في السر على ثمانية وأربعين رجلاً.

(٢) نقل هذه الحكاية صاحب سكردان السلطان (ص: ٢٧ مصر سنة ١٢٨٨هـ) عن طبقات ابن أبي أصيبعة، ولكني لم أجدها فيها فلعلها ثابتة في بعض نسخها.

(٣) طبعة حجر بومباي ص: ٣٨ و٣٩.

(٤) الواعظ المغرم بالطلسمات وهو صاحب المقدمات على عدة كتب فيها أبرزها وزعم أنها كانت من الناس منال العيوق وورد في مقدمة السر أن أول من قرأ الكتاب عليه واستنسخه محمد بن تومرت [المهدي المغربي] ثم أتى للكاشفي بمقدمته وذكر فيها أن الناس صاروا يعدون الكرامة سحراً وكهانة ويكذبون وجود هذا الكتاب إلى أن وفق لإبرازه سيد الوزراء ابن أبي منصور، والعجب كل العجب أن وافق شن طبقة أي كتب ناسخه بآخره: «نقل من نسخة بخط المؤلف بالكتب خانة الخديوية. كتبه عبد العظيم طالقاني (؟) سنة ١٣١٤هـ»، والمصنف كائناً من كان لحنه محرف لا شك وانظر حاشيتنا في فصل التلامذة، ثم رأيت منه خطية ليس فيهلا ذكر الكاشفي أصلا. والعبارات المذكورة فيها كما هي.

(٣) كيف حملوا شيخ الإسلام أو ابنه على قتله؟ أو كيف يزعم صاحبنا بأحدهما مثل ذلك؟ مع أن الشيخ تلميذه الخصّيض به، وألم يكن يكفيهم الخمسون رجلاً أنفذوهم إليه؟.

(٤) جلّ المؤرخين يدعون محموداً ابن شبل الدولة بن صالح لا ابنَ صالح.

(٥) لم يصر محمود صاحب حلب إلا بعد وفاة صاحبنا بثلاثة أعوام كما مر في باب الحُكّام.

(٦) هذه الحادثة من أعظم الحوادث لم ينقلها أحد من بلديّيْ أبي العلاء كأبي اليسر وأبي غالب وابن العديم والقِفْطي ولا أحد من تلامذته.

وقال بعضهم[١]: إن عمه كان مات قبل أبيه والعجب أنه لم يذكر العمّ في سَوْقه للحكاية أصلاً ولا سَمَّاه. وقد بحثتُ فلم أقف على سنة وفاة مسلم. ومسلم وإن كان العماد وياقوت أغفلا عنه فإنا قد تعرفنا به من مصدر موثوق به وانظره في العمود.

فإن أمكن أن تزول هذه الموانع بحذافيرها وخلص الخبر مما أكتنفه من ركاكة البِنْية وضعف العقيدة والجمع بين الأضداد والأغلاط التاريخية فبأيدينا أمارات من اللزوم نقدّمها لتحقيق أن الوُلاة كانوا يُغْرَوْن بتعذيبه. وهي:

كأنني كلَّ حول مُحَدِّث حَدَثا ... يرى به من تولّى المصرَ إغرابي

ولم يكن حَدَثه هذا إلاّ: «ذَنْبَ صُحْرَ».

يا ظالما عَقَدَ اليدين مصليّاً ... من دون ظلمك يُعقد الزُّنّارُ

أتظن أنك للمحاسن كاسب ... وخبيُّ أمرك شِرّه وشَنار

لا مُلك لي وأرى الدنيا تُحاصرني ... وما حججتُ وقد لاقيتُ إحصارا

وقال ابن الجوزي في تلبيس إبليس[٢] وذكر أبا العلاء وإلحادَه: ولم يزل متخبِّطاً في تعثّره خائفاً من القتل إلى أن مات بخسرانه. وسيأتي في التآليف وصف رسالة الضَبُعَيْن في تحريف رجلين بيتاً من اللزوم كتبها أبو العلاء إلى معزّ الدولة عليّ بن صالح. فلعلّه هو صاحب هذا الخبر هنا أيضاً وعند الله علمُ الغيب.

أمراضه وعلله

أرى أن ترك اللذائد والاكتفاء على جَشِب الطعام وصوم الدهر والاجتناب عن

(١) صاحب (ذ): ٢٠٧.

(٢) طبعة دهلي ص: ١٦٠.

النساء أورَثَ أبا العلاء صحَّةً وعافيةً كما يقول. ل:

أفدتُ بهجران المطاعم صِحّةً فما بِيَ من داء يُخاف ولا جبْن

على أنه لم يسلَمْ من عاديات العلل، وإن كانت لم تستحقّ الذكر نظراً إلى صحّته الطويلة. وأرى أن شكواه من الأمراض في بعض كلامه ليست إلاّ من طول قعوده بمجلسه أو الضعف الذي خانته به قواه في هَرَمه. وهذا شعره. ل في طلب العلم:

ما كنت ذا يُسْر فأجمعه ولا ذا صحّة فأحالف التغليسا

يشير إلى عماه.

إذا غدوتُ ببطن الأرض مضطجعاً فثَمَّ أفقِد أوصابي وأمراضي

يداوَى المريض [لـ] كيما يَصِحَّ وهل صحّة الجسم إلا مرضْ

وهذا ينظر إلى قول حميد بن ثور: وحسبُك داءً أن تصحّ وتسلما.

ويذكر لنا أن يؤمِن بعَدْوى الأمراض:

لا تأمننَّ أخا داءٍ ولا ضَمَن قد يُحْدِث السيف كلماً وهو مفلول

ومن غير. ل في الصمَم ومرّ مثله في «نظرة عامّة»:

فلا تلم سمعي إذا خانني «إن الثمانين وبُلّغتَها»

وانظر تمامه في الفائت.

وذكر في التنصل من خدمة عزيز الدولة[١] مرضاً لم يسمّه عاقه من حضور الجُمَع. وذكر في ر إلى خاله أبي القاسم[٢] أنه اعتلّ عِللاً كثيرة وذكر أنه سرّح دمه مقدار مائة درهم (؟؟؟) فإن صحّ هذا فإنه إحدى الأعاجيب. وأنه خُدم في هذه العلّة خدمة لم يُخْدَمها فيما سبق.

والظاهر أن أصدقاءه وأقرباءه كانوا يطلبون له الأطبّاء كما ذكروا أنه مرض مرة فوصف الطبيب له الفرّوج فلمسه وقال: استصغروك فوصفوك. هلا وصفوا شبل الأسد. وكما هو في ر إلى خاله المذكور وكما سيأتي آنفاً. وقال. ل:

لضربة فارس في يوم حرب تُطير الروح منك مع الفَراش

أخفّ عليك من سَقَم طويل وموت بعد ذاك على الفِراش

ومرّ في وفاة والدته أمر سقوط ناجذه وبعض أسنانه.

(١) ر، ص: ٦٠.

(٢) ر، ص: ٥١.

موته

ل في الدنيا:

مـتـى أنـا راحـل عـنـهـا لـشـأنـي — فـإنـي قـد قـضـيـتُ بـهـا شُـغـولـي

تـحـفَّـوْا بـالـكـلام وأكـرمـونـي — عـلـى مـا كـان مـن جـسـد نـحـيـل

دَعُـوا هـذا الـمـقـال وجَـهِّـزوني — فـإنـي قـد عـزمـتُ عـلـى الـرحـيـل

قال القفطي[١] وقد تَنبّأ ابن بُطلان الطبيب بوفاة أبي العلاء قبل موته بقليل. وكان ابن بطلان يألَف أبا العلاء. وكان بالمعرّة إذ ذاك. فحدّثه بعض الطلبة أن أبا العلاء قد أملَى عليهم شيئاً فغلِط فيه. فتنبأ ابن بطلان بأن ذبالته قاربت الذبول. لأن من كان كأبي العلاء في قوّة العقل وذكاء القلب وحصافة الرأي لا يدركه الخطأ فيما يُملي، إلاّ إذا اضطربت قواه وفسد مزاجه. أقول وجمع قوله هذا مع قوله في الحكماء[٢]: إن ابن بطلان مات سنة ٤٤٤هـ مشكل. ولكن هذه السنة مصحَّفة أو غلط فإن ابن أبي أصيبعة أورد كثيراً من أخباره إلى سنة ٤٥٥هـ وذكر قوله في مُصاب العلم بوفاة أئمَة منهم أبو العلاء.

وقال الشريف أبو يعلى ابن الهبّاريّة[٣] ـ وذكر خبره مع داعي الدعاة ـ وجرت بينهم مكاتبات كثيرة أمر في آخرها بإحضاره حَلَبَ ووعده على الإسلام خيراً من بيت المال. فلما علم أبو العلاء أنه يُحْمَل للقتل أو الإسلام سَمَّ نفسه ومات ا هـ. وهذه فِرْيَة من الشريف بلا مِرْية. فإنّنا أوعبنا كل ما دار بينهما مطالعةً فلم نر فيه شيئاً مما ذكر من سمّ المعريّ نفسه كما قال ياقوت. وقد صرح قبله غرس النعمة بأن الختم على سكوت المعرّيّ على ما مرّ. وهذا ختام آخر ر. وهي للداعي في مدح المعري وإطرائه. والاعتذار من إضاعة أوقاته وآنائه. «فما هو حرسه الله على عِلاّته من الضعف والقوّة إلاّ من محاسن الزمان وممن سارت بفضله الركبان. . . . والغرض في السؤال والجواب الفائدةُ وإذا عُدمت فقد خَفّف الله عنه أن يتكلّف جواباً. . . . . ومن أين لي أن أظهر على مكنون جواهر علوم دينه كظهوري على مصنفات أدبه وشعره. وقبلُ وبعدُ فأنا أعتذر عن سِرّ له أدام الله حراسته آذيته وَزمان منه بالقراءة والإجابة شغلتُه. لأنني من حيثما نفعتُه ضررته. والله تعالى يعلم أني ما قصدت به غير الاستفادة من علمه والاغتراف من بحره والسلام» ا هـ.

---

(١) (ذ): ٢٢٤.

(٢) مصر: ١٩٣.

(٣) أدباء ١: ١٩٤.

وليس ببدع من الشريف أن يَقْرِف أبا العلاء بما لم يجَنِ ويَزُنّه بما لم يأت ولم يسلم من معرّة لسانه ووصمة بنانه أحد من أعيان عصره كما قد نبّه عليه كل من ترجم له. وهذا كله دليل على أن ختام الترسّل وقع قبل موت المعرّي بأعوام فلم تكن حلب من المعرة إلا مسيرة يومين وكان بدؤه كما مر سنة ٤٣٨هـ. وللشريف في صاحبنا[١] خبر بذيء مُقْذِع نربأ بأنفسنا عن إثباته. ونَمُنّ عليه بستر عواره والغضّ عن جناياته. وزعم بعضهم[٢] أن هذه الفِرْية وقعت من غرس النعمة بدلاً عن الشريف، وكأنه لم يفهم عبارة ياقوت في الأدباء ولا عرف فلك المعاني[٣] وهو كتاب للشريف معروف أكثر من النقل عنه ياقوت.

قال ابن خلكان[٤]: مرض ثلاثة أيام ومات في اليوم الرابع ولم يكن عنده غير بني عمّه، فقال لهم في اليوم الثالث: اكتبوا عني فتناولوا الدُوِيّ والأقلام فأملى عليهم غير الصواب فقال القاضي أبو محمد عبد الله التنوخي: أحسن الله عزاءكم في الشيخ فإنه ميّت فمات ثانيَ يوم ا هـ. ومرّ عند القفطي اختلاطه في الإملاء على الطلَبة. ولعل الذي كان يريد إملاءه بعضُ نصائح فحسبُ وأما الوصية[٥] فإنه لم يكن يستحسنها وانظر النظرة.

جاء في ختام نسخة بانكي پور ما نصّه: وتوفّي أبو العلاء بين صلاتي العشائين من يوم الجمعة الثالث من شهر ربيع الأول سنة ٤٤٩هـ. وكان عمره ستّاً وثمانين سنة إلا أربعة وعشرين يوماً لم يأكل اللحم منها ٤٥ سنة. وقال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة الخ

توفي ليلة الجمعة (كما قال[٦] الذهبي الصَّفَدي والعباسي واليافعي) أو يومَها (كما

---

(١) الغيث ٢: ١٩٠.

(٢) صاحب (ذ): ٢٢٥ و«العجب كل العجب بين جمادى ورجب» قال بعد أن رد على غرس النعمة ما هو براء منه: «والعجب أن سلامون الإفرنسي لم يفهم ما كتب ياقوت، فظن أنه صاحب الرواية واجتهد في الرد عليه ولو أنه فطن لما كتب لأراح نفسه من عناء كثير» ا هـ فهل لي أن أنشد قول صاحبنا إذا لم يفهم عبارة ياقوت ولا نصه: «لم يذكر في المراسلات ما يدل على ما ذهب إليه ابن الهبارية من سم المعري نفسه»:

وبصير الأقوام مثلي أعمى فهلموا في حندس نتصادم

(٣) ومنه نسخة بجامع صوفيا وعدده في دفتره المطبوع سنة ١٣١٤هـ ٤١٥٧.

(٤) ١: ٣٤. ومر ذكر القاضي أبي محمد في فصل الإقراء والإملاء وفي فصل التلامذة.

(٥) وتردد صاحب (ذ): ٢٢٦ في الخبر وقد علمت له شاهداً مما عند القفطي اغتراراً منه باستهزاء أبي العلاء بمن يوصي.

(٦) ١٣٧ ـ ١٠٩، نكت ١: ٥٢، ٣: ٦٣.

قال(١) الكمال ابن الأنباري والسمعاني وياقوت وابن خلكان) ثالت ربيع الأول (كما هو عند ابن خلّكان والصفدي واليافعي) أو ثانيَه (كما قال ياقوت) أو ثالث عشرة منه (كما في «النزهة» و«الأنساب») سنة ٤٤٩هـ. ولما مات أوصى أن يكتب على قبره كما قال الذهبي وابن خلكان وغيرهما وفي نسمة السحر(٢) زيادة أنه كان يقوله ويكرره في مرض موته والعهدة على صاحبه ونقله عنه صاحب «نزهة الجليس» أيضاً.

هــذا جَــنــاهُ(٣) أبــي عــلــيَّ ومــا جــنــيــتُ عــلــى أحــدْ

وذكر ابن الوردي أن ابن القيسراني المتوفى سنة ٥٤٨هـ اجتاز بالمعرة فكتب عند قبر أبي العلاء:

نـزلـت فـزرت قـبـر أبـي الـعـلاء فـلـم أرَ مـن قِـرًى غـيـرَ الـبـكـاء

ألا يـا قـبـر أحـمـد كـم جـلال تـضـمَّـنـه ثـراك وكـم ذكـاء

وقال القِفطي(٤): أتيت قبره سنة ٦٠٥هـ فإذا هو في ساحة بين دُور أهله وعليه باب [صغير قديم]، فدخلت فإذا القبر لا احتفال به ورأيت على القبر خُبّازى يابسة. والموضع على غاية ما يكون من الشَّعَث والإهمال. وقال الذهبي: رأيت أنا قبره بعد مائة سنة من رؤية القفطي(٥) فرأيت نحواً مما حكى. ونقل الصفدي(٦) قال علاء الدين [علي بن المظفَّر(٧) الكندي الشاعر] الوداعي(٨) ومن خطه نقلت: زرت قبره بالمعرّة رحمه الله تعالى في ربيع الأول سنة ٦٧٩هـ ولم أر عليه شيئاً من ذلك (يريد هذا جناه: البيت) وقد دثر ولصق بالأرض وعملت هذين البيتين:

قد زرتُ قبر أبي الـعـلاء الـمـرتـضـى لـمـا أتـيـتُ مـعـرة الـنـعـمـان

وسـألـت مـن غـفـر الـخـطـايـا أنـه يُـهْـدِي إلـيـك رسـالـةَ الـغـفـران

اهـ.

---

(١) ٤٢٧ ـ ١١٠، أدباء ١: ١٦٢، ١: ٣٤. (٢) ١: ١١٥.

(٣) بالنقطتين على الهاء كما في الإسعاف وقد تصحف عند الأكثرين فزعموا الهاء هاء الضمير ومثله في المعنى لبعض المغاربة:

لـسـت وجـيـهـاً لـدى إلـهـي هـذا مـدى دهـري اعـتـقـادي

لـو كـان هـذا لـمـا بـرانـي فـي عـالـم الـسـكـون والـفـسـاد

(٤) تاريخه ٢: ٥٤.

(٥) ذهبي: ١٣٦، والوفيات ١: ٣٤.

(٦) الغيث ٢: ١٩٨ ومثله في نسمة السحر ١: ١١٥.

(٧) من الغيث ١: ٨١ ترجم له في الفوات ٢: ٨٧، والبيتان في نزهة الجليس أيضاً ١: ٢٨٦.

(٨) ولد سنة ٦٤٠هـ وتوفي سنة ٧١٦هـ كما في مطالع البدور للغرولي ص: ٢٠.

ثم إنه[١] غار على منقبة المعرة رئيسُها نورس باشا، فرمّ قبره وبناه وأنشأ عليه مكتباً للأطفال كما ورد في بعض أجزاء جريدة العمران. ثم إنه ذكر لنا من زاره[٢] سنة ١٩٠٥م أن قبره محفوف بالكرامة، رآه في إحدى زوايا البلدة وعلى ضريحه كتابة قديمة بالخط الكوفي (وهذا يضاد من جهة ما مر من قول الوداعي) وبجوار رمسه قبر بعض تلامذته. وفي غرفة أخرى مجاورة لقبرهما قبر الشيخ محمد الغباري.

ذكراه مدحاً وذماً

قال غرس النعمة[٣]: وأذكر عند ورود الخبر بموته وقد تذاكرنا إلحاده، ومعنا غلام يعرف بأبي غالب بن نبهان من أهل الخير والعفّة، فلما كان من الغد حكى لنا. قال: رأيت في منامي البارحة شيخاً ضريراً وعلى عاتقه أفعيان متدلّيتان إلى فخذيه، وكل منهما يرفع فمه إلى وجهه فيقطع منه لحماً يزدرده وهو يستغيث. فقلت وقد هالني: من هذا؟ فقيل لي: هذا المعري الملحد ا هـ. وكأنه أجابه بقول. ل:

تحاسدتِ العيون على منام عَرَفْنَ كِذابه وأردن حُسْنَه

فصبراً إن سمعتَ لِسان سَوْءٍ من ابنِ مودَّة وتَوَقَّ لَسْنَه

وروى القِفطي[٤] عن القاضي أبي عمرو وعثمان بن عبد الله الكَرَجيّ أنه كان وهو طالب يقع في دين أبي العلاء، فرأى فيما يرى النائم كأنه في مسجد، وكأن على صُفَّة فيه رجلاً شيخاً ضريراً بادناً (؟) وإلى جانبه غلام يشبه أن يكون قائده. قال القاضي: وكنت واقِفاً تحت الصُفَّة في نفر من الناس. وهذا الشيخ يتكلم كلاماً لم أفهمه. ثم التفت إليّ وقال: ما حملك على الوقيعة في ديني؟ وما يدريك لعل الله غفر لي؟ قال: فاستحييت منه وسألتُ عنه ـ فقيل: هو أبو العلاء. فلما أصبحتُ أقلعتُ عن النيل منه واستغفرت الله لي وله ـ ثم مضى على ذلك دهر وأنسيتُه ودخلت المعرة فزرت مسجدَها للصلاة، فإذا هو كما رأيت في النوم وإذا الصُفَّة كعهدي بها، وعليها راهب يُضَفِّر البَردي ـ فتقدمتُ إليه وسألته عما يصنع فعرفتُ أنه يعمل الحُصُر لهذا المسجد، وكان على دَيْره أن يؤدي للمسجد هذا العمل كلما احتاج إليه. قال: فلما أذكرني ذلك ما أُنسيتُهُ سألتُ عن قبر أبي العلاء فزرته فإذا هو مهمل في مكان أشعث، وقد نبتت عليه الخُبازى ثم جفت ـ فقرأت عنده واعتذرت إليه وذلك في أوائل القرن

(١) وادعى مرجليوث: ٤٣ أن متأخري المفتشين لم يقدروا على معرفة محل قبره.
(٢) لويس شيخو في المشرق.
(٣) ذهبي: ١٣٢ وفي المعاهد ابن غرس النعمة وهو تصحيف ١: ٥٢.
(٤) (ذ): ٢٢٧.

السابع اهـ. وما كان أغناه عن المدح أيضاً وكأنه نظر إلى الصنفين حيث قال. ل:

وَدِدتُ وفاتيَ في مَهْمَهٍ ... به لامع ليس بالمَعْلَم
أموت به واحداً مفرداً ... وأُدفن في الأرض لم تظْلَم
وأبعَدُ عن قائل لا سَلِمْتَ ... وآخرَ قال ألا يا اسلم
أحاذر أن تجعلوا مضجعي ... إلى كافر خان أو مسلم
إذا قال ضايقَتني في المحلّ ... قلتُ أساؤوا ولم أعلم

وقد صدق الأول:

إذا مُتّ كان الناس صِنفان شامت ... ومُثنِ بصَرْعَيْ بعضِ ما كنت أصنع

التآبين

ل:

أعَيَّبوني حيّاً ثم قال لهم ... مُثْنٍ وقد غيبوني، إنَّ ذا عَجَبُ!

قال تلميذه[1] الأبهريّ والتبريزي وجمعنا بين قوليهما، ولما مات أنشد على قبره بعد موته أربعة وثمانون شاعراً مراثي، وخُتم في أسبوع واحد عند القبر مائتا ختمة. قال ياقوت: من جملتها أبيات لعلي بن الهمام [أبي الحسن تلميذه] من قصيدة طويلة:

إن كنتَ لم تُرِقِ الدماء زهادة ... فلقد أرقت اليوم من جفني دما
سيّرتَ ذكراً في البلاد كأنه ... مسك مسامعهَا[2] يضمّخ أو فما
وترى الحجيج إذا أرادوا ليلة ... ذكراك أوجب فدية مَن أَحْرَما

كأنه يقول: إن ذكرك طيب، والطيب لا يحلّ للمُحْرِم فيجب عليه الفدية. وفي المعنى لآخر[3]:

يا كعبة الفضل أفتنا لِمْ لم يجب ... شرعاً على قُصّادك الإحرامُ
ولما تُضَمَّخ زائريك بطيب ما ... تُلفيه وهو على الحجيج حرام

---

(١) (ذ): ١٣٥، أدباء ١: ١٧٥ وعند ابن الوردي ١: ٣٥٨ سبعون.

(٢) كذا عند ياقوت وفي المعاهد ونسخة خطية من الوفيات في جامعة بنجاب فسامعه يضمخ، وفي الوفيات طبع إيران ومصر والنكت فسامعه تضمخ، وعند اليافعي ٣: ٦٩ فسامعه يعطر قال: إن الذكر يعطر السامع والمتكلم أيضاً. والمراد بالفم المثنى وأو إما للترديد وإما بمعنى الواو، وزعم صاحب (ذ) أن الجميل ما رآه في نسخة خطية من الوفيات مسك تضمخ منه سمعاً. وأنت ترى أن جميع الروايات لا تخلو من وجه. ولعل بعضها أجمل من روايته ويروى: يضمخ منه سمعاً.

(٣) الوفيات ١: ٤٦٥، وفيه تلقيه وهو تصحيف.

ورثاه الأمير أبو الفتح[1] ابن أبي حَصِيْنة المعرّي شاعر حلب إذ ذاك بقصيدة طويلة منها:

العلم بعد أبي العلاء مضيَّعُ والأرض خالية الجوانب بَلقَع
أودَى وقد ملأ البلاد غرائبا تَسْري كما تسري النجوم الطُّلَّع
ما كنت أعلم وهو يُوْدَع في الثَّرَى أن الثَّرَى فيه الكواكبُ تُودَع
جبل ظننتُ وقد تزعزع رُكنُهُ أنّ الجبال الراسيات تَزَعزَع
وعجبتُ أن تسع المعرّةُ قبرَه ويضيق بطنُ الأرض عنه الأوسع
لو فاضت المُهَجاتُ يوم وفاته ما استُكثرت فيه فكيف الأدمُع
تَتَصَرّمُ الدنيا وتأتي بعده أُمَمٌ وأنت بمثله لا تَسمع
لا تجمع المال العتيدَ وُجد به من قبل تركك كلَّ شيء تجمع
وإن استطعت فسِر بسيرة أحمد تأمَنْ خديعةَ من يَغُرّ ويخدَع
رفض الحياة ومات قبل مماته متطوِّعاً بأبرّ ما يُتَطَوَّع
عين تَسَهَّدُ للعَفات وللتّقَى أبداً وقلب للمهيمن يخْشَع
شِيَمٌ تُجمّله فهنّ لمجده تاج ولكن بالثناء يرصَّع
جادت ثَرَاكَ أبا العلاء غمامةٌ كندى يديك ومُزنة لا تُقلع
ما ضيّع الباكي عليك دُموعه إنّ الدموع على سواك تُضَيَّع
قَصدتك طُلابُ العلوم ولا أرى للعلم باباً بعد بابك يُقْرَع
مات النُّهَى وتعطّلتْ أسبابُه وقضى التأدُّبُ والمكارمُ أجمعُ

رثاء ابن أبي حصينة يوجد في الأدباء أيضاً ٤: ٧٠ وفيه في البيت ال٧: يضرّ ويخدع وفي ال١٤: إن البكاء على سواك مضيّع، وفي ال١٦: وقضى العُلى والعلم بعدك أجمع

وقال أبو الرضَى عبد الوهاب بن نوت المعري، والعهدة على الصفدي[2] وإلا ففي «الخريدة» للعماد في رجال بني أبي حُصين المعرّيين أبو الرِّضَى عبد الواحد بن الفَرَج بن النُّوْتِ المعريّ المتوفى سنة ٤٨٠هـ وهو الصواب إن شاء الله.

سُمْرُ الرماح وبيض الهند تَشْتَوِر في أخذ ثأرك والأقدارُ تعتذر

(١) انظر ترجمته في الفوات ١: ١٢٢، والقصيدة عند ابن الوردي ١: ٣٥٩ وقال بعد أن سردها فانظر إلى ما رثاه به هذا الرجل ووصفه به من تقاه ورفضه للحياة وموته قبل الموت وتطوعه وهو أيضاً أعلم به من الأجانب.

(٢) النكت ١١٠ ثم إنه حقق ظني خبر ارتجاله بحضرة ثمال بن صالح وشاعره ابن سنان الخفاجي الذي أورده الأزدي في البدائه ٢: ٤٤ ورد فيه اسمه عبد الواحد ا هـ، فالحمد لله على ذلك، ثم وجدته في نسخة الوافي للصفدي الخطية بلكنؤ أبا الرضا عبد الواحد بن نوت على الصواب. فتعين أنه مصحف في النكت أو سبق قلم.

والدهر فاقدُ أهل العلم قاطبةً كأنهم بك ذا القبر قد قُبروا
فهل ترى بك دارُ العلم عالمةً أن قد تزعزع منها الرُّكْنُ والحَجَر
والعلم بعدك غِمْد فات مُنْصلُهُ والفهم بعدك قوس ما له وَتَرُ

كذا والصواب ما لها وتر، فالقوس مؤنّثة. عدّها ابن الحاجب مما لا يجوز تذكيره.

ما كتب فيه

(١) جزء في أخباره لأبي طاهر السلَفيّ تلميذ التبريزي. وهو أقدم كتاب صُنِّف في أخباره. ولا نعرف عنه غير أن ابن خلكان[١] والأزدي صاحب «بدائع البداثة» رويا عنه لُغز الطبري وجواب أبي العلاء لما ورد بغداد على ما مرّ. وغير أن الذهبي قد أكثر عنه من نقل أخباره في تاريخ الإسلام له. قال السِّلَفيّ[٢] وقد أورد قدراً كافياً من مناقبه ومثالبه «وفي الجملة فكان من أهل الفضل الوافر والأدب الباهر والمعرفة بالنسب وأيّام العرب قرأ القرآن بروايات وسمع الحديث بالشام على ثقات. وله في التوحيد وإثبات النبوّة، وما يحض على الزهد وإحياء طرق الفتوّة والمروّة شعر كثير والمشكل منه فله على زعمه تفسير» وقال أيضاً[٣]: «إنه تاب وأناب».

(٢) العَدْل والتحري في دفع الظلم والتجري على أبي العلاء المعري للكمال ابن العديم الحلبي، يروي فيه عما وجده بخطّ أبي اليَسَر شاكر، وهو حفيدُ حفيدِ أبي المجد أخي أبي العلاء الأكبر، كأنَّ جُلَّ ما أورده ياقوت من أخبار أُسرته من الباب الثاني منه، ويروي عنه الصَّفَدي في النَّكْت. والعجب من ياقوت وهو صاحبه أنه لم يذكر هذا الكتاب في ترجمته وذكره الكتبي[٤] والصفدي[٥] وخليفة وابن الوردي في «تاريخه». وقد وُجد أكثره.

(٣) دفع المعرة عن شيخ المعرة لمؤلف من الأعيان مجهول، وهو أقدم من ابن العديم عصراً نقل عنه ابن الوردي في «تاريخه»[٦]: أن أبا العلاء وُجد في اللزوم

(١) ١: ٢٣٣، ٢: ١١٤، ولاء.
(٢) ذهبي: ١٣٥.
(٣) نكت ١٠٤ ولفظه: وأظن الحافظ السلفي قال: إنه الخ.
(٤) ٢: ١٠١ وسماه دفع الظلم والتجري عن الخ كما في الكشف.
(٥) نكت ١٠٥ وسماه التحري في دفع التجري على الخ و١٠٩ وسماه دفع التجري وعلى نسخته المخرومة الآخر بدمشق الإنصاف والتحري ومثله في نسخة مصر.
(٦) ١: ٣٦٠.

متذبذباً حائراً في الدين لكن الكتب التي ألَّفها بعد ذلك خصوصاً «ضوء السقط» تُصْلِح هذا الفساد وتوضح رجوعه إلى الحق وصحة اعتقاده. و«الضوء» خاتمة كتبه والأعمال بخواتمها ا هـ.

(٤) نصر الأعيان[١] على شعر العميان لابن الوزير اليماني صاحب إيثار الحق على الخلق في التنفير من شعر أبي العلاء.

(٥) «رجمة العفريت»[٢] ردّ فيه عبدُ الله بن منصور بن سعيد أبو منصور الكاتب المتوفى سنة ٤٨٠هـ على المعرّيّ. فأنت ترى أن الذين قاربوا عهده. لم يؤثروا إلا مدحه وحمده. وأما الذين جانبوه دياراً أو باعدوه أعصاراً فقد هرفوا وما عرفوا ونبزوا الرجل بما بدا لهم وقرفوا. فظهر مصداق قول الصاحب ابن العديم[٣]: إن الذين لقوه وعرفوه وصفوه بكل جميل والذين هتّكوا عِرضه لم يلقوه ولا عرفوه.

(٦) وذكر ياقوت[٤] لشُمَيْمٍ الحِلّيّ كتاباً اسمه «الإشارات المعرّيّة» ولم يزد عليه شيئاً.

تآليفه

وما[٥] أنا إلا قطرة من سحابة ... ولو أنني صنّفتُ ألفَ كتاب

وجد ياقوت ثَبَتَ كتبه بخط أحد مستمليه فسرده والذهبيُّ ولكنه اختصره اختصاراً مُجْحِفاً، ولم أر في سرده فائدة فتركتُ بعض أوصاف المعدومات ورتّبتُ الكتب على حروف المعجم وقابلتها بما عند الذهبي وعلامته (هـ)، والصفديّ في «الوافي» وعلامته (ص) والحاج خليفة وعلامته (ك) وعلامة «الكراسة» (كر). وزدت بعض أسماء عثرت عليها في مظانّ غيرها. وهذا أول الثبت:

«قال الشيخ أبو العلاء رضي الله عنه لزمت مسكني منذ سنة أربعمائة واجتهدت على أن أتوفّى على تسبيح الله وتمجيده إلى أنْ أُضطَر إلى غير ذلك. فأمليتُ أشياء وتولّى نَسْخَها الشيخُ أبو الحسن عليّ بن عبد الله بن أبي هاشم أحسن الله معونته، فألزمني بذلك حقوقاً جمّة وأيادي بيْضاً لأنه أفنى فيَّ زمنَه، ولم يأخذ عما صنع ثمنه.

---

(١) مجلة الزهراء سنة ١٣٤٣ ص: ٢٨٨.

(٢) البغية: ٢٧٢.

(٣) قال ابن الوردي قال ابن العديم في العدل: إنه اعتبر من ذم أبا العلاء ومن مدحه فوجد كل من ذمه لم يره ولا صحبه ووجد كل من لقيه هو المادح له.

(٤) أدباء ٥: ١٣٨.

(٥) س، ٢: ١٣٩.

والله يُحسن له الجزاء، ويكفيه حوادث الزمن والأرزاء» ا هـ.

(١) كتاب «أدب العصْفورَيْن» ي د ك. كتاب «العصفورين» هـ ـ رسالة ـ

(٢) كتاب «استغفِرْ واستغفريْ» ي هـ ـ ١٢٠ كر. نحو ١٠٠٠٠ بيت. روى عنه الزمخشري في «الكشاف»[١] بيتاً وابن أبي أصيبعة[٢] ثلاثة وسمّاه كتاب الاستغفار وانظر الفائت (ب و د).

(٣) «إسعاف الصديق» ٣ أجزاء بالجُمَل ي هـ ك.

(٤) كتاب «الأنواء» له ذكره البغداديّ في الخزانة[٣] ورآه.

(٥) كتاب «الأيك والغصون» وهو كتاب الهمزة والردف وهو أكبر كتبه ي هـ ك، بُني على ١١ فصلاً لكل حرف فجملتها ٣٠٨. مثلاً: السماءُ بالحركات الثلاث. سماءٌ منوَّناً، سماءُه بالثلاث. سماؤها بالثلاث. عباءَهْ. وهو في العظات وذمّ الدنيا في ٩٢ جزءاً وفي ١٢٠٠كر. قال هـ وقد ذكر بعض الفضلاء أنه وقف على المجلّد الأول منه بعد المائة قال: ولا أعلم ما يُعْوِزه بعد ذلك[٤] وقال ابن خلكان: حكى لي من وقف الخ.

(٦) كتاب «تفسير الهمزة والردف» جزء ي و ص.

(٧) كتاب «الأمالي» نحو: ١٠٠٠ كر. هـ ك. قال: ك ولم يكمله. قلت: وكأنه عناه بقول في ل:

أمـــالـــيَ فـــيـــمـــا أَرَى راحـــة مـدى الـدهـر مـن هَـذَيـان الأمـالـي

ويمكن أن يكون أراد بالأماليّ في البيت جميع ما كان يُمْليه على كُتّابه كائناً ما كان.

(٨) تاج الحُرَّة في عظات النساء خاصةً نحو: ٤٠٠كر. ي هـ ك.

(٩) «تضمين الآي»[٥] وهو كتاب مختلف الفصول. ي. مختلف الفصول هـ. كتاب «الفصول» ك.

---

(١) تفسير «ومن يرتدد منكم عن دينه» الآية.

(٢) ١: ٨٨.

(٣) ١: ١١.

(٤) ترجم هذه الجملة مرجليوث بقوله إنه غادر غيره من الكتب غير مفيد فيا للعجب.

(٥) وفي خزانة ليدن مجموعة خطية فيها رسائله وفصول له فهل هي من هذا الكتاب وانظر فهرستها ص: ٢٩٥.

(. . .) تظلم السور انظر «نظم السُّوَر».

(١٠) «تعليق الخُلَّس» هـ. ولعله الصواب. تعليق الجليس ي، ويتَّصل بجُمَل الزَّجاجيّ جزءٌ.

(١١) «جامع الأوزان» (البحور) الخمسة عشر بجميع ضروبها وقوافيها من ي ك. «جامع الأوزان والقوافي» هـ ـ ٦٠كر ـ ٣ أجزاء ـ ٩٠٠٠ بيت.

(١٢) غريب ما في هذا الكتاب نحو: ٢٠كر. هـ. وقد ذكرنا ما عثرنا عليه من شعره في الفائت.

(١٣) كتاب «الجلى والجلى» (؟) ي. كتاب «الحُليِّ والحُلَى» هـ. سأله فيه صديق له من أهل حلب يعرف بابن الحلى. مجلَّدٌ ـ ٢١كر.

(١٤) كتاب «الحقير النافع» ي هـ ك مختصر في النحو ٥كر.

(١٥) كتاب يتصل به يعرف بالطل (ي بالظل ص) الطاهري أنشيء لرجل يعرف بأبي طاهر حلبي(؟).

(١٦) خطبة الفصيح ي هـ ك[1]. يتكلَّم فيه على أبواب الفصيح قال أبو بكر ضَمِن جميع ما حواه الفصيحُ. خُطبة في تحميد الله سبحانه وما قاربه من العظات، رواها ابن الخير عن أبي محمد بن عتاب عن أبي عمرو والسفاقُسيّ عنه وعن ابن العربي عن التبريزي عنه أيضاً ١٥كر.

(١٧) تفسير «خطبة الفصيح» ي ك. شرح فيه غريبه. عارضه[2] الحافظ أبو الربيع الكَلاعي بكتاب سمَّاة «جهد النصيح في معارضة المعري في خطبة الفصيح» كما مرَّ.

(١٨) خطب الخيل ي ك. يتكلم على ألسنتها ـ ١٠كر.

(١٩) «حماسيّة الراح». ي هـ ك. خُماسية الراح وهو تصحيف. لكل حرف خمس سجعات مضمومات وخمس الخ ١٠كر.

(٢٠) «دعاء الأيام السبعة» ي ص.

(٢١) «دعاء وحرز الخيل» (؟) ي.

(٢٢) «دعاء ساعة» ي ص.

(٢٣) «ذكرى حبيب» ي هـ ك في غريب شعر أبي تمام، سأل فيه صديق لأبي

---

(١) وفهرست أبو بكر ٤١٢ و٢٤٣.

(٢) النفح، مصر ٢: ٥٨٧.

العلاء من الكُتَّاب، ٤أجزاء، ٦٠كر. وهذه الكتب المسؤول في تأليفها إنما تكلّفها مؤلّفها من فرط الحياء، وهو لتأليفها كاره. قال فيه: إنما أغلق شعر الطائي أنه لم يؤثر عنه فتناقلته الضعفة من الرواة. وذكر فيه الأبيات المشكلة من شعره متفرقة.

(. . . .) كتاب «ديوان الرسائل» ي هـ ك ـ وهو ثلاثة أقسام الأول: رسائل طوال تجري مجرى الكتب المصنَّفة مثل:

(٢٤) كتاب «رسالة الملائكة»[١].

و(٢٥) كتاب «الرسالة السَنَدية[٢] جزء.

و(٢٦) كتاب «رسالة الغفران[٣] جزء.

و(٢٧) كتاب «رسالة الفرض» (ي العروض ك) جزء ونحو ذلك ـ والثاني رسائل دون هذه في الطول مثل:

(٢٨) رسائل المنيح[٤].

و(٢٩) كتاب رسالة الإغريض.

والثالث (٣٠) كتاب «الرسائل القصار»[٥] كنحو: ما يجري به العادة في المكاتبة. قيل: إنه ٤٠ جزءاً[٦] وقيل: إنه ٨٠٠كر ـ ي هـ.

(٣١) كتاب «خادم[٧] الرسائل» ي هـ ك. في تفسير ما تضمنته هذه الرسائل مما يحتاج إليه المبتدئون في الأدب ٢٠كر. أقول وذكر أبو بكر[٨] الإغريضية وشرحها له.

(٣٢) «الفلاحية» وشرحها له. وذكر هـ[٩] في خارج الثبت.

---

(١) التي طبعناها وصححناها.

(٢) وعندك السندسية وهو تصحيف. عملها لسند الدولة روى مرجليوث: ٣١ عن ابن العديم أنه كان نقل من أفامية إلى حلب والياً عليها سنة ٤١٤هـ.

(٣) نقلوا عنه أشياء في شرح الدرة للخفاجي ٦٩، وشرح ابن نباتة بهامش الغيث ٢: ١٩٠ وياقوت ١: ١٩٠ و٣: ١٣ والغيث ١: ١٥.

(٤) نقل عنها ابن الشيخ ١: ١٢١.

(٥) نقل عنها الصفدي في الغيث ١: ١١٢ و٢: ١٠٢.

(٦) وجاء في عنوان ر المطبوعة ولم تكن المراسلة بينه وبين الناس كثيرة وإنما اتفق ذلك في بعض الأحيان. فكيف تكون إذاً نحو ٨٠٠ كر فلعل هذا مقدار مجموع رسائله ومنها العلمية وكأنّ ما روينا عن العنوان يقتصر على رسائل الحاجات.

(٧) ك خادمة، وورد في حاشية الصبح شرح رسائل أبي العلاء (١٤: ١٨٩) فهل هو هذا؟.

(٨) فهرست ٤١٢.

(٩) ١٢٩.

(٣٣) «رسالة الطير» له على نهج «الملائكة» و«الغفران». وزد فيها:

(٣٤) رسالتين له إلى داعي الدعاة.

و(٣٥) ثبت كتبه أيضاً. ورسالة «المنيح» ورد اسمها في ر المطبوعة «ربح المنيح». وأما الإغريضية فقد سردها القلقشندي[1] على طولها وشرحها[2] فصيح الخ ابن صبغة الله الحيدري من علماء آخر القرن الثالث عشر وقدّمه إلى مصطفى فاضل باشا ابن إبراهيم باشا ابن محمد علي باشا والي مصر.

(٣٦) «الرسالة الخطية» ص ـ الحضية ي ـ والصواب إن شاء الله الخَطيّة بالظاء المعجمة.

(٣٧) رسل الراموز ـ ي ـ رسيل الراموز هـ. نحو: ٣٠ كر.

(. . . .) «رسالة الضبعين» يأتي في ذكر اللزوم.

(٣٨) «رسائل المعونة» ي ك ـ رسالة المعونة هـ ـ وهي ما كتبت على ألسن قوم.

(٣٩) «الرياش»[3] المصطنعيّ ي هـ ك في شرح مواضع الحماسة الرياشيّة. (يريد «حماسة» أبي تمام بشرح أبي رياش) عمل لرجل يلقّب بمصطنع الدولة ويخاطب بالإمرة واسمه كليب بن عليّ ويكنى أبا غالب أنفذ نسخة من «الحماسة» الرياشيّة، وسأل أن يخرج على حواشيها شيئاً فخشي أن يضيق الحواشي عن ذلك فصنع هذا الكتاب وجمع فيه ما سنح مما لم يفسّره أبو رياش ـ ٤٠كر ـ روى هذا الشرح عنه التبريزي وأظن أنه أودع في شرحه منه جملة صالحة.

(٤٠) «رسالة على لسان ملك الموت» ي. ص.

(٤١) «سَجْع الحمائم» يتكلم فيه على ألسن حمائم أربع ي هـ ك. وكان بعض الرؤساء سأله أن يصنّف له تصنيفاً يذكره فأنشأ هذا الكتاب وجعل ما يقوله على لسان الحمامة في العظة والحثّ على الزهد ٤أجزاء ٣٠كر.

(٤٢) كتاب «السجعات العشر» موضوع على أن لكل حرف من حروف المعجم عشر سجعات في المواعظ ـ ي هـ.

(٤٣) «السجع السلطاني» ي هـ ك ـ يشتمل على مخاطبات للجنود والوزراء وغيرهم من الولاة وكان بعض خدم السلطان وارتفعت طبقته ولا قَدَمَ له في الكتابة

(١) الصبح ١٤: ١٩٠.

(٢) ومنه نسخة بدار الكتب المصرية انظر فهرستها ٤: ٣٤٢.

(٣) منه نسخة بالخزانة المصرية في مجلد مكتوبة سنة ٦٥٤. فهرستها ٤: ٢٦٩، ونقل ياقوت منه فصلاً في ترجمة أبي رياش ١: ٧٤.

سأل أن يُنْشأ له كتاب مسجوع من أوله إلى آخره، وهو لا يشعر بما يريد لقلّةِ خِبْرَتِه بالأدب فألف له هذا الكتاب ٤أجزاء.

(٤٤) «سجع الفقيه» جزء ٣٠كر ي هـ ك.

(٤٥) «سجع المضطرين» ي هـ ك ـ عمله لرجل مسافر (تاجر. ك) يستعين به على أمور دنياه.

(٤٦) «سقط الزند» هـ ك ـ كتاب لطيف فيه شعر قيل في الدهر الأول، ٣٠٠٠بيت.

فيه أشعار قيلت فيما بين ١٥ ـ ٥٥ أو ٧٣ من عمره[١] وجلّه من شعر الصبى والشباب والكهولة ببغداد وبالمعرّة بعيد الرجوع. قال ابن الأبّار[٢] في ترجمة أبي العباس أحمد الرُّعَيْني: إنه كان يستظهره وأحسن نسخه من السقط فيما رأيت نسخة خزانة خُدا بخْشْ خان المرحوم ببانكي پور يظهر أنها كتبت في القرن السادس وعليها حواشٍ من شرحَيْ أبي العلاء والتبريزي ومن النسخة المقروءة على أبي العلاء نفسه وفي طُرَرها تسمية بعض رجال لم يتعرض لهم الشارحون بل كَنوْا عنهم بالبعض ورجل وغيرهما من المبهمات. وورد في عنوانها إسناد جليل وهذا نصّه:

أخبرني الشيخ الأجلّ المهذَّب أبو الحسن[٣] علي بن عبد الرحيم بن الحسن بن عبد الملك السُلَميّ بقراءتي عليه في شهر ربيع الآخر من سنة أربع وستين وخمسمائة قال: قرأت على الشيخ الحافظ أبي الحسن[٤] سعد الخير بن محمد بن سهل الأنصاري الأندلسي بمدينة السلام في شهور سنة سبع وثلاثين وخمسمائة. قال: قرىء على شيخنا أبي زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي اللغوي بالمدرسة النظامية، وأنا أسمع قال: قرأت على شيخي أبي العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعري بها سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة.

قال: ثم قرىء على الأمير سعد الدولة أبي عبد الله محمد بن المحسّن بن أحمد

(١) زعم مرجليوث ومن اتبعه أن آخر شعر س ما قيل في القاضي عبد الوهاب سنة ٤٢٠هـ ولكن صاحب شرح المجاني ١٢٤٩ ذكر أن جعفر بن علي بن المهذب الفقيه الأديب الذي رثاه أبو العلاء بدالية من س كان توفي نحو سنة ٤٣٥هـ والعهدة عليه فإن صح قوله هذا فإنه يناقض مزعم مرجليوث. والفقيه ليس ابن المهذب بالدال المهملة كما قد تصحف على شارح المجاني وصاحبه مراراً ولا هو ابن جعفر كما قد تصحف على صاحب (ذ): ٢٦٠.

(٢) عدد ٢٥٢ من التكملة طبع الجزائر.

(٣) ترجم له في الأدباء ٥: ٢٤٧ ونقل بلفظه في البغية ٣٤١.

(٤) (ترجم له في النفح ليدن ١: ٨٩٥)

السُّلَمي بدمشق، وأنا أسمع ومن أصله نقلتُ قال: قرأت بحلب على الشيخ أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الأصفهاني في شهور سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة قال: قرأت على شيخي أبي العلاء: أما بعد فإن الشعراء الخ.

(٤٧) كتاب «ضوء السقط» تفسير غريب سقط الزند[١] ٢٠كر. قال التبريزي في شرح[٢] س: «كنت أراه يكره أن يقرأ عليه شعره في صباه أعني س، وكان يغير الكلمة بعد الكلمة منه إذا قُرئت عليه ويقول معتذراً من تأبّيه وامتناعه من سماع هذا الديوان: مدحتُ نفسي فيه فلا أشتهي أن أسمعه. وكان يَحثني على الاشتغال بغيره من كتبه ثم اتفق بعد مفارقتي إياه أن بعض أهل الأدب سأله أن يشرح ما يشكل عليه من س فأملى عليه إلى الدرعيات غير أنه وقع فيه تقصير من جهة المستملي. وذلك إنما يستملي عن بعض الأبيات منه وأهمل أكثر المشكلات، وإذا استملى معنى بيت لم يستقص في البحث عن إيضاحه فجاء التفسير كأنه لُمَع من مواضع شتى لم يشف به العليل. وشعره كثير في كل فن ومَيْلُ الناس على طبقات من شاعر مُفْلِق وكاتب بليغ إلى هذا الفنّ أكثر ورغبتهم فيه أجدر وهو أشبه بشعر أهل زمانه مما سواه لأنه سلك فيه طريقة حبيب بن أوس وأبي الطيّب وهما في جزالة اللفظ وحسن المعنى (كذا). وأظهر المعجز في «درعيّاته» الخ. وذهب على العصريين أن «الضوء» هو شعره في الدرعيات وهذا وهم منهم.

ومن أقدم شروحه بعد «الضوء» و«شرح التبريزي» وبعض شروح أخرى: «التنوير» لأبي يعقوب يوسف بن طاهر بن يوسف بن الحسن الخُوَيِّي ـ وخُوَيّ بلد بأذربيجان ـ الأديب الفاضل وكان فقيهاً بارعاً حسن السيرة رقيق الطبع مليح الشعر كتب لأبي سعد السمعاني الإجازة. قال أبو سعد وظني أنه قتل في وقعة العرب بطوس سنة ٥٤٩هـ أو قبلها بيسير وترجم له السمعاني[٣] وإنما ترجمنا له لأن أهل العصر لم يعرفوا صاحب «التنوير» وأتمّه سنة ٥٤١هـ. أن ياقوت (٤: ١٤١) ذكر في ترجمة أبي سليمان الداودي الضرير أنه كان مولعاً بشعر أبي العلاء يحفظ منه جملة صالحة ولذلك كان الناس يرمونه بسوء العقيدة وتوفي سنة ٦١٥ هـ وجاء في نَكْت الهِمْيان ص ٢٩٧ في ترجمة مكّيّ بن شَبّة الماكسيني أنه كان يتعصّب لأبي العلاء المعري ويطرب إذا قرىء عليه شعره للجامع بينهما من الأدب والعمى لأنه أضر بأخرة.

وشرح ابن السيد البطيلوسيّ المتوفى سنة ٥٢١هـ. قال ابن خلكان[٤] وهو أجود من شرح صاحب الديوان. ولكن ابن السيِّد أورد فيه كثيراً[٥] من شعر اللزوم

(١) منه نسخة بخزانة باريس وأوله قد علم الله جلت كلمته أن أول الخ في ٩٣ ورقا وعددها: ٣١١١.

(٢) لـ «سقط الزند» وشرح التبريزي نسخة خزانة باريس عدد: ٣١١٢ وهو في ٥٥ أوراقاً. وأخرى بكمبرديج وعدده في فهرستها ١١٩ واسمه الإيضاح في سقط الزند وضوئه.

(٣) ٢١٢.

(٤) ١: ٢٦٥.

(٥) انظر شفاء العليل للخفاجي ١٩١ وألف باء ٢: ٥٢، ٨٠ (ل ٢: ٢٨٠) ٧٣، ١: ٣١٦.

وفسّره ظانّاً أنه من س. فلعله حسب ما أدخله أبو الفضل الدارميّ وغيره ـ إذ ذاك بالأندلس من شعر الرجل وفيه جملة من اللزوم ـ كله من السقط. وقال ياقوت[(١)] إن للأَبْيَوَرْدِيّ كتاباً سماه «صَهلة القارح» ردّ فيه على المعري سقطه وقال أيضاً[(٢)]: إن لأبي القاسم الصيرفيّ اختياراً لديوان أبي العلاء (كذا؟) وقال أيضاً[(٣)]: إن لذي الفضائل الأخسيكتي (صاحب نقيضة تأتي) كتاباً سماه كتاب «زوائد في شرح سقط الزند».

ومن شروحه ضِرام السِّقط لصدر الأفاضل الخوارزميّ وهو ممتع مُغنٍ، وقد رأيتُه واستفدتُ منه كثيراً. ومنها شرح ابن خطيب الريّ الإمام فخر الدين الرازي وشرح الشرف البارزي المتوفى سنة ٧٣٨هـ ذكرهما خليفة.

وهذا كله دليل على أن الذي استهانه صاحبه من أعماله وقع من الناس موقعاً كريماً، وأن الذي آثره عليه من تآليفه في الزهد طارت بها عنقاءُ مُغْرِب فلم يوقف لها على عين ولا أثر.

وقد أتيت على أكثر س مما له علاقة في جَمْع تاريخ الرجل في مظانه من كتابي هذا فاستغنيت عن إعادة القيل.

(٤٨) كتاب «سيف الخطبة» ي. كتاب الخطب هـ. سيف الخطيب ك. جزآن. يشتمل على خطب السنة فيه خطب للجُمَع الخ. ومقداره ٤٠كر. وكان سأله هذا الكتاب رجل من المتظاهرين بالديانة فصنّف له.

(٤٩) «شرف السيف» ي هـ. شرف السلف ك. عُمل للرجل الذي كان مقيماً بدمشق وهو المعروف بنُشْتَكين الدِّزبريّ. وكان السبب في عمله أنه كان يوجّه إلى أبي العلاء بالسلام ويُخْفي المسألة عنه فأراد جزاءه على فعل جزآن. نحو: ٢٠ كر.

(٥٠) شرح سيبويه لم يتم ي هـ ك. مقداره ٥٠كر. شرح بعض سيبويه هـ.

(٥١) كتاب «الصاهل والشاحج» ي هـ ك. يتكلم فيه على لسان فرس وبغل. مقداره ٤٠كر. صنّفه لأبي شجاع فاتك الملقب بعزيز الدولة والي حلب من قبل المصريّين وكان رومياً. وعند هـ و ك رسالة «الصاهل» الخ. وصنع[(٤)] محمد بن عبد الغفور الكَلاعيُّ رسالة سماها «بالساجعة» و«الغَرْبيْب» حذا بها حذو صاحبنا في الصاهل. وانظر فصل «هو والأندلس». وورد ذكره في ر له[(٥)] إلى ابن سعيد وهي الـ ٣٦.

---

(١) أدباء ٦: ٣٤٦.
(٢) ٥: ٤٢٣.
(٣) ٢: ١١١.
(٤) المطمح مصر س: ٣٣ والنفح، مصر ٢: ٣١٦.
(٥) ص: ١٢٠.

(٥٢) «لسان الصاهل والشاحج» من «فهرست» أبو بكر[١].

(٥٣) «ظهير العضدي» ي. ظهير العضد ص. ظهر العضدي ك. كتاب في النحو يتصل بالكتاب المعروف بالعضدي (لأبي عليّ الفَسَويّ).

(٥٤) عَبَث الوليد فيما يتصل بشعر البحتري وكان سبب إنشائه أن بعض الرؤساء أنفذ نسخة ليقابل له بها. فأثبت ما جرى من الغلط ليعرض ذلك عليه. ي هـ ك. وهو جزء واحد ٢٠كر. وزعم ابن خلكان[٢] أنه مختصر ديوانه. والصواب ما هنا ونقل صاحب ك عن بعضهم: أنه يتضمن أغاليط البحتري في ديوانه. وهو أيضاً جُزاف من القول[٣].

(٥٥) كتاب «عِظات السُوَر»، ي ص.

(٥٦) «عون الجمل» ي هـ ك عمل لأبي الفتح محمد بن علي بن أبي هاشم وهو آخر شيء أملاه ـ زادك ولم يتمّ وهو شرح لشواهده. قوله: وهو آخر الخ. يريد إذا أملى هذا الثبت وإلا فقد روى ابن الوردي[٤] عن دفع المعرة أن ضوء السقط خاتمة كتبه ويشهد لقوله ما ذكره التبريزي في شرح س وترك هـ لذكر الضوء أيضاً دليل على ما ذكرنا. وذكر هذا الكتابَ ابنُ العديم أيضاً في العَدْل قال هو في شرح شيء من الجمل.

(٥٧) «الفصول والغايات» زاد ابن الجوزي (كما عندك) وغيرُه[٥] في محاذاة «السُوَر والآيات» وقال الذهبي[٦]: وكأنه معارضة منه للسور والآيات فقيل له: أين هذا من القرآن؟ فقال: لم تصقله المحاريب أربعمائة سنة ا هـ، وليست هذه الزيادة في الاسم في الثبَتَ عندي وهـ. فالظاهر أنها من أعدائه الذين رموه بكل ما شاؤوا. وإن صحّت فليس معناها المعارضة بل المحاذاة عمل شيء على حذاء شيء كما عمل تضمين الآي وللشريف الرضي[٧] كتاب في محاذاة الآثار النبويّة فهل يقال: إنه عارض

---

(١) ٤١٢. (٢) ١ : ٣٤.

(٣) منه نسخة بالخزانة المصرية. انظر الفهرست ٤ : ٢٨١ وفيها ذكر في هذا الكتاب ما في ديوان البحتري مما أصلح من الغلط الذي وجد في النسخة المكتوب في آخرها أنها بخط ظفر بن عبد الله العجلي، وهي في جزء كتبت سنة ١٢٩٧هـ بالمدينة المنورة. ونقل عنه في مقدمة رسائل البلغاء أن المتقدمين كانوا ينكرون إدخال أل على كل وبعض. انظر ١٤ أقول ومثله في الغفران ١٥١ وفي تصحيح اللسان ق: ٢، ص: ٤١، في منع المنصرف، وفي شفاء العليل ١٣١ في طوبى مضافاً.

(٤) تاريخه ١ : ٣٦. (٥) كالباخرزي في الدمية.

(٦) ١٣٢.

(٧) انظره في نهج البلاغة المطبوع بشرح ابن أبي الحديد ٤ : ٥٠٧ ولو قال بنفسه فيه إنه معجز لكان له متفصي بأن الزمخشري قال في مقامات الحريري:

=

الحديث كما يقال: إن أبا العلاء عارض القرآن هب أنه عارض فكيف شنّع على ابن الراونديّ بعد ذلك بدهر طَعْنَه على القرآن في الدامغ وهذا لفظه في الغفران[١] «.... وأجمع ملحد ومهتد، وناكب عن المحجّة ومقتد. أن هذا الكتاب الذي جاء به محمد بَهَرَ بالإعجاز ولقي عدوّه بالإرجاز ما حُذي على مثال ولا أشبه غريب الأمثال. ما هو من القصيدِ الموزون ولا الرجز من سهل وحزون. ولا شاكل خَطَابة العرب ولا سَجْع الكهنة ذوي الأرب. وجاء كالشمس اللائحة... وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون. وإن الآية منه أو بعض الآية لتعترض في أفصح كلم يقدر عليه المخلوقون فيكون فيه كالشهاب المتلألىء في جِنح غَسَق» الخ قال الباخرزي: وإنما تحدثت الألسُن بإساءته لكتابه الذي زعموا أنه عارض به القرآن وعَنْوَنه «بالفصول والغايات في محاذاة السور والآيات» ا هـ قلت: وقد قال الأول: «زعموا[٢]» مطيّةُ الكذب وأعراضُ المسلمين حُفْرَة فليتنكَّبْ عنها من يَضَنّ بدينه. وكيف نزعم بمشايخ الإسلام كالصابوني والقاضي عبد الوهاب والهركاري أن ينزلوا على هذا الدهري البرهمي الزنديق.

قيل: إنه بدأ بهذا الكتاب قبل رحلته إلى بغداد وأتمّه بعد عَوده إلى معرّة النعمان وهو ٧أجزاء ومقدار ١٠٠كر. ولا جرم أن الناس ذمّوا الكتاب في كلّ زمان. ونقل ياقوت[٣] في ترجمة شيخه الوجيه ابن الدهّان أن خازن دار الكتب برباط المأمونيّة غسله وتبجّح بصنيعه هذا بحضرته فخطّأه الوجيه محتجاً بأنه إن كان خيراً من القرآن ـ وحاش لله أن يكون ـ فلا يجب أن يفرط في مثله وإن كان دونه فتركه معجزة للقرآن، فاستحسن الناس قوله ووافقه الخازن على ذلك، وكنت رأيت في مظنة فاتتني تقييدها أن

=

معجزة تعجز كل الورى ... ولو سروا في ضوء مشكاته

وقال ياقوت (٦: ١٧٠) بعد إطرائها حتى لو ادعى بها الإعجاز لما وجد من يدفع في صدره ولا يرد قوله ولا يأتي بما يقاربها فضلاً عن أن يأتي بمثلها ا هـ.

(١) ١٥٨.

(٢) هذا المثل أغفل عنه أصحاب كتب الأمثال كما قال ابن الدماميني في المنهل الصافي (مخطوط عندنا) قال: وذكر بعضهم أنه روى مظنة الكذب. وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن صفوان بن عمر الكلاعي. قال: بئس مظنة المسلم زعموا إنما زعموا مطية الشيطان. وأخرج ابن سعد في الطبقات عن شريح القاضي، قال: زعموا كنية الكذب ا هـ، وكنت قرأت هذا المثل في الدهر الأول في لب الألباب وهو متن في النحو مخطوط عندي. فإن أجاب بعض المستعربة أن اعترافه بإعجاز القرآن كان فراراً بنفسه عن بطش أهل الصلابة في الدين قلنا: إنه هجا صاحبنا من حيث أراد مدحه كما قال هو في النصارى. ل:

وقد شهد النصارى أن عيسى ... توخته اليهود ليصلبوه

وما أبهوا وقد جعلوه ربا ... لئلا ينقصوه ويجدبوه

(٣) ٦: ٢٣٥.

بعض الناس ارتاب في أن يكون المعري صنع كتاباً هكذا، إلا أنه وُجد في عصرنا جزء منه[١] لم نر فيه شيئاً مما يصدّق قارِفيْه وإنما هو كتاب في العظات والزهد كمُلْقَى السبيل ليس إلا[٢] وكنّا اطّلعنا من قبل على فصل عند البديعي[٣] وياقوت[٤].

(٥٨) «إقليد الغايات» مقصور على تفسير اللُّغزي (ك هـ اللغة) مقداره ١٠كر.

(٥٩) كتاب «السادن» هـ ك. الشادن ي. أنشأه في ذكر غريب هذا الكتاب وما فيه من اللغز ٢٠كر.

(. . .) «الفصول هو تضمين الآي».

(٦٠) «فقه الواعظ» هـ. وقال ياقوت: وكتاب آخر يعرف بـ «وقعة الواعظ» فهل صوابه برقعة؟

(٦١) كتاب «بعض فضائل أمير المؤمنين عليّ» ي. كتاب مناقب علي هـ.

(٦٢) «قاضي الحق» يتصل بالكتاب المعروف بـ «الكافي» الذي ألّفه أبو جعفر النحاس. ي هـ.

(٦٣) كتاب «القائف» (سقط من نسخة ي) هـ ك على معنى «كليلة ودمنة» نحو: ٦٠ كر. ك لم يتمّ (وأنا أرتاب بحكمه هذا) عمله لعزيز الدولة المارّ كما ورد في ر الـ ٣٦.

(٦٣) «منار القائف» في تفسير ما جاء في اللغز (ي ـ اللغة هـ) والغريب ١٠كر. ي هـ ك.

(٦٤) «اللامع العزيزي»[٥] ي هـ ك وهو معجز أحمد أيضاً. في تفسير شعر المتنبي عمل للأمير عزيز الدولة وغرسها ابن تاج الأمراء أبي الدوام ثابت بن ثمال بن صالح بن مرداس ١٢٠كر.

(٦٥) «لزوم ما لا يلزم» ي هـ ك. ومعناه أن القافية يردّد فيها حرف لو غيّر لم

---

(١) وجده صديقنا الفاضل الجليل محب الدين الخطيب حرسه الله بالحجاز ونقل منه فصولاً في الزهراء سنة ١٣٤٣هـ فله بذلك صنيعة لا تنكر وفضل لا يغمط.

(٢) عند البديعي ١: ٣٣ قال ابن سنان [عبد الله بن محمد بن سعيد الشاعر ابن صاحب أبي العلاء] وهذا الكتاب إذا تأمله العاقل علم أنه بعيد عن المعارضة وهو بمعزل عن التشبيه بنظم القرآن العزيز والمناقضة.

(٣) ١: ٣٣.

(٤) ١: ١٧٧.

(٥) منه نسخة في منشن وأخرى في دار التحف البريطانية وأخرى في بطرسبورغ. آداب العربية لزيدان ٢: ٢٤٨ ونقل عنه واستنبط نوعاً من البديع ابن حجة في الخزانة: ٤١٨.

يكن مُخِلاً بالنظم كما قال كُثَيِّر:

خليليَّ هذا ربع عَزّة فاعقِلا   قلوصيكما ثم انزلا حيث حَلّت

فلزم اللام قبل التاء وذلك لا يلزمه في ٣أجزاء نحو: ٤٢٠كر[1] يحتوي على ١١٠٠٠ بيت من الشعر.

(٦٦) «زجر النابح» ي هـ ك. يتعلق باللزوم وذلك أن بعض الجُهّال تكلّم على أبيات منه يريد بها التشرر والأذية فألزمَ أبا العلاء أصدقاؤه أن ينشىء هذا الكتاب فأنشأه وهو كاره. جزءٌ في ٤٠كر. ولا أدري هل هو رسالة الضَّبُعيْن بعينها التي كتبها أبو العلاء إلى معز الدولة[2] علي (؟) ابن صالح يشكو إليه رجلين كانا يؤلّبان عليه وينسبانه إلى الكفر والإلحاد أم هو غيرها وكان هذان قد حرّفا بيتاً من لزوم ما لا يلزم عن موضعه ليُثْبتا عليه الكفر بذلك. أحدهما الشريف ابن المحبّرة الحلبيّ. قال ابن العديم في العدل قال أبو العلاء في هذه الرسالة: «وفي حلب حماها الله نُسَخ من هذا الكتاب بخُطوط قوم ثقات يُعرفون ببني أبي هاشم.... جرت عادتهم أن ينسخوا ما أُمليه ا هـ.

(٦٧) «بحر الزجر» ي هـ. كتاب يتعلّق بزجر النابح مقداره عشر كر.

(٦٨) «راحة اللزوم» يشرح فيه ما في اللزوم من الغريب نحو مائة كر.

(٦٩) كتاب الراحلة (ي فقط وقد ذكر راحة اللزوم أيضاً) ٣أجزاء في تفسير كتاب لزوم ما لا يلزم. ولعل التفسيرين شيء ولكن تعدَّد على ياقوت فذكرهما.

والنسخة المطبوعة منه لعلها فقدَت بعض أبيات كما قد دللنا عليه في نحو ستّة مواضع من الفائت فانظره. ويوجد منه كثير من النسخ الخطّيّة[3]. وله المقدّمة فيما يلزم الشاعر وما لا يلزمه في قرض الشعر، ولكن جاء في بعض النسخ[4] مقدمة بسط الشاعر فيها تبرّؤه من قصد الإلحاد بأوضح بيان، وقال إن غرضه التفنن بالشعر. فهذا دليل على انتشار الكتاب في حياته واستجلابه به السُّمعة بالإلحاد وأن النُسَخ منه لا تتفق وأن الباحث على تأليفه «زجر النابح» ما مرّ.

وإن صحّ ما مرّ عن ابن كثير في البيتين يد الخ. فهو دليل على أنه نظم بعضه

(١) كذا عندي، وعند هـ و ك. ١٢٠ كر وهو الصواب إن شاء الله.

(٢) كذا ومر في فصل الملوك أن معز الدولة هو ثمال بن صالح.

(٣) بالخزانة المصرية إحداها حديثة. انظر فهرستها ٤: ٢٩٨ ونسخة بآيا صوفيا عددها في دفتره: ٤٠٣٦ وحسبها مؤلّفه نسخة من س.

(٤) هو عند سليم مدور أفندي وهو قديم ـ المشرق ٥: ٤٧.

ببغداد. ويظهر من بيته فيه:

رويدك إن ثلاثون استقلّت ولم يُنِبِ الفتى فمتى يُنِيب

أنه أخذ فيه وعمره ٣٠سنة أي نحو سنة ٣٩٣هـ، وقد أكثر فيه من ذكر الأربعين والخمسين، وهذا يدل على أنه نظم جله ما بين ٤٠٠ ـ ٤١٠، وتوالى ذلك إلى سنتي ٤١٧ و ٤١٨هـ، عامي شفاعته إلى صالح ورثائه لأبي القاسم المغربي الوزير ـ فلعلّنا لا نُخَطَّأ إن قلنا: إن شعره لا يتجاوز سنة ٤٢٥هـ كائنا ما كان. وقد اشتهر أكثره في حياته فبلغ بيته (غدوت..... الصحائح) الداعي بحَلَب وبيتاه (أرى ولد.... عقيماً.... يتيماً) التنوخيَّ الصغير ببغداد قبل سنة ٤٤٠هـ. وعمل في أثناء هذه المدّة عدة من كتب أخرى كالفصول والكتابين اللذين رسمهما باسم عزيز الدولة وغيرهما.

وأقدم نسخه الموجودة نسخة ابن الخشّاب[1] قارئه على ابن الجواليقي وثبت عليه صورة قراءة ابن الخشاب على ابن الجواليقي سنة ٥١٧هـ وصورة سماع ابن الجواليقي على التبريزي وهي: «قرأ عليّ الشيخ الأديب أبو منصور موهوب بن أحمد نفعه الله بالعلم هذا الكتاب مِن أوّله إلى آخره قراءة ضبط وتصحيح، وسمعته بقراءة العلاّني كاتبه عليه من أوله إلى آخره وبقراءة غيره وقرأت منه شيئاً على أبي العلاء وكتب يحيى بن عليّ الخطيبِ التبريزي سنة ٤٩٦هـ بمدينة السلام» ا هـ. قال الجواليقي أنشدنا الشيخ الإمام أبو زكريا لنفسه في هذا الكتاب:

تمتّع به عِلْقا نفيساً فإنه مقال بصير بالأمور حكيم
أراك من الدنيا حقيقة حالها وسُكّانِها من جاهل وعليم

وأما صنعة اللزوم فإنه تتبع فيها كثيّرَ عَزّة في لاميته الشهيرة وهي بتمامها في الأمالي[2] للقالي وإنما خصّه لأن له قصيدة طويلة وقال. ل:

كثيرٌ أنا في حرفي أهبتُ له في التاء يلزم حرفاً ليس يُلْتَزَمُ

وإِلاّ فإن كثيرين التزموا أشياء وذكرهم في مقدمة[3] ل. وممن لم يذكرهم

(١) بخزانة ليدن انظر ص: ٤٠٠ من فهرستها ثم رأيت نسخة أخرى تضاهيها في القدم أو تفضل عليها ببومباي وثبت عليه من الإجازات وبيتي التبريزي وغيرهما مما هو مثبت على نسخة ابن الخشاب كله وهي أيضاً منقولة من نسخة الجواليقي وثبت عليها بيتان آخران من غير عزو إلى أحد وهما:

إن كنت متخذاً لجرحك مرهماً فكتاب رب العالمين....
أو كنت مصطحباً حكيماً سالكاً سبل الهدي فلزوم ما لا يلزم

(٢) ٢: ١٠٩ وفيه أبيات من اللزوم كأبيات كثير ٣: ٦٩.

(٣) ١٧ ـ ٢٠.

عمرو بن معد يكرب[١] وأبو أُذينة[٢] وعبد الله بن الزُبير الأسدي وحُجر بن حية الحماسي وطرفة والفرزدق وأبو تمام وغيرهم[٣]؛ إلا أن الذي يكاد يُربي على جميعهم أبيات ذكرها الجاحظ في كتاب العصا له[٤] عن الأصمعي وهي:

أعددت للضيفان كلباً ضارياً ... وهَراوةً مجلوزة من أُرْزَن

ومعاذِراً كُذُبا ووجهاً باسراً ... وتشكياً عضّ الزمان الألزن

وشذاةَ مرهوب الأذي قاذورةٍ ... خَشِن جوانبُه دَلوظ ضَيْزَن

وبكفّ محبوك اليدين عن العلى ... والباعِ مسودّ الذراع مُقَحْزَن

وتجَنّياً لهم الذنوب والتقى ... بغليظَ جلد الوَجنَتَينِ عَشَوْزن

ولكن اللزوم صار بالتزامه له كأنه إحدى مخترعاته فتبعه كثير من الناس، ومرّ معظمهم في باب الأندلس وولع الناس بشعره، ومن غيرهم شمَيْمٌ الحِلّيُّ له رسائل[٥] فيه في كُرّاستين وكتاب اللزوم في مجلدين.

هذا ووجدت في ل قطعة أغفل فيها عن التزام حرف وقوافيها القديما. مقيماً عقيماً. مستقيماً، ثم.

فأَمّا أن يربيه عدوّاً ... وإما أن يخلفه يتيما

وفي العنوان «وقال في الميم المفتوحة مع الياء» فكأنه اقتنع على هذا الالتزام وهو هين ليس من التعنت في شيء. لا يقال بالتصحيف أو التغيير فإن القوافي وردت هكذا في الغيث[٦] والأدباء[٧].

وذكر بعض العصريين[٨]: أن الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي كان يستظهر ل.

(٧٠) «مبهج الأسرار» لأبي العلاء كذا هو عندك فقط وانظر.

---

(١) التبريزي على الحماسة ١: ٨٢.

(٢) التبريزي ٣: ١٢٠ ولأشعار ابن الزبير المعاهد ٢: ١٠٥.

(٣) انظر المثل السائر: ١٠٧.

(٤) الطبعة الثانية: ٤١ وبعض هذه الأبيات يوجد في حماسة البحتري أيضاً بفك اللزوم ص: ٣٧٦ من الخطية.

(٥) أدباء ٥: ١٣٩، وللقاضي عبد الوهاب شعر فيه أورده ابن الشيخ ١: ٢٧٤.

(٦) ٢: ١٩٨ مع زيادة بيت ليس في ل وهو:

وأما أن يصادفه حمام ... فيبقى حزنه أبداً مقيما

ومرت قافية مقيماً فيلزم الإيطاء.

(٧) ٥: ٣٠٢.

(٨) الأستاذ الفاضل صديقنا محب الدين الخطيب في بعض أجزاء الزهراء سنة ١٣٤٣هـ.

(٧١) «مثقال النظم في العروض» جزء. ي ص.

(٧٢) «مجد الأنصار في القوافي»، ي ص.

(٧٣) «المختصر الفتحي» يتصل بكتاب محمد بن سعدان صنعه لرجل يكنى أبا الفتح محمد بن علي بن أبي هاشم وكان أبو هذا الرجل تولى إثبات ما ألفه أبو العلاء من جميع هذه الكتب فألزمه بذلك حقوقاً جمة وأيادي كثيرة. ي هـ والعَذْل.

(٧٤) «مُلقى السبيل» صغير فيه نظم ونثر ٤٠كر. ي هـ. ولرجلين من أهل المغرب معارضتان لهذا الكتاب مرتا في باب «هو والأندلس».

(٧٥) «المواعظ الست» ي. والمواعظ هـ. والمواعظ السنية ك وهو تصحيف. يعني ستة فصول في خطاب الواحد والاثنين والرجال والواحدة والاثنتين والنساء ١٥كر. أوله كما في ك الحمد لله الذي عرف وفهم الخ.

(٧٦) نشر شواهد «الجمهرة» ولم يتم ـ ٣ أجزاء ي. تفسير شواهد الخ ص. ورأيت على طرر نسخة من «الجمهرة»[(١)] خطية عدة فوائد لغوية في غير الشواهد يرويها القاضي أبو سعد عنه.

(٧٧) نظم السور ـ ك. ظلم السور ص. تظلم السور ـ ي.

وهذه الكراسة ليست بمعنى ١٠أوراق. قال هـ وذكر أن «ملقى السبيل» في ٤كراريس قلت: إنما مقداره ثمان ورقات فكأنه يعني بالكراسة زوجين من الورق أقول وهذا القول مقارب وانظر حجم ل.

قال ي هذا ما وجدناه وأثبتناه عن جماعة من أصحاب أبي العلاء. قالوا: وله بعض كتب في العروض والشعر بدأ بها ولم تتم وتمت وشذ عنا أسماؤها. وفي «اللسان أن تصانيفه نحو ٢٠٠مجلد. وقال الرحالة ناصِر خُسرو: سمعت أن له من الشعر ما يزيد على مائة ألف بيت. قال القفطي[(٢)]: وأكثر كتب أبي العلاء عُدمت وإنما وجد منها ما خرج عن المعرة قبل هجم الكفار عليها وقتل أهلها ا هـ. أقول وكان ذلك سنة ٤٩٢هـ. ثم أخذها المسلمون من الكفار سنة ٥٢٩هـ.

---

(١) بحيدر آباد ورق ٢٥، ١٠، ٢٣، ٢٤، وغيرها.

(٢) هـ ١٣٦، ونقل مرجليوث عن ناسخ نسخة تاريخ الإسلام بدار التحف البريطانية وكان كما رجح من أبناء المئة التاسعة أنه رأى جل كتبه في مصر بعينيه ا هـ. وهذا جزاف من القول بل لو قال: هذا في نحو الثلث من كتبه لكان له وجه.

دار كتبه

لا جرم أنه كان يملك خزانة بني سليمان؛ وإن كان التاريخ ترك أمرها غفلاً، وهذا أبو عدي النعمان بن وادع بن عبد الله بن مسلم نرى خطه ثابتاً سنة ٥٢٥ على نقائض جرير والأخطل لأبي تمام وهو عِلقُ مضنّةٍ لم يعثر عليه جُلُّ الأقدمين فيما أعلم.

وكتب إلى أبي طاهر خاله من المعرة إلى بغداد في استكتاب شرح الكتاب لأبي سعيد. وإن كنا نراه يبالغ في الاعتذار عن التثقيل إلا أن شغفه بالكتاب وحرصه على استنساخه مستغنيان عن إقامة الدليل، وإطالة القيل، فإن له في الأمر عدة رسائل وهي ١٠، ١١، ١٢، ١٥، والسبب أنه لم يكن وصل إذ ذاك بلاد الشام لقرب عهد الوضع والتأليف.

هذا الرجل سُمّي في نسخة بانكي پور مرّتين ونصها: ذكر الشيخ أبو العلاء أن هذه القطعة في علي بن عبد الله بن خالويه. قال أبو زكريا كأنه أهدى إليه كتاباً من مسموعاته وسماعه مكتوب عليه.

وأهدى إليه رجل كتاباً ثبت عليه سماعه فقبله وشكره بقطعة[1] منها:

قد أتتني هديةٌ منك بالأمـ ــس فقابلتها بحسن القبول
غير أن السماع في الكتب وقف وانتقال الوقوف غير جميل

ولما تقدم عزيز الدولة إليه باختصار «كليلة ودمنة»[2] «فأما كليلة ودمنة فليس له نسخة عندي ولا تمكن به علمي ولا أذكر أني استكملته سماعاً قط. ولما ورد كتابه المعظم سألت من جاءني منه بنسخة وكلفته أن يقرأها عليَّ» الخ. قوله: فليس له نسخة عندي يشير إلى أنه كان له دار كتب. وهذا القول هو الذي حضني على إثبات هذا الفصل. ثم رأيت أن القاضي أبا سعد كتب على نسخه من «الجمهرة»[3] خطية: في نسخة الشيخ أبي العلاء كذا. وهذا صريح في الباب ومر في فصل الحفظ أنه كان يملك من «الجمهرة» نسخة ليس في الدنيا مثلها.

وأما الكتب التي ورد[4] ذكرها في تآليفه المعلومة فهاك جدولاً لأساميها و(ر)

(١) س، ٢: ٢٢٤.
(٢) ر، ص: ١٢٠.
(٣) بحيدر آباد ورق: ٢٥.
(٤) وفي (ذ): إن مؤرخي أبي العلاء لم يعينوا لنا الكتب التي بدأ يدرسها في النحو واللغة والآداب. فلو أنهم فعلوا ذلك لكان من اليسير علينا أن نلتمس هذه الكتب فنصفها الخ ص ١٤٢، وظني أن في جدولنا بعض كتب بدأ بدرسها إن شاء الله.

علامة الرسائل و(غ) للغفران و(ل) للزوم و(س) للسقط و(مل) للملائكة.

غ	١٩٢	كتاب الأبدال لأبي الطيب اللغوي
غ	١٩٢	كتاب الاتباع له صغير
غ	٢١	كتاب الأجناس للأصمعي
غ	١٤٠	أخبار بشار
غ	٢٠١	أخبار الفرزدق
غ	١٦٥	أراجيز رؤبة
غ	١١٥	أراجيز عدة من الرجاز
س	٢ : ١١٢	جزء من أشعار تنوخ
	١٢٠ و٢٤٠	مما قيل في الجاهلية
		جمع القاضي المحسن التنوخي
غ	٧٥	أشعار الجن للمرزباني
ل	١ : ٢٣	أشعار قريش
ر	١٢٠ و١٨	إصلاح المنطق لابن السكيت
ر	١٤	مختصره للوزير أبي القاسم ابن المغربي
غ	١٣٧ ل ١ : ٢٢	الأصول لابن السراج
غ	١٨٠	كتاب الاعتبار
		الإقناع انظر المقنع
ل	٢ : ٢١٠	الأمالي للمعري
ل	مل	أمثال محمد بن حبيب
غ	١٥٧	التاج لابن الراوندي
غ	١٣٦	تاريخ لابن أبي الأزهر والقطربلي
غ	٢٠٢	تاريخ ابن شجرة بخط المرزباني
ل	٢ : ٨٢	الترجمان في معاني الشعر[١] للمفجع البصري
ر	٦٧	تفسير سورة الإخلاص لصديقه النكتي

(١) وعند ابن النديم ص: ٨٣ ما يدل على أن حد الإعراب جزء من أجزاء الترجمان.

ل	٢ : ٣٢٤	جامع سفيان
غ	١٣٧	الجمل لابن السراج
ر	٧٢	الجمهرة لابن دريد
غ	٥٧	كتاب الحجة في وجوه القراءات للفارسي
غ	١٨٧	حد الإعراب (١) للمفجع
ر	٦٦	حماسة أبي تمام
غ	٣٥	كتاب الخاء لأبي عمرو الشيباني
غ	١٥٨	الدامغ لابن الراوندي
ل	١ : ٢١	شعر أبي عبادة البحتري
س	٢ : ١٢٠	ديوان تيم اللات. مر في أشعار تنوخ
غ	١٧٢	ديوان الحارث بن حلزة
غ	١٧١	شعر حسان بن ثابت
غ	١٣٦	ديوان الخالديين
غ	١٨٩	ديوان طفيل الغنوي
غ	١٧٦	ديوان عبيد بن الأبرص عدة نسخ منه
غ	١٠	ديوان عدي بن زيد عدة نسخ منه
غ	١٣٧	ديوان أبي الطيب المتنبي
ل	١ : ٢١	ديوان النابغة
غ	٩	ديوان أبي الهندي
غ	٧	رسالة ابن القارح
ل	١ : ٢٨	[سقط الزند] كلام لي قديم
غ	١٩٣	شجر الدر لأبي الطيب اللغوي
ر	١٢٠	كتاب الصاهل والشاحج للمعري
ر	١٧٥	طبقات المغنين لابن خرداذبة
ل	١ : ١٩٧ و٢٤١	العمدة لعبد الجبار المعتزلي
ل	٢ : ٨٢	كتاب العين للخليل
ر	٦٦	غريب الحديث لابن قتيبة
ل	١ : ١١	الغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام

ل	١ : ٣٢٩	الفرخ للجرمي
غ	١٦٢	كتاب الفرق لأبي الطيب اللغوي
غ	١٦٠	الفريد لابن الراوندي
غ	٣٨	القصيدة الميمية المعلقة للبيد
غ	٤١	.. ميمية المخبّل السعدي
غ	٤٨	.... زائية الشماخ وجيميته
غ	٤٩	قصائد النابغة
غ	٦١	.... لامية الراعي
غ	٦١	.... دالية حميد بن ثور (رض)
غ	٦٦	.... الحائية تروى لعبيد وأوس
غ	٨٨	.... صادية امرىء القيس وضاديته ونونيته
غ	٩٤	.... بائية علقمة وميمتيه
غ	٩٨	.... دالية طرفة
غ	١٠١	القصائد الثلاث وغيرها لأبي كبير الهذلي
غ	١٠٦	.... ميمية المرقش
غ	١٦٤	.... عدة قصائد لأبي تمام
غ	١٧٧	.... مقصورة ابن دريد
ر	٦	.... الميمية والواوية لابن المغربي
ر	١٤٣	الطائية اللزومية للمعري
غ	٥٩	القضيب لابن الراوندي
ل	١ : ١١	كتاب القوافي للفراء
ل	١ : ١١	كتاب القوافي لخلف بن حيان الأحمر
ر	٨٢ غ ١٠٠ ١٣٧ و١٤٠ و١٨٥. مل	الكتاب لسيبويه
ر	٣٦ : ٣٩	شرحه للسيرافي
ل	١ : ٢٤٨، ٢٧٠	كتاب المعمرين لأبي حاتم
غ	٥١	بعض كتب الأغاني

غ	١٨٤	كتب بدار العلم ببغداد عليها سماع ابن القارح
ل	١ : ٣١٧	كتب أبي زيد وأبي عمرو وأبي عمرو الزاهد
غ	١٨٠	كتاب المبتدأ من التوراة
غ	١٧٥	كتاب المبعث (في الحديث) لأبي معشر المدني
غ	٦٩	كتب النضر بن شميل
ر	١١٩ و١٢٠	كليلة ودمنة
ل	١ : ٣	لزوم ما لا يلزم للمعري
ر	٨٣	كتاب المجاز لأبي عبيدة
غ	٥٩	المرجان لابن الراوندي
ل	١ : ٢٤١، ١٩٧	المغني في الكلام
غ	١٨	
مقاتل الفرسان لأبي عبيدة	١ : ١١١	
غ	١٣٧	المقنع للسيرافي وابنه
ر	٨٢	المنطق. أربعة كتب فيه
غ	١٣٧	الموجز لابن السراج وأبي علي الفارسي
س	٢ : ٢٢٤	كتاب مجهول عليه سماع رجل أهداه للمعري
ر	٥٧	نوادر ابن الأعرابي
غ	١٤٧	«الصولي»
غ	١٤٠	كتاب الورقة
ر	٨٩	(وهو الأوراق للصولي)

ومر سائرها في سرد أسماء الثبت ووصفه من صنعه وصنع غيره.

الآراء في تليينه من جهة الدين

مما لا يتطرّقه أدنى ريب أو أضعفُ شُبهة أن الرجل شُهر بالإلحاد والزندقة وهو حيّ يُرْزَق بعدُ. وذلك لما سار شوارد أشعاره وأوابد آرائه في أكناف البسيط واعترف الرجل بنفسه بذلك في غير ما موضع من كلامه كما في النظرة والفائت.

قال الفارسي[١] وذكر «الفصول» فاتهموه بأنك وضعته معارضة للقرآن. ومر خبر أبي القاسم في حلقته. وكذلك خبره مع وزير محمود وذِكْراه بعد وفاته بالإلحاد في مجلس غرس النعمة وقول عبد السلام القزويني فيه، وحكاية المنازي في تركه الدنيا والآخرة.

ولفظ الباخرزي في الدُّمية قد طال في ظل الإسلام آناؤه ولكن ربما وشح بالإلحاد إناؤه وعندنا خبر بصره والله تعالى العالم ببصيرته لكتابه الذي زعموا أنه عارض به القرآن الخ.

وقال السمعاني وحُكي عنه حكايات مختلفة في اعتقاده حتى رماه بعض الناس بالإلحاد. وقال ابن الجوزي في «تلبيس إبليس»[٢] له «ومن زنادقة الإسلام من لم يبرح على تعثره ففاتته الدنيا والآخرة مثل ابن الراوندي والمعريّ» ثم قال: «وأما أبو العلاء فأشعاره ظاهرة الإلحاد وكان يبالغ في عداوة الأنبياء ولم يزل متخبّطاً في تعثره خائفاً من القتل إلى أن مات بخسرانه» وقال في «تاريخه»[٣] «زنادقة الإسلام ثلاثة: ابن الراوندي وأبو حيان التوحيدي وأبو العلاء». قال: وأشدهم على الإسلام أبو حيان؛ لأنه مجمج ولم يصرّح» ا هـ. قلت: «وهذا قضاةٌ في القضاء سَذَوْمُ» فإن ابن الراوندي لم يكن يدّعي الإسلام أصلاً بعد أن مال إلى اليهودية وجُلُّ كتبه في معارضة القرآن والطعن على النبي ﷺ وقدَم العالم وإبطال الرسالة كما ذكر ابن القارح[٤] وأدرك عصرَه وغيرُه[٥]. فهل يبقى من الإسلام شيء بعد كل هذه الكُفْريّات وكيف يُجْعَل مع أبي

(١) ١٦.

(٢) دهلي: ١٦٠.

(٣) الشافعية: ٤: ٣.

(٤) ٢٠١.

(٥) المعاهد ١: ٥٦ وقد طول في سرد آرائه والرد عليها.

العلاء في قَرَن مع أنه تبرّأ من أعماله براءةً بالغة في الغفران[١] وهاك شيئاً من جمله: «وأما ابن الراوندي فلم يكن إلى المصلحة بمهديّ... وأما الدامغ فما إخاله دمغ إلاّ من ألّفه» ومر لنا نقل فصل عنه في ذكر «الفصول» في إعجاز القرآن. ولهذا لم يرضَ بفَصله هذا ابنُ السُّبْكيّ في أمر أبي حيّان ولكن أغفل صاحبَنا لسوء رأيه فيه كما سيأتي.

وقال الذهبي[٢] هو صاحب التصانيف المشهورة والزندقة المأثورة له «رسالة الغفران» في مجلّدة قد احتوت على مَزْدَكة واستخفاف. ثم قال بعد كلام كثير والذي يظهر أن الرجل مات متحيّراً لم يَحْتم بدين من الأديان.

وأول من نشر شعر إلحاده غرسُ النعمة قال: وقد طَبّق المَفْصِلَ كان[٣] يُرْمَى بالإلحاد في شعره وأشعاره دالّة على ما يُزَنّ به ا هـ واقتصرتُ[٤] على أقوال هؤلاء فإنهم أُسوة كلّ من كتب فيه شيئاً.

وأمّا أشعاره في المعنى فهي كثيرة في اللزوم وانظر النظرة وفي غيره وانظر الفائت وبعضه منحول لا شك.

النقائض

ولما طار أشعاره في الأقطار وتناقلته ناقلة السُّفّار لَهِجَ كثير من الأدباء بالمناقضة معه في الأفكار والآراء ورموه بما جنى وما لم يجن. ولم يمنعه زُهده ونُسكه عن التُّهمة ولم يَثنِ.

(١) قال ياقوت[٥] في ترجمة ذي الفضائل الأخسيكثي المتوفى سنة ٥٢٨هـ قرأت في ديوان شعره بخطّه أنشدتُ لأبي العلاء هفت الحنيفة[٦].... مضلّلَهْ البيتين فقلت مجيباً له:

الـــديـــن آخـــذه وتـــاركُـــه ... لـم يَـخـفَ رُشْـدُهـمـا وغـيّـهـمـا

اثـنـان أهـل الأرض» قـلـت فـقـل ... يـا شـيـخ سَـوْء أنـتَ أيُّـهـمـا

(١) ١٥٧ ـ ١٦٠ وراجعه فإنه يهم للغاية.
(٢) ١٢٩ و١٣٣.
(٣) هـ: ١٣٠.
(٤) وقد حكم التفتازاني بكفره وإلحاده كما في روضات الجنات ص: ٧٤.
(٥) ٢: ١١١ ومثله في النكت: ١٠٧ والمعاهد ١: ٥١.
(٦) ل ٢: ١٧٥.

(٢) وعارض بيتيه إذا ما[١] .... الخَنَا البيتين أبو محمد[٢] الحسن اليمني بقوله:

لعمرك أمّا فيك فالقول صادق وتكذيب في الباقين من شطّ أودنا
كذلك إقرار الفتى لازم له وفي غيره لغو كذا جاء شرعنا

(٣) وفي «الفوات»[٣] في ترجمة ابن أبي كدية أنه سمع قائلاً ينشد للمعري ضحكنا[٤] .... أن يبكوا البيتين. فقال يردّ عليه:

كذبتَ وبيتِ الله حِلفةَ صادق سَيُسبِكنا بعد الثرى من له الملك
ونرجع أجساماً صحاحاً سليمة تعارف في الفردوس. ما عندنا شكّ

(٤) وقال:

دين وكفر وأنباء تقال وفر قان ينصّ وتوراة وإنجيل
في كلّ جيل أباطيل يدان بها فهل تفرد يوماً بالهدى جيل

أجابه النواوي[٥] لا الذهبيّ فقال:

نعم أبو القاسم الهادي وأمّتُه فزادك الله ذُلاً يا دُجيجيل

(٥) ومرّ بيتاه في قطع اليد وما أجابوا به عنهما في أبواب بغداد.

(٦) وهجاه أبو جعفر البحائي القاضي الزوزني وكان هَجّاءً[٦] ماضي الجنان خبيث اللسان بقصيدة طويلة منها كما في الدُمية وهو أستاذ الباخَرْزيّ[٧]:

كلبٌ عَوَى بمعرة النعمان لما خلا عن ربقة الإيمان
أمعرّةَ النعمان ما أنجبت إذ أخرجتِ منكِ معرّةَ العُميان

(٧) وعارض الخضِر الموصليُّ[٨] قوله من ل:

تقدّم صاحبُ التوراة موسى وأوقع في الخَسار من افتراها

الأبيات بقوله:

---

(١) انظرهما في الفائت.
(٢) النكت: ١٠٧، والمعاهد ١: ٥١. والنور السافر (مخطوط) لعبد القادر العيدروس.
(٣) ٢: ٢٣٩. وفي النور السافر (ورق: ٣٦٤) عزوهما إلى الإمام محمد بن عتيق اليمني.
(٤) ل ٢: ١٢٦.
(٥) كما قال الذهبي: ١٣١، ووهم صاحب المعاهد ١: ٥١، أن المجيب الذهبي.
(٦) ياقوت ٦: ٤٠٩.
(٧) الشافعية ٢: ١٤٨.
(٨) الإسعاف له ص: ١٦٤ نسخة حيدر آباد.

خَزاكَ اللّهُ من أعمى لَعِيْنٍ بصيرَتُهُ تناهت في عَماها
يقول إذا الحكيم رعى حِجاه تَهَاوَنَ بالشرائع وازدراها
فما هذا الخبيثُ إذاً حكيمٌ ولكن ليس يدري ما طحاها

تزكيته أو القول بحيرته

ذكر ابن خلكان[١]: أن شيخ الإسلام الهكاري لقي المعري وسمع منه فلما انفصل عنه سأله بعض أصحابه عما رآه منه وعن عقيدته فقال: هو رجل من المسلمين.

وقال السِّلَفيّ[٢] وفي الجملة فكان من أهل الفضل الوافر والأدب الباهر والمعرفة بالنسب وأيام العرب، قرأ القرآن بروايات، وسمع الحديث بالشام على ثقات، وله في التوحيد وإثبات النبوّة وما يحضّ على الزهد وإحياء طرق الفتوّة والمروّة شعر كثير، والمشكل منه فله على زعمه تفسير ا هـ وقال الصفدي[٣] وأظن السلفي قال: إنّه تاب وأناب.

وقال ياقوت[٤]: والناس فيه مختلفون فمنهم من يقول: إنه كان زنديقاً وينسبون إليه أشياء مما ذكرناها ومنهم من يقول: كان زاهداً عابداً متقللاً يأخذ نفسه بالرياضة والخشونة والقناعة باليسير والإعراض عن أعراض الدنيا.

قال الصفدي[٥]: وحُكي لي عن الشيخ كمال الدين ابن الزملكاني أنه قال في حقّه: هو جوهرة جاءت إلى الوجود وذهبت.

قال[٦]: وسألت الحافظ ابن سيد الناس فقلت له: ما كان رأي الشيخ تقي الدين ابن دقيق العِيْد في أبي العلاء فقال: كان يقول هو في حَيرة. قال الصفدي ولعمري هذا الذي يظهر لذوي الألباب من كلامه الخ. وقال الدميري: وهذا أحسن ما قيل فيه.

وقال الذهبي: منهم من يقول: ارعوى وتاب واستغفر ا هـ ولفظه في العِبَر[٧]: ولعله مات على الإسلام وتاب من كفريّاته وزال عنه الشكّ والارتياب ا هـ. ونقل

---

(١) ١: ٣٤٦.
(٢) هـ: ١٣٥.
(٣) نكت: ١٠٤، وفي البغية: ١٣٦ وقال السلفي: أظنه تاب الخ.
(٤) ١: ١٧٨.
(٥) نكت: ١٠٦.
(٦) نكت: ١٠٦ والغيث ٢: ٢٤٤ وحياة الحيوان ٢: ٢٣٠.
(٧) نسخة حبيب الرحمٰن الشرواني.

صاحب النور السافر عن عجائب البلدان للقزوينيّ أنه تاب في آخر عمره عن أمثال هذه واستغفر وحسن إسلامه.

قال ابن الجوزيّ[١] وقد حدّثنا عن أبي زكريّا أنه قال: قال لي المعري ما الذي تعتقد؟ فقلت: في نفسي اليوم أقف على اعتقاده. فقلت له: ما أنا إلاّ شاكّ. فقال: وهكذا شيخك.

القول الفصل في القضية

هؤلاء الأئمة تناقضت أقوالهم وتباينت مناحيهم في دين الرجل ولعل هذا الداء سرى إليهم من شعره ففيه كل شيء. وضدُّه كما يقول هو بنفسه. ل:

ولكل ما أصبحت تدرك حِسّه ضدٌّ وكبرة من ترى كصغار

ويعتري النفس إنكار ومعرفة وعلى معنى له نفي وإيجابُ

وانظر النظرة حتى تُشاهد مقالنا برأي العين. ولست أعني تخطئتهم بأجمعهم فإنهم لم يَنْفُثوا إلاّ بما رأواه في شعره فكلّهم إذاً مُصيب في مزعمه. إلا أنني أريد أن أرعى كلّ ما رأيتُ له في وقت واحد رعاية رجل لم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها، حتى لا أبْخَسَه حقَّه في نعمة أسداها، كما أنني لا أريد أن أنفي عنه شنائع أتاها وجرائم جناها.

لا غرو أن له كثيراً من الشعر في اللزوم، واستغفِرْ مما يرمي إلى المروق كالاعتراض على حكمة الباري سبحانه وإرادتهِ الخيرَ وإنكاره النُبوّات والاستخفاف بأنبياء الله وبالشرائع وإنكار البعث والمعاد والقول بقدم العالم والذهاب إلى آراء الفلاسفة في أن العالم كالنبت يزهَر ثم يذبُل وجناية الوالد على الأولاد وتحريمه أكل كل ما لا يُنبته الأرض كاللحم والشحم واللبن والجبن والعَسَل واختيارِه إحراقَ الميّت على دفنه وغيره مما يطول بنَا سَرْدُه.

ولكن لا يوجد له شيء في غير. ل. من هذا النحو لا في س ولا في «مُلقى السبيل» ولا إن شاء الله في سائر كتبه مما لم يَصِلْنا. اللهم إلا نزرٌ يسيرٌ[٢] لا يصرّح إلى الغرض فلا حاجة لنا إذاً به.

وليكن منك على ذُكر أن له في اللزوم أيضاف مما يُضادّ عامة الأمور المذكورة

(١) أدباء ١: ١٧١ والنكت: ١٠٤.

(٢) انظر س ١: ١٩٤، ١٩٥، ١٩٩، ٢٠٨، ٢١١، ٢١٩، ٢: ١٢، ٥٤، ٨٩، ٩٠، ١٧٧، وأكثرها في الاعتراف الصادع والدين الناصع، وانظر الملقى ٢٢٥ للإيمان بالبعث.

شيئاً ليس بالهين بل لعله على السابقة في الكمية والكيفية فانظر النظرة.

ولكن الطبيعة البشرية مفطورة على الانجذاب إلى ما فيه استطرافٌ أو جِدَّة، فتراهم حكموا عليه بَتاتاً بعدّة كلمات له سردوها في الزندقة واضربوا عما يضادّها صَفحاً بالمرَّة. كما أن الذين أرادوا تبرئته وإنقاءَ جَيبه اقتنعوا على ما يضادّها فقط. فأيُّ الفريقين أحقّ بالأمن؟

والذي يتخلص من كلّ ماله أن الرجل لما رحل إلى بغداد كان يرتجي من دنياه أنْ تواتيه ومن حياته أن تساعفه. ولكن لما رأى بها إعراض الحياة وزهراتها منقادة للطغام مُعْرِضة بوجوهها عن الكرام؛ علم أن الدنيا ليست إلا حَظّاً وبختاً وأن فوائدها لا تحصل بالكد والعمل أو السعي والاجتهاد. ولم يكن يرغب في الدنايا حتى يكتفي بها عن المعيشة الفاضلة، فنقب عن العلماء والنّسَّاك لعله يجد دواءه عندهم فرآهم حريصين على المطامع والمطاعم. مُوْلَعين بالاستهتار بالمعاصي غير آخذين أنفسهم بالواجب واللازم، وكأنه كلما أنكر عليهم منكراً وندّد بسوء أعمالهم أغراهم بنفسه وأثار منهم دِخْلة فاسدة فرَموْه بالعظائم. وأحالوا على الشريعة والدين حتى يتخلصوا عن لومة كلّ لائم. فرماهم رَشقاً واحداً. ووقع فيهم وفي أديانهم جاهداً. فأخذوا بعض كلامه وطاروا به ورموه به بكل قبيحة. قال أمين الحلواني المدني[١]: لعلَّ أبا العلاء كان في زمان مثل زماننا هذا يعني كلّ امرىء أنكر المنكر يرمونه بسوء الاعتقاد ليغروا به الملوك كما قال الإمام ابن حزم: أنا طريد الملوك لأني أقول الحق ولا أبالي ا هـ.

فلم يكتفوا بما وجدوا له بل عملوا بعضاً من الأشعار، وضمنوه ما يرمي إلى المروق. نقلوا[٢] عن ابن العديم في العدل والتحري. قال: قرأت بخط أبي اليسر المعري في ذكره، وكان رضي الله عنه يرمى من أهل الحسد له بالتعطيل وتعمل تلامذته وغيرهم على لسانه الأشعار يضمنونها أقاويل الملحدة قصداً لهلاكه وإيثاراً لإتلاف نفسه (ثم أورد ثلاثة أبيات له أهوانِ. وانظرها في الفائت)، وترى في الفائت بعض كلمات ركيكة لا تشبه سائر شعره ولعلها من هذا الجنس. ومر خبر تحريف رجلين بيتاً من اللزوم وتأليف أبي العلاء رسالة الضَبُعَين وإرساله إياها إلى معز الدولة علي بن صالح تنصُّلاً.

ولدينا شواهد على أنهم لم يعملوا بالتحفظ والاحتياط في عَزْو بعض أمور إليه مما هو بَراءٌ منه كما مرّ قول الزمخشري في بيتين من س أنه عارض بهما قوله تعالى

(١) في مقدمة اللزوم، الطبعة الأولى ببومباي.

(٢) أدباء ١ : ١٧٩. وكذا في أنيس الجليس ١ : ٢٧٩.

إنها ترمي بشرر الآية. وقد دفعناه في صَدْره ورددناه عليه. وهذا ابن السُّبْكي روى بيتين لابن الراوندي[١] وعزاهما إلى المعرّيّ ثم قال فقبحه الله ما أجرأه على الله عز وجل (ثم ذكر لهما نقيضةً) فهل من متأدّب لا يجزم بأنهما لابن الراوندي[٢]. وروى ابن سعيد في المغرب[٣] من قصيدة للجمال أبي الحسين الجزّار قوله:

وفي علم العروض دخلتُ جهلاً وغُمتُ بخفّتي في كل بحر
فأذكرني به التفعيلُ جهلا تضمّن نصفه الشيخ المعري
مفاعلتن مفاعلتن فعولن «حديث خرافة يا أم عمرو»

والمصراع عجز بيت لبعض مشركي مكة كما هو معروف، وصدره:

أموت ثم بعث ثم حَشرٌ

ولكن هذا الاستدلال لا يغني عنه إلا في المنحول. وأما الثابت الذي دوّنه بنفسه في ل فهو أيضاً كثير فكيف يسلم من معرته؟ وهاك أموراً تجلو من الحقيقة شيئاً:

إنّ حُبّ الظَرْف والاستطراف هو الذي حدا به على أن أنشأ كلَّ صِنْف من الشعر وولج في كل باب منه لما اشتُهر به الزنادقة من الأدب والتظرّف قال ابن القارح[٤]: ولكني أغتاظ على الزنادقة والملحدين الذين يتلاعبون بالدين، ويرومون إلى إدخال الشبه والشكوك على المسلمين ويستعذبون القدح في نبوة النبيين صلوات الله عليهم أجمعين، ويتطرّفون ويبتذؤون إعجاباً بذلك المذهب[٥] تيهَ مُغَنٍّ وظرف زنديق ا هـ، ولو كانت هذه آراءً له منقحة وأفكاراً محققة لم نجد لها من الأضداد هذا القدر الجمَّ. وقد ورد في مقدمة بعض النسخ من اللزوم[٦] مقدمة بسيطة تبرأ فيها من قصد الإلحاد بأوضح بيان. وقال: إن غرضه التفنن بالشعر ا هـ. ويشهد له ما جاء في ثبت كتبه[٧] من أن بعض الجهّال تكلّم على أبيات من لزوم ما لا يلزم يريد بها التشرّر والأذية فألزم أبا العلاء أصدقاؤه أن ينشيء هذا (يريد كتاب «زجر النابح») فأنشأ هذا الكتاب وهو

---

(١) الشافعية ٣: ٩٧ وهما:

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
هذا الذي ترك الأوهام حائرة وصير العالم النحرير زنديقا

(٢) انظر المعاهد ١: ٥٣.

(٣) ١٣٤.

(٤) ١٩٧.

(٥) انظر المثل في كتابي معجم الأمثال.

(٦) انظر المشرق ٥: ٤٧، وهذه النسخة قديمة.

(٧) أدباء ١: ١٨٣.

كارهٌ ا هـ. فهذا صريح في أن أصدقاءه لم يكونوا يعرفون اللزوم كتابَ إلحاد كما عرفه الأباعد، وأن مذهب الإلحاد لو كان فيه غرضاً مقصوداً لم يحتج إلى الردّ على ذلك الجاهل فنفث الرجل بكل ما تخالج في قلبه من الشكوك التي لا بد للإنسان منها وهذا إبراهيم عليه السلام قال: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ وهذا معنى قوله من. ل:

يسمّي غويٌّ من يخالف كافراً له الويلُ أيُّ الناس خالٍ من الكفر

فلم يأت أمراً بِدْعاً بل هو على مذهب غيره من الشعراء كالمتنبي وابن هانىء وأبي نواس بل هو أصدق منهم لهجة وأتمُ منهم نُسْكاً وزهداً وقناعةً وإيثاراً وتعبّداً واستقلالاً بالآراء... وغاية الأمر أن لم يكن وضح له بعض العقائد، فكان منها في شك وحَيْرة على ما يَنم به شعره كان يودّ أن لو لقي رجلاً يُزيل عنه الشكوك ولكنه أخفق فيما هو الظاهر فلم يزل يذكرها ذكر من لا يسيغها ولا يلفظها. والدليل على ذلك أنه لم يزل قائماً بما لم يشكّ فيه كالمواظبة على الصلوات وإحياءِ الليل والذكر والتسبيح واجتهد أن يتوفى على هذه الحالة، كما قال في ثبَت كتبه وكما شهد به الذين لقُوه وعلى صوم الدهر والمروّة والفتوّة والعفاف والطهارة ونقاء الجيب عن سفاسف الأمور. وقد قالوا إن صاحب كل فنّ يحتاج إليه فقط وأما المتأدّب فإنه يحتاج إلى كلّ العلوم والفنون، وينبغي له أن يطرق كلَّ باب ويلج في كل ساحة.

وهؤلاء ملاحدة العالم من جميع الأديان لا يشبه مذهبه في الحياة مذاهبهم على ما أورد كثيراً من أخبارهم في الغفران. فهم يأنفون عن التكاليف الشرعية ويستنكفون من العبادات ويستخفّون بها ويستهزؤن ويسخرون ويولعون بالهَزْل ولا يأخذون بذوات نفوسهم بَلَهَ المسترشدين. على أن جلّهم كانوا داعين إلى مقالتهم التي أنشأوها حتى يتمكنوا من زهرة الحياة ويقدروا على لذائذ الدنيا فإنها غرضهم الوحيد. ولم ينقل أحد ولا من أعدائه عنه أنه كان يرغب في شيء من رغائب الدنيا، أو يدعو أحداً إلى مقالة في الدين يكون انتحلها وهؤلاء تلامذته ملأوا أقطار البسيطة ليس فيهم أحد على مذهب شيخه ولا نقَل أنه دعاه إلى دين غير الإسلام ولو كان داعية لَم يَعدَم منهم مؤمناً به، ولا أعوز عليه تابعٌ منهم. كما لم يُعوز على أغمار الملاحدة وطغام الزنادقة قبله وبعده. وقد كتب إليه ابن القارحَ مَذامَّ الملاحدة وآفاتهم فهل نراه سَخر منه؟ ولكنَّ ذكاء صاحبنا لا يخلّينا أن نظنّ به الجهلَ عما يُراد به، ولا نظنّ ابن القارح عَرّض به وبمروقه مع اعتقاده فيه كلَّ جميل.

ولم أر في معارفه وهم خَلق لا يُحْصَوْن أحداً قرفه بما قرفه به الأجانب(١) وهذا

(١) قال ابن الوردي ١: ٣٦٢. ونقل خبر مساجلة أبي الطيب الطبري على ما مر في أبواب بغداد وأبيات =

لعمري عجب عاجب. وهذا التبريزي وغيره من التلامذة وغيرهم من زُوّاره بالمعرّة ومنهم شيخ الإسلام الصابوني والقاضي عبد الوهاب المالكي ومن البغاددة أبو الطيب الطبري وأبو حامد الأسفرائنيّ المجدّد قبلوا هداياه أو نزلوا عليه أو رغبوا في اصطفائه وودّه. والأنْدَلُسيّون معروفون بالصلابة في أمر الدين ولم أر لهم كلمةً في القذف وما ذاك إلا ضَنّاً منهم بدينهم أن يتهموا بريئاً فظهر مصداق قول ابن العديم: إن الذين لقوه وصفوه بكل جميل والذين لم يلقوه ولا عرفوه رموه بكل قبيح.

وفي عمدة المؤمّل وعُدّة المتمثل[١] وأنشدني قاضي الحكم بمعرّة النعمان ابن عم لأبي العلاء، وقد أجازني إجازة مطلقة جميعَ شعر أبي العلاء ومنثوره وحِكَمَه، وذكر لي ما كَان ابنُ عمه عليه من الزهد والورع وجميل السريرة خلافاً لما ظهر من لفظه في نظمه ثم أتى ببيتيه من س خلق الناس للبقاء الخ. أقول وكأنه أراد بابن العمّ بعضَ وُلْده كما هو الظاهر.

على أن المتقدّمين من متّهميه راعَوْا جانبَ التحفّظ فلفظ السمعانيّ وحُكي عنه حكايات مختلفة في اعتقاده حتى رماه بعض الناس بالإلحاد ا هـ. ولفظ الباخرزي وعندنا خبر بصره والله العالم ببصيرته والمطّلع على سريرته، وإنما تحدثت الألسن بإساءته لكتابه الذي زعموا أنه عارض به القرآن الخ. وقد مرّ لنا قول الأولين أن: «زعموا مطية» الكذب. فإن كان نبزه بالإلحاد من جهة «الفصول» فإنا ننفيه آنفاً إن شاء الله. ونرى كثيراً من مترجميه لم يتعرّضوا لدينه ولعمري إن فيهم لأسوةً كالكمال ابن الأنباري وابن خلّكان. ولكن المتأخرين المسيطرين حكموا بزندقته حكم الصبيّ ولم يستثنوا.

ولا تحكما حكم الصبيّ فإنه ... كثير على ظهر الطريق مجاهله

ولم يقفوا دون الحدّ ولا احتاطوا في المقَال. على أن المتقدمين كانوا أرعى منهم لجانب الله وأنقى له في عبادة وكانت لهم وسائل تُسهّل سبيلَهم إلى كشف جليّة

= كليهما، ثم قال: فشهادة أبي الطيب في الشيخ مقدمة على شهادة الغير وحسن الظن وخصوصاً بالعلماء قد دل عليه القرآن والحديث وهو لا يأتي إلا بخير وكان شيخنا عبس حسن العقيدة فيه واعتراف الطبري له ومدحه يكفيه:

شهادة الطبري الحبر كافية ... أبا العلاء فقل ما شئت أو فذر
من أغمض السيف عنه كان في دعة ... ومن نضا السيف قابلناه بالطبري

أي القاضي الطبري أو بالطبر وهي الفأس بالفارسية.

(١) لعبد الله بن عبد الرحمٰن النخعي الفرياني الأندلسي، وألفه بمكة سنة ٦٤٦هـ رأيت نسخته بحيدر آباد.

الأمر لقرب عهدهم به. وأما الذين ضُرب بينهم وبينه بأَسداد وأُرخيت دونهما الأستار المظلمة فكان حَرّى بهم صون الألسنة عن الوقوع في مَوْرِطة مُؤْثِمه ومدحضة مؤلمة. وها أنا ذا أتكلم على رجلِ رجل من متّهميه وإن لم أكن أحتاج إلى ذلك فإنهم لم يدرسوا آثار الرجل وجسروا على الحكم قبل التجربة، وقلد بعضهم بعضاً وأسرعوا لما لم يعرفوه إبطالاً ونقضاً، ولكن ليظهر درجتهم من التحرّز والتأثّم فلا يُعْطَوْا أكثر مما يستحقّون من القبول والرِّضى.

فالقاضي البحّاثي كان أستاذاً للباخرزي فلذا نقل قوله. على أن القاضي لم يسلم من حصائد لسانه أحد من أفاضل عصره وأعيانه، ذكر ياقوت(١): أن الكبار كانوا يحترمونه للتوقّي من حُماتِ لسانه وعقارب هجائه ولقد رُزق من الهجاء طريقة لم يسبق إليها وما ترك أحداً من الكبراء والأئمّة والفقهاء وسائر الأصناف من الناس إلاّ هجاه ووقع فيه فكان الكل يتترّسون باحترامه وأيوائه عن سهام هجائه الخ. أما ـ وَحال الشاهد على ما ذكر ـ كان الرجل يستحقّ منه الهجوَ؟ حتى يسلم من العين، ويدخل في زمرة الأفاضل المهجوّين:

ما كان أحوجَ ذا الكمالَ إلى   عيب يوقّيه من العين

وأما الشريف ابن الهبّارية فحدّثْ عن بحر الخَنَى والأهاجيّ ولا حرج، وعن طَوْد القَذَع ولا تتحاش. قال ابن خلكان(٢): كان خبيث اللسان كثير الهجاء والوقوع في الناس لا يكاد يسلم من لسانه أحد. ثم أورد من أخباره ماطيُّه أحسن من نشره. ومذهب ابن خلكان في ملك اللسان معروف. على أنه لو لم يكن له من الآثار إلا ما أورده الصفدي(٣) من خبر يمنعنا الحياء من إثباته لكفاه ولكفانا. وأما صاحبنا فإن مذهبه في ترك الهجو مما شهد به عبد السلام داعية المعتزلة القزوينيّ وكان عِرّيضاً مِعَنّاً كما مرَّ في الزوّار:

ولست بهاجٍ في القرى أهل منزل   على زادهم أبكي وأبكي البواكيا

ومذهب ابن الجوزي(٤) والذهبي في الإقدام على الجرْح والقَدْح مما لا يُجهَل ولا يُنْكر، فهلاّ نردّ على كل هؤلاء لوهنهم أو لعَصَبيّتهم.

---

(١) ٦: ٤٠٨.

(٢) ٢: ١٥. روى ابن الهبارية أبياتاً للمعري تشير إلى أن الموت ظلم من الباريء تعالى (أدباء ١: ١٩٤) ولكن هذا المعنى يناقضه اللزوم:

استرد الحياة منك لعمر الـ   ـه من كان للحياة معيرا

(٣) الغيث ٢: ١٩٠.

(٤) وقال ياقوت ٦: ٢٠٤ وأنا لا أعتقد على ما تفرد به ابن الجوزي، لأنه عندي كثير التخليط ا هـ.

فما لك تقبل زور الكلام وقدر الشهادة قدر الشُّهود

وأما «الفصول» فليس من معارضة القرآن أو مناقضته في قبيل ولا دبير. وترجمته في الثَّبَت عند ياقوت والذهبي كتاب «الفصول والغايات» فقط وكذا عند ناصر خَسْرُوْ وأمّا زيادة «في مُحاذاة السور والآيات» فالظاهر من كلام المتقدّمين[١]، ولا أستثني أحداً أنها ليست من ترجمة الكتاب فلفظ ناصر خسرو وقد ذكره: حتى إنهم اتّهموه بأنك عملته معارضة للقرآن ا هـ. ولفظ الدمية: زعموا أنه عارض به القرآن ا هـ. ولفظ خليفة: «الفصول والغايات» في معارضة السور والآيات على ما ذكره ابن الجوزي لأبي العلاء اله. وليعلم أن خليفة لم يذكر شيئاً من تآليف صاحبنا بحوالة ابن الجوزي بل الظاهر أخذه إياها عن معجم الأدباء، فظاهر أن معنى كلامه هنا أن كون «الفصول» في المعارضة على رأي ابن الجوزي. ومعلوم أن المعتبر نيّة العامل لا نيّة ابن الجوزيّ. والمحاذاة ليست من المعارضة في شيء كما مرّ لنا إثباته في الثَّبَت فانظره على أن الرجل معترف بإعجاز القرآن بعد تأليف «الفصول» اعترافاً ليس وراءه غاية تُرام كما مرّ. وقد رأينا منه فصولاً فلم نجد إلا عظة وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

ولعمري إنا لفي أشدّ حاجة إلى من ينتقد علينا أعمالنا، ويدلّنا طريق رشدنا. وأما هؤلاء المطْرون من المدّاحين فيضرّوننا من حيث يريدون أن ينفعونا، فقد طمّت في جميع طوائفنا الآفات وفشت فيهم السوآت، وشكت الأرض إلى السماء ما تحمله من البلاء والعناء. وقد وصل بي الكلام وله شجون وفنون بحيث أوقفني موقف ذابّ عنه متعصب له، وأيم الله إني لم أقل إلا حقاً ولم أنطق إلا صدقاً.

ولكن له والحق يقال كثيراً من الأشعار تجنح إلى التشكيك فقال بعضهم ـ ومنهم السِّلَفيّ والصَّفَدي ـ وكان لا يستقرّ به قرار ولا يبقى على قانون واحد بل يجري مع القافية إذا حصلت كما تجيء (؟ تجري) لا كما يجب ا هـ. وهذا الرأي صحيح في بعض شعره ومنه قوله. ل:

مضى الأنام فلولا علم حالهم لقلت قول زهير أيَّةً سلكوا

وبيت زهير[٢] هو:

بان الخليط ولم يأووا لمن تركوا وزوّدوك اشتياقاً أيَّةً سلكوا

فلولا أنه مال به الكلامُ إلى هذه القافية عمداً لم يجنح لها فإن له كثيراً من

(١) ولفظ الذهبي: وكأنه معارضة منه للسور والآيات.

(٢) شرح ديوانه مصر: ٤١.

الأبيات في عدم العلم بمحلّ الأرواح ولا أبعد فله قبل بيتين من المذكور:

إن نسأل العقل لا يوجدك من خبر عن الأوائل إلا أنهم هلكوا

وانظر النظرة. وليس معناه أنه كان يهذي هذيان المعتوهين ـ بل الحقيقة أنه ليس في الدنيا شيء إلاّ وله جانبان من جهة حُسْنه في بعض الأحيان وقُبحه في غيره، فالفيلسوف الطبعي هو الذي لا يغفُل عن الجانب الآخر، والطبيب الحاذق هو الذي يعرف بمحلّ الداء ومقداره فيصف له الدواء الصالح، فأبو العلاء إذاً فيسلوفٌ بالطبع لا بالتصنّع والتكلّف حتى يغلب عليه الفلسفة في غير حينه شأنَ الفلاسفة المتفيهقين.

كل امرىء راجع يوماً لشيْمته وإن تخلَّق أخلاقاً إلى حين

وأُوْلع كثير من الناس بتأويل ما جاء مما يحتمل إلى المجاز. قال الذهبي والمشكل من شره فله على زعمه تفسير. أقول: وله شعر يرمي إلى ما قالوا، فمنه. ل:

وليس على الحقائق كل قولي ولكن فيه أصناف المجاز

لا تُقَيِّد علىّ لفظي فإني مثل غيري تكلُمي بالمجاز

لا تُخبرنَّ بكنه دينك معشراً شُطُراً وإن تفعل فأنت مغرَّر

تعالى الله فهو بنا خبير قد اضطربتْ إلى الكذب العقول

نقول على المجاز وقد علمنا بأن الأمر ليس كما نقول

وهذا القول أيضاً صواب في بعض شعره لا في سائره فهو يقول في ضدّه. ل:

فاسأل حجاك إذا أردت هداية واحبس لسانك أن يقول مجازا

ومع كل ما مر يبقى له كثير من القول لا يقبل تأويلاً ولا مجازاً فإن الرجل اعترف بنفسه أنه بقي مدة طويلة في الحيرة والتشكيك، ل:

غَوْدٌ يصدِّق أو غِرٌ يكذِّب أو مردَّد بين تصديق وتكذيب

وهذا ظاهر في أنه كان في شبابه ممترياً، ثم بقي طول كهولته مردَّداً ثم صدَّق بالشرائع في مشيبه. وهذا هو الصواب الذي لا محيد عنه لأُولي الألباب فإني لم أجد في «مُلْقَى السبيل» شيئاً يجذب إلى المروق. وروى ابن الوردي[1] عن دفع المعرة عن

(١) ١: ٣٦٠ من تاريخه ولفظه: ثم وقفت له على كتاب ضوء السقط الذي أملاه على الشيخ أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الأصفهاني الذي لازم الشيخ إلى أن مات، ثم أقام بحلب يروى عنه كتبه فكان هذا الكتاب عندي مصلحاً لفساده، موضحاً لرجوعه إلى الحق وصحة اعتقاده. فإنه كتاب يحكم بصحة إسلامه مؤلاً، ويتلو لمن وقف عليه بعد كتبه المتقدمة: وللآخرة خير لك من =

شيخ المعرة أنه وُجد المعري في ديوان لزوم ما لا يلزم متذبذباً حائراً في الدين، لكن الكتب التي ألّفها بعد ذلك خصوصاً ضوء السقط تصلح هذا الفساد وتوضح رجوعه إلى الحق وصحّة اعتقاده، و«ضوء السقط» خاتمة كتبه، والأعمال بخواتمها ا هـ. وقال السِّلَفِيّ[1]: ومما يدلّ على صحة عقيدته ما سمعت الخطيب حامد بن بختيار النميري بالسمسمانية مدينة بالخابور؛ قال: سمعت القاضي أبا المهذَّب عبد المنعم بن أحمد السروجيّ يقول: سمعت أخي القاضي أبا الفتح يقول: دخلت على أبي العلاء التنوخيّ بالمعرّة ذات يوم وقت خلوه ـ بغير علم منه ـ وكنت أتردّد إليه وأقرأ عليه، فسمعته وهو ينشد من قبله:

كـم بُـوْدرتْ[2] غـادة كَـعـابٌ وعـمّـرت أمّـهـا الـعـجـوز
أحـرزهـا الـوالـدان خـوفـاً والـقـبـر حِـرزٌ لـهـا حـريـز
يـجـوز أن تـبـطـيء الـمـنـايـا والـخـلـد فـي الـدهـر لا يـجـوز

ثم تأوّه مرّات وتلا: «إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ـ إلى قوله ـ فمنهم شقيّ وسعيد» ثم صاح وبكى بكاء شديداً وطرح وجهه على الأرض زماناً ثم رفع رأسه ومسح وجهه فقال: سبحان من تكلم بهذا في القدم سبحان من هذا كلامه. فصبرت ساعة ثم سلمت عليه فردَّ عليَّ وقال: متى أتيتَ. فقلتُ الساعة، ثم قلت: يا سيدي أرى في وجهك أثر غيظ فقال: لا يا أبا الفتح بل أنشدت شيئاً من كلام المخلوق وتلوت شيئاً من كلام الخالق فلحقني ما ترى. فتحققت صحة دينه وقوة يقينه ا هـ. ومن أبياته التي قالها في القاضي أبي محمد ابن أخيه وكان مرّضه في مَرْضته الأخيرة قوله وهي بتمامها في الفائت:

سـأنـشـرُ شـكـره فـي يـوم حَـشْـر أجل! وعلى الصراط المستقيم

= الأولى. فلقد ضمن هذا الكتاب ما يثلج الصدر ويلذ السمع ويقر العين ويسر القلب ويطلب اليد ويثبت القدم من تعظيم رسول الله ﷺ خير بريته، والتقرب إلى الله بمدائح الأشراف من ذريته، وتبجيل الصحابة به والرضا عنه والأدب عند ذكر ما يتلقى منهم وإيراد محاسن من التفسير والإقرار بالبعث والإشفاق من اليوم العسير، وتضليل من أنكر المعاد، والترغيب في أذكار الله والأوراد، والخضوع للشريعة المحمدية وتعظيمها. وهو خاتمة كتبه والأعمال بخواتيمها. وقد يعذر في ذمه واستحل شتمه فإنه عول على مباديء أمره وأوسط شعره، ويعذر من أحبه وحرم سبه فإنه اطلع على صلاح صدره وما صار إليه في آخر عمره من الإنابة التي كان أهلها والتوبة التي تجبّ ما قبلها، وكان يقول رحمه الله: أنا شيخ مكذوب عليه ا هـ.

(١) هـ ١٣٤ ومعاهد ١: ٥٠.

(٢) ملقى السبيل: ٢٢١ وفيه: «كم هلكت» وهي فيه أربعة، وعند الذهبي: «كم غودرت» وهو تصحيف.

وهذا صريح في الباب. والأعمال بخواتيمها، وأمره إلى الله وهو يعرف خبايا الضمائر وسرائر الظواهر. ل:

مـولاك مـولاك! الـذي مـالـه نِـدّ وخـاب الـكـافـر الـجـاحـدُ
آمـن بـه والـنـفـس تـرقَـى وإن لَـم يـبـقَ إلا نَـفَـس واحـد
تَـرجُ بـذاك الـعـفـو مـنـه إذا أُلـحـدتَ ثـم انـصـرف الـلاحـد
إن خـتـم الله بـغـفـرانـه فـكـل مـا لاقـيـتُـه سـهـلُ

تمَ الكتاب مع الملائكة والفائت تسويداً وتبييضاً وتم النظرة تسويداً في مدة خمسة أشهر آخرها يوم الاثنين لعشر ليال بقين من شعبان سنة ١٣٤٣هـ ببلدة لاهور عاصمة بنجاب الهند وأنا أسير غربتين: غربة عن الوطن، وغربة عن أهل العلم الذين كانوا لو كانوا غرة في جبين الزمن. حامداً لله تعالى ومصلياً على رسوله الذي اصطفاه ومسّلماً عليه وعلى الذين اتبعوه بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه. آمين. ١٦ مارس سنة ١٩٢٥م.

ثم زدت فيه أشياء كثيرة من كتب خطّيّة عثرت عليها أثناء رحلاتي في أعماق الهند وأقاصيها من أواسط يونيو إلى أواخر أغسطس سنة ١٩٢٥م.

وأما كتابي «نظرة في النجوم من اللزوم» فكان بوَدّي أن لو طبعتهُ مع هذه الثلاثة ولكن الحالة قضت بتأخير أمره إلى مَدَى الله به أعلم وما ذاك إلاَّ من قصوري ونَبْوة البلاد والله مفَزعنا وهو المُراد.

فوائد

قد صدق الإمام الشافعي أن التأليف شيء لا يتمّ في حياة المؤلف أبداً لحرصه على الإصلاح والإضافة؛ وذاك أني اغتنمت من الزمان فرصة في محرم سنة ١٣٤٦هـ (يوليه سنة ١٩٢٧م)، وقضيت منها أسبوعاً في بانكي پور لزيارة خزانتها الحافلة بالأعلاق الخطيرة والنفائس الضنينة التي كنت أمنّي النفس بها منذ أعوام متطاولة، فوجدت في قلادة دُررها غالية وهي نسخة جليلة عتيقة من سَقْط الزَّنْد كُتبت في نحو القرن السادس وعورضت هي أو أصلها على نسخة قُرئت على أبي العلاء فتصفّحتها ورقةً ورقةً، وعلّقتُ منها في مذكّرتي ما يعين في تدوين تاريخ الرجل ـ وأضفت إلى ما اقتنيتُه منها فوائد من غيرها وهي:

ورد في كتاب «العصا» لأسامة بن مُنقذ[1] من أمراء شَيْزَرَ (نسخة بانكي پور بورقة ١٦٠) ذكر رسالة لأبي العلاء لا توجد في جملة رسائله المعرفة وهذا نص أسامة:

قال المؤلف أطال الله بقاءه: وقفت على كتاب كتبه الشيخ أبو العلاء أحمد بن سليمان المعري إلى الشيخ جعفر بن أبي القاسم بن أبي العوْد فيه ذكر «العصا» أنا ذاكره وهو:

مولاي الشيخ الأجل الأوحد أطال الله بقاءه، وأدام نعمَاءه، وكبت أعداءه، واسمه جعفر والجعفر النهر الصغير الكثير الماء، وإنه لفرات يَرِده أهل الأضماء، فيُغني الوُرّاد عن القطر النازل من السماء. وكنيته أبو القاسم وهو يقسم ما رُزق بين الضعفاء، وطارقٍ يجب له حسنُ وفاء. وهو يشفق على بعيد وقريب، وأهل من القوم وغريب. واللَّهُ جلَّت عظمتُهُ يُريه ما يَسُرّه في نفسه وولده، ويجعل المسرَّةَ مَقرَةً في خَلَده. وأما أنا فقد بلغت سُناً، تصيّر العالي من الشجر ثِنّاً. وفي هذه المُدّة عَرَض لي ما يمنع من القيام، ويُلْحِق النارَ الموقدة بالإِبام (ككتاب: الدخان والجمع أُيُم ككتب) فإذا نهضتُ

(١) انظر ترجمته في معجم الأدباء ٢: ١٧٣ وورد في صفحة ١٨١ منه ذكر كتاب العصا الذي تصحف على المستشرق مرجليوث بالقضاء.

خلت أنّي متوتّل في نِيق يُعجز تعالى (؟) السُّوْذنيق (السوذنيق يوسف بعلوّ الطيران قال الحماسي):

فما سوذنيق على مَرْبَإٍ خفيف الفؤاد حديد النظرْ)

وإذا مثلتُ قائماً لم أقدر على خَطْو، إلاّ كما ضعف من القَطْر. كأنّ خطوي فِتْر، وبيد الله العافية والسِتْر. ولا بدّ لي من عصا مُعينة، والعجب للدنيا اللعينة. وورد وليّه الشيخ أبو الحسن عليّ بن عبد الله بن أبي هاشم وهو مُوْقَّر من إيادٍ، ما زال لمثلها ذا اعتياد. والله يستجيب مني فيه وفي أودّائه ما يرفع من دعاء، فالرب الأوّل ملك الملوك وراعي الرعاء.

رسالة الملائكة

تأليف

أبي العلاء المعرّي

أبرزها وصحّحها وشرحها

عبد العزيز الميمنيّ الراجكوتيّ الأثريّ الهنديّ

الأستاذ بجامعة عليكره الإسلامية في الهند

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

كلمة الناشر

«رسالة الملائكة» للمعرّيّ أخت رسالتي «الغفران» و«الطير» في التمثيل، الذي لم يسبقه فيه عديل له أو مثيل. فهو إذاً ابن بَجْدَته، وعُبير وحده. ومامِلْتون الإنكليزي صاحب الفردوس الغابر إلاّ من الأتباع[1]، بيد أنّا أهل المشرق لم نحتفظ بمآثر أسلافنا ولم نؤمنها من بوائق الضياع.

والرسالة وإن كان سبق لها نَشْر، إلاّ أنه لم يتنبه له فيما أظنّ إلاّ شِرمذة نَزْر. على أن الطبعة كانت من التحريف والتشويه، بحيث يمُجّها طبع كل خاملٌ ونبيه. ولم يخلُ جملة من عدَ أغلاط وتصحيفات، بَلْهَ السطورَ والصحيفات. ولم ننبّه منها إلاّ على قطرة من عِدّ، أو نهر مستمدّ.

ولا أدّعي أنني برّأتها من كلّ عيب، أو جلوتُها جلاءَ الهديّ النقيّة الجيب. وكيف ولم تصل يدي إلى نسخة منها أخرى، فكيف أتمكن من السَبْح في الصَرَى إلا أنني ولا كفران لله أرى، أن «عند الصباح يحمد القومُ السُّرَى».

وقد بقي مع ما عانيتُه عدّة أغلاط، مطوية الرياط. حِرتُ في أمرها، فوكلتُها إلى أعرف مني بخَبَرها وخبرُها. وبخزانة ليدن (هولاندة) منها نسخة فيا حبذا لو تولّى بعض المستعربين عِراض هذه عليها. ثم قَدَّر الله مقابلتها على نُسخة خطّيّة سَدّت بعض الخلل وأنْعَشَتْ من الزَّلَل.

ويظهر من فحواها أنها أُلّفت نحو سنة ٤٣٥هـ تقريباً. والله أعلم.

مصححها وشارحها

عبد العزيز الميمنيّ السلفي الراجكوتي (الهندي)

الأستاذ بالجامعة الإسلامية في علي كره (الهند)

---

(١) ومثله شاعر الطليان دانتي في كتابه جهنم. وقد أورد الأب آسين (Asin) أدلة تاريخية على أن دانتي قد أخذ عن المعري في رسالة الغفران، مجلة المجمع العلمي بدمشق ص: ٣٦٠ سنة ١٣٣٩هـ.

قال أبو الفضل المؤيد بن الموفق الصاحبيّ في كتاب (الحكم البوالغ في شرح الكلم النوابغ):

«رسالة الملائكة»

أَلَّفها أبو العلاء المَعَرّيّ على جواب مسائلِ تصريفيّة ألقاها إليه بعض الطَّلَبَة[١] فأجاب عنها بهذا الطريق المشتمل على الفوائد الأنيقة، مع صورتها المستغرَبة الرشيقة:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ليس مولاي الشيخ أدام الله عزّه بأول رائد ظَنَّ[٢] في الأرض العازبة فوجدها من النَّبات قَفْراً. ولا آخِرِ شائم ظَنَّ الخيرَ بالسحابة فكانت من قطَرٍ صِفْراً. جاءتني منه فوائدها كأنها في الحسن بَناتُ مَخْرٍ[٣] متمثلاً ببيت صَخْر[٤]:

لعَمري لقد نَبَّهتِ مَن كان نائماً وأسمعتِ من كانت له أُذُنانِ

إن الله يُسْمِعُ من يشاء وما أنت بمُسْمِعٍ مَنْ في القبور أولئك يُنَادَوْن من مكان بعيد. وكنت في عُنْفُوان[٥] الشَّبيبة أَوَدُّ أنني مَن أهل العلم فَسجَنَتْنِي عنه سواجنُ[٦]، غادرتني مثلِ الكُرَةِ رَهْنَ المحَاجن[٧]. فالآنَ مشيتُ رُوَيْداً، وتركتُ عمراً للضارب وزيداً. وما أُوْثِرُ أن يزاد في صحيفتي خطأ في النحو، فيَخْلُدَ آمناً من المحْوِ. وإذا

---

(١) الذي يظهر من فحوى الرسالة أنه بعض أكابر الفضلاء.

(٢) لعل صوابه: ظعن.

(٣) سحائب بيض يأتين قبل الصيف قال طرفة:

كبنات المخر يمأدن كما أنبت الصيف عساليج الخضر

وكل قطعة منها على حيالهما بنات مخر. وكان الزجاج يقول: إن مخراً مقلوب من بخر من البخار. ولو قال قائل: إن مخراً من قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ لكان مصيباً

(٤) في خبر معروف راجع الشعر والشعراء ليدن، ص: ١٩٩، والخزانة الكبرى ١: ٢٠٩.

(٥) وفي أخرى خطية غيسان وكلاهما بمعنى.

(٦) عدتني العوادي. وفي أخرى شجنتني عنه شواجن بذلك المعنى عينه.

(٧) جمع محجن: الصوالج.

صَدَقَ فجْرُ اللِّمَّة فلا عُذْرَ لصاحبها في الكَذِب، ومن لمعذَّب العَطَش بالعَذِب[١]؟ وصِدْق الشعَر في المَفْرِق، يوجب صدق الإنسان الفَرِقِ[٢]. وكون الحالية بلا خُرُص[٣]، أجملُ بها من التخرُّص. وقيام النادبة بالمَنادب[٤]، أحسنُ بالرجل من القول الكاذب[٥]. وهو أدام الله الجمالَ به يلزمه البحثُ عن غوامض الأشياء لأنه يُعتَمَد بسؤال رائحٍ وغادٍ، وحاضرٍ يرجو الفائدة وبادٍ. فلا غَرْوَ أن كشَفَ عن حقائق التصريف، واحتجّ للتنكير والتعريف. وتكلّم على هَمْزٍ وإدغام، وأزالَ الشُّبَه عن صُدور الطَغام. فأما أنا فحِلسُ البيت، إن لم أكن المَيْتَ فشبيهٌ بالميت. لو أعرضتِ الأغربةُ عن النَّعيب، إعراضي عن الأدب والأديب. لأصبحت لا تُحسُّ نعيباً[٦]، ولا يُطبق هَرِمُها زعيباً. ولمّا وافى شيخُنا أبو فلان بتلك المسائل ألفيتُها في اللذّة كأنها الراح، يَستَفِزُّ مَنْ سَمِعَها المِراحُ. وكانت الصهباءَ الجُرجانيّةَ طَرَقَ بها عميدُ كَفر، بعد ميل الجوزاء وسقوط الغَفْر[٧] وكان على يحباها[٨] جلب إلينا الشمس وإياها: فلما جُلِيَتِ الهَدِيُّ ذكرتُ ما قاله الأسديُّ:

فقلت اصطحِبْها أو لغيريْ فأهْدِهَا ... فما أنا بعد الشيب، ويبك[٩]! والخمر

تجاللتُ[١٠] عنها في السنين التي مضت ... فكيف التصابيْ بعد ما كلأ[١١] العُمر

وما رَغبتي في كوني كبعض الكِرْوان[١٢] تكلم في خَطب جَرَى، والظليم يسمع ويَرَى. فقال الأخفش أو الفَرّا: أَطْرق كَرا! إن النعامةَ في القُرَى[١٣]. وحَقُّ مثلي أن لا

(١) الماء الكدر.

(٢) وكان في الأصل: «في الفرق» والفرق كالفروقة: الإنسان الخائف كثيراً.

(٣) خرص كعنق فيه فعل (بوزن عنق) السهيلي ١ : ٢٥.

(٤) وفي أخرى بالنادب.

(٥) وفي أخرى من أقوال الكاذب.

(٦) النعيب والزعيب صوت الغراب.

(٧) الكفر: القرية. والغفر: منزل للقمر ثلاثة أنجم صغار وهي من الميزان. انظر كتاب الأزمنة للمرزوقي ١ : ٣١١ و١٩٣. ويريد بعد وهن من الليل.

(٨) كذا في الأصل وهو مصحف لا محالة، فلعل الأصل والله أعلم: «وكأن غلي حمياها جلب إلينا الشمس إياها». والحميا: السورة والحدة والأيا بالكسر مقصوراً والأياء: بالفتح ممدوداً والأياة: بالفتح والكسر: ضوء الشمس.

(٩) الشعر للأقيشر. والأبيات خمسة في طبقات ابن قتيبة (ليدن ص: ٣٥٤) وروايتها: «ويبك» وفي نسخة: «ويحك» وفي الأصل: «وتيك».

(١٠) تعظمت وفي التاج والأساس: تعففت.

(١١) طال وتأخر.

(١٢) جمع كروان محركاً كشقذان وشقذان.

(١٣) مثل أي تأتي فتدوسك بأخفافها. وأطرق أي غض من بصرك. يضرب للذي ليس عنده غناء ويتكلم. قيل يصيدونه بهذه الكلمة فإذا سمعها يلبد في الأرض فيلقى عليه ثوب فيصاد. الفرائد ١ : ٣٦٦ ولقد أفاض في البحث وأرعب وأعجب وأسهب صاحب الخزانة ١ : ٣٩٤ ونقل عن ابن =

يُسأَل. فإن سُئِلَ تعيَّنَ عليه أن لا يجيب. فإن أجاب ففرضٌ على السامع أن لا يَسْمَعَ منه، فإن خالفَ باسْتماعه ففريضةٌ أن لا يكتُبَ ما يقول. فإن كتبه فواجبٌ أن لا ينظر فيه. فإن نظر فقد خَبطَ خَبطَ عَشْوَاءَ. وقد بلغتُ سِنَّ الأشياخ. وما حارَ[١] بيدي نفعٌ من هذا الهَذَيان. والظَّعْنُ إلى الآخرة قريب، أفتُراني أُدافع مَلَك الموت فأقول: (١) أصل مَلَكٍ مألكٌ وإنما أُخذ من الألُوكة وهي الرسالة ثم قُلِبَ ويَدُلّنا على ذلك قولهم في الجمع الملائكة لأن الجموع تَرُدّ الأشياءَ إلى أُصولها، وأُنشدُ قول الشاعر[٢]:

فلستَ لإنسيٍّ ولكنْ لمَلأكٍ ... تنَزَّلَ من جَوِّ السماء يَصُوْبُ

فيُعجبه ما سمع فيُنْظرني ساعة لاشتغاله بما قلت. فإذا همّ بالقبض قلت: وزن مَلَكَ على هذا مَعَل لأن الميم زائدة. وإذا كان الملك من الألوكة فهو مقلوبٌ من ألك إلى لأكَ. والقلب في الهمز وهمز العلّة معروف عند أهل المقاييس. فأما جَبَذَ وجذب ولَقَمَ[٣] الطريق ولمقه فهو عند أهل اللغة قلب والنحويون لا يرونه مقلوباً بل يرون اللفظين كل واحد منهما أصلاً في بابه. فوزن الملائكة على هذا معافلة لأنها مقلوبة على مآلكة. يقال: أَلِكْني إلى فلان قال الشاعر[٤]:

أَلِكْني إلى قومي السلامَ رسالة ... بآيةِ ما كانوا ضِعافاً ولا عُزْلا

وقال الأعشى في المأْلُكة:

= السيد فيما كتبه على الكامل أن الصواب: أنه شعر من الرجز: أطرق كراً أطرق كراً، إن النعام في القرى. والكرا الكروان أو هو مرخمه.

(١) حار رجع وفي الأصل: حاز وهو تصحيف.

(٢) قال أبو عبيدة هو رجل من عبد القيس جاهلي يمدح بعض الملوك. وقال السهيليّ: البيت مجهول قائله وقد نسبه ابن سيده إلى علقمة وأنكر ذلك عليه ا هـ. وأنا رأيت البيت مع ثلاثة أبيات أخرى في بعض النسخ من ديوان علقمة بن عبدة وفيه يصوب كيقول مع ندوب ويذوب ونضوب وما أكثر مَنْ يشكله فلست بالضم ويصوب كيبشر. وأما أصل ملك ففيه خلاف كثير اقتنع منه على قول واحد. انظر شرح الرضي على الشافية. قوله مقلوب من ألك إلى لأك الأولى مِن مألك إلى ملأك حتى يفيد هذا القلب تسهيل الهمزة قياساً مطرداً كما قالوا: يسل في يسأل. قوله (في أول الصفحة التالية): فكأنهم فروا الخ. غير واضح ولا دال على الغرض وقال غيره: إنهم لو جُمعوا على مآلكة وردوا المفرد عند الجمع إلى أصله لاشتبه بجمع مألكة وانظر السهيلي ٢ : ١٢٢ وأنشد البيت سيبويه أيضاً ٢ : ٣٧٩ غير معزو إلى قائل بعينه لكن الأعلم نَسبه إلى علقمة كما مر.

(٣) من باب نصر: سد فمه.

(٤) هو عمرو بن شأس كما في الثلج. والسلام مفعول ثان ورسالة بدل منه وإن شئت حملته إذا نصب على معنى: بلغ عني رسالة. وأورده سيبويه مع تال له ١ : ١٠١ قال الأعلم وصف تغربه عن قومه بني أسد الخ.

أبلغْ يزيد بني شيبان مألُكةً أبا ثُبيت[١] أما تنفكّ تأتكل

فكأنهم فرّوا من المألُكة من ابتدائهم ثم بحثوا بعدها بالألف فرأوا أن مجيء الألف أوّلاً أخفُّ كما فرّوا من شأى إلى شاءَ ومن نأى إلى ناءَ قال عمر بن أبي ربيعة[٢]:

بانَ الحُمول فما شَأوْنَكَ نَقْرَةً ولقد أراكَ تُشاءُ بالأظعان

وأنشد أبو عبيدة[٣]:

أقول وقد ناءَت بهم غُرْبةُ النَّوَى نَوًى خَيْتَعورٌ لا تَشِطُّ دِيارُكِ

فيقول الملك مَن ابن أبي ربيعة؟ وما أبو عبيدة؟ وما هذه الأباطيل؟ إن كان لك عمل صالح فأنت السعيد وإلاّ فاخْسأْ وَراءَكَ! فأقول: فأمْهلني ساعة حتى أُخْبِرَك (٣) بوزنِ عِزْرائيل وأُقيم الدليل على أن الهمزة فيه زائدة. فيقول الملك هيهاتَ! ليس الأمرُ إليَّ إذا جاء أَجَلُهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون. أم تُراني أُداريْ[٤] مُنْكراً ونكيراً فأقولَ كيف جاء اسماكما عربيَّيْن منصرفين وأسماء الملائكة كلّها من الأعجمية مثل: إسرافيل وجبرائيل وميكائيل[٥]. فيقولان: هاتِ حُجّتَكَ! وخَلِّ الزُّخْرُفَ عنك. فأقولَ

(١) يريد أبا ثابت فصغره على التجريد. وتأتكل في التاج إنما أراد تأتلك حكاه يعقوب في المقلوب له ا هـ. أقول ولم أجده في كتاب القلب له. وقيل: من الايتكال وهو الفساد والسعي بالشر. وقالوا: تأتكل تحتك من الغيظ، وورد أبو ثابت مكبراً في بيت للأعشى أنشده سيبويه ٢: ١٥٠ أبا ثابت فاذهب وعرضك سالم.

(٢) نقبت عن البيت في النسخ الثلاث المطبوعة من ديوانه فخاب رجائي وفي اللسان والتاج أنه للحرث بن خالد المخزومي. وفي اللسان وشآني الشيء أعجبني شأواً وقيل: حزنني ثم أنشد البيت وقيل: شآني: طرّبني وقيل: شاقني. ابن سيده وشاءني الشيء سبقني وشاءني حزنني مقلوب من شآني... وقال الحرث بن خالد المخزومي فجاء بهما مر الحمول البيت:

تحت الخدور وما لهن بشاشة أصلاً خوارج من قفا نعمان

ا هـ.

وأنا أظن أنه سمع أن البيت للمخزومي فظنه عمر وهو الذي علق بحفظه. ونقرة أدنى شيء، وفي المقتضب لابن جني طبع أوروبا ص: ٥ مشوء محزون ثم أنشد البيت.

(٣) وفي التاج واللسان وأنشد يعقوب: وخيتعور كل ما لا يدوم على حالة.

(٤) وفي نسخة: إذا أرى.

(٥) هذه أسماء من الأعجمية لم تكن العرب تعرفها ووردت في كثير من شعر الجاهلية. انظر المعرب: ١٤٣ و٥٠ وغيرهما. وأما هذه النعننات التي عاناها أبو علي الفسوي في وزن أمثالها فليس الغرض منها إلا التمرين وشحذ الخاطر ليس إلا. ومن ظن أن منشأها عدم معرفتهم بغير العربية من اللغات، وظن هذه الكلمات عربية فقد باعد ولم يصب الغرض. وهذا التبريزي ذكر (٤: ٣) اشتقاق موسى كما هنا ثم قال: إنه تعريب موشى بالعبرانية. وقال أبو العلاء نفسه على ما نقل عنه الجواليقي: ١٣٥: لم أعلم أن في العرب من سمى موسى زمان الجاهلية وإنما حدث هذا في الإسلام لما نزل القرآن وسمى المسلمون أبناءهم بأسماء الأنبياء على سبيل التبرك. فإذا سموا بموسى فإنما يعنون =

متقرّباً إليهما: كان ينبغي لكما أن تعرفا ما وزن جبرئيل وميكائيل على اختلاف اللغات إذ كانا أخويكما في عبادة الله عز وجل. فلا يزيدهما ذلك إلاّ غيظاً. ولو علمتُ أنهما يرغَبان في مثل هذه العِلَل لأعددتُ لهما[1] شيئاً كثيراً من ذلك (٤) ولقلت ما تَرَيان في وزن موسى[2] اسم كليم الله الذي سألتماه عن دينه وحُجّته، فأبان وأوضحَ. فإن قالا: موسى أعجميّ إلاّ أنه يوافِق من العربية على وزن مُفْعَل وفُعْلى، أما مُفْعَل إذا كان من بنات الواو مثل أُوْسَيْتُ وأوريتُ وأوريتُ فإنك تقول موسًى وموَرًى. وإن كان من ذوات الهمز فإنك تخفّف حتى تكون الواوُ خالية من مُفْعَل. تقول آنيتُ العَشاءَ فهو مُؤنًى وإن خَفّفتَ قلتَ مُوْنًى قال الحُطَيئةُ[3]:

وآنيتُ العشاءَ إلى سُهيل ... أو الشِّعْرَى فطالَ بيَ الأَناءُ[4]

وحكى بعضهم[5] همزَ موسى إذا كان اسماً. وزعم النحويون أن ذلك لمجاورة الواو الضمّةَ؛ لأن الواو[6] إذا كانت مضمومة ضَمّاً لغير إعراب أو غير ما يشاكِل الإعرابَ جاز أن تُحَوَّلَ همزةً كما قالوا أُقّيتْ[7] ووُقّيتْ وحَمام وُرْق وأُرْق ووُشّحَتْ وأُشّحتْ. قال الهذلي[8]:

أَبا مَعْقِلٍ إن كنتَ أَشّحتَ حُلّةً ... أبا معقِلٍ فانظُر لسهمك من تَرمِي

وقال حُميد بن ثَور الهلاليّ (رض):

= الاسم الأعجمي لا موسى الحديد وهو عندهم كعيسى ا هـ وهذا نص على ما ذهبنا إليه، فتنبه له ولا تكن مع شعوبية العصر الحاضر في الغض من العرب والتنقص لهم. وموسى معناه بالعبرية: المنتشل من الماء.

(١) في نسخة: «لهم».

(٢) راجع لإتمام البحث التبريزي مصر ٤: ٢، والمعرب للجواليقي: ١٣٥ والتاج مادة: موس، وشروح الشافية مبحث ذي الزيادة. مفعل على قول البصريين وفعلى على قول الكوفيين.

(٣) ديوان الحطيئة صنع السكري: ٢٥.

(٤) هذه رواية أبي عمرو بن العلاء ورواية ابن الأعرابي بي العشاء. أي أخرت عشائي عندكم إلى آخر الليل. يهجو الزبرقان ورهطه.

(٥) هو أبو علي الفسوي كما قال الرضي (٣٥٨ لاهور سنة ١٣١٥هـ) أنه حكى همز المؤقدين ومؤسى في البيت الآتي كما صرح أبو العلاء نفسه فيما بعد. وأرى النحاة لهجين بالهمز فرووا الهمز في قول العجاج فخندف هامة هذا العالم. وروى ابن السكيت في الألفاظ: ٦٧٢ عن امرأة لها ما أذهب أسنانك؟ قالت: أكل الحأر وشرب القأر بالهمز فيهما.

(٦) انظر شروح الشافية مبدأ بحث الإبدال وابن يعيش ص: ١٣٥٩، والقلب لابن السكيت: ٥٦ والنوادر للقالي ٢: ١٦٨ وغيرها.

(٧) في قوله عن من قائل: ووفيت كل نفس ما كسبت الآية.

(٨) هو معقل بن خويلد. أشعار الهذليين ١: ١٠٨. وروي شارحها اللغتين جميعاً. وأبو معقل هو عبد الله بن عتيبة. وروايتها فانظر بنبلك.

ومـا هـاجَ هـذا الـشـوقَ إلاّ حَـمـامـةٌ دعـت سـاقَ حُـرٍّ تـرحـةً وتـرنُّـمـا
ومن الأرق حَمّاءُ العِلاطَين باكرت عسيبَ أشاءَ مَطِلعَ الشمس أسحمَا[(١)]

وقد ذكر الفارسي هذا البيت مهموزاً[(٢)]:

أَحَـبُّ الـمُـؤْقِـدِيْـنَ إِلـيَّ مُـؤْسَـى وحَـرْزَةُ لـو أضـاءَ لـيَ الـوَقـودُ

وعلى مجاورة الضمّة جاز الهمز في سُؤْق[(٣)] جمع ساق في قراءة من قرأ كذلك ويجوز أن يكون جُمع على فُعُل مثل أُسُد فيمن ضمّ السين ثم هُمزت الواو ودخلها السكونُ بعد أن ذهب فيها حكم الهمز. وإذا قيل إن موسى فُعْلَى. فإن جُعل أصله[(٤)] الهمز وافق فُعْلَى من مَأْسَ بين القوم إذا أفسد بينهم. قال الأفوهُ[(٥)]:

إمــا تَــرَيْ رأســيَ أَزْرَى بــه مَـأْسُ زمـان ذي انـتـكـاس مَـؤُوْسْ

ويجوز أن يكون فُعلَى من ماسَ يَميْسُ فقُلبت الياءُ واواً للضمّة كما قالوا الكُوْسَى[(٦)] من الكَيْس. ولو بَنوا فُعلى من قولهم هذا أعيشُ من هذا وأغيظ منه لقالوا العُوشى والغُوظَى. فإذا سمعتُ ذلك منهما قلتُ: لله دَرّكما! لم أكن أحسب أن الملائكة تنطِق بمثل هذا الكلام وتعرف أحكام العربيّة. فإن غُشيَ عليّ من الخيْفة ثم أفقتُ وقد أشارا إليّ بالإرزَبَّةِ[(٧)] قلت: تثبَّتَا رحمكما (كذا؟) الله (٥) كيف تصغّران الإرزبَة وتجمعانها جمعَ تكسير؟ فإن قالا: أُرَيْزِبَّة وأَرَازِبُّ بالتشديد. قلتُ: هذا وهمٌ إنما ينبغي أن يقال أُرَيْزِبَةٌ وأرازِبُ بالتخفيف. فإن قالا: كيف قالوا علانيّ فشددوا كما قال القريعيّ[(٨)]:

---

(١) البيتان من كلمة له معروفة أورد جلها ابن السبكي في طبقات الشافعية ١: ١١١. وغيره وساق حر ذكر القماري تزعم العرب أن جميع الحمائم تبكيه وكان في الدهر الأول، فهلك ويدعونه تارة الهديل. حماء العلاطين الحماء السوداء. والعلاطان والعلطتان الرقمتان اللتان في أعناق القماري. عسيب ورواية اللسان: قضيب.

(٢) لجرير، انظر ديوانه ١: ٥٨ وروايته: لحب الوفدان... وجعدة لو أضاءهما. وشرح شواهد المغني: ٣٢٥ وموسى ابنه كحرزة الذي كان جرير يكنى به وجعدة ابنته.

(٣) في قوله عز وجل بالسوق والأعناق.

(٤) في نسخة: أن أصله.

(٥) الأودي سينيته الشهيرة ولكن لم أر من نقل هذا البيت. والمعنى واضح.

(٦) انظر الكتاب: ٢: ٣٧١ مصر. وحكى ابن خالويه (ليس ٤٦، مصر) طيبي وكيسي أيضاً.

(٧) مشدداً والمرزبة بالكسر مخففاً عصية من حديد.

(٨) وفي أخرى العريفي وكلاهما نكرة لم تتعرف. وقد ورد في الأدباء ٥: ٢٧٦ اسم شاعر يدعى العريفي العنسي بالنون.

وذي نجواتٍ طامحِ الطَّرْفِ جاوبت   حوالي فلوّي من علابيّة مري[١]

قلت: ليس الياء كغيرها من الحروف. فإنها وإن لحقها التشديد ففيها عُنصر من اللِّين. فإن قالا: أليس قد زعم صاحبكم عمرو بن عثمان المعروف بسيبويه أن الياء إذا شُددت ذهب منها اللين وأجاز في القوافي ظبأ مع ظي[٢]. قلت: وقد زعم[٣] ذلك إلا أن السماع عن العرب لم يأت فيه نحوُ ما قال إلا أن يكون نادراً قليلاً، فإذا عجبتُ مما قالاه أظهر لي تهاوناً بما يعلمه بنو آدم. وقالا لو جُمع ما علمه أهل الأرض على اختلاف اللغات والأزمنة ما بلغ علمَ واحد من الملائكة يَعُدّونه فيهم ليس بعالم. فأُسبّح الله وأمجّده وأقول قد صارت لي بكما وسيلة فوسّعا لي في الجَدَث (٦) إن شئتما بالثاء، وإن شئتمابالفاء[٤] فإن إحداهما تبدل من الأخرى كما قالوا: مغاثيرُ ومغافيرُ وأفافيُّ وأثافيُّ وفُوم وثُوم. وكيف تقرآن رحكمكما الله هذه الآية: ﴿وثُومِها وعَدَسِها﴾ بالثاء. كما في مصحف عبد الله بن مسعود أم بالفاء كما في قراءة الناس. وما الذي تختاران في تفسير الفوم[٥] أهو الحنطة كما قال أبو مِحْجَن[٦].

قد كنتُ أحسَبني كأغنَى واجد   قَدِمَ المدينةَ من زراعة فُوم

أم الثوم الذي له رائحة كريهة إلى ذلك ذهب الفراء وجاء في الشعر الفصيح. قال الفرزدق:

من كل أغبر كالراقود حُجْزَتُهُ   إذا تَعَشّى عتيق التَّمْرِ والفُوْم[٧]

---

(١) قوله ذي نجوات في أخرى ذي نخوات. وقوله: جاوبت في أخرى جادبت. وقوله: علابيه في أخرى علانيه وهو تحريف. وقوله: مري في أخرى مدى أو مد لي، وأكثر هذه الروايات مصحف قد حرت فيه.

(٢) كذا في الأصل. وفي نسخة: طيا مع طيّ.

(٣) في نسخة: ولقد زعم.

(٤) البحث موعب في كتاب القلب ٣٤ والنوادر ٢: ٣٦. وحكى الفراء المغافير والمغاثير وهي شيء ينضحه الثمام والرمث والعشر كالعسل. وثومها في قراءة ابن مسعود ذكره ابن السكيت والقالي أيضاً. ولكن الذي حكاه القالي عن اللحياني وابن السكيت عن بعض تميم الأثافي والأثاثي لا كما هنا.

(٥) وراجع الأقوال في معناه في اللسان.

(٦) أغفل البيت العسكري في ديوانه وهو مذكور في اللسان برواية واحدة بالمهملة وما هنا أصلح. وورد في الروض الأنف ٢: ٤٥ معزواً لأبي أحيحة بن الحلاج أو أبي محجن الثقفي رضي الله عنه ـ بلفظ: قد كنت أغنى الناس شخصاً واحداً.

(٧) في ديوانه (مصر):

من كل أقعس كالراقود حجزته   مملوءة من عتيق التمر والثوم

ومثله في طبعة بوشر ص: ١١.

فيقولان أو أحدهما: إنك لتهدم الحول[١] وإنما يوسّع لك في رَيْمك (٧) عَمَلك. فأقول لهما: ما أفصحكما! لقد كنتُ سمعت من الحياة الدنيا أن الرَّيْم القبر وسمعتُ قول الشاعر:

إذا مُتُّ فاعتادي القبورَ فسلِّمي على الرَّيْم أُسقيتِ السحابَ الغواديا[٢]

وكيف تبنيان رحمكما الله من الرَّيْم مثل إبراهيم؟ أتَريان فيه رأي الخليل وسيبويه فتجيزان أن تَبنيا من العربيّ مثل الأعجميّ. فيقولان تُرْباً لك! ولمن سَمّيتَ. أيُّ علم في وُلْد آدم؟ إنَّهم القوم الجاهلون. وهل أتودّد[٣] إلى مالكٍ خازنِ النار، فأقولَ: رحمك الله (٨) أخبرني ما واحد الزَّبَانِيَة[٤]؟ فإن بني آدم فيه مختلفون فيه. يقول بعضهم[٥]: الزَّبانية لا واحد لهم من لفظهم، وإنما يُجْرَونَ. مُجرى السَّواسية أي القوم المستوِين في الشرّ قال[٦]:

سَواسيةٌ سُودُ الوجوه كأنّما بطونُهم من كثرة الزاد أَوْطُبُ

ومنهم من يقول واحد الزبانية زِبْنيَةٌ وقال آخرون: واحدهم زِبْنى أو زبانيٌّ[٧]. فيُعبِّس لِما سمع ويَكْفَهرُ. فأقول: يا مال! رحمك الله ما ترى في نون (٩) غسْلِيْنٍ وما حقيقة هذا اللفظ؟ أهو مصدر[٨] كما قال بعض الناس أم واحد أم جمع أُعربت نونه تشبيهاً بنون مِسْكين كما أثبتوا نون قُدِيْنَ وسِنِيْنَ في الإضافة وكما قال سُحيم بن وَثِيل[٩]:

---

(١) كذا. وفي نسخة: لمهدم الخ.

(٢) رواية غير أبي العلاء وسلمى، وعلى الرمس. ولكن في اللسان على الريم والبيت من قصيدة معروفة لمالك بن الريب سردها القالي ٣: ١٣٦ والبغدادي ١: ٣١٩ وقبل البيت:

فيا ليت شعري هل بكت أم مالك كما كنت لو عانوا نعيك باكيا

(٣) في نسخة: أتردد.

(٤) في نسخة: رحمك الله ما واحد الزبانية.

(٥) منهم الأخفش كما في التاج، وهو الصواب.

(٦) لم أجد البيت في مظانه الحاضرة. وأوطب، جمع وطب اللبن.

(٧) كان في الأصل: زبنى أو زبني؟ وفي نسخة: زبنى أو زبني بفتح فسكون في الأول وفتحتين في الثانية مع تشديد الياء. والزبنية نقله الأخفش والزجاج. والزبني بالكسر عن الكسائي كما في التاج وإن ثبت فيه الفتح يصح ما كان في الأصل أعني «زبنى أو زبني» غير مشكول الزباني بتشديد الياء على ما هو الظاهر وضبطه في التاج كسكارى نقله في الصحاح عن الأخفش. وهناك قول آخر في مفرده أنه زابن عن الأخفش كما في الصحاح واللسان.

(٨) في نسخة: هذا اللفظ هو مصدر.

(٩) من قصيدته الشهيرة: انظرها في الأصمعيات: ٧٤، والخزانة ١: ١٢٦، وحماسة البحتري: ٢٥ وغيرها. ويدري يختل. ويروى إذا جاوزت والبيت من شواهد النحو. وأما إعراب النون فالقول فيه قول ابن مالك:

مــاذا يَــدَّرِي الــشــعــراءُ مــنّــي وقــد جــاوزتُ حَــدَّ الأربــعــيــن

فأعربَ النونَ. وهل النون في (١٠) جهنَّمَ زائدة؟. أمّا سيبويه فلم يذكر في الأبنية فَعَنَّلاً(١) إلا قليلاً. وجهنم اسم أعجميّ(٢). ولو حملناه على(٣) الاشتقاق لجاز أن يكون من الجَهَامة في الوجه ومن قولهم تجهّمتُ الأمرَ إذا جعلنا النون زائدةً واعتقدنا زيادتها في هَجَنَّفٍ(٤) وأنّه مثل هِجَفّ وكلاهما صفة الظليم قال الهُذَليّ(٥):

كــأنّ مــلاءَتــيَّ عــلــى هِــجَــفٍّ تَــفِــرُّ مــع الــعــشــيّــة لــلــرِّئــال

وقال جِرانُ العَوْدِ(٦):

يــشــبّــهُــهــا الــرائي الــمــشــبّــه بَــيْــضَــةً غَدَا في النَّدَى عنها الظليم الهَجَنَّفَ

وقال قوم رَكيّةٌ جِهِنّام إذا كانت بعيدةَ القَعْر. فإن كانت جهنم عربيّة فيجوز أن تكون من هذا. وزعم قوم إنه يُقال: أحمرُ جِهنّام(٧) إذا كان شديدَ الحُمرة. ولا يمتنع أن يكون اشتقاق جهنّم منه. فأما (١١) سَقَرُ فإن كان عربياً فهو مناسب لقولهم سَقَرَتْهُ(٨) إذا ألمتَ دِماغَه. قال ذو الرُّمَّة:

وبــابــه ومــثــل حــيــن قــد يــرد ذا الــبــاب وهــو عــنــد قــوم مــطــرد

يريد إعراب النون بالتزام الياء في الحالات الثلاث وأنشدوا على إثبات النون في الإضافة:

دعــانــي مــن نــجــد فــإن ســنــيــنــه لــعــبــن بــنــا شــيــبــاً وشــيــبــنــنــا مــردا

(١) وفي نسخة فعللا بفتحتين وتشديد اللام الأولى.

(٢) فارسي أو عبراني أصله كهنام. وانظر البحث مستقصى في المعرب: ٤٧ والتاج مادة جهم.

(٣) وفي نسخة ولو حملنا على.

(٤) كذا هو مشكولاً في اللسان وهو كالهجف بالكسر الظليم الجافي الكثير الزف.

(٥) هو الأعلم. انظر أشعار الهذليين ق: ١: ٦٢، وحماسة البحتري: ٨٠ وروايتهما على هزف يعن فلا استشهاد. نعم قال السكري: وهزف وهجف واحد فلعل هجفا أيضاً رواية. ويعن (بضم العين) لغة هذيل ويعن (بالكسر) لغيرهم بمعنى يعترض وتفر هنا تصحيف. ثم ورد هجف في بيت ابن تُرْنى يجيب عمراً ذا الكلب لا في بيت عمرو كما ذهب على صاحب اللسان (أشعار الهذليين ق: ١: ٢٣٩):

فــلا تــتــمــنــنــي وتــمــن جــلــفــا قــراقــرة هــجــفــاً كــالــخــيــال

والخيال هو الصواب وتصحف في اللسان بالجبال.

(٦) من فائية له معروفة مطربة ولكن لم أجد هذا البيت في مظانه الموجودة والضمير إلى امرأة. والنعامة يضرب بها المثل في الغفلة عن البيض قال:

كــتــاركــة بــعــضــهــا بــالــعــراء ومــلــحــفــة بــيــض أخــرى جــنــاحــا

(٧) هذا المعنى ليس في معاجم اللغة المعروفة. وهذا دليل على ما منحه الرجل من سعة النظر والاطلاع، وطول الباع والاضطلاع، بغرائب اللغة والأنواع. وجهنام بكسرتين أو مثلث.

(٨) من باب نصر.

إذا دانَتِ الشمسُ اتَّقَى سَقَراتِها ... بأفنانِ مربوعِ الصريمةِ مقبلِ[(١)]

والسين والصاد يتعاقبان في الحرف[(٢)] إذا كان بعدهما قاف أو خاء أو غين أو طاء. تقول: سَقَبٌ وصقَبٌ، وسويق وصويق، وبسَطَ وبَصَطَ، وسَلَغَ[(٣)] الكبش وصَلَغَ. فيقول مالكٌ: ما أجهلك! وأقل تمييزَك! ما جلستُ هنا للتصريف وإنما جلستُ لعِقاب الكفَرة والقاسطين. وهل أقول للسائق والشهيد اللَّذيْن ذُكرا في كتاب الله عزّ وجل: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾: (١٢) يا صاحِ! أنْظراني. فيقولان: تخاطبنا مخاطبة الواحد ونحن اثنان. فأقولَ: ألم تعلما أن ذلك جائز مِن الكلام. وفي الكتاب العزيز: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ۝ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ فوحّد القَرين وثنّى في الأمر كما قال الشاعر[(٤)]:

فإن تَزْجُرَاني يا ابن عَفّانَ انزجِرْ ... وإن تَدَعاني أحْمِ عِرْضاً ممنَّعا

وكما قال امرؤ القيس:

خليليَّ مُرّا بي على أُمّ جُنْدَب ... لنقضيَ حاجاتِ الفُؤاد المعذَّب

ألم تَرَ أني كلما جئتُ طارقاً ... وجدتُ لها طِيّباً وإن لم تَطَيَّبِ

---

(١) دانت النعاج فاعلت من الدنو. اتقى الثور ورواية الديوان ص: ٥٠٤:

إذا دانت الشمس اتقى صقراتها ... بأفنان مربوع الصريمة معبل

وفي الشرح الصقرات شدة وقع الشمس. ومعبل مورق وقيل: الذي سقط ورقه. ومن اللزوم:

لتستريحا فكم عانى أذى قرس ... عند الشتاء ولاقى وغرة فصقر

(٢) راجع للتفصيل شروح الشافية بحث الإبدال وابن يعيش ١٣٩١ والقلب: ٤٢، والخفاجي على الدرة: ٣٣ والدرة: ٩ ووفيات الأعيان ٢: ١٦٢. وحكى النضر بن شميل أنه لغة بلعنبر بن عمرو بن تميم.

(٣) كمنع خرج نابه وكان في الأصل بالعين المهملة في اللفظتين وهو تصحيف.

(٤) أنشد البيت كثيرون منهم: صاحب الصاحبي: ١٨٦، والتبريزي في شرح القصائد العشر، كلكتة ص: ١ مع تال له وهو:

أبيت على باب القوافي كأنما ... أصادي بها سرباً من الوحش نزعا

وهذا التالي موجود دون السابق في البيان ٢: ٦ (الثانية) وطبقات ابن قتيبة (ليدن ص: ١٧ و٤٠٣) في أبيات لسويد بن كراع ومن القصيدة:

وجشمني خوف ابن عفان ردها ... فثقفتها حولاً جريداً ومربعا

فلم يبق ريب في أن الشاهد له في هذه القصيدة عينها: ولسويد مع عثمان رضي الله عنه خبر ذكره ابن قتيبة، ثم رأيت صاحب اللسان ذكره (جزز) ونقل عن ابن بري أبياتاً من القصيدة تدل على أن الخطاب هنا لاثنين حقيقة ورواية ابن بري: فإن تزجراني بابن (بالباء) عفان قال: والمخاطبان سعيد بن عثمان ومن ينوب عنه أو يحضر معه، وانظر تصحيح لسان العرب، القسم الأول لأحمد تيمور باشا، ص: ٣٣.

هكذا أنشده القَرّاء. وبعضهم يُنشد ألم ترياني[١]. وأنشد أيضاً[٢]:

فقلتُ لصاحبي لا تحْبِسانا ... بِنَزْعِ أصولِه واجْتَزَّ شِيْحا

فهذا كله يدل على أن الخروج من مخاطبة الواحد إلى الاثنين ومن مخاطبة الاثنين إلى الواحد شائع عند الفصحاء. وهل أجيءُ في جماعة من جهابذة الأدباء قَصَرَتْ أعمالهم عن دخول الجنّة ولحقهم عفوُ الله فزُحزحوا عن النار فنَقِفَ على باب الجنّة فنقول (١٣) يا رِضْوَ[٣] لنا إليك حاجة ويقول بعضنا: يا رِضْوُ فيضمّ الواو. فيقول: رضوانُ ما هذه المخاطبة التي ما خاطبني بها قبلكم أحد. فنقول: إنّا كنا في الدار الأولى نتكلم بكلام العرب وإنهم يُرخّمون الذي في آخره ألف ونون فيحذفونهما للترخيم. وللعرب في ذلك لغتان يختلف حُكماهما، قال أبو زُبيد[٤]:

يا عُثْمَ! أدركني فإن رَكِيّتي ... صَلَدَتْ فأَعيتْ أن تَفيض بمائها

فيقول رضوان: ما حاجتكم؟ فيقول بعضنا: إنا لم نَصل إلى دخول الجنة لتقصير الأعمال وأدْرَكَنا عفوُ الله فنجونا من النار. فبقينا بين الدَّارين ونحن نسألك أن تكون واسطتنا إلى أهل الجنة فإنهم لا يستغنونَ عن مثلنا. وإنه قبيح بالعبد المؤمن أن ينال هذه النعمَ وهو إذا سبّحَ اللَّهَ لَحَنَ. ولا يحسُنُ بساكن الجنان أن يصيبَ من ثِمارها في الخلود وهو لا يعرف حقائق تسميتها. ولعل في الفردوس قوماً لا يدرون (١٤) أحروف الكُمَّثْرَى كلها أصلية أم بعضها زوائد؟ ولو قيل لهم ما وزن كمثرى على

---

(١) وهي الموجودة في نسخ الديوان المتداولة.

(٢) البيت أنشده التبريزي ١: ٢٢٥ والرضي: ٣٦٦ والجوهري مادة جز وابن فارس في الصاحبي: ١٨٦، والتبريزي في شرح القصائد العشر الطوال: ١، كلكتة وتكلما على المبحث تكلماً شافياً كالنحاس في شرح معلّقة امرىء القيس ص: ٣ و٤، وهو ليزيد بن الطثرية ويروى: أجذز بإبدال التاء دالاً خلافاً للقياس والمعنى: قلت لصاحبي لا تحبسني بنزع أصول الكلأ واقطع شيحاً ودع أصوله في الأرض لئلا يطول المكث هنا كذا في الجاربردي: ٣٢٨ استنبول.

(٣) وزن قوله هذا بقوله من اللزوم:

أفهم أخاك بما تشاء ولا تبل ... يا حار قلت هناك أو يا حارُ

غرض الفتى الإخبار عما عنده ... ومن الرجال بقوله سحار

وقوله:

يا رضو لا أرجو لقاءك ... بل أخاف لقاء مالك

(٤) وفي الأصل أبو زيد: ويا غنم. يريد عثمان رضي الله عنه وكان أبو زبيد خصيصاً به كما قال ابن عساكر في ترجمته ٤: ١٠٨. إلا أنه قلب فجعل الابن أباً وبالعكس وهو منذر بن حرملة. ولم أجد البيت الشاهد فيما وصلته يدي. وصلدت من باب ضرب. والمعنى ظاهر. ثم وجدته والحمد الله على ما أصلحت في كتاب صفة البئر لابن الأعرابي إلا أن فيه تبض جدل تفيض.

مذهب أهل التصريف لم يعرفوا فُعَّلَى. وهذا بناء مستنكر لم يذكر سيبويه له نظيراً. وإذا صحّ قولهم للواحدة كمّثراة فألف كمّثرّى ليست للتأنيث. وزعم بعض أهل اللغة أن الكَمثَرَة[1] تداخُلُ الشيء بعضِه في بعض. فإن صحّ هذا فمنه اشتقاق الكمّثرى[2]. وما يجْمُل بالرجل من الصالحين أن يصيب من (١٥) سَفَرْجَل الجنّة وهو لا يعلم كيف تصغيره وجمعُه؟ ولا يشْعُرُ إن كان يجوز[3] أن يُشتقّ منه فعل أو لا؟ والأفعال لا تُشتق من الخُماسيّة. لأنهم نقصوها عن مرتبة الأسماء فلم يَبْلُغوا بها بناتِ الخمسة. مثل إسْفَرْجَلَ يَسْفَرْجِل اسفرجالا (١٦) وهذا السُّنْدُس[4] الذي يطأه المؤمنون ويَفْرشونه كم فيهم من رجل لا يدري أوزنه فعْلل أم فُنْعُلٌ والذي نعتقد فيه أن النون زائدة وأنه من السُّدوس[5] وهو الطيلسان الأخضر قال العَبْدِيّ[6]:

وداويتُـها حتى شَتَـتْ حَبَشيَّةً كأنّ عليها سُنْدُساً وسُدُوسا

ولا يمتنع أن يكون سندس فُعْلُلا ولكن الاشتقاق يوجب ما ذُكر. (١٧) وشجرةُ طُوْبَى كيف يستظلّ بها المتّقون ويجتنونها آخر الأبد وفيهم كثير لا يعرفون أمن ذوات الواو هي أم من ذوات الياء؟ والذي نذهب إليه إذا حملناها على الاشتقاق أنها من ذوات الياء. لأنا إذا بنينا فِعلاً ونحوه من ذوات الواو قلبناها ياءً عِيْدٌ وقِيلٌ، وهما من عاد يعود وقال يقول. فإن قال قائل: فلعل قولهم: طاب يطيب من ذوات الواو وجاء

(١) ولفظ اللسان: الكمثرة فعل ممات وهو تداخل الشيء بعضه في بعض. وقيل: إن الكمثرى ليست بعربية وراجع التاج. وذكره الجواليقي: ١٣٣ مخففاً ونقل عن أبي حاتم أن قوماً يزعمون أنه لا يجوز غير التخفيف. قال: وأما الأصمعي فإنه لم يعرف التخفيف أصلاً. ولم يذكر في تعريبه شيئاً.

(٢) هذا قول ابن دريد ولفظه.

(٣) وفي نسخة: أن يجوز.

(٤) رقيق الديباج وغليظه الاستبرق. قال الجواليقي: ٧٩ لم يختلف أهل اللغة في أنه معرب مثله في القاموس والتاج.

(٥) بالضم وقد يفتح وهو أحد الأسماء الأربعة التي أتت على فعول بالضم كما قال ابن خالويه في ليس له: ٤٠.

(٦) هو يزيد بن خذاق بالمعجمات الثلاث. وفي التاج وغيره: حذاق بالحاء المهملة وهو تصحيف. من شعراء المفضليات (مصر ٢: ٤٦، ٤٧) والبيت ثاني أحد عشر بيتاً والأول:

ألا هل أتاها في شكة حازم لدى وأني قد صنعت الشموسا

صنعت يريد ضمرت وكذلك داويت. والشموس فرسه. وشتت أخضرت من العشب وسمنت.

على مثال حَسِب يحسِب وقد ذهب إلى ذلك قوم في قولهم تاهَ يتيهُ وهو من تَوهتُ[(١)]. قيل له: يمنع من ذلك أنهم يقولون طَيّبتُ الرجلَ ولم يحكِ أحد طَوَّبتُه. والمطيِّبون[(٢)] أحياءٌ من قريش اختلفوا فغَمَسوا أيديَهم في طيب. فهذا يدلّك على أن الطيب من ذوات الياء. وكذلك قولهم: هذا أطيب من هذا. فأما حكاية أهل اللغة أنهم يقولون أوْبَةٌ وطَوبَةٌ[(٣)] فإنما ذلك على معنى الإتباع كما يعتقد بعض الناس في قولهم حَيَّاكَ الله وبَيّاكَ[(٤)] أنه إتباع وأن أصل بَيَاك بوّاك أي بوّأك منزلاً تَرْضاه[(٥)]. وأما قولهم للآجُرّ طُوْب[(٦)] فإن كان عربياً صحيحاً فيجوز أن يكون اشتقاقه من غير لفظ الطيب إلا على رأي أبي الحسن سعيد بن مسعدة فإنه إذا بني فُعْلاً من ذوات الياء يَقْلبه إلى الواو فيقول: الطُوْب والعُوْش[(٧)]. فإن كان الطُوْب الآجُرُّ اشتقاقُه من الطيب فإنما أُريد به والله أعلم أن الموضع الذي يُبنى به طابت الأقامة فيه. ولعلنا لو سألنا من يرى طوبى في كل حين[(٨)] لِمَ حُذف منها الألف واللام لم يُحرْ في ذلك جواباً. وقد زعم سيبويه أن الفُعلى التي تؤخذ من أفعل منك لا تُستعمل إلا بالألف واللام أو الإضافة تقول هذا أصغر منك فإذا رددته إلى المؤنّث قلتَ: هذه الصُغرى أو صُغرى بناتك. ويَقْبُح عنده أن يقال: صغرى بغير إضافة ولا ألف ولام[(٩)] وقال سُحَيْم[(١٠)]:

---

(١) نقله في التاج عن ابن سيده. ومما يدل له التوه بالفتح ويضم الهلاك عن أبي زيد لغة في التيه. وتاه يتوه لغة. وما أتوهه. وتوّه تتويهاً. وفلاة توه بالضم.

(٢) في المنسوب للثعالبي: ١١٠ هم أحلاف من قريش اجتمعوا لذلك وغسلوا أيديهم في الطيب ثم تصافحوا وتحالفوا وتعاقدوا. وحلف الفضول غير هذا الحلف لا هذا كما ذهب على اللغويين. وانظر التاج (طيب) والمنسوب: ١١٠ والسهيلي مع السيرة ١: ٩٠ ـ ٩٢.

(٣) لفظ اللسان يقال للداخل: طوبة وأوبة يريدون الطيب في المعنى دون اللفظ لأن تلك ياء وهذه واو. وهذا الاتباع أغفله ابن فارس في كتابه.

(٤) وفي كتاب الاتباع لابن فارس بياه اضحكه.

(٥) وفي الأصل: يرضاه.

(٦) في المعرب: ١٠٥ الطوبة لغة شامية وأحسبها رومية. قال الجوهري مصرية وابن دريد شامية وأظنها رومية وجمع بينهما ابن سيده.

(٧) وفي الأصل: الغوش بالمعجمية وهو تصحيف إذ ليس مادة «غيش» ثمة أصلاً. على أنه مضى له ذكر العوشى من العيش تحت عدد: ٤.

(٨) هذه الاستشكال على رأى من يراه من أفعل منك وأما من يزعمه مصدراً كالرجعى والسقيا فلا يستشكل شيئاً. وقال الرضي والجاربردي: إما أن يكون طوبى مصدراً كالرجعى قال تعالى: ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ﴾ أي طيباً. وإما أن يكون انثى أطيب منك فحقه الطوبى بأل وفي شرح الهادي أنه هو إلا أنه أجري مجرى الأسماء؛ لأنه لا يكون وصفاً بغير أل فأجري مجرى الأسماء التي لا تكون صفات. ومثله كوسى.

(٩) ولكني رأيت صاحبنا خالفه في اللزوم حيث يقول:

ذهبنَ بمِسْواكي وغادرن مُذْهَباً ... من الصَّوْغ في صُغرى بَنانِ شماليا

وقرأ بعض القُرّاء: وقولوا للناس: حُسْنى على فُعْلى بغير تنوين. وكذا قرأ في الكهف إمّا أن تُعذِّب وإمّا أن تتّخذ فيهم حُسْنى على فُعلى بغير تنوين. فذهب سعيد بن مَسْعَدة أن ذلك خطأ لا يجوز وهو رأي أبي إسحاق الزجّاج لأن الحسنى عندهما وعند غيرهما من أهل البصرة يجب أن تكون بالألف واللام كما جاء في موضع وكَذَّبَ بالحُسنى. وكذلك اليُسرى والعُسرى لأنها أنثى أفعل منك. وقد زعم سيبويه أنّ أخرى معدولة عن الألف واللام. ولا يمتنع أن يكون حُسنى مثلَها. وفي الكتاب العزيز ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ (٢٠)﴾ وفيه: ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى (٢٣)﴾. قال عمر بن أبي ربيعة[(١)]:

وأخرى أتَتْ من دون نُعْمٍ ومثلها ... نَهى ذا النهي لو يَرْعَوِيْ أو يُفَكّرُ

فلا يمتنع أن تُعْدَلُ حُسنى عن الألف واللام كما عُدِّلتْ أُخرى. وأفعل منك إذا حُذِفَتْ منه: «من» بقي على إرادتها نكرة أو عُرِّف باللام. ولا يجوز أن يجمع بين مِنْ وبين حرف التعريف. والذين يشربون (١٨) ماءَ الحيوان في النعيم المقيم هل يعلمون ما هذه الواو التي بعد الياء[(٢)] وهل هي منقلبة كما قال الخليل؟ أم هي على الأصل كما قال غيره من أهل العلم. ومَنْ هو مع (١٩) الحُور العِيْن خالداً مخلَّداً هل يدري ما معنى الحَوَر. فيقول بعضهم: هو البياض ومنه اشتقاق الحُوّاري من الخُبْزة[(٣)] والحَوارِيِّين إذا أريد بهم القَصّارون والحَوارِيّاتُ إذا أريد بهنّ نساءُ الأمصار. وقال قوم الحَوَر في العَين أن تكون كلها سوداءَ وذلك لا يكون في الإنس وإنما يكون في

= ومرآة المنجم وهي صغرى ... أرته كل عامرة وقفر

فكان كالحكمي في قوله:

كأن صغرى وكبرى من فواقعها ... حصباء در على أرض من الذهب

(١٠) عبد بني الحسحاس الخبيث الفاجر من يائيته المعروفة ولم أجد البيت فيما نقلوا من قصيدته ـ والمعنى ظاهر ـ وكان ابن الأعرابي يسميها الديباج الخسرواني. وهي بتمامها في نسخة منتهى الطلب لابن ميمون الخطية في بعض حواضر أوروبا.

(١) من أشهر قصائده وهي في نسخ ديوانه وفي الكتاب الكامل وغيره.

(٢) مذهب سيبويه وأصحابه: أنه لم يأت في كلامهم ياء بعدها واو، فيقولون: إن حيوان أصله حييان، والمازني يرى الواو فيه أصلاً كما هو في شروح الشافية بحث الإعلال.

(٣) والأصل: الحِيرة، فلعلها هذه الحيرة حيرة آل منذر ويصفونها بالبياض على ما قال ياقوت وغيره ومن شعر صاحبنا في اللزوم:

وقف بالحيرة البيضاء فانظر ... منازل منذر وبني بقيلة

أرى الحيرة البيضاء حارت قصورها ... خلاء ولم تثبت لكسرى المدائن

الوحوش. وقال آخرون: الحَوَر شدّة سواد العين وشدّة بياضها. وقال بعضهم الحور سعة العين وعِظَمُ المقلة. وهل يجوز أيها المتمتّع بالحُور العين أن يقال حِيْرٌ كما يقال حُور فإنهم ينشدون هذا البيت بالياء:

إلى السَّلَف الماضي وآخرَ واقفٍ إلى رَبْرَبٍ حِيْرٍ حِسانٍ جآذرٍ[١]

فإذا صحّت الرواية في هذا البيت بالياء قَدَحَ ذلك في قول من يقول إنما قالوا الحير إتْباعاً للعيْن كما قال الراجز[٢]:

هَلْ تعرف الدارَ بأعلى ذي القُوْرْ قد دَرَسَتْ غيرَ رَمادٍ مَكفورْ

مكتئبِ اللون مَريحٍ ممطورْ أزمانَ عَيناءُ سرورُ المسرورْ

حَوْرَاءُ عَيْناءُ من العِيْنِ الحِيْرْ[٣]

وكيف يستجيز[٤] مَنْ فرشُه من (٢٠) الإستبْرَق[٥] أن يمضي عليه أبدٌ بعد أبد وهو لا يدري كيف يجمعه جمع التكسير وكيف[٦] يصغّره النحويون يقولون في جمعه: أبارق وفي تصغيره أبيرق. وكان أبو إسحاق الزجّاج يزعم أنه في الأصل سُمّي بالفعل الماضي[٧] وذلك الفعل استفعلَ من البَرَق[٨]. أو من البرْق. وهذه دعوًى من أبي

(١) هذا البيت أنشده التبريزي في تهذيب الإصلاح ١ : ٥٩ غير معزو إلى قائل. واستشهد به كما هنا على أن الحير ليس اتباعاً للعين كما زعم الفراء وتبعه أبو الحسن الأخفش فيما كتبه على نوادر أبي زيد ٢٣٨ : بل هو لغة في الحور.

(٢) هو منظور بن مرثد الأسدي من أرجوزة ذكرها أبو زيد ص: ٢٣٦ وفسرها الأخفش، وابن السكيت بعضها وهو ما هنا، وفسره التبريزي في تهذيب الإصلاح ١ : ٥٩.

(٣) القور، جمع قارة وهو جبل صغير. والمكفور: الذي غطاه الريح بتراب سفته. مريح ويروى مروح وكلاهما من الريح. وعيناء: امرأة. وروايتهما عيناء حوراء. قال الأخفش وادعى الاتباع وهذا عند حذاق أهل العربية يجري على الغلط كما قالوا: جحر ضب خرب الخ. وفي اللسان ٦ : ٤٣٥ الأربعة الأولى فقط مفسرة.

(٤) وفي نسخة: يستخبر.

(٥) في المعرب: (خرومه التي طبعوها بالمجلة الألمانية مفرزة سنة ١٨٧٩م) خروم ص: ٩ أصله بالفارسية استبره. وقال ابن دريد استروه فلو حفر أو كسر لكان أبيرق وأبارق بحذف السين والتاء جميعاً ا هـ مختصراً. ومثله في التاج. قال الفقير: فارسيته سطبر أو ستبر كما هو في جميع معاجمها لكل غليظ.

(٦) في نسخة: ولا كيف.

(٧) ونقل في التاج عن ابن جني في كتاب الشواذ [المحتسب] عن ابن محيصن أنه ظنه فعلاً إذ كان على زنته فتركه مفتوحاً في قوله تعالى: ﴿بطائنها من استبرق﴾ على حاله. أقول وجل اللغويين المتأخرين ذكروه في مادة برق وهذا أيضاً دليل على توهمهم زيادة أ س ت.

(٨) البرق بالسكون معروف وبالتحريك مصدر برق بصره كطرب تحير برقاً.

إسحاق. وإنما هو اسم أعجميّ عُرّب. وهذا (٢١) العَبقَريّ[١] الذي عليه اتّكاء المؤمنين إلى أيّ شيء نُسب؟ فإنا كنا نقول في الدار الأولى إن العرب كانت تقول: إن عبقَرَ بلاد يسكنُها الجنُّ، وأنهم إذا رأوا شيئاً جيّداً قالوا عَبْقَرِيٌّ أي كأنه عَملُ الجنّ إذ كانت الإنس لا تقدر على مثله. ثم كثُرَ ذلك حتى قالوا: سَيِّد عبقريّ وظُلْم عبقريّ قال ذو الرُّمَّة[٢]:

حتّى كأنَّ حُروفَ القُفّ ألبَسَها من وَشي عَبْقَرَ تجليلٌ وتنجيدُ

وقال زُهير:

بخيل عليها جِنَّةٌ عَبقَرِيَّة جديرون يوماً أن ينالوا ويَسْتَعْلُوْا[٣]

وإن كان أهل الجنّة عارفين بهذه الأشياء، قد ألهمهم اللّهُ العلمَ بما يحتاجون إليه فلن يستغني عن معرفته الولدانُ المخلّدون. فإن ذلك لم يقع إليهم. وإنا لنرضى بالقليل مما عندهم أجراً على تعليم الوِلدان ـ فيبسم[٤] إليهم رِضوانُ ويقول: إنّ أصحابَ الجنة اليوم في شُغُل فاكهون؛ هم وأزواجُهم في ظلال على الأرائك مُتّكِؤون. فانصرفوا رحمكم الله فقد أكثرتم الكلامَ فيما لا منفعةَ فيه. وإنما كانت هذه الأشياء أباطيلَ زُخرفتْ في الدار الفانية فذهبتْ مع الباطل. فإذا رأوْا جده في ذلك قالوا: رحمك اللّهُ نحن نسألك أن تُعرّف بعض علمائنا الذين حصَلوا في الجَنّة بأنا واقفون على الباب نريد أن نخاطبه في أمر. فيقول رضوانُ من تُؤْثِرون أن أُعْلِمَ بمكانكم من أهل العلم الذين غفر لهم؟ فيشتورون[٥] طويلاً ثم يقولون: عرِّفْ بمَوْقِفنا هذا الخليل بن أحمد الفُرْهُودي[٦] ـ فيرسل إليه رضوانُ بعض أصحابه ـ فيقول: على باب الجنّة قوم قد أكثروا القولَ وإنهم يريدون أن يخاطبوك. فيُشرفُ عليهم الخليل فيقول: أنا الذي سألتم عنه فماذا تريدون؟ فيعْرضون عليه مثل ما عرضوا على رضوانَ فيقول الخليل: إن الله جلّت قدرته جعل من يَسْكُن الجنة ممن يتكلّم بكلام العرب ناطقاً بأفصح اللغات كما نطق بها يَعْرُبُ بن قَحْطان أو مَعَدُّ بن عَدْنان. لا يدركهم الزَّيْغُ ولا الزَّلَلُ. وإنما افتقر الناس في الدار الغَرّارة إلى علم اللغة والنحو، لأن العربية

(١) انظر معجمي البكري وياقوت واللسان والتاج رسم عبقر والمنسوب للثعالبي ص: ١٨٧ وغيرها. وقال أعرابي: ظلمني ظلماً عبقرياً. ذكره الثعالبي فقط.

(٢) ديوانه ص: ١٣٦. القف ما غلظ من الأرض والتنجيد التزيين.

(٣) الرواية الشائعة فيستعلوا.

(٤) في نسخة: فتبسم.

(٥) في نسخة: فيتسارون.

(٦) الفرهود أو الفراهيد قبيلة ينسب إليها الخليل.

الأولى أصابها تغييرٌ. فأما الآن فقد رُفِعَ عن أهل الجنة كلُّ الخطإ والوهم. فاذهبوا راشدين إن شاء الله. فيذهبون وهم مُخْفِقون[١] مما طلبوه. ثم أعود إلى ما كنت متكلماً فيه قبل ذكر الملائكة مَنْ أهْدَى البَريرةَ[٢] إلى نعْمان، وأراقَ النُّطْفَةَ على الفرات، وشرح القضيَّةَ لأمير المؤمنين[٣] فقد أساءَ فيما فعل. ودلَّنِي كلامُه على أنه بحرٌ يستجيش مني ثَمَداً. وجبلٌ يستضيف إلى صخور حَصًى وغاضِيَةٌ[٤] من النيران تجتلِب إلى جمارها سِقْطاً. وحَسْبُ تهامةَ ما فيها من السَّمُرِ[٥] وسؤال الشيخ مولاي كما قال الأول:

فهذِيْ سيوف يا عَدِيَّ بن مالك ... كثيرٌ ولكن أين بالسيف ضارب[٦]

لا هَيْثَمَ الليلة للمَطيِّ[٧] قضيَّةٌ ولا أبا حَسَنٍ لها[٨] وشَكاة فأين الحارث بن كَلَدَةَ[٩] وخيلٌ لو كان له فوارسُ. والله المستعان على ما تصفون. والواجب أن أقول لنفسي ورَاؤكِ أوسعُ لك[١٠] فالصيفِ ضيعت اللبن[١١] ولا يكذب الرائدُ أهلَه[١٢]. ولو كان معي مِلءُ السِّقاء، لسلكتُ في الأرض المقّاء[١٣]. وسوف[١٤] أذكر طرفاً مما أنا

---

(١) في نسخة محققون ما.

(٢) ثمر الأراك أو هو أول ما يبدو منه. ونعمان الأراك وادٍ قال:

تخيرت من نعمان عود أراكة ... لهند فمن هذا يبلغه هندا

وقال الآخر:

أما والراقصات بذات عرق ... ومن صلى بنعمان الأراك

(٣) وهو الذي جرى فيه المثل «قضية ولا أبا حسن لها» على ما سيأتي.

(٤) متوقدة.

(٥) السمر تكثر بتهامة.

(٦) أنشده ابن خالويه أيضاً في ليس ص: ٦٤ ولكن لم يعزه. وكثير يستوي فيه التذكير والتأنيث روى ابن شميل عن يونس رجال كثير ونساء كثير أيضاً كما في التاج.

(٧) مثل يرد في كتب النحو خلا عنه معاجم الأمثال المعروفة.

(٨) مثل في كتب النحو.

(٩) الثقفي من الطائف، طبيب العرب مخضرم، بقي إلى إمرة معاوية ترجم له ابن أبي أصيبعة ١: ١٠٩ ـ ١١٣.

(١٠) مجمع الأمثال ٢: ٢٧٣، ٢١٩، ٢٩٤، الطبعات الثلاث ولاء. والفاخر رقم: ٤٨١.

(١١) يروى الصيف وفي الصيف. ويلزم التاء الكسر في الحالتين. وانظر قصته في المجمع ٢: ١٣، ١٠، ١٣ والفاخر رقم: ١٨٦ والجمهرة ٢: ٢٩.

(١٢) راجع المجمع ٢: ١٥٤، ١٢٢، ١٦٤.

(١٣) البعيدة.

(١٤) هذا الفصل يضاهي مضاهاة تامة فصلاً في الغفران ص: ١٢٢ ـ ١٢٣، والرسالة الـ ٢٦ من رسائله.

عليه غريبٌ في العامّة مِنْ شَبَّ إلى دَبَّ[١]. يَزعمون أنني من أهلِ العلم. وأنا منه خِلْوٌ إلا ما شاء الله. ومنزلتي إلى الجُهّال، أدنى منها إلى الرَّهْط العُلَماء. ولن أكونَ مثلَ الرَّبداء[٢] أزعُمُ في الإبلِ أنني طائرٌ، وفي الطير أني بعير سائر. والتمويه خُلُق ذميم. ولكني ضَبّ لا أحمل ولا أطير. ولا ثمني في البيع خطير. أقتنع بالحيلة والسّحاء[٣]. والعَوْذِ من بني آدم في مَساء وضُحاء. وإذا خلوتُ في بيتي تَعللتُ. وإن فارقتُ مأوى ضَلَلْتُ. ذكر ابن حَبِيْبَ أنه يقال في المثل: أحْيَرُ من ضَبّ[٤] وذلك أنه إذا فارق بيته فأبْعَدَ لم يهتدِ أن يرجع إليه. وقد علم الله تعالت[٥] قدرته أني لا أبْتَهِجُ بأن أكون في الباطن أستحقّ تثريباً. وأُدْعَى في الظاهر أريباً. ومَثَلِيْ مَثَلُ البِيْعة الدامرة، تُجْمِعُ[٦] طوائف من المسيحية أنها تبْرِىء من الحُمَّى أو من كذا. وإنما هي جُدُر[٧] قائمة لا تفرق بين مِلْطسٍ[٨] الهادم والمبيعة[٩] بيد الهاجريّ وسيّان عندها صِنُّ الوَبْر[١٠] وما يُعْتَصَر من ذكيّ الوَرْد. وليس بِدعاً من كُذِبَ[١١] عليه وادُّعِيَ له ما ليس عنده. وقد

---

(١) وفي المثل لغات من شُبَّ إلى دُبّ ومن شُبَّ إلى دُبَّ التاج مادة «دبب» والاتباع لابن فراس وجاء المثل في رسائله ص: ٣٠ بيروت ص: ٧٢ مشكولاً من شُبَّ إلى دُبَّ.

(٢) النعامة، قال يحيى بن نوفل يهجو خالداً القسري ويذكر فيه (البيان ٢: ١٤٠ الثانية):

ومثل نعامة تدعى بعيراً ... تعاظمها إذا ما قيل طيري
وإن قيل احملي قالت فإني ... من الطير المربة بالوكور

ومثله بالفارسية:

كر بكوئي بكويد أشترم ... ولا بكوئي بر بكويد طائرم

(٣) كذا ولعل الأصل والله أعلم من الحيلة بالسحاء وهو بالفتح والكسر ما يؤخذ من القرطاس قليلاً والسحاء ككتاب نبت شائك يرعاه النحل عسله غاية. والظاهر الأول يريد اقتنعت بغفة من العيش أتبلغ بها ولم أحتل للزيادة. والعوذ وفي أخرى التعوذ.

(٤) المجمع الطبعات الثلاث ١: ٢٠٠، ١٥٣، ٢٠٨، والجمهرة ١: ٢٦٧.

(٥) في نسخة: بغالب. (٦) في نسخة: تدعى.

(٧) في نسخة: صدر.

(٨) كمنبر المعول الغليظ لكسر الحجارة.

(٩) كذا الأصل. والهاجري البناء.

(١٠) صن الوبر بوله. والوبر دويبة كالسنور بوله يختر للأدوية وهو منتن جداً. قال جرير:

تطلى وهي سيئة المعرى ... بصن الوبر تحسبه ملابا

والصن والوبر أيضاً يومان من أيام برد العجوز السبعة ولكن لم يردهما هنا. وما يعتصر يريد ماء الورد وهو الجلاب.

(١١) في نسخة: «ولست بدعاً ممن كذب الخ». وكان يقول على ما في الغفران أيضاً ص: ١٢٢ أنا شيخ مكذوب عليه. ومعناه ظاهر إلا أن ابن الوردي زعم في تاريخه أن يشير به إلى ما نحله الناس إياه من الشعر المؤذن بانحلال عقيدته.

ناديت[١] بتكذيب القالة[٢] نداءَ مَنْ خَصَّ وعَمَّ. واعترفَ بالجهالة عند من نَقَصَ وأم[٣] واعتذرت بالتقصير إلى من هَزَلَ وجَدّ. وقد حُرِمَ عليَّ الكلامُ في هذه الأشياء لأني طلقتها طلاقاً بائناً لا أملكُ فيه الرَّجْعَةَ. وذلك لأني وجدتُها فوارِكَ فقابلت فَرَكَها بالصَّلَف. وألقيتُ المَرامي[٤] إلى النازع. وخَلَّيتُ الخُطَبَ لرُقاة المنَابر وكنتُ في عِداد المُهلة[٥] أجدُ إذا زاولتُ الأدبَ كأنني عارٍ ينضمُّ. أو أقطعُ الكَفَّيْن يتختَّم. وينبغي له أدام الله تَمكينَه إن ذكرني عنده ذاكرٌ أن يقول: دُهْدُرَّيْنِ! سَعدُ القَيْنْ[٦] إنَّما ذلك أجهلُ من صعَلِ الدَّوِّ[٧]. خالٍ كخُلوْ البَوِّ[٨]. ولو كنتُ في حسن العمر[٩] كما قيل لكنتُ قد أنسيتُ أو نسِيتُ [١٠]. لأن حديثي لا يُجْهَل في لزوم عَطَنيَ الضَّيِّق. وانقطاعي عن المعَاشِرِ ذَهابَ السَّيِّق[١١]. ولو أنني كما يُظَنُّ لفعلت[١٢] كما اخترت[١٣] وبرزتُ للأعين فما استترتُ. وهو يروي البيت السائرَ لزُهير[١٤]:

---

(١) في نسخة: «بؤت».

(٢) جمع القائل.

(٣) ظاهر أنه يريد معنى زاد وأغفلته المعاجم فلعله من الأمم وهو الوسط من كل شيء أو لعل الصواب رم. بمعنى أصلح ونقض بالضاد المعجمة. ثم وجدته في أخرى خطية نقض بالضاد المعجمة.

(٤) جمع المرماة وهو السهم الصغير يتعلم به الرمي.

(٥) الظاهر أنه يريد زمان العزلة ٤٠٠ ـ ٤٤٩هـ فالمهلة السكينة والتؤدة. ويمكن أن يريد بالمهلة المدة والمعنى في زمان مزاولة العلم. ثم رأيت في نسخة أخرى بدله عدان وهو بالفتح كل سبعة أعوام من الزمان. ويضم في نسخة يعتم.

(٦) مثل أنظر النجم: ٢٣٩ ورسائله ص: ٢٦ وفي أصله خلاف كثير. يضرب لمن جاء بالباطل. وحذفوا تنوين سعد وكانوا عرفوا كذبه من قبل.

(٧) مثل أغفله أصحاب الكُتب والصعل الصغير الرأس والظليم. والدو: الصحراء. وجهله أنه يغفل عن بيضته فلا يهتدي لها على ما مر لنا.

(٨) جلد الحوار يحشى تبناً كما هو معروف.

(٩) كذا. وصوابه إن شاء الله في عمر الحسل. قال ابن جني إن الحسل يعيش ثلثمائة سنة وقال رؤبة:

فقلت لو عمرت سن الحسل ... أو عمر نوح زمن الفطحل

والصخر مبتل كطين الوحل ... صرت رهين هرم أو قتل

أنظر ديوانه: ١٢٨ والكامل لبسيك: ٣٤٨ والمنسوب للثعالبي: ٥١٥ وغيرها. ثم رأيت في نسخة جن العمر وهو أوله وهو الصواب.

(١٠) في الأصل مصحفاً: أنست ونسيت؟.

(١١) السحابة الفارغة تزجيها الريح. وكان في الأصل الشيق.

(١٢) في الأصل تظن أفعلت؟

(١٣) في نسخة: لبلغت ما أخبرت.

(١٤) الديوان بشرح الأعلم مصر: ٦٣ يمدح هرم بن سنان ويخاطبه.

والسّترُ دون للفاحشات ولا يلقاك دون الخير من سِتْرِ

وإنما ينال الرُّتَبَ من الآداب من يُباشرها بنفسه. ويُفني الزَّمَنَ بدَرْسه. ويستعين الزِّهْلِق[١]. والشُّعاعَ المتألِّق. و هو العاجز ولا هو المحاجز[٢]

ولا جثّامة في الرحْلِ مثلي ولا بَرَمٌ إذا أمسى نَؤُومُ

ومثله لا يَسأل مثلي للفائدة بل للامتحان والخبرة[٣] فإن سَكَتُّ[٤] جاز أن يَسْبق إليَّ الظنُّ الحَسَنُ. أن[٥] السكوت سِتْر يُسْبَلُ على الجَهول وما أُحِب أن يَفتَرِيَ عليَّ الظُنونُ. كما افترت الألسُنُ في ذِكْرها أنّي من أهل العلم. وأحلف بمُرُوَّةِ[٦] الكذُوبِ لأن أرمي صابة[٧]، أو مَقراً آثَرُ لديَّ من أن أتكلّم في هذه الصّناعة كلمةً وقد تكلّفتُ الإجابة. فإن أخطأتُ فمَنْبتُ الخطإِ ومَعْدِنه. غاوٍ تعرّض لما لا يُحْسِنُه. وإن أصبت فما أُحمَدُ على الإصابة رُبَّ دواءٍ ينفع وَصفُهُ مَنْ ليس بناسٍ[٨] وكلمةُ حُكمٍ[٩] تُسْمَعُ من حليفِ وَسْواس.

تمّت الرسالة بحمد الله وعونه. ولُطفه وصَوْنه. والحمد لله على أفضاله. وصلى الله على سيدنا محمد وصحبه وآله أجمعين.

(١) السراج ما دام في القنديل.
(٢) في نسخة: المحائز.
(٣) في نسخة: والحيرة.
(٤) في نسخة: نسكت.
(٥) في نسخة: لأن.
(٦) تصحيف لم أهتد لأصله فلعله بمروأة الكذوب أو الخائن أو المراد بالمروة هذه الحجارة التي يقتدح بها والكذوب التي لا توري والغرض من الخلف بها أنه يخلف رجاء آمليه كهذه يقدحونها فتصلد. والله أعلم. وفي نسخة بحروة.
(٧) الصابة: شجرة مرة. والمقر ككتف وفلس الصبر أو شبيه به. وفي نسخة: «لأن أرمّ صابة» والرم من بابي نصر وضرب الأكل.
(٨) وفي نسخة: لمن ليس بناس. وفي الأخرى ممّن ليس بآس.
(٩) بالضم الحكمة.

فائت شعر أبي العلاء

جمعه

عبد العزيز الميمني السلفي الراجكوتي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. وبعد فهذا فائت شعر أبي العلاء مما لا يوجد في كتبه المعروف،ة جمعته أثناء تأليفي كتابي (أبو العلاء وما إليه) وفيه بعض شعر نُحل له، حتى يتمَّ فائدة تأليفي المذكور. ثم رأيت أن أُلحقه بآخر رسالة الملائكة لأبي العلاء حتى يكونا كتيّبين، وأثرين من آثار أبي العلاء حيَّين. ومن الله أطلب العونَ والتوفيق.

غرة شوال سنة ١٣٤٣

صدر بازار راجكوت كاتهيادار ـ (الهند)

عبد العزيز الميمني السلفي الراجكوتي

(١) من جامع الأوزان. التنوير ٢: ٢٠٧:

يا قرّة العين أم حفص وأمّ عثمان جارتاك

فتلك لا تحذرين منها وهذه تبتغي رداك

أم عثمان الحية وعثمان ولدها.

(٢) ومنه أيضاً أيضاً أيضاً:

لعمرك ما أبو بكر لدينا بمرموق ولا يخشى أذانا

وعثمان الذي يقليه منا أكابرها ويقتله فتانا

أبو بكر الفحل من الإبل. وعثمان ولد الحية.

(٣) في ركابي السرج، نهاية الأرب ٣: ١٦٥:

خليلان نيطا في جوانب مجلس جداره قدام له ووراء

متى يضع الرجلين ماش عليهما يزل عنه في وشك حفاً وحفاء

جداراه قربوسه ورادفتاه. والحفا وجع الرجل. والحفاء المشي بغير نعل.

(٤) من كتاب استغفر واستغفري كشاف: ومن يرتدد منكم عن دينه (الآية) والإيضاح للمطرزي ص ١٧١ وروايته: ووالاها:

آمت سجاح ووافاها مسليمة كذابة من بني الدنيا وكذاب

(٥) من جامع الأوزان التنوير ١: ١٢:

وطريق ركبته جرهم وجديس قبلنا فهو ركوب

سلكته الخيل عن آخرها وكذا الإبل وما ثار العكوب

(٦) منه أيضاً أيضاً:

ما للغراب لا يزال ساقطاً وليس من مسقطه بناعب

أقام عشراً ما أراه ماقطا وستر الأرض عن الطوالب

(٧) عن الشريشي ١: ٩٤:

عرفت جدودك إذا نطقت وطالما لغط القطا فأبان عن أنسابها

(٨) من تذكرة دولت شاه ٢٥ ليدن وليس بمحلّ للثقة:

من راعه سبب أو هاله عجب ... فلي ثمانون حولاً لا أرى عجبا
الدهر كالدهر والأيام واحدة ... والناس كالناس والدنيا لمن غلبا

(٩) وله في الخطاف (نثار الأزهار ٨٥):

ولابسة من حندس الليل ظلمة ... مفرجة عن صدرها تشبه[1] القبا
برأس يحاكي[2] شاه بلوط أعجم ... تغني بصوت معجم ليس معربا
لقد أتقن الصباغ جري سوادها ... وقد طوسوا منها قذالاً ومنكبا
تراها إذ ما أقبل الصبح ضاحكاً ... وولى الدجى عنها هزيماً مقطبا
تصفق لا أدري أحزناً على الدجى ... وأما إلى وضوح الصباح تطربا
إذا أقبلت في دار قوم تباشروا ... وقالوا لها أهلاً وسهلاً ومرحبا

(١٠) روى محمد بن علي الكازروني ـ وكان زاره بالمعرة ـ قال: أنشدنا أبو العلاء (وانظره في باب التلامذة):

يغدو الفقير وكل شيء ضده ... والأرض تغلق دونه أبوابها
فتراه محقوقاً (مجفوّاً) وليس بمذنب ... ويرى العداوة لا يرى أسبابها
حتى الكلاب إذا رأت ذا بزة ... هشت إليه وحركت أذنابها
وإذا رأت يوماً فقيراً بائساً ... نبحت عليه وكشرت أنيابها

(١١) في الملح نهاية الأرب ٣: ١٦٧.

وبيضاء من سر الملاح ملكتها ... فلما قضت أربي حبوت بها صحبي
فباتوا بها مستمتعين ولم تزل ... تحثهم بعد الطعام على الشرب

(١٢) رواية عن أبي اليسر المعري النكت: ١٠٥، والأدباء ١: ١٧٩:

غربت بذمي أمة ... وبحمد خالقها غريت
وعبدت ربي ما استطعـ ... ـت ومن بريته بريت
وفرتني الجهال حا ... شدة علي وما فريت

وفي الأدباء حاسدة:

سعروا علي فلم أمس ... وعندهم أني هربت

---

(١) لعله مشبه.

(٢) الأصل تحاكي.

وجميع ما فاهوا به كذب لعمري حنبريت

والبيت الآخر من النكت فقط.

(١٣) ابن أبي الحديد ٤: ٣٠٧:

أزرى بكم يا ذوي الألباب أربعة يتركن أحلامكم نهب الجهالات

رد الصديق وعلم الكيمياء وأحـ ـكام النجوم وتفسير المنامات

(١٤) من تذكرة دولت شاه ٢٥:

ألا إنما الأيام أبناء واحد وهذي الليالي كلها أخوات

فلا تطلبن من عند يوم وليلة خلاف الذي مرت به السنوات

(١٥) من الوافي بالوفيات للصفدي (ونسخته الخطية بلكنو الهند):

لم يكن المدن غير نكر سلافة الراح عرّفته

كآدم صيغ من تراب ونفخة الروح شرّفته

(١٦) من المنحول[1] - البلدان «اللاذقية»:

اللاذقية فتنة ما بين أحمد والمسيح

هذا يعالج دلبة والشيخ من حنق يصيح

(١٧) الغيث ٢: ٣٤:

أتعبتم السابح في لجة ورعتم في الجو ذات الجناح

هذا وأنتم غرض للردى فكيف لو خلدتمو يا قباح

(١٨) الأنساب ورق ١١٠ في الثلج:

أتانا في الولادة وهو شيخ فأزرى بالشباب وبالشيوخ

فقال أريد عندكم تنوخاً فقلت أصبت أنا من تنوخ

(١) ومعنى البيتين لا يجذب إلى الإلحاد والمروق فليس فيهما إلا الخبر كما قال ابن بطلان في رسالته إلى هلال الصابي (انظر حكماء القفطي، مصر: ١٩٥) ولفظه، وذكر اللاذقية: وفيها قاض للمسلمين وجامع يصلون فيه وأذان في أوقات الصلوات الخمس. وعادة الروم إذا سمعوا الأذان أن يضربوا الناقوس ا هـ. ومثله في البلدان وزاد كياداً لهم، فكأنه يريد ما بين أتباع أحمد الخ. وأوردهما كولد زيهر في المجلة الألمانية ٢٩: ٦٣٧ وروايته في القدس قامت ضجة ما بين الخ، وهي محرّفة وما له وللقدس. وكان سافر إلى اللاذقية كما حققناه وزاد ثالثاً وهو:

كل يشيد دينه يا ليت شعري ما الصحيح

وما أراه إلا اختلافاً، فالبيت ركيك البنية لا يشبه سائر شعر المعري.

(١٩) ابن أبي الحديد ٤: ٣٢٣ و٢: ٣٨٨:

نفسي وجسمي لما استجمعا صنعا شراً إليّ فجلّ الواحد الصمد
فالجسم يعذل فيه النفس مجتهداً وتلك تزعم أن الظالم الجسد
إذا هما بعد طول الصحبة افترقا فإن ذاك لأحداث الزمان يد
وأصبح الجوهر الحساس في محن موصولة واستراح الآخر الجمد

(٢٠) لغز في أل التي للتعريف (الأشباه ٢: ٢٨٩):

وخلين مقرونين لما تعاونا أزالا قصياً في المحل بعيدا
وينفيهما أن أحدث الدهر دولة كما جعلاه في الديار طريدا

(٢١) من جامع الأوزان التنوير ١: ١١:

كأنَّ سنور العتيك إذا ناب أمر يفرس الأسدا
وتبيت الفأر دانية منه إن نوماً وإن سهدا
نابهم دهر بقطهم فرأوا من عيشهم نكدا

السنور: السد والعتيك[١]: حي من الأزد. والفأر: فأر المسك. والقط: النصيب أو الضبون.

(٢٢) لغز في كاد (الأشباه ٢: ٢٨٨، من جامع الأوزان. التنوير ٢: ٢٠٧):

أنحوي هذا المصر ما هي لفظة؟ جرت في لساني جرهم وثمود
إذا استعملت في صورة الجحد أثبتت وإن أثبتت قامت مقام جحود

(٢٣) قيل: أنه أوصى أن يكتب على قبره:

(الوفيات ١: ٣٤، الذهبي: ١٣٣، البغية: ١٣٧، الغيث: ٢: ١٩٨):

هذا جناه أبي عليّ وما جنيت على أحد

(٢٤) من كتاب الاستغفار وهو استغفر واستغفري، ابن أبي أصيبعة ١: ٨٨:

سقياً ورعياً لجالينوس من رجل ورهط بقراط عاضوا بعد أو زادوا
فكل ما أصلوه غير منتقض به استغاث أولو سقم وعواد
كتب لطاف عليهم خف محملها لكنها في شفاء الداء أطواد

(٢٥) في المرقص والمطرب لصاحب المغرب في حلى المغرب ص ٤٦:

---

(١) أجاب عنه ابن مالك وابن الوردي فراجع الأشباه.

وصبح قد فلونا الليل عنه كما تفلي عن النار الرمادا

(٢٦) في الوافي بالوفيات (خط) في تأخر مشيبه:

قد أورقت عمد الخيام وأعشبت فلك الحبال (؟) ولو رأسي أغبر
ولقد سلوت عن الشباب كما سلا غيري ولكن للحزين تذكر

(٢٧) من جامع الأوزان ـ التنوير ١: ١٣:

إن تخمدي يا نار فما عليك عار
عار فأين النار

(٢٨) الغيث ٢: ٢٤٤:

راح من راح والثريا الثريا والسماك السماك والغفر غفر
ونجوم السماء تعجب منا كيف تبقى من بعدنا ونمر

(٢٩) ابن أبي الحديد ٣: ٥٣:

أستغفر الله ما عندي لكم خبر وما خطابي إلا معشراً قبروا
أصبحتم في البلى غبراً ملابسكم من الهباء فأين البرد والقطر
كنتم على كل خطب فادح صبراً فهل شعرتم وقد جادتكم الصبر
وما درى يوم أحد بالذين ثووا فيه ولا يوم بدر أنهم نصروا

(٣٠) تتمة اليتيمة (خط باريس) أدباء ١: ١٧٣ أملاه في جواب كتاب عن بعض الرؤساء:

وافي الكتاب فأوجب الشكرا فضممته ولثمته عشرا
وفضضته وقرأته فإذا أحلى كتاب في الورى يقرا
فمحاه دمعي من تحدره شوقاً إليك فلم يدع سطرا

(٣١) ذهبي: ١٣١ وأدباء: ١٩٣ والعياذ بالله:

ولا تحسب مقال الرسل حقاً ولكن قول زور سطروه
وكان الناس في عيش رغيد فجاؤوا بالمحال فكدروه

(٣٢) أدباء: ١٧٦ من خبر ذكرناه في كتابنا:

هذا أبو القاسم أعجوبة لكل من يدري ولا يدري
لا ينظم الشعر ولا يحفظ القـ ـرآن وهو الشاعر المقري

(٣٣) الشريشي ٢: ١٥٢:

عجبت هند من تسرع شيبي قلت هذا عقبى فطام السرور
عوضتني يد السفاسف من مسـ ـك عذاري ريشاً من الكافور
كان لي في انتظار شيبي حساب غالطتني فيه صروف الدهور

(٣٤) ومما عزي له الغيث ٢: ١٩٣، والنكت ٧٢ والعجب منه حيث عزاه مع آخر بعد أربع صفحات ٧٦ إلى أبي الحسن الحصري كما في الشريشي ٢: ٨٩ ولفظه ومما يعزى للحصري. قال ياقوت ٥: ٢٦٢ إن البيتين متنازعان بين الحصري وبين تلميذه أبي العباس الأعمى:

سواد العين زاد سواد قلبي ليجتمعا على فهم الأمور

(٣٥) أبو الفداء ٢: ١٧٦ والعياذ بالله:

عجبت لكسرى وأشياعه وغسل الوجوه ببول البقر
وقول النصارى إلٰه يضام ويظلم حياً ولا ينتصر
وقول اليهود إلٰه يحب رسيس الدماء وريح القتر
وقوم أتوا من أقاصي البلاد لرمي الجمار ولثم الحجر
فواعجباً! من مقالاتهم أيعمى عن الحق كل البشر

(٣٦) وله فيما ظن الصفدي في الغيث ٢: ١٩٩:

الناس كالناس إلا أن تجربهم وللبصيرة حكم ليس للبصر
والأيك مشتبهات في مناظرها وإنما يقع للتفضيل في الثمر

(٣٧) في روضات الجنات والعهدة على صاحبه أن المعري لما خرج من العراق سئل عن المرتضى فقال:

يا سائلي عنه لما جئت أسأله[1] ألا هو الرجل العاري من العار
لو جئته لرأيت الناس في رجل والدهر في ساعة والأرض في دار

(٣٨) لغز في القمح، الشريشي ٢: ٥٩:

وسراء في بيض الحسان شريتها بصفر من العين الشبيهة بالشمس
وقد غيبت في الخدر عصراً مصونة محجبة عن أعين الجن والإنس
فلما بدت عنه بدت سيمة النوى عليها ولم تجزع لحادثة الأمس
فأهلاً بأنثى لم ترد يد لامس بسوء ولا أبدت نفاراً من اللمس

(١) ذكرنا ما دار بينهما من الأسئلة في غير هذا الموضع من كتابنا وإن كنا نرى هذا تلفيقاً.

في لباب الآداب لابن منقذ ثلاثة أبيات: [illegible]

(٣٩) أبو الفداء ٢: ١٧٧ والبراءة إليه تعالى:

زعموا أنني سأبعث حياً   بعد طول المقام في الأرماس
وأحوز الجنان أرتع فيها   بين حور وولدة أكياس
أي شيء أصاب عقلك يا مسـ   ـكين حتى رميت بالوسواس

(٤٠) في مدح حلب الدر المنتخب لابن الشحنة ص ١٥٤:

يا شاكي النوب انهض طالباً حلبا   نهوض مضنى لجسم الداء ملتمس

وفي الأصل: «لجسم» مُصحفاً.

واخلع حذاك إذا حاذيتها ورعاً   كنعل موسى كليم الله في القدس

كذا والصواب إن شاء الله كفعل موسى.

(٤١) دمية القصر (خط ورق ٦):

وما ازدحمت عير على ورد منهل   دنا خمساً ترعى الخيل من الحمض

وفي نسخة المتحف البريطاني من الدُمْية ترعى النحيل من الحمض. بين العرنين. صفوةَ المحضِ وهو الصواب. بعد الظعائن أم يمضي. وفي أخرى بلُندره بالخط المغربيّ خمسها يرعى النخيل. بعد العرينين. صفوة المحض. أم تمضى. واسم الراوي أبو محمد الحمداني بالحاء، كذا والنسخة محرفة ولعل الأصل: دنت بعد خمس ترتعي الخل بالحمض:

تزاحم دمعي في الجفون وقد غدت   ركائبهم بين العريين فالعرض

العريين كذا وورد في معجم الكبرى عريات والعرينات وأما العريان فإني لم أجده في المعجمين:

ولا أم خشف أقبلت بعد فيقة   لتمنحه من درها ـ صفوه ـ المحض
ولا أم بكر ساف عنها حوارها   ظلوم سعاة في الزكاة من الفرض
بأوجع مني يوم قال رسولهم   أمستوطن؟ بعد الظعائن لم تمض!

(٤٢) رواية السلفي عن أبي المكارم الأبهري عنه ذهبي: ١٣٣:

رغبت إلى الدنيا زماناً فلم تجد   بغير عناء والحياة بلاغ
وألقى ابنة الناس (؟) الكريم وبنته   لدي فعندي راحة وفراغ
وزاد فساد الناس في كل بلدة   أحاديث مين تفترى وتصاغ
ومن شر ما أسرجت في الصبح والدهى؟   كميت لها بالشاربين مراغ

والدهى كذا ـ ولعله والضحى أو والدجى.

(٤٣) الدميري سنة ١٣١٩ هـ مصر ١ : ٢٩٧ :

يا طالب الرزق الهنيء بقوة هيهات أنت بباطل مشغوف
رعت الأسود بقوة جيف الفلا ورعى الذباب الشهد وهو ضعيف

(٤٤) الأدباء ١ : ١٧٢ وزيادة على ما في اللزوم ٢ : ٨٧ :

فلا تشرف بدنيا عنك معرضة فما التشرف بالدنيا هو الشرف
واصرف فؤادك منها مثلما انصرفت فكلنا عن مغانيها سينصرف

يا أم دفر البيت، لو أنك العرس البيت، ولكن البيت الثاني أفسد اللزوم الذي التزمه أبو العلاء.

(٤٥) وقال الأدباء ١ : ١٩٢ ولعله منحول:

إذا كان لا يحظى برزقك عاقل وترزق مجنوناً وترزق أحمقا
فلا ذنب يا رب السماء على امرىء رأى منك ما لا يشتهى فتزندقا

(٤٦) الأدباء ١ : ١٧٩ والنكت والمعاهد والبغية:

لا أطلب الأرزاق والـ ـمولي يفيض على رزقي
أن أعط بعض القوت أعـ ـلم أن ذلك ضعف حقي

والبيتان ضد لما مضى.

(٤٧) الغيث ١ : ٤٨، ولفظه ووجدت منسوباً إلى أبي العلاء المعري ونزهة الجليس ١ : ٢٨٣ ونسمة السحر ١ : ١١٠ :

زعم الجهول ومن يقول بقوله أن المعاصي من قضاء الخالق
إن كان حقاً ما يقول فلم قضى حد الزناء وقطع كف السارق

(..) وزعم ابن السبكي في طبقاته ٣ : ٩٧ أن هذين البيتين:

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
هذا الذي ترك الأوهام حائرة وصير العالم النحرير زنديقا

له ـ وكالإجماع أنهما لابن الراوندي وانظر المعاهد ١ : ٥٣ ـ ومر آنفاً بيتان في معناهما.

(٤٩) في مطالع البدور ١ : ١٠٢ قال أبو العلاء المعري الشروي (؟ وانظره) يهجو النرجس:

أنــظــر إلــى نــرجــس تــبــدت صــبــحــاً لــعــيــنــيــك مــنــه طــاقــه
واكــتــب أســامــي مــشــبــهــيــه بــالــعــيــن ـ فــي دفــتــر الــحــمــاقــه
كــراثــة ركــبــت عــلــيــهــا صــفــرة بــيــض عــلــى رقــاقــه

(٥٠) الأدباء ١ : ١٧٥ والمعاهد ١ : ٥٠ :

يا ظبية علقتني في تصيدها أشراكها وهي لم تعلق بأشراكي
رعيت قلبي وما راعيت حرمته فلم رعيت وما راعيت مرعاك
أتحرقين فؤاداً قد حللت به بنار حبك عمداً وهو مأواك

نسخة ما راك مخفف ما رآك لغة في رأى:

أسكنته حين لم يسكن به أحد وليس يحسن أن تسخي بسكناك
ما بال داعي غرامي حين يأمرني بأن أكابد حر الوجد ينهاك
وكم غدا القلب ذا يأس وذا طمع يرجوك أن ترحميه ثم يخشاك

(٥١) نهاية الأرب للنويري ١ : ٣٤ :

يا ليت شعري وهل ليت بنافعة ما وراءك أو ما أنت يا فلك؟
كم خاض في إثرك الأقوام واختلفوا فدما فما أوضحوا حقاً ولا تركوا
شمس تغيب ويقفو أثرها قمر ونور صبح يوافي بعده حلك
طحنت طحن الرحى من قبلنا أمما شتى ولم يدر خلق أية سلكوا
وقال إنك طبع خامس نفر عمري! لقد زعموا بطلاً وقد أفكوا
راءوا سرائر للرحمٰن حجبها ما نالهن نبي لا ولا ملك

(٥٢) وعزا إليه صاحب روضات الجنات ص ٧٤ ولعله منحول:

فلا تيأس إذا ما سد باب فأرض الله واسعة الممالك
ولا تجزع إذا ما اهتاض[1] أمر «لعل الله يحدث بعد ذلك»

(٥٣) البيتان من العمدة لابن رشيق ٢ : ٨٢. ثم رأيت في التكملة لابن الأبار في ترجمة أبي طالب محمد بن إبراهيم القيسي الذي عاش إلى سنة ٤٩٠هـ: «قرأت بخطّه لأبي القاسم بن المغربي الوزير: بَعُدوا فلا. البيت لم يبق غير. البيت:

الليل عندي والنهار كأدهم لا غُرَّةٌ فيه ولا تحجيل»

(١) كذا، ويمكن أن يكون اعتاص.

فتعين أن المعري في العمدة مصحّف المغربيّ وكم قد تصحف أحدهما بالآخر لتشابههما في الخطّ.

لم يبق غير المذل من أسبابهم ... فأحب من يدنو إلى عذول
يغدو فلا مستخبَر عن حالهم ... غيري ولا مستخبر مسؤول

(٥٤) بدائع البدائه بهامش المعاهد ٢: ١١٤، والوفيات ١: ٢٢٣، واليافعي ٣: ٧٠ قال القاضي أبو الطيب الطبري كتبت إلى أبي العلاء المعري حين وافى بغداد:

وما ذات در لا يحل لحالب ... تناوله واللحم منها محلل
لمن شاء في الحالين حياً وميتاً ... ومن شاء شرب الدر فهو مضلل
إذا طعنت في السن فاللحم طيب ... وآكله عند الجميع معقل
وخرفانها للأكل فيها كزازة ... فما لحصيف الرأي فيهن مأكل
ما يجتني معناه إلا مبرز ... عليم بأسرار القلوب محصل

فأجابني وأملى على الرسول في الحال ارتجالاً:

جوابان عن هذا السؤال كلاهما ... صواب وبعض القائلين مضلل
فمن ظنه كرماً فليس بكاذب ... ومن ظنه نخلاً فليس يجهل
لحومهما الأعناب والرطب الذي ... هو الحل - والدر الرحيق المسلسل
ولكن ثمار النخل وهي غضيضة ... تمر وغض الكرم يجيء ويؤكل
يكلفني القاضي الجليل مسائلا ... هي النجم قدراً بل أعز وأطول
ولو لم أجب عنها لكنت بجهلها ... جديراً ولكن من يودك مقبل

فأجبته عنه وقلت:

أثار ضميري من يعز نظيره ... من الناس طراً سابغ الفضل مكمل
ومن قلبه كل العلوم بأسرها ... وخاطره في حدة النار يشعل
تساوى له سر المعاني وجهرها ... ومعضلها باد لديه مفصل
ولما أثار الحب قاد صنيعه ... أسيراً بأنواع البيان يكبل
وقربه من كل فهم بكشفه ... وإيضاحه حتى رآه المغفل
وأعجب منه نظمه الدر مسرعاً ... ومرتجلاً من غير ما يتمهل
فيخرج من بحر ويسمو مكانه ... جلالاً إلى حيث الكواكب تنزل
فهنأه الله الكريم بفضله ... محاسنه والعمر منها مطول

فأجاب مرتجلاً وأملى على الرسول:

ألا أيها القاضي الذي بدهائه سيوف على أهل الضلال تسلل
فؤادك معمور من العلم آهل وجدك في كل المسائل مقبل
فإن كنت بين الناس غير ممول فأنت من الفهم المصون ممول
إذا أنت خاطبت الخصوم مجادلاً فأنت ـ وهم مثل الحمائم ـ أجدل
كأنك من في الشافعي مخاطب ومن قلبه تملى فما تتمهل
وكيف يرى علم ابن إدريس دارساً وأنت بإيضاح الهدى متكفل
تفضلت حتى ضاق ذرعي بشكر ما فعلت وكفي عن جوابك أجمل
لأنك في كنه الثريا فصاحة وأعلى ومن يبغي مكانك أسفل
فعذري! في أني أجبتك واثقاً بفضلك فالإنسان يسهو ويذهل
وأخطأت في إنفاذ رقعتك التي هي المجد لي منها أخير وأول
ولكن عداني أن أروم احتفاظها رسولك وهو الفاضل المتفضل
ومن حقها أن يصبح المسك عاطراً بها وهي في أعلى المواضع تجعل
فمن كان في أشعاره متمثّلاً فأنت امرؤ في العلم والشعر أمثل
تجملت الدنيا بأنك فوقها ومثلك حقاً من به تتجمل

وجدتُ في الصارم البَتّار في رحلة سالار لعبد الله بن قائد المكّيّ المطبوع بكلكتّة نحو سنة ١٢٥٦هـ وليس صاحبه من الأثبات هذه الأبيات منسوبة لأبي العلاءِ والعُهدة عليه:

الدهر يقصر ساعة ويطول والمرء يصمت ساعة ويقول
والقول مختلف إذا ميَّزته هذا يردّ وبعضه مقبول
لا تقعدن مع البخيل بمجلس إن البخيل على الفراش ثقيل
لا تقطعن مع البخيل مسافة أن الطريق مع البخيل طويل

(٥٥) وأملى على الهكاري في خبره مع وزير محمود بن صالح وقد ذكرناه في موضعه. النكت: ١٠٨، وسر العالمين بومباي ص ٣٩ من البيت العاشر وكذا نسمة السحر ١: ١٠٩ «خط»:

أستغفر الله في أمني وأوجالي من غفلتي وتوالي سواء أعمالي
قالوا: هرمت ولم تطرق تهامة في مشاة وفد ولا ركبان أجمال

فقلت إني ضرير والذين لهم رأي رأوا غير فرض الحج أمثالي
ما حج جدي ولم يحجج أبي وأخي ولا ابن عمي ولم يعرف مني خالي
وحج عنهم قضاء بعد ما ارتحلوا قوم سيقضون عني بعد ترحالي
فإن يفوزوا بغفران أفز معهم أو لا فإني بنار مثلهم صال
ولا أروم نعيماً لا يكون لهم فيه نصيب وهم رهطي وأشكالي
فهل أسر إذا حمت محاسبتي؟ أم يقتضي الحكم تعتابي وتسآلي
من لي! برضوان أدعوه فيرحمني ولا أنادي مع الكفار أمثالي
باتوا وحتفي أمانيهم مصورة وبت لم يخطروا مني على بال
وفوقوا لي سهاماً من سهامهم فأصبحت وقعاً مني بأميال
فما ظنونك إذ جندي ملائكة وجندهم بين طواف وبقال
لقيتهم بعصا موسى التي منعت فرعون ملكاً ونجت آل أسرال
أقيم خمسي وصوم الدهر آلفه وأدمن الذكر أبكاري وآصالي
عيدين أفطر في عامي إذا حضرا عيد الأضاحيّ يقفو عيد شوال
إذا تنافست الجهال في حلل رأيتني وخسيس القطن سربالي
لا آكل الحيوان الدهر مأثرة أخاف من سوء[1] أعمالي وآمالي
وكيف أقرب طعم الشهد وهو كذا غصب لمكسب نحل ذات أطفال
نهيتهم عن حرام الشرع كلهم ويأمروني بترك المنزل العالي
وأعبد الله لا أرجو مثوبته لكن تعبد إكرام وإجلال
أصون ديني عن جعل أؤمله إذا تعبد أقوام با جعال

(٥٦) ومن بديع أفانينه ـ الغيث ٢: ٢١٥ والوافي الصفدي.

هزت إليك من القد ابن ذي يزن (سيفاً) ولاحظتك بهاروت على عجل
أرتك عم رسول الله منتقباً (عباساً) أبا حذيفة يحكى أو أبا حمل (بدراً).

(٥٧) ابن أبي الحديد ٤: ٤٧٦.

ما قضى الحاجات إلا شمل نومه فوق فراش من نمال

(٥٨) عن التبريزي عنه أدباء ١: ١٧٥ والصواب ما قاله ابن القارح ص ٢٠٠

---

(١) في نسمة السحر عن سر العالمين وابن أبي أصيبعة (أقوالي وأفعالي).

قال: أنشدني الظاهر لنفسه:

أرى جيل التصوف شر جيل   فقل لهم وأهون بالحلول
أقال الله حين عشقتموه   كلوا أكل البهائم وارقصوا لي

(٥٩) في المجلة الألمانية ٣٨: ٥١٨ بعد قوله في اللزوم ٢: ٢٢٧ عقيمها زيادة بيت وهو:

يبل ويبلى البدر من سقم به   فما لنفوس لا يبل سقيمها

(٦٠) في البعوض - من الوافي للصفدي:

إذا هي غنت لم يشقني غناؤها   فبعداً لها من قينة لم تكرم
تجش من لا يبتغي اللهو عندها   وتطرد نوم الناسك المتأيم
وأحلف لا عانقتها ولقد غدا   أبر (؟) ما بين كفي ومعصمي

(٦١) من العدل والتحري لابن العديم الحلبي.

وقال في ابن أخيه القاضي أبي محمد عبد الله بن أبي المجد وكان يستملي له ومرضه في عدة أمراض وكان برّاً بعمه مشفقاً عليه:

أعبد الله ما أسدي جميلاً   نظير جميل فعلك غير أمي
سقتني درها ودعت وباتت   تعوذني وتقرأ أو تسمي
هممت بأن تجنبني الرزايا   فرمت وقايتي من كل هم
كأن الله يلهمك اختياري   فتفعله ولم يخطر بوهمي
حمدتك في الحياة أتم حمد   وأيامي ذممت أتم ذم
أجدك ما تركت وأنت قاض   تعهد مقعد أعمى أصم
جزاك الباريء ابن أخ كريماً   أبر بمعجز في بر عم

(٦٢) منه أيضاً.

وقال فيه أيضاً لما مرضه بمرضه الأخير:

وقاض لا ينام الليل عني   وطول نهاره بين الخصوم
يكون أبر بي من فرخ نسر   بوالده وألطف من حميم
سأنشر شكره في يوم حشر   أجل وعلى الصراط المستقيم

(٦٣) فهرست دار الكتب ببرلين العدد ٣٣١٩ قصيدة أولها:

ضاقت عليّ برحبها الدنيا   وجرى من الجفن القريح دما

(٦٤) لغز في الإبرة، الخزانة الصغرى ٣٩٣:

سعت ذات سم في قميصي فغادرت به أثراً والله شاف من السم
كست قيصراً ثوب الجمال وتبعاً وكسرى وعادت وهي عارية الجسم

(٦٥) في الشريشي ٢: ٢٥٦ زيادة بيت على ما في اللزوم ٢: ٢٦٠:

لا يستوي ابناك في خلق ولا خلق إن الحديدة أم السيف والجلم

فاضرب وليدك البيت. فرب شق البيت.

(٦٦) وفي الغيث ٢: ١٩٨ زيادة بيت وهو الثالث على ما في اللزوم ٢: ٢٤٩:

أرى ولد الفتى عبئاً عليه لقد سعد الذي أضحى عقيما
فأما أن يربيه عدواً وأما أن يخلفه يتيما
وأما أن يصادفه حمام فيبقى حزنه أبداً مقيما

(..) وزعم صاحب النفح ٣: ١٣٠ مصر أن بيت اللغز المعروف للمعري وهو:

أقول لعبد الله لما سقاؤنا ونحن بوادي عبد شمس وهاشم

ومعناه أقول لعبدة: اتقي الله أو لعبد الله لما وهي سقاؤنا ونحن بوادي عبد شمس شم لنا البرق.

وهذا خطأ منه فإن البيت عاثر وضع للمعاني وانظر مقدمة اللزوم ١: ٥.

(٦٧) ومن المنحول له (النكت ٧٥ والغيب ٢: ١٨٨، ونزهة الجليس ١: ٢٧٩، ونسمة السحر ١: ١٠٧، وفي الشريشي ١: ٨٩ أنه لبشار وفي غرر الخصائص أنه لأبي العيناء ص ١٦١).

قالوا العمى منظر قبيح قلت بفقدانكم يهون
والله ما في الوجود شيء تأسى على فقده العيون

(٦٨) وله (النكت ٧٥ وابن الشيخ ١: ٣٨٢ وتذكرة دولت شاه ٢٥، والتكملة لابن الأبار العدد ١٩٥٧ مسنداً).

أبا العلاء ابن سليمانا عماك قد أولاك إحسانا
لو أبصرت عيناك هذا الورى لم ير إنسانك إنسانا

(٦٩) حسن التوسل ٦١:

لم يبق غيرك إنساناً يلاذ به فلا برحت لعين الدهر إنسانا

(٧٠) أيضاً ٦٢:

لو زار طيف ذات الخال أحياناً ونحن في حفر الأجداث أحيانا

(٧١) الأدباء ١ : ١٩٠ والنكت ١٠٦ والعياذ بالله :

إذا ما ذكرنا آدماً وفعاله وتزويجه بنتيه لا بنيه في الخنى
علمنا بأن الخلق من أصل ريبة وأن جميع الناس من عنصر الزنا

(٧٢) أدباء ١ : ١٧٣ عن التتمة، وليس في نسخة باريس منها :

لست أدري ولا المنجم يدري ما يريد القضاء بالإنسان
غير أني أقول غير محق قد يرى الغيب فيه مثل العيان
إن من كان محسناً فأبكيه لجميل عواقب الإحسان

كذا ولعل الأصل فأبكى لجميل بل فأبكيه جميل.

(٧٣) وفي المجلة الألمانية ٣٨ : ٥٢١ بعد قوله من اللزوم ٢ : ٢٨٥ أشطان زيادة بيت وهو :

وتزهر القيظ بالخرصان مثمرة بالهام وهي من الخطي خيطان

(٧٤) ذهبي : ١٣٤ :

أتتني من الأيام ستون حجة وما أمسكت كفاي ثنى عنان
ولا كان لي دار ولا ربع منزل وما مسني من ذاك روع جنان

ويمكن أن يكون ربع :

تذكرت أني هالك وابن هالك فهانت عليّ الأرض والثقلان

(٧٥) روى أبو اليسر أن المستنصر الفاطمي بذل له ما ببيت المال بالمعرة من الحلال فلم يقبل وقال (أدباء ١ : ١٧٨) :

كأنما لي غاية من غنى فعد عن معدن أسوان
سرت برغمي عن زمان الصبا يعجلني وقتي وأكواني
ضد أبي الطيب لما غدا منصرفاً عن شعب بوان

وفي الأصل غاية لي وهو قلب غلطا. وصد إلا أننا نرجح ضد.

(٧٦) أدباء ١ : ١٧٩ والنكت ١٠٥ والمعاهد ١ : ٥٠.

حاول إهواني قوم فما واجهتهم إلا بإهواني
يحرشوني بسعاياتهم فغيروا نية إخواني
لو استطاعوا لوشوا بي إلى المريخ في الشهب وكيوان

(٧٧) أدباء ١ : ١٩٢، ١٩٤، وذهبي: ١٣١، والنكت: ١٠٦:

صرف الزمان مفرق الألفين ... فاحكم إلهي بين ذاك وبيني
أنهيت عن قتل النفوس تعمداً ... وبعثت أنت لقبضها ملكين
وزعمت أن لها معاداً ثانياً ... ما كان أغناها عن الحالين

(٧٨) حسن التوسل ٨٧:

طول حياة ما لها طائل ... نغص عندي كل ما يشتهى
أصبحت مثل الطفل في ضعفه ... تشابه المبدأ والمنتهى
فلا تلم سمعي إذا خانني ... «إن الثمانين. وبلغتها»

(٧٩) في الغيث ١ : ٤٨ زيادة بيتين على ما في اللزوم ٢ : ٣٤٥ بعد قوله: فإذا كان ما يقولون البيت:

وإذا كان راضياً بقضاهم ... فاشكروهم لأجل ما عذبوه
وإذا كان ساخطاً بأذاهم ... فاعبدوهم لأنهم غلبوه

(٨٠) من جامع الأوزان. التنوير ١ : ١٢:

ألا يا عالماً ما العلم ... جار منه في نيه
فقيه خامل إذ لج ... يطوي تحتك الطيه
وخفاك عروضيا ... ن والناقة نحويه

يقال: فحل فقيه إذا كان حاذقاً بالضراب. وعروض مكة وما والاها أي عملا من أديمها. ونحو حي.

المقَّريّ (مصر ١ : ٥٠٥) نقل عن أبي حيان عن شيخه الرضيّ الشاطبي أنه أنشده للمعري[1] لُغزاً في وَرْد:

إذا ما شئت معرفة ... لما حار الورى فيه
فخذ خمساً لأربعة ... ودع للثوب رافيه

(١) وفي طبعة ليدن من النفح ص ٧١١ بدله «المقري» وأظنه تصحيفاً.

كلمات في الكتاب ومؤلفه

للأستاذ العلامة مؤلف هذا الكتاب النفيس محبون في الشرق العربي معجبون بنفثات يراعه ومآثر فضله، وهذا بعض ما كتبوه غب اطلاعهم على هذه المجموعة وهي تحت الطبع.

ـ ١ ـ

فمن ذلك ما أذن بنشره العلامة المحقق الجليل صاحب السعادة أحمد تيمور باشا عضو مجلس الشيوخ المصري، والعلامة المفضال صاحب الفضيلة السيد محمد الخضر حسين من علماء الجامع الأزهر في مصر وجامع الزيتونة في تونس:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد فإن المشتغلين بالأدب العربيّ في هذا الشرق الإسلاميّ ما برحوا منذ بضع سنوات ينظرون بعيون الابتهاج والغبطة إلى ما ينشره العلاّمة الجليل الأستاذ الشيخ عبد العزيز الميمني الراجكوتي من مآثر يخدم بها الآداب العربية والعلوم الإسلامية بتحقيقٍ وتثبّتٍ لا يقوى على مثلهما إلاّ مَن أُشرِبَ قلبُه حبَّ العلم، واستلذَّ التعب في تحصيله، وطابت نفسه بالصبر على تمحيصه.

ولقد كنا نحسب قبل ذلك أن يد الاستعمار الأجنبيّ المتصرّفةَ في برامج التعليم في الشرق الإسلامي ـ إما مباشرة أو بالواسطة ـ تمكّنتْ من عزل أقطاره بعضها عن بعض، وتوصَّلتْ إلى فصم ما بين أهلها من أواصرَ كان العلماءُ فيما مضى يزيدونها بتعاونهم العلميّ توثيقاً وتأييداً، فجاءت أعمال العلاّمة الميمني حلقة ذهبية في سلسلة ما للهند في محصول الإسلام العلمي من حسناتٍ خالدات. وبتنا نرجو الله أن يكون ذلك فاتحة دور جديد في تاريخ رابطة العلم الإسلامي يملأه الأستاذ المؤلف وأصدقاؤه من أفاضل (دار المصنّفين) وزملاؤهم من أساتذة الجامعات الهندية الإسلامية والمتخرجون على أيديهم من نجباء تلاميذهم بما تُباهي به الهند الأممَ مقداراً وقيمة. وما ذلك على الله بعزيز.

مصر: جمادى الأولى ١٣٤٦هـ

أحمد تيمور

محمد الخضر حسين

ـ ٢ ـ

وكتب العلامة الجليل الشيخ أحمد الإسكندري من كبار أساتذة (دار العلوم) بمصر:

من مدرّس إلى مدرّس

إلى أخي الأستاذ الكبير والعلامة الجليل الشيخ عبد العزيز الميمني الراجكوتي حفظه الله.

أخي! كنت أقرأ بسرور كثير وإعجاب عظيم تلك الرسائل الجليلة ذوات البحوث الدقيقة التي كنتَ تتحف بها قراء مجلة الزهراء. وكنت أحرص على اقتنائها بعد جمعها كتباً. وما كدت أسمع بأن المطبعة السلفية تطبع لك كتاباً في حياة أبي العلاء وأدبه حتى بادرت إلى قراءة الجزء الأول منه قبل أن يتم طبع ما ألحق به.

والحق أقول: إني قلّما قرأت لأديب معاصر بحثاً في أدب القدماء وشؤون حياتهم بمثل ما قرأت في كتابك الكريم من استقامة مذهب ونصفة حكم ونزاهة جدل وتأويل متشابه وتفتيح بحث وتزييف باطل وجبه مغرور.

ولقد استفدت منه في نفسي ودرسي واقتبست منه وعزوت إليه. فللّهِ أنت ولله بلاد أنجبت مثلك. ولله ما أعنت طلابَ العربية وما زدت في ثروة آدابها.

فجزاك الله عن الأدب العربي وأهله خيراً وأكثر في حماة العربية من أمثالك ومدّ في أجلك وأمتع بأدبك والسلام عليك ورحمة الله.

مصر: ١٥ صفر ١٣٤٦هـ

أحمد الاسكندري

مدرس تاريخ الأدب وفقه اللغة بدار العلوم بمصر

ـ ٣ ـ

وكتب العلامة الجليل الشيخ أحمد إبراهيم من كبار مدرسي كلية الحقوق في الجامعة المصرية:

إلى الأخ الفاضل رب العلم والأدب الأستاذ عبد العزيز الراجكوتي:

أشكر لمجلة الزهراء أن عرّفتنا بمحقق فذّ مثلك معرفة أحلتكَ منا محل المحب المكرم، ولقد كنتُ أترقب صدور أجزاء هذه المجلة الممتعة بفروغ صبر حتى إذا ظفرت منها ببحث من أبحاثك القيمة المتينة أكون كأني قد عثرت على كنز ثمين. وما زلت كذلك حتى زفت إلينا البشرى بطبع كتابك «أبو العلاء وما إليه» فما كان أشوقني إليه لما أعلمه من سابق فضل مؤلفه ودقة بحثه وغزارة علمه، ولقد ظفرتُ من ذلك بأمنيتي إذ وجدت الكتاب على ما كنت أتوقع: استيعابٌ للبحث وإحاطة كلية بما يتطلبه المقام وسلامة نظر ونقد يقظ بصير وإنصاف في الحكم بحسب ما تؤدّي إليه المقدمات واحتياط في كل ما يحكيه عن أبي العلاء سواء أكان له أم عليه مما لا يصدر إلا عن المؤرخ الخبير المنصف.

ولقد كنتَ أيها الأستاذ الجليل موفّقاً في كل ما كتبت، حتى كأنك لشدة مخالطتك لكل ما أثر عن هذا الرجل وقوة اتصالك به وبكل ما يحيط به، واستنباطك بفضل الله تعالى ونعمته ما استنبطته مما حدثنا به عنه، تغلغلتَ إلى أعماق نفسه ونفذت ببصيرتك إلى ما انطوت عليه جوانحه فلم يغادر قلمك صغيرة ولا كبيرة من شؤونه إلا أحصاها، فقد تناولته من جميع نواحيه وحللته أيما تحليل فكنت في صنيعك هذا كأمهر المصورين إذ أخرجت للناس صورة صحيحة جلية لأبي العلاء صورتها بيد الأمانة تصوير من أحاط بصاحبها خبراً. نفع الله بك الأدب والعلم، وبارك فيك وكان لك ناصراً ومعيناً.

كتبه

أحمد إبراهيم إبراهيم

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بالجامعة المصرية

ـ ٤ ـ

وكتب العلامة الجليل الشيخ عبد الوهاب النجار من كبار أساتذة دار العلوم، وهو من محبي أبي العلاء والمعجبين بمن يشيد بذكر هذا الأديب العظيم:

قرأتُ كتاب (أبي العلاء وما إليه) الذي كتبه العلامة المحقق الواسع الاطلاع السيد عبد العزيز الميمني الراجكوتي؛ فوجدته كتاباً ممتعاً قد جمع إلى الفوائد الأدبية التحقيق الدقيق، والعناية الفائقة بتحقيق المسائل وتصحيح غلط المؤلفين في شأن أبي العلاء، وتزييف ما راج عندهم من الأوهام الباطلة بردّ الحق إلى نصابه ،وإبراز الحقائق ناصعة الجبين سافرة المحيا. والكتاب ينبىء عن سعة اطلاع كاتبه وصفاء ذهنه ونفوذ بصيرته وتنزهه من المحاباة وبراءته من التحامل لا تأخذه فيما يراه حقاً لومة لائم.

بحث في كتابه أحوال أبي العلاء من جميع نواحيه أتم بحث وأدقه مع صبر طويل على مراجعة الكتب والاطلاع على الأخبار في مظانها وعزو كل قول إلى قائله والدلالة عليه دلالة تسهل على القارىء الرجوع إلى تلك المظان، فجاء كتابه فريداً في بابه لم ينسج على منواله أحد ممن كتب في شأن أبي العلاء شافياً لما في النفس كافياً لمن طالعه عن طلب المزيد من سواه وافياً بحاجة محبي الاطلاع.

إن إعجابي بذلك الكتاب الفائق في الوضع، والترتيب المقنع في بحوثه لا يمنعني من أن أبدي ملاحظات قليلة راجياً من حضرة المؤلف الذي أنا معجَب به كل الإعجاب مقدّر لما لقي من النَّصَب كل التقدير أن يتقبل ذلك بقبول حسن وأن يحمل ذلك مني على النقد البريء الذي يقدره أفاضل الكتاب والمؤلفين قدره.

(١) جاء في صفحة ٢٨ بعد أن أوردت بيت أبي العلاء:

ولقد علمت فما التمضر نافعي … أني سأتبع نيسباً لا بني سبا

ما نصه: وليعلم أن التمضر هنا التمعدد.

وحضرة المؤلف الفاضل يعلم ولوع أبي العلاء بإرادة المعنى البعيد للفظ ذي المعنيين. وفي رأيي أنه تبع ذلك في هذا الموضع، فلم يرد بالتمضر النسبة إلى مضر أو معدّ وإنما أراد سمن المال كما في «تاج العروس» (ج: ٢، ص: ٥٤٤) وعلى ذلك يكون المعنى: ولقد علمت أني سأتبع طرق الموت التي سلكها ابنا سبا فليس سمن المال نافعي، ولم يرد أنه يتبع طريقهما في النسب، ولو فرضنا أن المعنى هو الذي ذكره المؤلف الفاضل في قوله: (التمضر) فإني لا أزال أرى أنه أراد طريق ابني سبا وهو الموت فنسبته إلى مضر غير نافعة ما دام مآله الموت ولم يرد أنه سيتبع سبيلهما في النسب.

(٢) يظهر من عبارة المؤلف صفحة ٣٩ أن أبا العلاء يعني نفسه بقوله:

فلا أجدك رديئاً في ذوي أمم … وكن نبيلاً مع القوم التنابيل

وسياق قوله في اللزوم لا يشعر بذلك.

(٣) جاء في صفحة ٤٣ (وسكنى الوبر والمدر) والصواب أن يحذف لفظ (والمدر) إذ سكان المدر هم أهل الحواضر وعندهم الوسيلة المغنية عن الحفظ وهي الكتابة، وأما أهل الوبر وهم البدو فذلك عندهم معوز.

(٤) في صفحة ٧٠ (وقال الحافظ ابن حجر أنه مكث بصنعاء سنة لا يأكل اللحم) وقد عقب عليها الفاضل المؤلف بقوله: «أقول ولعله يريد قبل رحلته إلى بغداد الخ» وذلك تسليم منه بأنه مكث بصنعاء سنة لا يأكل اللحم ـ ونحن لم نسمع برحلة أبي العلاء إلى

صنعاء ـ ولعلها محرفة عن (بضعا) ويكون في كلام ابن حجر نقص لم يصلح.

(٥) جاء في صفحة ٩٧:

يقولون في المصر العدول وإنما حقيقة ما قالوا العدول عن الحق

وبعد أبيات أخرى قال: «والمصر المحلى بأل هو مصر لا غير كما نرجح» وأنا لم أفهم هذه الجملة كان يريد أن لفظ (المصر) في البيت يراد به مصر أي الإقليم المعروف، وأنه يرجح ذلك غير ما رجح وأقول إنه يريد أيَّ مصر من الأمصار أي أن العدول يوجدون في الأمصار وحقيقتهم أنهم عدول عن الحق. والعدل يطلق على الشاهد الذي أعد نفسه لتحمل الشهادة وأدائها بباب القاضي بعد تعديله:

في البدو خراب أذواد وماشية وفي الجوامع والأسواق خراب

فهؤلاء تسموا بالتجار أو الـ العدول واسم أولاك القوم أعراب

(٦) في صفحة ١٨٧: (وذكر لنا أنه عجز في هرمه عن الوضوء أيضاً. قال يخاطب الدنيا:

لك أوقاتي فخليني إذ قمت أصلي

ودعيني ساعة فيك لمولاي الأجل

فعد جسدي للعنصر الطهر تسترح إذا صرت تقضي الفرض عند التيمم

ولعل حضرة الفاضل أخذ عجزه عن الوضوء من البيت الأخير. والذي أراه أن له معنى سوى ما استنتجه حضرة المؤلف، ذلك أنه يخاطب جسده بالعودة إلى عنصر الطهر وهو التراب وأن ذلك راحة له وأن المؤدي للفريضة سيتيمم به وهو في تلك الحال. وليس المعنى أن المعري يتيمم عند أداء الفرض.

أما لغة الكتاب فنقية محكمة. ولا آخذ عليه فيها إلا أنه يساوق أبا العلاء في أسلوبه وسجعه. وفي سجع أبي العلاء بعض الصنعة والتعمل. ولو أن المؤلف أطلق قلمه من ذلك القيد لكان أجمل به. من ذلك قوله في صفحة: ٦٥: «ولا يتحاشى من ذلك ولا يتحرج وهو ممن على أقران ابن خالويه تخرج». وفي صفحة: ٩٩: «وهي من غرر المراثي وحسناتها، ودرر التآبين لا خرزاتها».

هذا كل ما عنّ لي أن ألاحظه على هذا الكتاب الفريد في بابه الممتع في مباحثه وتحقيقه.

أما اعتقاد المؤلف في دين أبي العلاء فهو على حال الاقتصاد: يعتقد فيه الخير وحسن الاعتقاد بعد مكافحة للحيرة ومعالجة للشك، وقد شهد الله له بالدفاع عنه في

مواطن صالحات.

وإني لا أخفي على حضرته أني أخالفه بعض المخالفة في شأن حيرة أبي العلاء ووجود ما يوجب الكفر في أقواله. فإني من أولئك الذين يقول حضرة المؤلف عنهم في صفحة: ٢٩٩ (وأولع كثير من الناس بتأويل ما جاء مما يحتمل إلى المجاز في اعتقاد السوء في رجل من المؤمنين).

وبعد ذلك فإني آمل أن يجد هذا الكتاب القيّم من إقبال أهل الفضل ومحبي الاطلاع ما هو جدير به، وأسأل الله تعالى لمؤلفه المعونة وحسن الجزاء.

عبد الوهاب النجار

مدرس بدار العلوم بمصر

ـ ٥ ـ

وكتب العالم الفاضل الشيخ أحمد محمد شاكر من علماء الأزهر، والقاضي بالمحاكم الشرعية في الديار المصرية:

إلى الأخ العالم، الباحث، المنقب، السيد عبد العزيز الراجكوتي الميمني:
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

قرأت كتابكم (أبو العلاء وما إليه) وما اعتدت تقريظ كتاب، فلم أملك قلمي عن الكتابة إليكم. وجدتكم أوفيتم البحث حقه واستوعبتم كل ما يستحقه موضوعه من الأدلة والحجاج. مع دقة نظر وحسن ترتيب.

ولقد أخذ يلبي إنصافكم القول في شأن «أبي العلاء» فإن رجلاً من أهل عصرنا يريد أن ينشر بين المسلمين إلحاده حاول أن يأخذ على «أبي العلاء» كلمات ـ لعله لم يحسن فهمها ـ ليذيع بين الناس أن له إماماً يتبع طريقه فأجهد نفسه وأتعب كاتبه وأخرج للقراء كتاباً يزعم به أنه نحو جديد من التأليف، وما هو بجديد ولا بقديم.

وأرجو أن تقبل تهنئتي على ما أوتيت من بسطة في العلم، ومن سعة في الاطلاع ومن قدرة على امتلاك ناصية القول، وأسأل الله أن يزيدك من فضله، وأن ينفع بك العرب واللغة العربية، والمسلمين والإسلام. والسلام.

مصر: في ١٠ جمادى الأولى سنة ١٣٤٦هـ

كتبه

أحمد محمد شاكر

القاضي الشرعي

فهرس المحتويات

أبو العلاء وما إليه

ويليه

رسالة الملائكة

تأليف

أبي العلاء المعري

منشورات
محمد علي بيضون



دار الكتب العلمية

هاتف وفاكس: [illegible]
ص.ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
رياض الصلح - بيروت ١١٠٧٢٢٩٠
http://www.al-ilmiyah.com
e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com

